علم التحقيق للمخطوطات العربية

بحث تأسيسي للتأصيل



الدكتور فخر الدين قباوة




بسم الله الرحمن الرحيم


علم التحقيق
للمخطوطات العربية

موافقة وزارة الإعلام
بتاريخ ١٤/٤/٢٠٠٤ رقم ٧٧٠٢٨
الجمهورية العربية السورية
دار الملتقى - حلب

اشتريت هذا الكتاب من
معرض إدلب للكتاب بثلاث
دولارات من دار المعالم بتاريخ
٢ آب ٢٠٢٤م
أبو عبد الله
الرباني

الدكتور

فخر الدين قباوة



دار الملتقى

حلب - سورية

التصنيف الموضوعي : ٤١٠

الموضوع : اللغة العربية

العنوان : علم التحقيق للمخطوطات العربية

التأليف : الدكتور فخر الدين قباوة

الإخراج: ماهر عطار ٠٩٣٢٩٨٤٩٢

عدد الصفحات : ٤٧٨

قياس : ١٧ × ٢٥

عدد النسخ : ١٠٠٠

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من دار الملتقى

سورية – حلب – طلعة الإنشاءات

هاتف: ٠٢١ ٢٢١٤٩٦٧

تلفاكس: ٠٢١ ٢٢٨٩٣٤١

جوال: ٠٩٣ ٤٦٦٩٩٨/ ٠٩٣٣٤٨٢٠٩

ص.ب ٧٨٤٢

Email: info@dar-almultaqa.com

دار الملتقى للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

ويطلب أيضاً من

دار المنار

دمشق – هاتف : ٢٢٢٤٩٩٠

مُقَدِّمَة

بأكمل الحمد لله ـ عز وجل ـ نستهل هذا البحث التأسيسي القيّم ، آملين أن ييسر سبيله ، ويسدد خطواته ، ويهيئ له أبواب التوفيق فيما يقدم ، من تأثيل لعلم التحقيق في الحضارة العربية، وتفصيل لأصوله وتطبيقاته . وبأفضل الصلاة والسلام على رسوله الكريم، نعطر الأنفاس والقلوب والأقلام ، لتكون المسيرة في كل خطوة مباركة ، والنتائج محوطة بالدقة والعمق والاستيعاب ، تتملاّها عقول الزملاء الكرام والطلاب الأفاضل بتقدير وتوجيه ، فيكون لها أن تأخذ مكانها من المعارف التاريخية والعلوم الإسلامية المنكوبة في هذه الأيام ، بأعدائها وكثير من أبنائها .

وبعد ، لقد كانت إرادة الله لهذه الحياة الدنيا أن يشملها ، برحمته قبل غضبه والانتقام ، فجعل الرسالات السماوية موجِّهة الناس إلى سبل الحق ، كلما انحرفوا عنها بطغيان شهوة أو بتضليل من شياطين الإنس والجان . فكان الأنبياء تتوالى بعثاتهم ، ليسددوا الفكر والقول والعمل ، فينكروا ما هو باطل وفساد ، ويحققوا ما هو خير وصواب . كذلك تتابعت مُهِمّاتهم ، كلٌّ ((مُصدّق لما بين يديه)) من الحق المتقدم عليه ، ومسوّد وجوه الأباطيل والأوهام ، ليكون التوجيه إلى الاستقامة والصلاح .

ولما كانت الرسالة المحمدية خاتمة البعثات بما فيها من تشريع وتوجيه وعلوم وأخبار ، وقد بلغ الناس مستوى من النضج والوعي يمكّنهم من اعتمادها لتسلم زمام التقويم ، فإن رحمة الله ـ عز وجل ـ قدمت لنا نماذج عالية من التبصر بالحق ، واعتماد السبل المؤدية إليه . وذلك فيما كان من العَرَضات النيف والعشرين في رمضان ، لنصوص القرآن الكريم بين جبريل ومحمد ـ صلى الله عليهما وسلم ـ ثم ما أسسته الدعوة في الأصول والفروع

والإجراءات العملية ، من وسائل تأخذ بيد كل إنسان ﴿ لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبطِلَ الباطِلَ ﴾ .

وعلى ضوء هذه التعاليم والأساليب التطبيقية ، استطاع علماء المسلمين أن يشرعوا في وضع منهج ، لكشف الزيف والانحراف ، وإعادة الأمر إلى معدنه من الاتزان والاعتدال . فقد تسلم رجالات الحديث الشريف والقراءات القرآنية أزمّة التنظير والتطبيق ، للحفاظ على مصداقية ما سجلوه في ميادين علومهم ، فكان عن ذلك مصنفات ومقولات غفيرة جدًّا، تؤصل للناس معالم الطريق ، وتمدهم بضوابط الصواب ، والانتقال في المجالات الشائكة من متاهات الضلال إلى منارات التوثيق والتحقيق .

كانت النصوص والأقوال قبل الإسلام تتوزعها الذواكر والألسنة ، أو التسجيل البدائي ، بعيدًا عن ساحة التدقيق والاختبار ، فقلَّ أن تسلم من التغيير والتبديل والتناقص أو التزايد ، في مسيرتها بين الأذن والقلب واللسان . ولهذا غابت معالم الثقة بما يتناقله الناس من علم وفن وتجارب ، وكان الخلاف شديدًا فيما روي من ذلك ، حتى إن المدونات منه لم يستقر لها موطن الاطمئنان بين الأفراد والشعوب والأمم ، وعاشت على أنها مرويات شخصية تحتمل مراتب من التقدير والاعتبار .

كذلك استمرت المقولات المتداولة بين البشر ، محفوفة بمخاطر الدس والتزييف والافتعال ، من دون حاجز عملي يحفظ لها الصفاء والوفاء ، أو أساليب تفرض شروط الدقة والصحة في انتقال النص وتوضُّعه سجلًا مطمأنًّا إليه . ولكن خاتمة الرسالات السماوية شقت لنفسها طريقًا يناسب منزلتها وأهميتها في الدنيا ومصاير البشر في الآخرة ، فوضعت لهم نموذجًا عمليًّا يحتذَى ، في ليالي رمضان المبارك بالعرض تلو العرض بين الأمينين الكريمين ، وفي حياة النبوة الشريفة بالتدريب المتواصل للمسلمين ، يرعاه النبي - عليه السلام - ليرسّخ في نفوسهم أصول التلقي والفهم والحفظ والرواية . وهكذا مارسوا في بضع وعشرين سنة مسائل التوثيق والتحقيق وكابدوها وعانَوا متطلباتها ، فإذا لديهم من المهارة

والخبرة ما يصلح قناة للضبط المأمون ، والتثبيت المحوط بكل وفاء ونصفة وإخلاص .

لقد انطلق الاهتداء بينهم من تلك المشكاة الربّانية النبوية والتدريبات المتواصلة بها ، في تدقيق ما يتلقاه المسلمون من الآيات الكريمة والمقولات الشريفة ، يمحصون مصادر وصولها إليهم ، ويختبرون صحة التلقي والنقل والتبليغ ، حتى انصقلت المواهب واستقرت منافذ الحفظ الكامل لِما يكون بينهم من رواية أو سماع أو نقل أو تحديث . وبهذه الروح الناضجة الواعية الخبيرة ، كان جمعُ الآيات الكريمة في عهد الصديق ضمن مصحف شريف ، ثم تدوينُ المصاحف المباركة في عهد ذي النورين ، وتناقلُ الآيات المباركة والأحاديث المطهرة في الصدور بالمداد الأبيض وفي السطور بالأسود .

كان هذا أول حدث تاريخي ، يسجل التدقيق والضبط للنصوص بين أفراد البشر . وقد اعتمده علماء القرآن والحديث ، في تأصيل معايير الصحة والثقة ، وراحوا يُجرونها عمليًّا في متابعة الرواية والرواة . ثم انتقلت تجاربهم وأساليبهم إلى سائر العلوم الإسلامية ، وصارت منهجًا بين الدارسين والباحثين والمصنفين ، لإعطاء منجزات الحضارة صفة الأمان والتقبل والخلود .

ولكي تكون العمليات واضحة المعالم مستقرة البنيان ، وُضعت الأصول النظرية والتطبيقية مفصلة بالبيان والتقريب والتمثيل ، مع الرموز والمصطلحات والمفاهيم اللازمة ، ونقلت إلى طلاب العلم والبحث والرواية ، على أنها سبيل وحيد لضمان توثيق النص وتحقيقه. وبذلك صدرت مئات الألوف من المصنفات والنسخ الكتابية ، منفَّذة فيها تلك التعاليم المقررة ، وأصبحت المكتبة العربية الإسلامية موئلًا ومعرضًا لصيانة التراث ، وتغذيته بمقومات الصدق وكفايات التثبت والبقاء .

وقد استمرت هذه الحركة المباركة اثني عشر قرنًا ونيفًا ، تزداد غنى وسعة وتفصيلًا بالتنظير والتنفيذ ، وهي ترعى مسيرة العلم والبحث والتصنيف ، وتَجري في مطاوي ما

يُنسخ من الكتب والرسائل ، لحفظ مصداقيته وصفاء وجهه . ثم جاءتنا أمواج الغزو الاستعماري بعولمته القديمة ، يسدّ علينا منافذ التطلع والتلقي والاستيعاب من منابع الأصالة ، ويضع لنا سبلاً ملتوية بها أفسده من أساليب أجدادنا ، زاعمًا أنه ابتكر أصول التحقيق وأساليب التوثيق . وقد جرى مع مزاعمه وتخرصاته كثير من الناشرين ورجالات العلم والتعليم ، فأصدروا قدرًا كبيرًا من مصادر التراث ، قل أن تجد فيه صدق الحضارة الإسلامية ، وصفاء الوجه العربي .

صدر هؤلاء الزملاء الكرام عن حب للعمل الكريم ، وجهل بأصول الضبط والتوثيق والحفاظ على أصالة النصوص ، ولم يكن لديهم خبرة أو معرفة بذلك ، فانصبت في الأسواق آلاف الكتب التراثية باسم التحقيق ، وهي بعيدة عنه بما انقادت إليه من تقليد للمستشرقين والمستغربين . فهم لم يتلقوا علم التحقيق ، ولم يطلعوا على أصوله وفروعه وتطبيقاته في الحضارة الإسلامية ، فكانت أعمالهم المحفوفة بالمحبة ورغبة الخير ، والمندفعة بشعبذات المستشرقين ، صورة من التشويه والتعميات والتعقيدات ، تمنع الناس من إعطاء التراث حقه، وتجعلهم في دُوّمات من التخبط والتسكع والإحباط .

فلو أن هؤلاء الناشرين اطلعوا بجد وإخلاص على المصنفات المنهجية في تحقيق النصوص ، عند علماء المسلمين للتنظير والتنفيذ ، وتمرسوا بالمخطوطات الغفيرة التي طبقت تلك الأصول ، وجعلتها حقيقة عملية واضحة القسمات والدقة والوفاء ، لو أنهم اطلعوا وتمرسوا لكانت لديهم خبرة وافية بإجراء العمليات اللازمة ، وتطويرها بما يمنحها الحياة المعاصرة ، ويهيئها لاستيعاب الحضارات القادمة. ولكنهم اكتفوا بتتبع رجالات الاستشراق، وإن زعم بعضهم المخالفة، فكان منهم ما أفسد العمل ، ورسم طرقًا مشوهة وتجارب مأفونة.

فقد توهم شيوخنا الأكارم في هذه الميادين العلمية العملية أن النهج القويم هو ما خطته عقول المستشرقين وأناملهم ، من كتيبات ترسم خطوات الإنجاز ، ونصوص تراثية

وُسمت أنها مخدومة بالتحقيق ، فأداروا ظهورهم لما في تاريخنا الحضاري من تأصيل وتفصيل وتنفيذ ، وتجارب وخبرات عملية متألقة ، وراحوا يهتدون بالسراب الأجنبي ، لإصدار العشرات من أمهات المصادر المخطوطة ، في سباق مع الزمن . ثم جئنا نحن بعد هؤلاء نتتلمذ على أيديهم ، فظنناهم قدوة عربية إسلامية تحتذى ، وتلمسنا خطاهم فيما نُصدر من آثار خطية ، ظانين أننا على هداية في السبيل العلمي الكريم .

وبذلك تلقت الأسواق والمكتبات آلاف المصنفات القديمة ، تحت شعار التحقيق ، وصارت أساليبنا مع ما أضيف إليها من اعتسافات شخصية أداة للنشر والتوزيع باسم ذلك الشعار . ثم قامت مؤسسات ودورات ومؤتمرات وندوات في البلاد العربية ، لخدمة هذا الميدان ، فكانت توجهاتها منساقة في الغالب خلف البهارج الاستشراقية ، تكرس أساليبها ومنعطفاتها ، ولا تجد لها منفذًا تشقه لرؤية نور الحضارة الإسلامية العربية في هذه الزاوية اللامعة . لقد تجاهلنا أيادي العمالقة العظام من أجدادنا العرب والمسلمين ، وانسقنا خلف أقزام المدعين للتحقيق من رجالات العولمات الأوربية ، فكنا في تيه أطول مدى من تيه بني إسرائيل .

قرن كامل يمضي بنا ، وشيوخنا لاهثون ونحن متابعون ، على غير معرفة بذلك النور المبارك ، فكانت الآلاف التي صدرت عنا عاجزة عن إجراء التحقيق ، الذي وضعه الأجداد العظام لها بما يناسبها ، ويخرجها في ثوب عربي أصيل . ولهذا فإني أزعم أن ما نُشر حتى الآن ليس فيه من الخدمة العلمية القويمة ، سوى ما نال حوالَى ٣٠٠ كتاب . أما الباقي فإما نشر تجاري سطحي مشوه ، وإما تمثيل للنهج الأوربي المنحرف عن جادة الصواب .

لقد ظننا جميعًا أن عمليات التحقيق للتراث يكفيها رغبة في النشر ، وحصول على نسخة خطية ، واقتداء بما وضعه المستشرقون ، فكان في هذا منتهى الجهل والقصور والإجحاف . ذلك لأن اطلاعنا فيما بعدُ على المصادر التنظيرية لهذه العمليات ، والإجراءات

التنفيذية لها في مئات الألوف من النسخ الخطية بدقة منهجية وأمانة في الوعي والأداء ، كشف لنا أننا نعتسف الطريق ، ونتسكع في مجاهل ومتاهات ومفاوز ، وحولنا الرياض والينابيع مهجورة ، متعطشة إلى القلوب العربية ترتع بين مغانيها وتقطف داني الجنى وناضج الثمار .

وإنما حالفنا الظن الآثم من قبلُ لأننا لم نعرف طبيعة النهج التحقيقي للآثار العربية . لقد ظنناها تطلعًا إلى خدمة التراث ، وشهوة عابرة ومعرفة سطحية لقراءة نسخة أو أكثر ، ولم يخطر ببالنا أنها عِلم له أصول وأساليب وتطبيقات ملتزمَة بإخلاص وأمانة ووفاء .

وقد كان طلاب العلم في تاريخنا الحضاري يتلقون تلك الأصول والأساليب في سنوات متواليات، ثم يطّلعون يوميًّا على تنفيذها فيما يقرؤون من مصنفات العلوم المختلفة ، إذ كلها يسير في قناة واحدة من الوعي والتنفيذ ، فترسخ في عقولهم وأبصارهم وألسنتهم صور الإجراء العملي المقررة ، بدقة وبيان واستيعاب . ومن ثَمّ يتسنى لهم أن ينسخوا بعض الكتيبات ، لتدريب قدراتهم على الاحتذاء المتقن والإنجاز القويم .

على هذه الصورة من التعلم للأصول والأساليب ، والمشاهدة عِيانًا وملاحظة للتجارب الرائدة ، والممارسة العملية في ظل الرقابة والتوجيه والتقويم ، اكتسب الواحد منهم خبرة ومهارة ، ليتخرج بإجازة من شيخه أنه أتقن معرفة الكتاب وأساليب تحقيقه وخدمته ، مع العلم الذي يطلبه للتخصص أو المشاركة . فليست الإجازة في العلم وحده ، كما يتصور كثير من الدارسين ، وإنما هي في الكتب التي قرئت ونسخت وأدركت معالم البحث فيها ، وأشكال الضبط والتوثيق والنقل العلمي الأمين .

لقد كانوا يعلمون علم اليقين أنه :

لا يَعرفُ الشَّوقَ إلاّ مَن يُكابِدُهُ ، ولا الصَّبابةَ إلاّ مَن يُعانِيها

فهم يكابدون الدراسة والتلقي والفهم والاستيعاب ، والتمرس بالنماذج العملية الناجزة ، ويعانون مشاق السنوات الطوال في التنفيذ والاقتداء ، بإشراف علماء متقنين مخلصين في

التوجيهِ والتسديد ، ومتابعةِ ما ينتجه الطلبة من تجارب وخبرات ، تقتضي الرعاية والوصول بها إلى مشارف النجاح والفلاح .

إنّهم يصدرون عن أشواق إلى البحث والتحقّيق ، وصبابات بممارسة أساليبها في الأصول والفروع ، إذ المُهِمّة لديهم هي عشقٌ نَهِمٌ ، يزداد عمقًا وظمأ ، كلما عبُّوا من ينابيعه وتذوقوا لذات ثماره . نعم هذه طبيعة البحث والتحقيق . ولو قُدّر لك أن تدخل أعتاب محرابها ، وترشف خمر هيامها ، لعرفتَ ما تؤرّثه المكابدة من المتعة وتفاقم الشوق والصبابة والمعاناة ، وما تصرخ به الأعماق من قول دائم : هل من مزيد ؟

أما نحن فقد أخطأنا سبيل الواقع ، وانطلقنا خلف السراب الغربي المتهافت ، فكنا خلال قرن من الزمان نتقمّم فتات الموائد ، ونتقمص شخصية المحقق الأمين . والآن بعد عشرات من السنوات ، نلمح جادة الصواب ، ونتلمس معالم الطريق السوي الذي طرّقه وعبّده أجدادنا العظام ، ورصفوه بكامل أدوات العمل المحكم ، وتركوا فيه مئات الألوف من النسخ الخطية الموثقة المحققة ، لتكون لنا أسوة حسنة في هذا الميدان العربي الإسلامي المتميز في تاريخ الحضارات الإنسانية .

لو أننا تنبهنا إلى ذلك منذ النشأة الطباعية في ديارنا ، واقتدينا بما رُسم لنا ونُفّذت تعاليمه ، لأمسكنا زمام العمل الكريم والتوجيه القويم ، ولكان لنا نظرات وتجارب تضاف إلى الموروث الفذ ، وتواكب حاجات الحاضر ، وتمد بما يستوعب متطلبات المستقبل ، عن قدرة ذاتية متفتحة ، وخبرة تضم المجد من أطرافه ، وتجدد لكل حادث ما يناسبه من الوظائف والأدوات والرموز والمفاهيم والمصطلحات .

ولو أن أساطين شيوخنا توجهوا إلى المصادر التراثية القديمة ، يستنطقونها معالم السبيل للتوثيق والتحقيق ، بما فيها من وسائل ومعارف وتعاليم مقررة ، وما تحمله من خبرات عملية في الإنجاز العملي المتقن ، لما كان منهم ومنّا ما كان ، ولتجنبنا مشاق التضليل

والتهويش ، وأحطنا ما ينشر من آثارنا العلمية بإطاره الحضاري الكريم . لو كان المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، على سبيل المثال – وهو الموصوف في ((شوامخ المحققين)) بأنه محقق حاذق متقن – قد تمرس بتلك المصادر نماذجَ لعلم التحقيق والتوثيق ، وصورةً عملية يقتدى بها ، لـما حصل منه ما نعانيه الآن في الكتب التي أصدرها تحت ذلك الشعار.

فهو مثلًا يوزع نص ((رسالة)) الشافعي على فقرات متقطعة تجاوزت الألف والثمانيمائة ، مع أنها هي رسالة موجزة متواصلة البيان ، وليست نصوصًا أو أحاديث أو روايات ، وقد وضع لها المصنف الإمام أبوابًا تغنيها عن تدخل ما ذكرته من التقسيم والتوزيع. ثم ترى التعليقات الـمطولة تغرق النص باستطرادات ومقولات كما في ص ٩٣ _١٠٣ و ١٥٠_١٥٦ مثلًا ، مع أن الشأن في نحو هذا تكفيه الإشارة والإحالة على المصادر . وبذلك صارت الرسالة أكثر من ٦٠٠ صفحة ، وهي في الأصل أقل من ٨٠ ورقة.

ثم إنك لترى شيخنا الكريم أحيانًا يرسم الكلماتَ تبعًا لجهال المستشرقين ، ترقيمه بالشكل القديم المخالف لما هو متعارف الآن ، مع أنه نص على مخالفة ذلك في مقدمته ، وتعهد بتعديله . ومن ذلك : ابنت والدلايل والامرُء وقايِسِه . وعلامات ترقيمه تنتثر بين حنايا العبارات على غير هدى وبيان ، وتختلف مواقعها بين الصفحات المتوالية ، حتى إنك لا تجد لها وفاقًا بين صفحتين متواليتين . بل ربما رأيتها تفسد المعنى ، كما في ص ٣٦٨ س ٥ ، مع خطأ في رفع ((الكفاية)) والصواب الكسر عطفًا على الرد .

وها هو ذا يمر على قول الإمام ص ١٦٥ : ((لأنَّ أكثر ما توضأ رسول الله ثلاثًا)) ، ولا يفسر ذلك بكون ((أنَّ)) هنا نصبت الاسم والـخبر ، كما يغفل التعليق على ما في القراءة ((تُطهِّرْهم وتُزَكيِّهِم)) ص ١٧٦ من إشكال ظاهره عطف المرفوع على المجزوم ، ويرسم ص ١٧٧ ((كلما)) موصولة فيضيع المعنى مع أن ((ما)) هنا اسم لا حرف ، ويسقط من الإسناد ((محمد بن إسماعيل)) ص ١٧٨ دون تنبه أو تنبيه ، ويعبر عن ((مزيدة)) بقوله

((مزادة)) ص ٢٥٦ و ٤١١ و ٤١٦ و ٤١٨ و ٥٤٤ . . . وتمر به عبارة فيها الصلاة قبل الوقت الأول ص ٢٨٨ فلا يقف عليها للبيان، ويجعل ((إذ)) ص ٣٠١ ((إذا)) فيختل المراد.

وما يقتضي النصبَ في ((فتُوجِدَنا)) ص ٣٦٠ يضبطه بالرفع ، ويجعل ضمير المفرد للجماعة في ((عليهم)) ص ٤٧٥ ، ويضبط ((يُخبرُ)) بضم الياء ص ٥٠٦ والصواب ((يَخبُرُ))، ويرى جواب ((لو)) ص ٥٢٥ ورد ((أكان)) بدون الفاء فلا يعلق عليه ، وكذلك جواب ((إذا)) ص ٥٩٥ ، وضمير المفردة ص ٥٤٠ يكون للاثنتين : ((منهما)) ، وعكسه ص ٥٩٤ في : ((منها)) ، و ((كَيلَه)) ص ٥٤٧ صوابه الضم ، و ((صيامٌ)) ص ٥٥١ في آية كريمة صوابه عدم التنوين ، ويعلق على ((يُستَبرَيْنَ ويُوطَيْنَ)) ص ٥٦٤ أن فيهما تسهيل الهمزة ، والتسهيل كما هو معلوم يقتضي اللفظ بالألف بدل الهمزة ، وإنما قلبت الألف ياء بعد التسهيل على أصل الإعلال ، و ((أَعْوَزَ)) ص ٦٠٠ صوابه : أُعْوِزَ .

هذا بعض ما يوقفنا على الإخلال فيه بنص فقهي أصولي ، يقتضي الدقة والعناية والوفاء . وثمة هَنات غفيرة ليس في سردها فائدة . وقد كان حصول ذلك كله سنة ١٣٥٨ ، وهو قد جاوز الكهولة . وعندما وقف أيضًا شيخنا الآخَر في التحقيق تنظيرًا وتنفيذًا ، المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون على نص نبوي كريم في معجم المقاييس ٤ : ٣٠٠ ، جعله ((إنّ العربية ليست بابًا واحدًا . لكنها لسان ناطق)) ، ثم علق عليه في الهامش بما يلي : ((في الأصل باب واحد)) . وأنت ترى أن هذا الذي جاء في الهامش هو الصواب ليكون : ((بِأبٍ)) أغفله الشيخ ، وذهب إلى ما هو تصحيف يفسد المعنى . يضاف إلى هذا كله أنه لما وقف على أرقام حساب الجُمَّل في بعض النصوص المحققة لم يعرف حقيقتها وظنها الأرقام الرومانية . (تحقيق النصوص ص ٨٩) .

ثم تراه ينشر ((مجالس ثعلب)) عن نسخة وحيدة لا تقدم نصًّا صالحًا للنشر ، فيكون فيه من الهنات ما نشير هنا إلى بعضه . فهو يترجم لأول من يرد من رواة الكتاب ومن كان قد

أجازه به ، فترى أن بين ولادة التلميذ ووفاة الشيخ ٦ سنوات ، وليس من المعقول أن يتلقى مثلَ هذا الكتاب من كان في هذه السن . ويرِد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرتين في صفحة واحدة ، وفي الأولى يسقط منها ((بن عبد الله)). وترد رواية لثعلب فيها : ((ثنا الأصمعي))، فلا ينبه إلى ما فيها من انقطاع ، ويجعل ((ها أنا ذا حاضرًا)) وهي تفسير لمنصوب قبلُ ، يجعله بالرفع مع أنه وارد في الأصل بالنصب ، وعبارة ((تنشق القسي من العيدان)) تصير بين يديه: تنشق العيدان من القسي ، والتعبير الذي فيه قلب للتركيب يعبر عنه باللّقَب ، واليوم الذي كان بـ ((لانِية)) يجعل في الرسم مزيدة فيه ((لا)) بين الباء ونية : بلا نية ، ويسقط ((إلاّ)) من العبارة : ولا ذاكر الله إلاّ قليلا .

وثعلب نفسه يرد في عبارة : قال العباس ، والشطر الشعري ((ويا عاذِلَيَّ لُمتُماني فلَيتَني)) يضطرب بين يديه على الشكل التالي : ويا عاذلي لمني افتني ، و ((حسد منّي)) يصحف : حسد عنّي ، و ((قبلهما)) يصحف : قبلها ، و ((سارت الخيلُ الرجالَ)) يصير : سارت الخيلَ الرجالُ ، وتجد ابن الأعرابي يقول : وأنشدني رؤبة ، وثعلبًا يقول : قلت لأبي عمرو ، و ((أُمّاه)) يصير : أَمّاه ، ولفظ الآية ((فيقسمان)) يجعل : فيحلفان ، و((أخلفت)) كما في الأصل يصحف : أخلقت ، و ((تكلموا)) كما في الأصل تصحف : تكلم ، و ((بالجحدد)) يصبح : بالحق ، و ((لذلك)) يصير : كذلك ، و((المراقي)) تكون : العروق ، و ((ما جاءت ميّ)) يصحف : ما جاءني ، و ((هاعت)) تصير : عاهت ، و ((لاقَى كفاءً)) يصبح : ولا في كفاءٍ ، و ((تفليها)) يصير : تقليها ، وبيت من لامية الأعشى يخرّج بالإحالة على شرح المعلقات للزوزني ، و ((قبل عام)) يصير : عام عام ، و ((ذا)) يصبح : ما ، و((التي)) تصير : الذي ، و ((الأعدال)) تصير : اضلاعها ، والاستشهاد بالآية الكريمة يُجعل اقتباسًا ، ويروي عن ثعلب أنه قال : سألني خلف .

تلك نماذج مما كان في الكتاب ، وثمة كثير من أمثالها يتعذر علينا حصره . وأغرب من

هذا وأعجب ما وقع فيه هذان الشيخان الفاضلان معًا ، حين لخصا ((ديوان المفضليات ، للأنباري عام ١٣٦١ تحت عنوان ((المفضليات)) وزعما أنهما حققا النص وشرحاه ، مع أنهما لم يخرجا عن التلخيص ، ولم يرجعا إلى أصل خطي أو نسخ مساعدة . بل لقد زادا الأمر تعقيدًا عندما ضخما في مقدمة الكتاب مشكلة التداخل بين قصائد المفضليات والأصمعيات ، وأطالا الكلام في تثبيتها وتوسعتها .

وفي عام ١٣٦٨ نشرا معًا أيضًا ((إصلاح المنطق)) لابن السكيت ، عن أربع نسخ كافية وافية ـ وهو أصل لغوي للمعاجم العربية وأول مصنف يضبط جمهور اللغة بالصِّيغ ـ فجعلاه معرضًا لآلاف الصور من التصحيف والتحريف والنقص والإهمال والتقحم بالزيادات والأخطاء في الضبط والرواية وعلامات الترقيم ، وأوهام الوصل والفصل ، وإقحام بقع سود تشوه رونق النص ، والقصور في التعليق والتخريج والفهرسة . الأمر الذي حمل بعض الزملاء الكرام ، حين باشرتُ تحقيق نفس الكتاب ، على اقتراح تسمية ما صنعته ((إصلاحَ إصلاح المنطق)) .[1] ومع هذا كله تذكر هذه المنشورات بالحمد والتمجيد .[2]

ثم أعادا عام ١٣٧٥ في مقدمة ما نشرا من الأصمعيات ، ((موثَّقة محقَّقة غيرَ فخر)) كما قالا ، مشكِلة التداخل بينها وبين المفضليات بشكل حاد ، مع تفصيلات وأدلة مفتعلة واهية ، ليثبِّتاها في نفوس الباحثين والدارسين والمحققين حتى الآن ، وأقحما في نصوص الأصمعيات ١٩ قصيدة من المفضليات جهلًا بأصول التحقيق ، لاعتمادهما نسخة ملفقة وأغفالهما الأصل الذي نُقلت عنه ، مع علمهما به ، وهو يوجه إلى الصواب .[3]

وكذلك شأن شيخنا العزيز الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهو راعي شؤون التراث الخطي ، ومنظِّر للتحقيق بمذهب أوربي ، وناشر لعدد وافر من النصوص . ولو وقفتَ على صنيعه ، في ((كتاب اللغات في القرآن)) المنسوب إلى ابن عباس ، لاستوقفك ما فيه من قصور

(١) النموذجان ١ و ٢ .

(٢) انظر شوامخ المحققين ص ٦٧ و ١٧٦ .

(٣) وانظر وهمَ تفسيرهما ((أخلّت)) في منهج التبريزي ص ٢٤٥ و ٣٠١ .

بَرْداً ، وما وَجَدنا لها العامَ مَصَدَّةً . وتُبدَلُ الصادُ زاياً فيقال: مَزْدَة.
ويقال : ما أصابتنا العامَ قَطْرةٌ، وما أصابتنا العامَ قابّةٌ ، مُشَدَّدةُ الباء ، بمعنى
واحدٍ . قال الأصمعيّ : يقال ما سَمِعنا العامَ لها رَعَدَةً ، وما سَمِعنا رَقابَةً .
يُذهبُ به إلى القبيبِ ، أي الصَّوتِ . ولم يَرْوِ هذا أحدٌ غيرُه ، والنّاسُ على
خلافه . ويقال : قد ذابَ جِسْمُ فلانٍ ، وإنّهم جِسْمُ فلانٍ ، هما سواء.
ويقال : جاءت سَوابقُ الخيلِ فدخلتِ الحظيرةَ، والكَنيفَ، ودخلتِ العُنَّةَ،
ودخلتِ الحِظارَ، ودخلتِ الحظيرةَ، كلُّ ذلك من أسماء الحُجرةِ تُعملُ من
شَجرٍ . وتُعملُ هذه الأشياءُ للإبلِ لتَقِيَها من البَرْدِ والرِّيح . ودخلتِ الجَديرةَ ،
وهي مثلُ الكَنيفِ ، إلاّ أنّها من صَخرٍ . ويقال : فرسُكَ ضامرٌ ،
وفرسُكَ ذابلٌ ، وفرسُكَ شازِبٌ . فإذا قيل شاسِبٌ أو شاسِفٌ فهو اليابسُ من
الضُّمْرِ . ويقال للناقةِ إذا رفعت ذَنَبَها : قد شالت بذَنَبها ، وقد عَسَرَت ،
وشَمَذَت . ويقال : اضْمُمْ متاعَكَ في وعائكَ . ويقال : اغفِرْ متاعَكَ في
وِعائكَ . ويقال : اصْبُغْ ثوبكَ فهو أغفرُ للوسَخِ ، أي أحمَلُ له . ويقال :
شاركتُ فلاناً مُفاوَضةً ، وذلك أن يكونَ مالُهما جميعاً من كلِّ شيءٍ يملكانه
بينَهما . ويقال : شاركتُه شِرْكةَ عِنانٍ إذا اشتركا في مالٍ معلومٍ وبانَ كلُّ
واحدٍ منهما بسائرِ مالِه دونَ صاحبِه . وكأنّ أصلَه أنّه عَنَّ لهما شيءٌ فاشتركا ،
أي عَرَضَ . ويقال : فلانٌ مَكثورٌ عليه ، وفلانٌ مَثمودٌ مَشفوهٌ ،
وفلانٌ مَضفوفٌ . وذلك إذا نَفِدَ ما عندَه وكثُرت عليه الحقوقُ . ويقال :
قد تَضافُّوا عليه والضَّفَفُ : كثرةُ العيالِ . ويقال: أتانا فلانٌ
هُدُوّاً ، إذا جاء بعدَ نَومةٍ . ويقال : أتانا فلانٌ وقد هدأتِ الرِّجلُ ، وأتانا
وقد هدأتِ العينُ ، وأتانا بعدَ هَدءٍ من الليلِ وبعدَ هَدأةٍ . ويقال :
قد أتانا بعدَ هَزيعٍ من الليلِ وبعدَ عَنكٍ من الليلِ ، وبعدَ جَوشٍ من الليلِ ،

النموذج ١ من إصلاح المنطق : نقص وخلل واضطراب وتزيد

ويقال: ما وجَدنا لها العامَ[٣٨٦] بَردًا، وما وَجَدنا لها العامَ[٣٨٧] مَصدةً. وتُبدَل الصادُ زايًا فيقال: مَزدةً.

ويقال: ما أصابتنا العامَ قَطرةٌ، وما أصابتنا العامَ قابّةٌ، مُشَدَّدةُ الباء، بمعنًى واحدٍ[٣٨٨].

قال الأصمعيّ: يقال: ما سَمِعنا العامَ لها[٣٨٩] رَعدةً، وما سَمِعنا [لها العامَ][٣٩٠] قابّةً. يَذهب[٣٩١] به إلى القبيبِ، أي: الصَّوتِ. ولم يَروِ هذا الحرفَ[٣٩٢] أحدٌ غيرُه، والنّاسُ على خلافه[٣٩٣].

ويقال: قد ذابَ جسمُ فلانٍ، وانهَمَّ[٣٩٤] جِسمُ فلانٍ. هما سواءٌ[٣٩٥].

ويقال: جاءت سَوابقُ الخَيلِ فدَخلَتِ الحظيرةَ، و[دَخلتِ][٣٩٦] الكَنيفَ، ودَخلَتِ[٣٩٧] العُنَّةَ، ودَخلَتِ الحِظارَ، ودَخلَتِ الحَظرَ[٣٩٨]. كلُّ ذلك[٣٩٩] من أسماء الحُجرةِ تُعملُ من شَجرٍ. وتُعمَلُ[٤٠٠] هذه الأشياءُ للإبلِ لِتَقِيَها من البَردِ والرِّيحِ. ودَخلَتِ الجَدِيرةَ. وهي مِثلُ الكَنيفِ، إلّا أنّها من صَخرٍ.

ويقال: فرسُكَ ضامِرٌ، وفرسُكَ ذابِلٌ، وفرسُك شازِبٌ. فإذا[٤٠١] قيل: شاسِبٌ أو شاسِفٌ، فهو اليابسُ من الضُّمرِ.

ويقال للنّاقةِ، إذا رفَعَت ذنبَها: قد شالَت بذَنبها، وقد عَسَرَت، و[قد][٤٠٢] شَمَذَت.

ويقال: اضمُمْ[٤٠٣] متاعَكَ في وعائكَ. ويقال: اغفِرْ[٤٠٤] مَتاعَكَ في وِعائكَ. [ويقال: اهنِمْ مَتاعَكَ في وعائكَ واغفِرْ.وهما سَواءٌ][٤٠٥]. ويقال: اصبُغْ ثوبَكَ فهو أغفَرُ للوسَخِ، أي: أحمَلُ له.

ويقال: شاركتُ فلانًا مُفاوَضةً، وذلك أن يكونَ مالُهما جميعًا من كلِّ شيءٍ يَملِكانِه بينَهما. ويقال: شاركتُه شِركةَ عِنانٍ. [وذلك][٤٠٦] إذا اشتركا في مالٍ[٤٠٧] معلوم وبانَ كلُّ واحدٍ منهما بسائرِ مالِه دونَ صاحبِه. [قال أبو يوسف]: وكأنَّ[٤٠٨] أصلَه [من][٤٠٩] أنّه عَنَّ لهما شيءٌ فاشتركا، أي: عَرَضَ.

ويقال: فلانٌ مَكثُورٌ عليه، وفلانٌ مَثمُودٌ، [وفلانٌ][٤١٠] مَشفُوهٌ، وفلانٌ مَضفُوفٌ. وذلك إذا نَفِدَ ما عندَه وكثُرَت عليه الحقُوقُ. ويقال: قد تَضافُّوا[٤١١] [على الماء[٤١٢]، إذا كثُروا] عليه. والضَّفَفُ: كَثرةُ العِيالِ.

ويقال: أتانا فلانٌ هُدُوءًا[٤١٣]، إذا جاء بعدَ نَومةٍ. ويقال: أتانا فلانٌ وقد هدأَتِ الرِّجلُ، وأتانا وقد هدأَتِ العَينُ، وأتانا بعدَ هَدءٍ من اللَّيلِ وبعدَ[٤١٤] هَدأةٍ.

ويقال: قد أتانا بعدَ هَزِيعٍ من اللَّيلِ، وبعدَ عِنكٍ[٤١٥] من اللَّيلِ، [وبعدَ عَنكٍ من اللَّيلِ] وبعدَ جَوشٍ من اللَّيلِ، وبعدَ جَرْسٍ[٤١٦] من اللَّيلِ.

النموذج ٢ مصغر من تحقيقنا لإصلاح المنطق

وإخلال . فثمة أكثر من نسخة غيرُ التي نشرها ، كان يجب أن يعتمده أيضًا ـ انظر تاريخ التراث العربي ١ : ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ وهو لم يشر إليه كأنه لا علم له به .

ونسبة الكتاب فيها نظر ، وهي في حاجة إلى التوثيق ، بدراسة السند الذي جاء في أوله دراسة علمية وافية ، تزيل الشكوك والأوهام ، وتقرر ما يوجب القبول والاطمئنان . ولكنه اكتفى بعرض موجز غير كاف لشأن رجلين مشهورين من رجاله ، وأغفل الستة الباقين ، فترك الثُّغرات الواسعة من دون ترميم ، مع العلم أن بعضهم متهم كثيرًا ، وأن أحدهم ـ وهو أبو جعفر محمد بن أيوب المقرئ ـ يُنسب إليه هذا الكتاب نفسه . انظر تاريخ التراث العربي ١ : ٢٠٣ والتدوين في أخبار قزوين لأبي القاسم الرافعي ٢ : ٣٥٠ .

وقد كان عليه أيضًا أن يجد في مصنفات التفسير واللغة وعلوم القرآن ، من النصوص، ما يوثق نسبة ما في الكتاب إلى صاحبه . ولكنه لم يقم بشيء من هذا رغم ما في تلك المصادر ، نحو ((الإتقان)) للسيوطي ، من الأقوال تَنسب كثيرَ ما في الكتاب إلى غير ابن عباس ، والقليل القليل هو الذي يوافق ما فيه . وهذا خلاف ما زعم في ص ١٢ ، من توافق بين المصادر والكتاب في النسبة ، ومن أنه دليل على صحة ما فيه . ثم تراه ص ١٦ جعل ((العَرَبانيّة)) في قول ابن عباس ((العِبرانيّة)) ، فكان في ذلك افتئات وتشويه لتاريخ الكتب المقدسة كلها .

وعندما يريد التعبير عن العدد في مصنفاته تخونه قدراته ، فيقول مثلاً : ست آلاف مجلد ، وسبع عشرة ألف مجلد . ثم يضع ((أم)) مكان ((أو)) فيجعل الخبر استفهامًا ، ويكرر ((كلما)) فيما هو كالجواب لها ، ويعبر عن الحروف الألفبائية بقوله : الحروف الأبجدية ، ويجعل ((هدية العارفين)) ذيلاً على ((كشف الظنون)) . ثم يضع مقدمة لما نشره سالم الكرنكوي من شرح التبريزي على ((بردة)) كعب بن زهير ، فيذكر أن كعبًا أنشدها بعد إسلام أخيه بُجير ، وليس في هذا ما يفيد ، لأن المراد أنه أنشدها بعد إسلامه هو . وقد ذكر

وفَيات ١٥ علمًا من العلماء في ٤ صفحات ، فجاء التعبير عن كل ذلك بقوله ((المتوفي)) .

قد يقال : إن هذه السقطات والأوهام هي من صنع تلاميذهم والنُّسّاخ ورجال الطباعة الذين وكلوا إليهم القيام بشيء من العمل ، ولم يراجعوا هم تلك السقطات ، فبقيت من النِّشاز ، ولا يد لهم هم فيها . فنقول : إن هذا اعتذار لهم مما جرى ، وهو عذر أقبح من ذنب . فالاعتماد على الطلاب والنساخ وعمال المطابع لا بد له من مراجعات دقيقة واعية ، تكتشف الزيف وتسدد الانحراف .

فشيوخنا هؤلاء وأمثالهم مشهورون ، بثقافتهم المحدودة ومعلوماتهم القاصرة وخبرتهم الغضة ، لتأثر المستشرقين الحاملين شعار التلويث الحضاري ، لبلبلة الألسنة والعقائد والأخلاق والقيم والمثل والعلم والعمل . ولسنا نريد هنا انتقاص جهودهم وعلومهم في ميادين اختصاصهم . فأنت ترى من أعمالهم أدلة جهل وقصور ، في أبسط أصول التحقيق والتوثيق والتعبير اللغوي . وهم الذين قادوا حركة النشر التراثي في القرن الماضي ، وجرُّونا وراءهم بغير إعداد أو تدريب . لم يطلعوا على ما وضعه علماء المسلمين الأعلام ، من أصول نظرية ملزمة ، وإنجازات عملية رائقة ، ولم يدلونا على ذلك أو يوجهونا إليه ، ثم قرؤوا التراث الخطي تحت مظلة الاستشراق قراءة سطحية ، غايتها النشر البدائي المستعجل ، ولم يقرؤوه قراءة بحث واستيعاب للأصول العملية في التحقيق والتوثيق. هكذا كانت توجهاتهم، فسرنا معهم في الطريق المسدود ، نقتدي بهم وبما كان من مناهج المستشرقين في ذلة وصَغار ، قبل أن نكتشف ما وضعه أولئك الأعلام من الأجداد .

فقد كان سلطان العولمة القديمة ذا هيمة طاغية باهرة ، بسط أجنحته وجذوره في الجامعات والمعاهد والأسواق العربية ، من خلال حضوره بالسلاح والمغريات والمنشورات وصناعة المدبلجين ، مما جعل القلوب والأبصار تفقد التبصر والتدبر . فانقاد أصحابها مبهورين على غير هدى ، وهم يظنون أنهم يخدمون التراث على بينة وسراط مستقيم . لقد غُزينا في ديارنا وعلومنا ، و ((ما غُزِيَ قومٌ قَطُّ في عِقرِ دارِهِم إلّا ذَلُّوا)). فلا غرو أن يكون منّا ما كان .

وإذا كان هذا مستوى الشيوخ الكبار ومن اقتدى بهم من أمثالنا فكيف تكون أعمال الغير ، من الأغرار المتنطعين والشادين المتحذلقين والتجار المغامرين ؟ وهؤلاء قد كثروا جدًّا ، وكان فيهم من له رسائل جامعية في التحقيق ، يشرف عليها الذين لا صلة لهم بذلك ولا يملكون خبرة أو تجربة . لا شك أن ما صدر عنهم ويصدر هو تجارب هلامية ومحاولات بائسة ، من دون مقدرة أو معرفة أو منهج أو توجه ، وليس لها أن تحشر في ميدان التحقيق . ولاشك أيضًا أننا لم نغال ، حين جعلنا عدد ما حُقق فعلاً لا يتجاوز ثلاث المئات من المنشورات ، وحين انتقصنا ما في الشيوخ من قصور منهجي وعلمي .

والآن وبعد تضعضع وضياع وتشرد ، في التيه الأوربي اللعين ، عرفنا الطريق السويّ ، واتضحت لنا معالم الرؤية ، فحق لنا أن نتكلم بيسر واطمئنان على ما نحن فيه . فقد تابع المستشرقون مسيرتهم ، وانطلقوا من تخرصاتهم المعروفة ، يصنفون الكتب والرسائل عن التحقيق ، مدعين الابتكار والإنشاء والتنظير ، كما سترى في الفصل الأول بعد . ثم تابعهم بعض العرب في ذلك يرددون ما ادّعَوه ، وكثرت المصنفات تنهل من المدّعيات ، وقل من خرج عن الخط المعهود ، ليرسم صورة عربية مشرقة .

وها نحن أولاء نقف في وجه السيل الأتيّ ، بثقة وحزم واعتداد ، لنقول بأعلى صوتنا : ((تحقيق النصوص التراثية عِلم عربيّ إسلاميّ قديم)) . ومن هذا المنطلق المطمئن عالجنا الموضوع ، بيسر وتوسع وبيان ، فانتثرت بين أيدينا أصول له راسخة واضحة متمايزة متوالية، يعتمدها المرء للعمل - إن شاء الله - في هذا الميدان بوعي ونجاح . وقد توضعت هذه الأصول بين يدينا بما لها من مقدِّمات في أحياز منهجية ، وتوزعت على تمهيد وبابين .

في **التمهيد** وقفنا مع شخصية المحقق وعبث المفسدين في الأرض ، فرأينا ما صنعه رجالات الغزو الاستعماري ، من تقزيم لهذه الشخصية ، حين نزعوا من يديها خدمة التراث العربي الكامل ، وحصروها في نطاق الكتب الخطية . لقد اقتبس أساطين المستشرقين بجهلهم

وتنطعهم صورًا ممسوخة عن عمليات التحقيق من مصادرنا العلمية والعملية ، وانهالوا على تراثنا المخطوط في المكتبات وبطون الأرض ، من مصنفات وآثار ومستحاثات ، يوجهونها كما يحلو لهم من التسلط والاستعلاء ، وتكريس الاستخزاء والتبعية في صفوفنا ، ويضعون لنا مناهج هزيلة وتطبيقات منحرفة ، ويجعلون ذلك منهلًا لكل من أراد خدمة التراث .

ثم جاء طلابهم يعظمون تلك الأعمال التخريبية ، والمنشورات الهزيلة المتهافتة ، ويجعلونها قمة في الإنتاج العلمي السديد . وما زال الكثيرون من أصحابنا وطلابنا مبهورين بتلك الأعمال ، ومفتونين بما ذكر عنها من الأقوال - انظر شوامخ المحققين ص ١٨٤ و ٢٢٥ و ٢٣٠ - يتابعون خطوات المهزلة ، ويروجون للنشرات العشواءية الارتجالية ، ويزودون الأسواق بالمطبوعات التجارية البعيدة عن كل نهج سوي .

ولهذا كان علينا أن ننبه الزملاء والأصحاب والطلاب ، ونسمّي ما صدر نشرًا لا تحقيقًا وأصحابه ناشرين لا محققين ، ثم نبدأ من درجة الصفر ، لنبين مفهوم التحقيق وعلاقته بالتوثيق والتحرير ، وانبثاقه من عملية الوِجادة المشهورة في رواية الحديث الشريف ، وتأسيسه في رمضانات عهد النبوة حين كانت العرَضات الأربع والعشرون للآيات الكريمة بين الأمينين : محمد وجبريل ، عليهما السلام . ثم تعمقت جذوره بتأصيل عمليات الرواية للقراءات والأحاديث الشريفة ، وبجمع القرآن الكريم وتدوينه في المصاحف العثمانية .

ومن هنا تبدى لنا أن التحقيق يتطلب شخصية متميزة ، لها سماتها وخصائصها المناسبة للمهمة المنوطة به ، فسردنا من ذلك استعدادات وقدرات ومهارات وثقافات ، يظاهرها متابعة للتزود المستمر من محدثات علم التراث ، وانتظام في دورات للتأهيل :

أُولاها تكون تعليمية تثقيفية لصقل المواهب والقدرات ، والتزويد بما للتحقيق من أصول نظرية وعملية وكتابية .

وثانيتها ذات مُهِمّة تدريبية، بإشراف خبراء لتثبيت المعلوات النظرية، والتمرس في

تحقيق صفحات من التراث تحقيقًا عمليًّا ، وتكوين شيء من الخبرة في الإنجاز لعمل مصغر .

وثالثتها تهدف إلى تأهيل المرء عمليًّا أن يكون خبيرًا ماهرًا ، في إجراء التحقيق . وذلك في قيام من تجاوز الثنتين الماضيتين ، بإنجاز لتحقيق كتاب كامل من صلب اختصاصه ، تحت توجيه من الخبراء المهرة في هذا الميدان .

وتلك المتطلبات ، من شخصية المحقق وتثقيفه وإعداده وتأهيله ، مفقودة في معظم عالمنا العربي . فالممارسون لنشر التراث يخبطون خبط عشواء ، ويُصدرونه في أشكال من التشويه والتضخيم والاضطراب ، ويسيئون إليه أكثر مما يحسنون . وكذلك أكثر المشرفين على الرسائل العلمية والجامعية في هذا الميدان ، ليس لهم خبرة فيه أو مهارة أو ممارسة علمية عملية . فهم يوجهون الطلاب بأمزجتهم وتصوراتهم مما يقرؤون في كتب مشبوهة للتنظير والتأصيل . وهذا يعني أن ما نشر حتى الآن قاصر عن خدمة التراث الخدمة المبتغاة ، مثبط لقيمته الحضارية وإسهاماته العلمية ، ومشجع لأعدائه على النيل منه .

أما **الباب الأول** فقد وقف عند عِلم التحقيق وأصوله ، وكان **لأول فصوله** اقتصار على بيان الأصول المكوّنة لهذا العلم ، وهي أربعة عشر في ثلاثة أقسام : نظرية وعملية ومتممات ، وعلى تاريخ الإجراءات العملية في حياة الأمم . وهنا ذكرنا ما كان عليه النص التراثي في الجاهلية ، ثم ما ابتكرته شريعة الإسلام ، من وسائل التوثيق ، وأساليب التحقيق العملي ، في ميادين القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والمصادر اللغوية .

وفي هذه الإنجازات رأينا ما فعله العلماء من صور توثيقية وتحقيقية ، في نماذج من تاريخ القرآن الكريم ، ورواية النصوص النبوية المشرفة ، والمصنفات في الأدب واللغة والإعراب والصرف ، وما وضعوه من أصول ومصطلحات ورموز في مصنفات تنظيرية متخصصة ، مع التفسير والبيان وعرض الأمثلة العملية الكافية .

وثاني الفصول كان له أصول التحقيق النظري ، أي : ما يعتمد فيه على النظر بالتدبر

والتفكير والنشاط الذهني . فاختيار الموضوع يقوم على خبرةٍ وافية فيه ، واطلاعٍ واسع على تاريخه ومصادره وما نشر من آثاره . واختيار النص يقوم على استيعابٍ لمجمل المخطوطات العربية ، واصطفاءِ ما هو مناسبٌ للميول والخبرة والثقافة ، وميسَّرٌ الحصول عليه ، وفيه نتائج علمية أو فنية تخدم الأمة والإنسان ، ولاسيما نصوص العلوم الأساسية والتطبيقية والكونية التي قل نشرها فيما مضى .

وهذا يقتضي الاطلاع على مصادر التعريف بالنصوص ومراكز حفظها . والمصادر هي دوائر المعارف ، وقوائم الكتب ، ومصنفات التراجم والتاريخ التراثي . ومراكز الحفظ هي المكتبات الخطية في الجامعات والمؤسسات والمساجد والخزائن الشخصية ، وفي المتاحف ومنظمات الآثار والمستحاثات والأوابد ، وفي مستودعات الوثائق والمعاهدات والنصوص الحضارية ، ومكاتب الكشوف الأثرية في العالمين العربي والإسلامي .

فالاطلاع على هذه يقدم النسخ الميسرة ، وهي تكون مادة للتدبر والاعتبار ، إذ يُختار ألصقها بالمؤلف أو أقربها إليه زمانًا ومكانًا ، وأوثقها لما فيها من سماع ومعارضة وإجازة ومطالعة ، لتُجعل أصلاً معتمدًا أو أُمًّا معتبرة ، وترتب الباقيات بحسب قيمتها العلمية في درجات ردائف أو مساعدات ، ويكون لكل منها رمز يميزها مما سواها .

يلي ذلك القيامُ بتوثيق النص ، أي : تثبيت الصحة في عبارة العنوان واسم المؤلف واسم الناسخ . وذلك من مضمون النسخ في صفحات العناوين ومقدماتها وخواتمها ، ومن معطيات كتب تاريخ العلوم والرجال ، وما كان للنص من شروح واختصارات واقتباسات . فإذا تم تثبيت ذلك وجبت قراءة التحقيق ، وهي تكون في الأصل المعتمد أو الأُمّ ثم في البواقي والمصادر المساعدة، و تقوم على الدقة والاستيعاب وتحصيل خصائص النص والنسخ وشخصية المؤلف ، وظواهر التقويم والتصحيح ، ومادة البحث في مقدمة التحقيق .

وثالث الفصول كان لـه أصول التحقيق العملي ، أي : ما يُعتمد فيه على تنفيذ مراحل

كتابة المتن ، ليأخذ النص صورته الأصلية كما أرادها صاحبه لفظًا ومعنى . وهنا يُنقل النص بالرسم الإملائي المعاصر ، في وضوح ودقة وسعة في رسم الحروف وتمايز المفردات ، مع توزيع للعناوين والفقرات ، وترك فراغات بين الأسطر وفي ذيل الصفحات ، وإجراء ضبط مناسب لنوع العبارة والمفردة ، وتوظيف علامات الترقيم بانتظام واعتدال . وهذا يقتضي معرفة أساليب الإملاء القديم والرموز المستخدمة في النسخ ، للتعبير عن اللَّحَق والزيادة والنقص والخطأ والتصويب والتحشية والتعقب والاستدراك .

ثم تكون مقابلة النص المثبت بما في النسخ الرديف والمتمات والمصنفات المساعدة ، فتُجمع صور الخلاف بينه وبينها ، للاستئناس بها في تقويم الألفاظ ، وتصحيح الجمل والتراكيب والعبارات . وهذا يهيئ لنا تقويمَ ما بدا من الاضطراب والخلل والتصحيف والتحريف والخطأ ، لترميم ما يحتاج إلى ذلك أو تعديله ، ثم تثبيتَ النص بشكله النهائي كما أراده صاحبه . ولابد من التأني والتجرد والنصفة ، والاستيعاب الكامل للنص ، قبل كل إجراء من التعديل والتقويم . وفي المصنفات المساعدة ما يمد بالمعلومات والعبارات والألفاظ الموثّقة لما بين أيدينا من محتويات المضمون التراثي .

وأما **الباب الثاني** فقد اختص بمتممات التحقيق ، وكان في فصول ثلاثة أيضًا . **فالأول من هذه الفصول** تناول أدوات تلك المتممات ، وهي المكتبة العربية بما فيها مصادر ومراجع ، تقدم البيان والتفسير والتقويم لمشكلات النص وقضاياه ومعضلاته . وقد توزعت محتويات هذه المكتبة أنواعَ العلوم والفنون والمعارف العربية والإسلامية ، ثم ما تحصل في المتاحف ومكاتب الآثار والمستحاثات ، ومستودعات الوثائق التاريخية والحضارية ، وما جدّ في عوالم الكبتار والتواصل والأقراص المدمجة .

والفصل الثاني من هذا الباب توقف عند أصل واحد ، هو التعليقات الهامشية . وهنا تبيّن لنا حدود ما يتضمنه التعليق ، من بيانٍ وتفسير موجزين لغريب المفردات

والمصطلحات والمفاهيم ، ولمُشكِل العبارات والتراكيب والمعاني ، بما تقتضيه بيئة النص الحضارية ، وتقويمٍ وتسديد لما كان من خلل أو خطأ في اللغة أو المضمون ، وتخريجٍ للمقتبسات والأدلة من مصادرها الموثقة . وكل مجموعة من هذه المتفرقات إذا كانت تتصل بموطن واحد من النص وجب جعلها في تعليقة واحدة ، وفي عبارات مكثفة ، متوالية مترابطة متسلسلة ، تُختم بإيراد أسماء المصادر والمراجع اللازمة مع رقمَي الجزء والصفحة .

والفصل الثالث هنا اقتصر على الأصلين الأخيرين من أصول التحقيق : الفهارس والمقدمة . ففي الأول ذكرنا ما لهذه العناصر المتممة للتحقيق ، من قيمة عملية في خدمة النص وقارئه ، إذ هي المفاتيح التي تقدم المعلومات المتفرقة في إطار منهجي منظم ، يسهل تناولها مجموعة ومتعاونة . وقد تبيّنّا الأنواع التي يقتضيها النص بين أيدينا ، ثم ما يتطلبه كل منها في تصميمه وتوزيعه وتنسيق مفرداته ، إذ تختلف هذه الأشكال تبعًا لطبيعة المفردات المجموعة ، وإن كان الترتيب الألفبائي هو الغالب في التوجيه . وقد بدا خلال ذلك أن أنظمة الكبتار لا تستطيع استيعاب هذه الحاجات بدقة وصلاح ، على الرغم من الفنيات والبرامج الفائقة لديها . فلا بد من تدخل الإنسان لتقويم العمليات التنفيذية في جمع المادة والتنسيق ، لتكون العقلية العربية هي المتحكمة في التوجيه والتسديد ، بعيدًا عن تسلط البرامج الأوربية المدبلجة .

وفي الأصل الثاني من هذا الفصل ، استعرضنا ما تتضمه مقدمة التحقيق . فهي آخر ما يكتب ، لأنها تلخص خلفيات العمل ومراحله ونتائجه والأضواء الكاشفة ، وتوضح المعالم والمضامين المختلفة . يجد القارئ فيها مسوغات اختيار النص وما له في التاريخ من مسيرة علمية ، ثم تعريفًا به وبمؤلفه في حياته وشخصيته وشيوخه وثقافته وتلاميذه وآثاره ، وبحثًا وافيًا للمضامين المعرفية ، والقيمة العلمية أو الفنية في التاريخ والعصر الحاضر ، مع بيان الأساليب المتبعة والأدلة والنتائج المقررة . ويلي ذلك وصف النسخ الخطية المعتمدة ، بما فيها

من خصائص وخدمة للنص ، وبسط المنهج المتبع في التحقيق بمراحله المتعددة ، والرموز المستخدمة للتعبير عن النسخ وأهم المصادر .

تلك هي عناصر بحثنا في علم التحقيق ، عرضناها بشكل مفصل ، يناسب الموضوع الذي تعالجه ، ويعتمد على الاستعانة بالأدلة التاريخية الموثقة ، والنماذج الواقعية في كثير من الأصول والفروع والتطبيقات . وقد استطعنا هنا ـ والحمد لله ـ أن نجلي وجه التاريخ العربي في ناحية بارقة لامعة ، بما يحمله من أصالة في إنشاء هذا العلم وتأسيس معالمه ، وتوضيح أصوله تنظيرًا وتطبيقًا ، على مدى اثني عشر قرنًا ونيف . وكان بين مواد البيان والاستدلال وسائل بَصَرية ، تقدم للقارئ صورًا عملية ، توضح المراد من ناحية ، وترسم النموذج الذي يحتذى في مراحل العمل التحقيق المتعددة .

وقد اعتمدنا ، في هذا البحث التأسيسي ، على ثلاثة منابع مصدرية : التنظير العربي الإسلامي ، وتطبيقاته العملية ، والخبرة الشخصية . أما التنظير فهو في مصنفات قديمة ، وَضعتْ أصول موضوع التحقيق والتوثيق ، بما يحتاج إليه من تفريعات وتفصيلات ومفاهيم ورموز ومصطلحات ، مزودة بالأمثلة والنظائر ، ومحاطة بالشرح والتوضيح والبيان . وأما التطبيقات فوقفتُ على أمثلة كثيرة منها في المخطوطات التي نفذَتِ التعليمات ، وحفظتْ لنا الصور العملية الكاملة بكل دقة وعناية ووفاء . وأما التجربة فقد كانت لي فيها مكابدة ومعاناة حوالي نصف قرن مع التراث الخطي ، دراسة وتحقيقًا وتدريسًا وإشرافًا وتوجيهًا .

وخلال ذلك عرفت الشوق والصبابة والعشق فيما ذكرت عن الشاعر قبل ، عرفتها بالجري خلف مراسيم المستشرقين وتلاميذهم ثلاثين سنة ، أمارس التحقيق دراسة وعملاً وتعليمًا ، من خلال المراجع المسطحة الفضفاضة المهلهلة التي وضعوها ، والنصوص التراثية التي نشروها .

ثم تبيّنتُ أنني في سراب واعتساف ، بعيد عما وضعه شيوخنا القدامى للمخطوطات

العربية الإسلامية من علم ، لـه نهج واضح وأصول وفروع وتعليمات وإجراءات عملية . وبذلك انكشف الضباب وتلاشت الأوهام ، فإذا البصر حديد يتطلع إلى فجر علمي جديد ، فجر أنواره ونسماته عربية إسلامية ، معطرة بما قدمه رجالات حضارتنا من خدمة ودود ، للقرآن العظيم والسُّنّة المشرَّفة والتراث الخطي الكريم .

ومع هذا كله ، فإنني كثيرًا ما عرّجت على حصائل المعاصرين ، أقتبس منها وأحيل عليها ، لأبين ما تقلد فيه القدماء عفوًا أو تأثرًا ، وما خرجت به عن ذلك فكان لديها الشطط والهلهلة والقصور . وقد اتضحت هذه السمات الأخيرة ، من خلال الأمثلة الغفيرة التي عرضت فيها إخلال المستشرقين وأنصارهم بالأصول المَرْعيّة ، وارتكابهم مختلِف الإساءات إلى النصوص الغالية ، ولا سيما ما كان من هوُاة النشر في الوطن العربي . فقد أغفلوا المخطوطات الأثرية والوثائق الحضارية ، وشغلوا بنصوص اللغة والأدب والنحو والشريعة والتاريخ عن تراث العلوم الأساسية والتطبيقية والكونية أيضًا ، واستخدموا في ذلك كله الأساليب المزاجية والأدوات القاصرة والتوجه على غير قصد وبيان .

لعلي استطعت بهذا الجهد اليسير أن أكشف حقيقة ، كانت مغمورة بأمواج العولمات القديمة والحديثة ، وأعيد لعلم التحقيق أصالته العربية ، وأوضح قسماته المشرقة الوافية ، وأقدم لإخوتي المحبين للتراث والراغبين في نشره نهجًا ينير لهم السبيل ، ويأخذ بأيديهم للمسير معًا في خدمة النصوص الخطية ، نوثق ونحقق ما يكون لنا في الدنيا ذكرًا حميدًا ، وفي الآخرة فوزًا مجيدًا .

ولعلي أيضًا أشعرت المسؤولين عن التعليم الجامعي أن يحدثوا ، في المقررات العلمية الإلزامية ، ساعات خاصة لـ ((علم التحقيق)) في جميع الكليات والمعاهد . فالتراث العربي يشغل كل العلوم الفنون والآداب ، ولابد لمن أراد تحقيق نص منها أن تكون عنده الثقافة والخبرة ، مع اختصاص بالموضوع التراثي نفسه . وإلا كان العمل اعتباطيًّا عشوائيًّا ، كما

ذكرنا من قبل . وقد استجاب المسؤولون في سورية لبعض ذلك ، حين قرروه في جميع أقسام كليات الآداب . وهذه بادرة طيبة تحقق ريادة القطر السوري في التوجه العربي ، وتقتضي التعميمَ على سائر الكليات والمعاهد ، واستجابةَ الأقطار العربية الشقيقة لمثل هذا العمل العظيم .

وفقنا الله فيما يحب ويرضى ، وتقبل منا النيات الطيبة والأعمال الصالحة والأقوال الناصحة ، ويسر لها النفوذ والطمأنينة في قلوب عباده المخلَصين ، ليكون لنا منهم دعاء يكشف الغُمم والبلايا ، ويفتح أبواب العمل الجادّ في سبيل العزة والاستقلال والسيادة والسلام .

حلب في ١ محرم من سنة ١٤٢٥
٢١ شباط من عام ٢٠٠٤
الدكتور فخر الدين قباوة

تمهيد

شخصية المحقق

التراث المخطوط هو ذاكرة الإنسانية ، في تاريخ الكون ، مسجَّلاً بالأساليب اللغوية للأمم الماضية والحاضرة . فهو يحفظ ما وصلت إليه كل أمة من مظاهر العيش والحضارة ، في العلم والمعرفة والفن والفكر والأدب والعقيدة واللغة والعمل ، ويقدم للتاريخ ضروب المستويات البشرية وخصائصها في العقيدة والتفكير والتعبير والتصوير وتنظيم المجتمعات والدول والسياسية والاقتصاد، وسائر جوانب الحياة.

فعلماء الآثار يَشغلون نشاطات دولهم، بما فيها من مؤسسات علمية وتاريخية ، للتنقيب عن الـمُستَحاثات والعاديّات ، وكشف ما تضمه من بقايا الشعوب ، أبنية ومصنوعات ورسومًا وكتابات ، ليستخلصوا منها بالظن والتقدير ما كانت عليه السمات الحيوية ودقائق التطور والتوليد في مظاهر تاريخ الإنسان .

ثم تجدهم يحتجزون هذه الـمُهِـمّة لأنفسهم ، ويبعدونها عن حياض النصوص التراثية ، لئلاّ تمتد إليها تطلعات المحققين من أبناء الأمم الأبرار . وبذلك يهمّشون عمل هؤلاء ، و يقزّمون شخصياتهم وخبرتهم وحدود أعمالهم ، ليبقوا منصرفين عن المشاركة ، ومنهمكين في ميادين قاصرة عن تمثل كامل حضارة الأجداد بأنفسهم ، وتابعين لهم فيما ينشرون من تكريس للهيمنة الاستعمارية ، بالتزوير والافتئات واصطناع الأباطيل .

عبث المفسدين في الأرض :

ترى أولئك العلماء يبتهجون لكِسَر من الحجارة والحديد والنحاس والزجاج والخزف ، وقطع من القماش والعظام والفسيفساء والبَرْدي ، بما تحمله من تعبير عن واقع الشعوب وتطلعاتها ، ثم يرسمون لتلك الكِسر والقطع أشكالاً ظنية تساعدهم على ترميم ما

فيها من نقص أو قصور أو إيهام . وقد قامت لهذه الأعمال التنقيبية مؤسسات ومنظمات ودوائر دولية وعالمية ، تشرف على تحقيق غاياتها ، وحفظ منجزاتها ، وصيانة نشاطها من الزيغ والسمسرة والتشويه .

ولكن مع هذا كله ، فكثيرًا ما وهم العاملون في تلك الحقول ، أو شوهوا الظواهر قصدًا لتضليل الشعوب وفرض نظريات إلحادية أسطورية أو سياسيات عدوانية معينة . وكان عن ذلك أن وُجّهت مسيرة العمل بين أيديهم وتصوراتهم ، لخدمة التسلط والابتزاز والاستعمار ، فحُرفت مقاصدها وفُسرت بالتواء وتحيز ، طلبًا لتحوير ماضي المغلوبين ، وتسويغ استعلاء البغي والتسلط والارتزاق .

أما الآثار الخطية فهي ناطقة ببيان ودقة عن واقع أممها ، تحدّث بصدق ويسر وصفاء ، وتقدِّم الصور الحقيقية الواقعية ، بلا حاجة إلى الظن والتخمين . وبالرغم من هذا كله ، فقد تسلط زبانية الاستعمار القديم ، منذ غزو نابليون لمصر و دول أوربة للديار الإسلامية ، على كثير من مسجلات تاريخ العرب والمسلمين في الرُّقم وأوراق البَردي والوثائق والسجلات، وأدخلوها ميدان المستحاثات بالتحريف والتشويه ، ليحققوا مقاصدهم في الاستعباد والاستنزاف . فهم يحتجزون تلك المدونات بإداراتهم وسلاحهم ، وقلما يكون سبيل لأحد من الأمم المغلوبة في دراستها إلاّ عبر ما أصدروه من زيف وأباطيل .

بل إن المؤلفات الخطية أُقحم بعضها في هذا الأتّون أيضًا ، وكان ذلك أبعد وأشنع في التزييف والتشويه . فقد سطا رجال العلم في أوربة بالسرقة والسمسرة ، منذ بضعة قرون ، على الآثار التراثية العلمية في مكتباتنا ، يترجمون معطياتها ويبنون عليها مسيرة أعمالهم في البحث والتصنيف والإنتاج ، فكان لهم نهضة بعد ذلك ، سوّغت في عقولهم التطلع إلى اقتناص قدرات الأمة الإسلامية ، في مختلف الأصقاع ، خلال قرنين ونيف .

على أن بدء اهتمام أوربة بالتراث الخطي العربي كان منذ العهد الأندلسي ، إذ بدا لرجال السياسة هناك أنهم في حاجة إلى معرفة حقيقية لهذا الشرق الإسلامي ، فشرعوا يخططون للاطلاع الدقيق على الحضارة العربية الإسلامية ، في مراحلها التاريخية المتعددة ، وصور أحوالها من الظهور إلى النشأة والقوة ، وما مرّ بها من نكسات الضعف . ومن ثَمّ اكتشفوا بعض مقوّمات البحث العلمي وأساليب التحقيق في تراث العرب ، فكان لهم اندفاع أكبر لمتابعة الحصول على هذا التراث الكريم بالوسائل المختلفة .

وقد كان لتلك اللُّصوصية أطوار متوالية ، بدأت في منتصف القرن الرابع ، إذ ترجم الفرنجة بعض المصنفات الفلكية العربية ، كما تُرجم كتاب سيبويه إلى العبرية أيضًا .[١] ولما لم يجدوا في لغتهم ما يقابل المصطلحات العلمية نقلوها بألفاظها إلى كتبهم . ثم صنف النصارى واليهود كتبًا اقتبسوا فيها المعلومات المترجمة ، وانتحلوا كثيرًا منها دون أن يشيروا إلى أصلها العربي ، طمسًا لمعالم التأثر والاتّباع .

وقد اتسعت رقعة التزوير هذه مع الزمن ، حتى إن كرهرد الكرموني ترجم بشيء كثير من الانتحال ما يزيد على ٩٠ كتابًا عربيًّا في العلوم المختلفة ، وكان بعضها مما ترجمه العرب عن اليونان ناسبين إياه إلى أصحابه . ثم دخل الميدانَ طبيب عربي ، هو قسطنطين الإفريقي ، فترجم لرجالات إيطالية أكثر من ٧٠ كتابًا طبّيًّا بمساعدة رهبان أديرة سالرنو ، ونسب بعضها إلى نفسه ، من نحو ((كامل الصناعة الطبية)) لعلي بن موسى المجوسي و ((العشر مقالات في العين)) لحنين بن إسحاق . وكذلك فعل فيتيلو البولندي ، إذ انتحل كتاب ((المناظر)) لابن الهيثم وادعاه لنفسه . وبقيت بعض الآثار العربية النادرة منسوبة إلى أصحابها من مثل كتابَيِ : ابن سينا اللاتيني ، وابن رشد اللاتيني .[٢]

(١) تحليل النص النحوي ص ١٥١ .

(٢)مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم لفؤاد سزكين ص ٣٤ ـ ٣٥ و ١١٧ ـ ١٢٥ ومؤلفات=

ثم تبيّن لرجالات السياسة الفرنجية ، في غزواتهم الجشعة المسماة زورًا بالحروب الصليبية ، أنهم كانوا جاهلين بواقع الأمة الإسلامية ، ولا بد من الاطلاع الكامل على ذلك لتكون حروبهم ناجحة المقاصد بالتسلط والاستبداد . فكان عن ذلك أن جُنِّد السياسيون في القناصل والسِّفارات ، والرحّالة السُّيّاح ، والتجّار والجواسيس ، والرهبان والمستعربون ، بغية نقل التراث العربي إلى الغرب ، بالأساليب المشروعة شراء وترجمة واستهداء ، أو الملتوية نهبًا وانتحالاً وابتزازًا . وكان من أشهر من اهتم بتلك الأعمال الملك فرانسوى الأول وكولبير وزير لويس التاسع عشر . حتى إن حكومة الثورة الفرنسية شرعت في تنظيم المخطوطات العربية ، بعد أن جمعتها من الأديرة والمكتبات الموزعة في فرنسة . [1]

أصبحت تلك العمليات المتوالية تقدم للمستشرقين والمستعربين مادة علمية وافرة ، عن الحضارة الإسلامية وعلومها وشعوبها ، وعن الحياة العامة بما فيها من أعمال وعلاقات وأنظمة وإنتاج ، للدراسة والتقدير والاقتباس وإعداد أساليب التغلب والاستعمار ، قبل أن تُعكس الآية ، ويُختم احترام المكتسبات بالتزييف والتضليل والكفران للفضل الكبير .

فقد بدأت في أول حياتها عن طريق الأندلس والحروب الصليبية واللقاءات نقلاً ، كما ذكرنا ، للتزود بالعلوم والمعارف الحضارية ، وتوظيفها في المجتمعات الأوربية المتخلفة ، مع بعض الانتحال والتزوير ، وبقيت جملة نادرة من الآثار تحمل أسماء أصحابها العربية ، لأن عظمة الأمة الإسلامية كانت تحول دون الجرأة على العبث الكامل والانحراف المديد . فشخصية الخلافة المتمكنة من الحضارة والسيادة والاستقلال تفرض على خصومها الاحترام ، وتجنُّب الدخول في أعماق متاهات القرصنة العلمية .

= ابن سينا ص ١٣ ومؤلفات ابن رشد ص ٢٦١ ـ ٣٠٨ وكتاب المناظر ص ٤٦ ـ ٤٧ والعشر مقالات في العين ص ٣ والتراث العلمي العربي مناهج تحقيقه وإشكالات نشره ص ١٥٢ ـ ١٥٧ .

(١) قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٩ ـ ١٤ .

ولهذا أصبحنا نرى بعض المصنفات العربية تطبع في أوربة بالعربية ، خلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، حاملة أسماء مؤلفيها ، وقد يكون بجانبها ترجمة لاتينية أيضًا، كالذي صدر من ((الحركات السماوية وجوامع علم النجوم)) لمحمد بن كثير الفرغاني ، و((التصريف لمن عجز عن التأليف)) للزهاوي . ثم كان نشر لعدة مصنفات عربية في الفلاحة والفلك والجبر والمقابلة والطب والهندسة . . . [(١)]

ولما صارت الدول الأوربية أظهر قوة ومراسًا ، تقابل الخلافة الإسلامية ندًّا لند ، وقدراتٍ متكاتفة لقدرة متفردة ، شعر رؤوس القيادات بنشوة التمكن والتحدي ، فصارت بقية النقل الموضوعي السابق بين أيدي ناقمين على الماضي ، يريدون أن يمسحوه بالأباطيل والترهات ، ليصبغوه بألوان حضارات اليونان والرومان والفَرَنْجة . فشرعت أقلامهم تتصرف فيما نقلوا وتصوغه بعبارات وأساليب محرفة ، تزيل آثار البصمات العربية في كثير من ميادين بحث العلوم والفنون والآداب ، وتنسب الأستاذية فيها إلى علماء أجدادهم أو معاصريهم من تاريخ المعمورة .

ثم كانت المرحلة الثالثة ، حين شعرت دول أوربة بقدرتها على مباشرة التغلب والابتزاز ، وتوجهت إلى تخطيط التسلط الاستعماري المتقن ، فأنشأت المؤسسات الاستشراقية لتزوير التاريخ ومصادر البحث وأساليب الدرس ، وأطلقت أيديها في التراث المكتسب ، والمؤلفات التاريخية والعلمية ، لعكس الصورة الحقيقية ، بنسبة ما كان لدى أجدادنا من ابتكار أو اكتشاف أو توليد إلى رجالات من عصور النهضة الأوربية .

وقد تحقق هذا في ختام القرن التاسع عشر بنفوذ الغزو العسكري في وطننا الحبيب ، فقرر زبانية الاستشراق حينئذ حذف كل ما يشعر بالآثار العربية والإسلامية ، وتحوير المصطلحات والأسماء العلمية المفرنَجة ، لتتلبس ثوبًا أوربيًّا خالصًا بعيدًا عن كل ما هو

(١) انظر قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ١٠ ـ ١٢ .

عربي أو إسلامي . وبذلك أسقطوا أسماءنا من لوائح الحضارة زورًا وبهتانًا ، كما يسقطونها اليوم من لوائح المستشهِدين لدفع العدوان والاحتلال ، ويصفونها بما يمارسونه هم من إرهاب وإفساد ودمار وتخريب وإبادة .

وتلت ذلك خطوة إجرامية أشنع وأحط ، إذ شُنت غارات عدوانية على تاريخ المسلمين ، لتحوير وجهه بافتراءات عليه كالجهل والتخلف والظلم والفساد . وقد صدر عن ذلك مئات المصنفات والأبحاث ، في التاريخ والفلسفة والآداب والعلوم والفنون واللغة ، تشوه حضارة الإسلام وتميُّزَ العروبة بالقيادة العلمية ، لتحطيم كل عزة ومفخرة في العالم الإسلامي . وبذلك أضافت تلك الأيدي الاستشراقية الدنسة إلى جريمة اللُّصوصية والعدوان دناءةَ الكفران للجميل مع النكران ، وخزي الافتراء والبهتان .

وعندما تتلمذ أبناؤنا على تلك المصنفات في الجامعات الأوربية ، أو في جامعاتنا مترجمة ومبرمجة ومدبلجة ، صار فينا أجيال متعالمة مستغربة ، تنقل الأباطيل والترّهات ومعالم التزوير والافتئات من دون بحث أو تحقيق ، وتقتنص لها أدلة ونماذج مفتعلة . وبذلك أصبحت هي أبواق أساتذتها تردد الأراجيف ، مشِيعة في أوساطنا الجامعية والعلمية والإعلامية ، ما رسمه رجالات الاستشراق والتسلط العسكري والسحق للفكر العلمي الأصيل .

وهكذا أصبح كل عمل علمي في ديارنا مبتوت الصلة بماضينا المجيد ، مرتبطًا بعجلة التسلط والتزوير والكفران ، لترسيخ جذور العبودية والاستخزاء في نفوس الناشئة والعاملين ، واقتياد الأمة موردَ رزق وحقلَ تجارب وزُمرَ استهلاك ، لما تجود به تلك الدول المستبدة من مستنفَدات المناهج والأساليب والسلع والسلاح والأقوات . وبذلك صح لنا أن نقول : لقد أصبحنا سوقًا رائجة للبالات المصدَّرة ، بالاتِ الألبسة والأغذية والمعَدّات ، وبالةِ بالات التفكير والبحث والتعبير والإنتاج ، في ميادين جميع العلوم والفنون والآداب .

وما كان حظ التراث الخطي بأفضل من تلك الميادين الحضارية والاجتماعية ، لأنه

صار نهبة لقراصنة الاستشراق والاستعمار ، تنتقل مصنفاته إلى المكتبات الأوربية غربًا وشرقًا، في قنوات من السطو والاغتصاب والسمسرة ، لتصبح عرضة للتحكم والتحوير والتشويه والبهتان . فأصدر منها المستشرقون ما يخدم خططهم الاستعمارية ، وفسروا مقاصدها بما يحلو لهم من الافتئات والكفران ، وأسقطوا منها ما لم يستجب لشهوات التزوير والابتزاز . وحسبك أن تطلع على ما كان من أحد رجالاتهم البسطاء ، وهو الأب لويس شيخو اليسوعي ، فيما نشر للعربية من أبحاث وتحقيقات .

لقد تجاوز هذا المستشرق الفرنسي أصول التحقيق والأمانة العلمية ، فأجرى في الفكر والأدب واللغة تعديلات وتصرفات كثيرة غيَّرت مقاصد الأدباء والعلماء والمؤلفين . ذلك لأنه نصَّب نفسه وصيًّا على التراث العربي ، حين وجد في طيّاته ما يمكّنه من ممارسة خبراته ووظائفه في التوجيه والتبشير، وهو الأب الروحي الذي يحق له أن يصير مسؤولاً بمنطق الاستعمار والاستعلاء ، عن مصادر الثقافة والعلوم للأجيال الصاعدة في العالم .

ولما عجز عن تنصير الأحياء في دنيا العروبة عاد إلى الأموات في التاريخ العربي من الجاهلية والإسلام ، يحلل فيه شخصيات الشعراء منهم ويبرمجهم كما يحلو له ، فيحملون شعار توجهه ومقاصده في التبشير ، تحت عنوان ((شعراء النصرانية)) . كان ذلك عام ١٩٢٠م . وعندما اطلعتُ على محاولاته هذه ، وأنا أكتب بحثًا منذ عدة عقود ،[١] خُيِّل إليّ أنه استقبل ماء المعمودية مشمراً عن ساعديه ، وبين يديه رجالات الشعر الجاهلي والإسلامي منقادين بذلة واستسلام ، يغمسهم واحداً تلو الآخر، فلا يتخلّص أحدهم من قبضته إلاّ وهو حاملٌ لواء النصرانية بتزلف وصَغار .

وبذلك حقق كثيراً من صبواته وأشواقه ، في برمجة عدد وافر من الشعراء ، رغم أنهم كانوا من المشركين أو المجوس أو الحنيفيّين أو المسلمين . أما اليهود فقد استعصوا عليه لأمر

(١) انظر سلامة بن جندل الشاعر الفارس ص ٩٩- ١٠٠.

خفيّ قد يعرفه الخبراء العالِمون ، ولم يكن لـه فيهم ما أراد من إجراءات التحوير ، فأعرض عنهم دُفعة واحدة ، ونفض منهم يديه ، ليبقوا على ما هم فيه من التوجه والاعتقاد .

ثم لما رأى التجربة قد نجحت في الأموات ، ولمس استجابة التاريخ لتحقيق مذهبه ومقاصده في التزوير والأباطيل ، هزته نشوة الظفر فالتفت إلى الأحياء ، يفتش فيهم عمن يتقبل صنيعه هذا ، لِما هو فيه من يُتم وإهمال . وكأنه لاحظ ما كانت عليه العربية حينذاك ، من تشريد وتطفّل على موائد المستشرقين ، وعبث بين أيديهم وأهوائهم ، فوجد فيها ضالّته المنشودة .

لقد رأى في لغة العرب أنها أخلد المخلوقات في الدنيا ، بما تكفّل لها الله ـ سبحانه وتعالى ـ من الصمود والرعاية ، حين بشر بحفظ القرآن الكريم حفظًا يقتضي خلود العروبة والعرب والإسلام والمسلمين . فلا بأس إذًا أن يفرض الأب المذكور عليها ثوبًا جديدًا من البؤس والتشريد ، بشيء من أساليب التقحم الاستشراقي المعروف .

ولذلك توجه إلى هذه اللغة الكريمة ، يبرمجها ويدبلجها بوسائله المعهودة ، فوجد في كتاب ((تهذيب الألفاظ)) للخطيب التبريزي مادة بكراً طيِّعة ، لم يطّلع أحد عليها في ثوبها الخطّيّ المحجوب . وهكذا راح يعبث بالعبارات والمفردات من نثر وشعر ، يحرّف ويغيّر ويسقط ويضيف ما يحقق رغبته وتطلعاته . فكان أن أزال من الكتاب مئات النصوص وحرّف المئات أيضًا، لتصبح لغة العرب كما صار شعراؤها بين يديه قبلُ، من أنصاره ومريديه .

وكأنه لم يعد يغنيه أن تتنصَّر العربية فحسب ، فتطلّع إلى رَهبَنتها أيضاً. لقد آلمه أن يرى في النصوص ما يتعلق بالزواج والنكاح والعلاقات الجنسية المشروعة بين الرجال والنساء ، وما يحيط بذاك من الغزل في المداعبات والصبوات الخيالية الفنية ، فأخذ على نفسه خِصاء ذلك ونزع معالمه من جذورها أو الاستبدال بها ما يغيّر مجراه ويبدّل فحواه ، بحجة أنه

يخل بالآداب العامة ويسيء إلى أخلاق الناس . هكذا سول لـه شيطانه المريد ، فسـار معـه إلى أمداء الشوط البعيد البعيد .

ومن ثـمّ كان أن حذف بعض الأبواب أو بدّل منها العنـاوين ،[1] ثـم أسـقط عـددًا غفيرًا من النصوص الشعرية والنثرية .[2] ولما كان في تفسير تلـك النصـوص لـدى القـدماء مساس بالرهبانيّة أيضاً فقد أجرى مِشرطه لاستئصال ذلك تأدّبـًا ، أو لاستبدالٍ به مـا يحقـق العذرية الأفلاطونية.[3] وإذا وجـد عسـرًا في تقحمه هذا لـجـأ إلى الـعمليـات التجميليـة المفضوحة ، يجري بها تقويمًا لتوجهات الفن والتعبير ، فكان تحريف لعبـارات الشـعر والنثـر كثير كثير ،[4] وفي بعض ذلك ما أخلّ بالمعنى والسياق أو عكس المراد.[5]

ثُمَّ تطاول إلى المضامين الغزلية ، فأسقط ما يعبر عنها واستبدل به عبارات تخالف مرامي الشعراء والمتكلمين والعلماء ، من رواة ومصنفين وشُرّاح . وإذا استعصت عليه العبارة لواها بعنف فكان بها إخلال بالآداب أبعد ، لِما صارت تفيده من اللِّـواطة الشنعاء . أما الموضوعات التي تداعب أشواقه ونزعاته ، كأبواب ((صفة الخمر ، والندام والشراب ، والآنية للخمر)) ، فقد لقيت عنده حظوة بالغة ، إذ حافظ عليها إلّا ما كان من غزل ،

(١) انظر ما في ٢٦٣ و ٣١٧ و ٣١٩ و ٣٢٥ من صفحات النسخة الخطية ((الأصل)) فيما حققتـُه ونشرتـُه ببيروت عام ١٤٢٤ . وكذلك تكون الإحالة فيما يلي .

(٢) في ص ٦ و٧ و١٩ و٢١ و٢٨ و٣٣ و٣٦ و٣٧ و ١١٧ و١٢٤ و١٣٨ و١٧٢ و١٩١ و٢٠٢ و٢١٠ و٢١٨ و٢٤٦ و ٢٤٧ و٢٨٦ و٢٨٧ و٢٨٩ و٢٩٢ و٣٠٩ و٣١٠ و٣١١ و٣١٢ و ٣١٧ و٣١٨ و٣١٩ و٣٥٦ و٣٥٩ و٣٩٢ و٤٥٣ و٤٢٥ و٤٧٣ و ٤٨٥ . وانظر النموذج ٣ .

(٣) ص ٢٨ و٣١ و١٠٣ و١١٧ و١٢٠ و١٨٤ و و٢٠٣ و٢٦٣ و٢٧٢ و ٢٧٤ و ٢٨٢ و٢٨٩ و٢٩٢ و٣١٨ و ٣١٩ و٣٢٥ و٣٣٥ و٣٥٨ و٣٨٨ و٥٠٩ و٥٣٤ و٥٣٥ ، وكثير مما أحلنا عليه قبل .

(٤) ص ١٠٤ و٢٨٢ و٣٨٨ .

(٥) ص ٢٨ و٣١ و٢٧٧ و٢٨٣ و٣٩٣ .

٥٤

بابُ نُعُوتِ النِّساء في ولادتِهِنَّ وحَملِهِنَّ*

الأصمعيُّ: الخَرُوسُ: التي يُعمَلُ لها عند وِلادِها شيءٌ، تأكله أو تَحسُوهُ أيامًا. واسمُ ذلك الشَّيءِ الخُرْسةُ. وقد خَرَّستُها. قال الشاعرُ، وهو الأعلَمُ الهُذَليُّ[1]:

ونَحبِسُها، عِندَ العَظائمِ، نَتَّقِي
بِها دَعْوةَ الدَّاعِينَ، أنّا نُقِيمُها

إذا النُّفَساءُ لَم تُخَرَّسْ، بِبِكرِها،
غُلامًا ولَم يُسكَتْ، بِحِترٍ، فَطِيمُها

قولُه «ونَحبِسُها» يعني أموالَهم على الأُمورِ العِظامِ والدِّياتِ والحَمالاتِ. نَتَّقي بأموالنا دَعوةَ مَن يدعو، فيقول: مَن يُعينُ من يَحملُ الدِّياتِ، وما أشبَهَ هذا. يريد أنها تكون مُعَدّةً لأمثالِ هذه الأشياء. ونُقيمُها: نُعِدُّها. تقديرُهُ: لأنّا نُقيمُها. وأراد أن الجَدْبَ قد عَمَّ. فالمرأةُ التي نُفِستْ بغُلامٍ، وهو بِكرُها: أوّلُ وَلَدِها، لا يوجد ما تُطعمُه مع اجتهادهم، في حفظِ نَفسِها وحفظِ نَفسِ ولدها. والحِترُ: الشَّيءُ القليلُ من الطعامِ.

ويُروى: «بِحُكرٍ»، و«حَكرٍ»[2]. والفَطِيمُ: المفطومُ.

والفطيمُ ليس يكون مُضافًا إلى ضميرِ النُّفَساءِ، لأنها نُفَساءُ بِبِكرِها. فكيف يكون لها فطيمٌ؟ والضميرُ يحتمل أمرين، أحدهما: أنه ضميرُ النِّساءِ، أي: لم يُسكَتْ فطيمُ النِّساءِ بِحِترٍ. ويكون الفطيمُ للجِنس. ويجوز أن يكون الضميرُ للسَّنة، أي: كُلُّ فطيمٍ فيها لا يُسكَتُ بحِترٍ.

والمُمصِلُ: التي تُلقِي ولَدَها، وهو مُضغةٌ. يُقال: أمصَلَت.

والرَّحُومُ: التي تَشتكي رَحِمَها بعد الوِلادةِ.

والمُوتِنُ: التي تَخرجُ رِجلا وَلَدِها قبل رأسِه. يُقال: أيتَنَت.

والمُعَضِّلُ: التي يَعسُرُ خُروجُ ولدِها حتّى تموتَ. قال أوس[3]:

تَرَى الأرضَ، مِنّا، بالفَضاءِ مَرِيضةً
مُعَضِّلةً، مِنّا، بِجَمعٍ عَرَمرَمِ

---

* أسقط ناشر «ط» بعض ما في هذا الباب من نثر وشعر، بدعوى أنه مخل بالأدب، وجعل بدلاً مما أسقطه أحياناً عبارات مصطنعة تفسد المراد. وسنشير إلى ذلك في موضعه

(١) شرح أشعار الهذليين ص ٣٢٧ والألفاظ ٢٣٣ و٣٨١ و٣٤٣ و٤١٩. وانظر ص ٤١٩ و٤٥٤ و٤٩١. ونحبسها أي: نحتفظ بها ونبقيها. والعظائم: جمع عظيمة. ونتقي: نقي أنفسنا. والنفساء: المرأة التي ولدت من قريب. والغلام: الذكر. ويسكت: يطعم ليترك الصراخ والبكاء.

(٢) الحكر: الشيء القليل.

(٣) ديوانه ص ١٢١ والألفاظ ص ٢٣٣. وانظر ص ٤٥. والعرمرم: الكثير الشديد.

وأضاف إليها تعليقات كثيرة مشوّقة ، على ما فيها هي من ألوان الفساد والشرور والآثام ، وتمييع للعقول والنفوس والأخلاق .

هذا نموذج واحد يقدم صورة من صور العولمة المقيت . وذاك نموذج أيسر وأعظم ظهر فيه مستشرق آخر ، حين نشر منذ مِائَة عام كتاب ((المقتضَب)) لابن جني ، وجعل طباعة صفحاته من اليسار إلى اليمين ، ثم سماه زورًا بـ ((المغتصَب)) . نعم لقد اغتصبه حقًّا، كما تـُغتصب الأوطان والأعراض والعقائد والقيم والأذواق والمُثـُل والألسنة والأخلاق ، وهو ممن يعتز به المستغربون لأنه مستشرق مأفون .

وكذلك كان مصير كثير من مصادر الميادين الإسلامية والعربية بين أيدي أمثاله ، من رواد الاستشراق وزبانية الاستعمار ، إذ تطاول العبث منهم إلى علوم الشريعة والقرآن والحديث واللغة والأدب والمنطق والفلسفة والطب والصيدلة والرياضيات والمجتمع والاقتصاد . . . فأُلقيت عليها أحكام وافتراءات أسطورية ، جعلت نفوس أبنائنا يتطلعون إلى فتات موائد الغزاة ، وينقادون إليهم بطواعية واستخزاء .[1] وهكذا تحققت تباشير العولمة التي صدّرها رجالات الاستشراق والغزو والاحتلال والتدمير والفساد ، ثم استوردها ولاة أمورنا بدءًا بمحمد علي الكبير ، وانتهاء بأباطرة السياسة في عالمنا المنكوب .

حتى إن الميدان التاريخي لتحقيق التراث ألقيت فيه أراجيف وأباطيل ، جعلته وليد الحضارة الأوربية أيضًا . فقد زعم المنظِّرون والممارسون لهذا العمل العلمي المنكوب أن أصول التحقيق نشأت بأوربة في القرن الخامس عشر الميلادي ، كما ذكرنا قبل ، وظهرت فيما نُشر هناك من تراث أعجمي قديم . ثم تلقى أبناؤنا المستغربون تلك المزاعم ، على أنها حقيقة تاريخية ، ونقلوها إلى ما أصدروا من مصنفات في مناهج التحقيق ، وما قدموه للمخطوطات المنشورة .

(١) انظر لتفصيل ذلك كتابنا : ولايزالون يقاتلونكم ... في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان .

ولهذا أصبح من الضروري كشف تلك المغالطات والأباطيل ، وإعادة الحق إلى نصابه، بإطلاع من ضُلِّل من أجيالنا الناهضة على حقائق تاريخ هذه المسألة ، وبإعداد عقولٍ ونفوس وأيد ، تتناول تراثنا العظيم ، في إخلاص وخبرة ووفاء ، لتنقذه من براثن الغزو العولمي البغيض ، ومن عبث المفسدين عصابات الاستشراق والاستعمار والاستغراب .

ومثل هذه الواجبات المصيرية يتطلب أبحاثًا رائدة ، ودورات تثقيفية وتدريبية وتأهيلية متواصلة ، ونماذج من التراث محققة في جميع ميادين المعرفة ، لتكوين المعارف العلمية الدقيقة ، والدربة التقنية الوافية ، والخبرة العملية الوفية ، تقوم بحمل مسؤولية هذا الخندق الحضاري الكريم .

مفهوم التحقيق :

كانت الحضارات القديمة تعتمد ، في نقل النصوص وروايتها، على المشافهة الشخصية تنتقل بها الأقوال ، فيدخلها كثير من التصرف بالزيادة والتدليس والتحريف والتشويه ، ويسقط منها ما هو أكثر وأكبر .

ولكي تُحفظ التوراة من أمثال ذلك ، سُجّلت فور وحيها في الألواح المشهورة . ولكن بني إسرائيل فرّطوا في تلك الألواح ، فأضاعوا النصوص الربانية ، وشُغلوا بالتلمود وما يحويه من حواش وتفسيرات . وكذلك كان مصير الإنجيل وتفسيراته .

ثم اعتمدت بعضُ الأمم على الكتابة، فصارت النصوص تثبت في الصحف والسجلات والوثائق والكتب ، ولكنها بقيت خلواً من وسائل التوثيق أو التحقيق ، إذ لا ترى فيما جاء قبل الإسلام كتابًا أو نصًّا له ، من الأسانيد والروايات المتضافرة، كلمةٌ توثِّق فيه نسبة المقولات ، أو تدقق في ضبط عباراتها كما أرادها صاحبها . وهنا يحسن بنا أن نتعرف مفهومَيِ التوثيق والتحقيق وما بينهما من علاقة ، وإن كان بعض المعاصرين يتوهمونهما

شيئا واحدًا .[١]

أما التوثيق فهو تثبيت نسبة النص إلى صاحبه بالأدلة المرجحة أو القاطعة ، من أسانيد وأقوال متضافرة أو متواترة . وإن فُقد ذلك كان نقدانِ خارجي وداخلي للإسناد والمتن ، بمقاييس علمية مقررة ، يوصلان إلى ضروب ودرجات من الاطمئنان . وأما التحقيق ففي اللغة يقال : حقّق الشيءَ ، أي : جعله حقًّا ، وكان منه على يقين ، أو صدّقه وأثبته ، وأحكمه فهو مُحكَم ، أو قال : هذا هوالحق . وتركيب الحاء والقاف المشددة في الكلام هو يدل على إحكام الشيء وصحته ، كما يقول ابن فارس . والشيء المحقَّق هو الصحيح الأصيل ، كما سترى عند المحدِّثين . فالتحقيق هو التصحيح والتصديق والتصويب والإحكام ، والعلم بالشيء ومعرفة أصله على وجه اليقين .[٢] وإخضاع النص لهذه العمليات يعني الوصول بها إلى حقيقة ما كانت عليه ، في اللفظ والمضمون .

وقديمًا كان يُستخدم مثيل هذا المعنى من مصدر الفعل المزيد أولَه همزةٌ : أحَقَّ يُحِقُّ إحقاقًا فهو مُحِقٌّ . قال الجاحظ : ((إنه لم يَخلُ زمن من الأزمان ، فيما مضى من القرون الذاهبة ، إلاّ وفيه علماء مُحِقُّونَ ، قد قرؤوا كتب من تقدمهم ، ودارسوا أهلها . . . فمخضوا الحكمة وعجموا عيدانها ، ووقفوا على حدود العلوم ، فحفظوا الأُمّهات والأُصول . . . ولهم حُسّاد معارضون من أهل زمانهم . . . واتخذهم المعادون للعلماء المُحقِّين عدّة يستظهرون بهم عند العامّة)) .[٣]

---

(١) انظر منهج تحقيق المخطوطات ص ١٩ .

(٢) انظر الصحاح واللسان والتاج والمقاييس (حقق) . أما التحقيق الذي يراد به إثبات المسألة بدليلها ، كما جاء في التعريفات ص ٥٦ ، فهو من أصول الاحتجاج والاستدلال ، أي : من أصول البحث العلمي . وهذا مفهوم آخر يفيد ما نحن في سمته ، ولكنه لا يعنيه في الدلالة الاصطلاحية .

(٣) رسائل الجاحظ ١ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩ . وانظر تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٩ ، حيث قطعت الجملة الأخيرة عن السياق ، فاختل المعنى المراد . ومع ما ذكرنا من أصالة هذا المصطلح عند العرب ، فإن تلاميذ الاستشراق يزعمون =

وقد استُخدم في هذا المعنى أيضًا لفظ الضبط ، والمراد به الحزم ، أي : الحفظ للنص حفظًا دقيقًا مع إتقان العبارة ونقلها كما هي عليه . وهو عند العلماء : سماع الكلام كما يحق سماعه ، ثم فهم معناه الذي أريد به ، ثم حفظه ببذل المجهود والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه إلى الغير . [(١)] والعالم الضابط هو الحافظ المتقن للسماع والنقل والأداء ، يتحرز من التدليس ويفهم ما يقال ويؤديه بدقة وكفاية . وضبطُ الكتاب : صيانته منذ سُمع وصُحِّح إلى أن يؤدَّى .

وهذا ما كان متداولاً في علم الرواية للأحاديث الشريفة ، [(٢)] ومستخدمًا في تحقيق ما يرويه المحدّثون ، وإجراء مقاييس الجرح والتعديل لتعيين منزلة النص المروي من الصواب ، إذ كان هاجس علماء هذه الميادين تحقيق ما بين أيديهم من المرويات النبوية ، لتمييز درجاتها بين الصحة والحسن والضعف والترك والإنكار ، واختيار ما كان أقرب إلى الصواب . وهو نفسه ما تراه متداولاً فيما نسمعه من شأن النصوص التراثية .

وعلى هذا فإن ((التحقيق)) للنصوص هو علم عربي إسلامي ، وضع أصوله رجالات البحث والتأليف والرواية والتلقي والكتابة والتعليم ، في ميادين الحديث النبوي والقرآن الكريم وما تفرع عنها من العلوم ، وأجروا تنفيذاته في بضعة عشر قرنًا ، ونقلوها إلى ميدان النص التراثي عامة بشكل عملي متقن ، وأخرجوا منه ملايين النسخ الخطية ، ومئات آلاف المصنفات والرسائل في سائر علوم الإسلام. وهذا يعني أن جميع الشعوب الإسلامية

= أنه لم يستعمل قديمًا في العربية ، وأنه ترجمة لما جاء بالفرنسية والإنكليزية . تحقيق التراث ص ٣١ ـ ٣٢ .

(١) التعريفات ص ١٤٢ والتوقيف على مهمات التعريف ص ٤٦٩ والكليات ٣ : ١٤٨ وكشاف اصطلاحات الفنون ص ١١١٠ ومعجم مصطلحات أصول الفقه ص٢٦٣. وانظر مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث ص ٢١١ . وقد اضطربت نقول أكثر المصادر لهذا ، فكان فيها تصحيف الحزم بالجزم ، والسماع بالإسماع .

(٢) علم الحديث ص٩٤ـ٩٦ والكفاية ص١٦١-١٦٩. وانظر تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف ص١٥١ .

شاركت فيه أيضًا ، ويجب عليها اعتماده فيما تنشر من تراثها العلمي والفني والأدبي .

فقد أسس هؤلاء الأعلام عمليات التوثيق والتحقيق [١] في علوم القرآن والحديث ، بابتكار أصول القراءة ورواية الأحاديث ، وما يتصل بذلك من أساليب التلقي والأداء والتجريح والتعديل والتخريج . ومن تلك الإجراءات العملية استفيد المفهوم الاصطلاحي المعاصر لعلمنا الذي نحن بصدده ، فكان معناه : الوصول بالشيء إلى الحق في وضعه . ثم تقرر في ميدان المفاهيم ، وأصبح يراد به اصطلاحاً : ((عِلم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي وضعها صاحبها ، من حيث اللفظ والمعنى)) . والنص ههنا يشمل المتن التراثي وما أحاطه به المؤلف نفسه من تعليقات واستدراكات ، وتنبيهات في حواشيه وهامشه، خلافًا لمن حصروا ذلك في المتن وحده . [٢]

على أن بعض الدارسين والمنظرين يتوهمون أن التحقيق هو التوثيق نفسه ، وآخرين يقحمون فيه ما هو متممات له أساسية ، وليست من أركانه ، [٣] وآخرين يتحرجون من استخدام لفظه ، لما فيه من ادعاء اليقين ، ويعبرون عن عملياتهم في النص بالقول : صححه ،

(١) زعم المستشرقون وأنصارهم ، جهلاً أو تجاهلاً ، أن هذين العلمين أُسسا بأوربة في القرن ١٥ الميلادي ، أي : بعد ظهور الإسلام بثمانية قرون ، ثم تجد نصائحهم بمتابعة الأوربيين في أباطيلهم وأساليبهم الملتوية . انظر أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١ ـ ١٢ وقواعد تحقيق المخطوطات ص ٧ ـ ٨ .

(٢) انظر منهج تحقيق المخطوطات ص ١٩ . وقد وصف بعض الزملاء الكرام هذا الفن بأنه علم ، ولكنني لم أجد من وضع تعريفًا له وافيًا كما فعلتُ هنا ، أو سار معه فيما يقتصيه من البحث والبيان . انظر أسس تحقيق التراث العربي ص١٠ وتحقيق النصوص ونشرها ص ٣٨ ونظرة في تحقيق الكتب في مجلة المخطوطات ١ : ٩ وتحقيق التراث ص٣٥ـ٣٦ ومجلة عالم الكتب ١ : ٦٥٠ وأصول تحقيق النصوص ص ٣٦ ومقررات لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه ص ٦ وفي منهج تحقيق المخطوطات ص ٩ ـ ١١ ومحاضرات في تحقيق النصوص ص ٨ وصناعة المخطوطات العربية الإسلامية من الترميم إلى التجليد ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ واللسان والتاج (حقق) .

(٣) محاضرات في تحقيق النصوص ص ١٤ ـ ١٧ .

أو قرأه ، أو عارضه بأصوله ، أو اعتنى بتوثيقه ، أو شرحه ، أو ضبطه وعلق عليه ... وآخرين يعدونه فنًّا من الفنون . وقل من يعبر عن ذلك بالعلم ، ويتابع هذه المقولة بتفصيلات تناسبها من الأصول والتفريعات والتنظير والتمثيل . فتراهم يطلقون ألفاظ : قواعد ومناهج وأصول وبحث ونقد وفن وأمالٍ وأُسس . . .

ولقطع الطريق على أولئك المتحرجين ، نستدرك نحن قائلين : إن تعذَّرَ عليك الوصول إلى اليقين كانت عبارات النص على أقرب ما يمكن من ذلك . ويكون إجراء هذا العمل العلمي بتصويب النص عرضًا وضبطًا ، وترميمه والتعليق عليه بما يوضحه ، وخدمته بما ييسر الاستفادة منه .

ومن هذا ترى أن الغاية المرجوة من عملية التحقيق هي خدمة التراث الإنساني ، لنقل التجارب والخبرات والمعارف والعلوم والفنون والعقائد وأساليب الحياة والعمل ، كما حفظتها الذاكرة البشرية في سجلاتها الخطية الخالدة . ذلك أن التراث العربي قد اقتَبس من ماضي الحضارات ما تيسر له ، فضم بين جوانحه الكثير من أهم آثار الأمم المتقدمة ، وأضاف إليه من جهود العرب ومن عاش بينهم من الأقوام كثيرًا من المعلومات والأساليب والتجارب ، وشيئًا وافرًا من العلوم والمعارف المولدة أو المبتكرة .

ومهمة المحقق أن ينقل إلى التاريخ الحاضر ما كان من تلك الاقتباسات ، وما ساهم به أجدادنا من توليد وابتكار ، أو نقد وتقويم وتسديد ، للذاكرة الإنسانية المدونة في السطور ، وما قام به العلماء من اصطناع وتنفيذ لمناهج وأصول في البحث والتأليف والإنتاج ، وخصائصَ كل منهم في تلك الميادين ، وما تميزت به عصور أو بقاع أو شخصيات فذة في التاريخ ، وما بني على ذلك من تجديد وابتكار وتوليد ، في ميادين العلوم الإنسانية والتطبيقية وعلوم الكون والحياة ، وفي العلاقات الاجتماعية والسياسية والعالمية .

وبذلك يكتسب المحقق ومن عاصره أو جاء بعده تلك المعلومات ، وتصبح من ثقافته

ومعارفه . وإذا كان الكثير الكثير من المدونات في الصدور بالمداد الأبيض قد ذهب مع أصحابه ، وخسرت البشرية بذهابه خلاصة تجارب وخبرات وعلوم غفيرة ، فلا أقل من حفظ ما سجلته لنا الأفهام والأقلام ، نحيي مواته ونبعثه من مرقده بغلاف من المداد الأسود على رفوف المكتبات الخطية والخزائن الشخصية ، وفي متاحف الآثار ومراكز الوثائق والسجلات العامة والخاصة ، لنتعرف ماضي الإنسان من خلال معطيات حضارة الإسلام ، ونبني على أصولها حاضرًا من العلم والعمل، يهيئ لنا مستقبل السيادة والاستقلال والعمران.

وبذلك أيضًا نقدم لأمتنا خاصة وللإنسانية عامة خدمة حضارية إيجابية ، كما قدمناها في الماضي حين انتقلت بعض آثارنا الخطية والعملية إلى أوربة ، وبعثت فيها ما أسموه بعصر النهضة ، وما كان بعده من تشويه لمعنى النهضة ، في مخازي التسلط والارتزاق والتدمير والمذابح والابتزاز ، بمسيرة العولمات المتوالية . فلعلنا نستعيد زمام القيادة بعد اليوم ، ونسدد مجرى التاريخ مرة ثانية ، ونحققُ ما أمَرَنا الله به أن نكونه : خير أمة أُخرجت للناس . ومن ثَـمّ يصيرُ الإنسان كل إنسان أهلاً لخلافة الله ـ سبحانه ـ في هذه المعمورة ، ويخالف سوء ظن الملائكة فيه ، من إفساد فيها وسفك للدماء .

على أنه لابد من الإشارة إلى أن عملية التحقيق للنصوص هي أعسر وأخطر ، مما يعانيه العلماء في التأليف ، لأنها أحيانًا تكون من الرجم بالغيب ، لاكتشاف حقيقة العبارة والمضمون ، بين اضطراب النسخ وكثرة المحو والخرم والخلل والتصحيف والتحريف . والمعروف أن الإنسان قد يعجز ، فيما كتبه بنفسه ، أن يصلح ما ذهب منه أو اختل ، كما قال الجاحظ : ((ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام)) .

وإذا كان المؤلف هذه حاله ، فيما كان قد كتبه بنفسه ، فلا شك أن المحقق لمقولات

غيره أعجز منه وأبعد عن جادة الصواب ، إلاّ من رحمه اللهُ ـ عز وجل ـ ويسر له سبل الهداية إلى السداد ، فاعتمد أصول العلم بدقة وأمانة ووفاء . ولذا أتبع الجاحظ كلامه الماضي بأن قال : ((فكيف يطيق ذلك المعارِضُ المستأجَر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب)) ؟ (١)

هذه الزاوية الحادة تمثل الصعوبات العامة في عمل المحققين ، يضاف إليها صعوبات خاصة في ميدان العلوم الأساسية ، كالرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والكون ، والعلوم الطبية كالعلاج والجراحة والمشافي والصيدلة والبيطرة ، والعلوم التطبيقية كالهندسة والآثار والصناعات الحربية والغذائية والكيمياوية والزراعية ...

وإنما تنبع صعوبات هذه العلوم من ظروف كثيرة تحيط بها دون ما سواها من نصوص التراث . وأول ما يذكر هنا افتقاد الخبراء في المستويات الدراسية العليا . فأكثر العاملين في هذا الميدان ليس لديهم خبرة بالنصوص التراثية تلك ، ولا اطلاع لهم على أساليب تكوينها ومعالجتها وتحقيقها . وكذلك أمر المشرفين على هؤلاء في المعاهد والجامعات والمؤسسات المعْنيّة بالتراث ، يمارسون أعمالهم بتصور شخصي واندفاع حماسي ورغبات هلامية فضفاضة ، ويسيرون فيها عن طريق التأمل والتجربة بالخطأ والصواب . وهذا يعني العشوائية المتنامية ، مع الاختلافات الكثيرة بين أساليب الموجهين والمنفذين في مراكز البحث والتحقيق والمؤسسات العلمية من بلاد العرب وغيرها ، والمدن المختلفة من القطر الواحد ، إذ ليس هناك نهج واضح أو معالم تساعد على تحديد شيء من ذلك .

والأمر الثاني يتمثل في افتقاد النموذج العملي والأبحاث النظرية الموجِّهة للعمل . فقد انطلقت حركة التحقيق للتراث العربي الإسلامي من زوايا العلوم النظرية ، كالشريعة واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة ، وكان اهتمام قليل شبه نادر بالنصوص العلمية . أما ما نشره المستشرقون منها وتلاميذهم في القرون الثلاثة القبلَ الماضي فليس من التحقيق في شيء ، وإنما

(١) الحيوان ١ : ٩٧ . وانظر تحقيق النصوص ونشرها ص ٤٨ ، حيث سقط النص الأخير فضاع المراد .

هو نشر بدائي لا يصلح للريادة أو التوجيه . ويؤنسك بهذا ما رأيت في : المغتصب والمفصل وإرشاد الأريب . ولبثت الحال على هذه الشاكلة عدة عقود ، لا تجد في الأسواق والمكتبات ما يكون قدوة رائدة في هذا الميدان ، فكان ما صدر بعد ذلك ليس له أسوة يقتدي بها ، ولا سبل واضحة يسلكها في إجراءاته ، وإنما يستهدي بمنشورات العلوم النظرية ، وهي غير كافية في التوجيه والتقويم.[(١)]

ويضاف إلى ذلك قلة النسخ الخطية للمصنف العلمي الواحد، وصعوبات فهم أساليب النُّسّاخ في : الكتابة والألفاظ المترجمة والمعربة والرسوم والأشكال والجداول والآلات والمصطلحات . وقد عمّق هذه المسائل الشائكة قلة الحواشي والتعليقات على النصوص ، مما ترك الأمور غائمة في الأذهان ، بعد انقطاعنا عن الثقافة العربية ، واصطباغنا بمقولات الاستشراق والاستغراب والعولمات المتنوعة ، وبالأساليب الأعجمية والتفكير الأوربي الخالص . فلكي نستطيع افتتاح تلك المغلقات ، والاقتدار على ممارسة التحقيق للنصوص العلمية ، يتحتم علينا أن نرتد إلى ينابيع ثقافتنا العربية في ميادين العلوم ، والتمرس بالنصوص في الدراسة الجامعية الدنيا . وبذلك تتهيأ الأدوات الناجحة في هذا السبيل .

ولا ننسى أخيرًا أن نصوص المستحاثات والأوابد ، والوثائق الاجتماعية والسياسية القديمة ، سُجل أكثرها بخطوط غريبة مختلفة متفاوتة ، وبعبارات وتراكيب ورسوم ولهجات ، تقتضي تخصصًا دقيقًا لإتقان أساليبها ، والعمل في ميادين تناولها بالفهم والضبط والتحقيق . وهذا ما لم يتنبه إليه المسؤولون عن الزاد التراثي ، وما زالوا يظنونه من مُهِمّات مرتزقة المستشرقين المأجورين .

وأخيرًا لا آخرًا ، يتبدى لك ضيق الأفق التجاري للمنشورات العلمية المذكورة ، إذ قل أن تجد دار نشر تتقبلها ، وتساهم في إخراجها بالثوب الملائم ، وقل أن تجد الشرائح

(١) انظر التراث العلمي العربي مناهج تحقيقه وإشكالات نشره ص ٨٨ ـ ١١٣ .

الاجتماعية التي تتلقاها بالرغبة في الاقتناء والمطالعة والمدارسة . ومثل هذا العائق يحول دون تطلع المحققين إلى متابعة أمورها ، لما يَشغلهم من قنوات العلوم الإنسانية في عالم المكتبات والأسواق . فلا بد أن يُدرس علم التحقيق في جميع الكليات والمعاهد ، لإعداد المحققين ، وأن تُشرف مؤسسات حكومية أو دولية أو علمية أو اجتماعية ، على حركة هذه الزوايا التراثية ، للقيام بتهيئة وسائل تحقيقها وإخراجها إلى دنيا العلم والفكر والفهم ، والخدمة لمسيرة الحضارة العربية الإسلامية ، في ميادين الصراع للحضارات والقدرات والكفايات .

ومهما يكن من أمر فإن تاريخ منهج التحقيق ، كما ذكرناه وحددنا ميادينه ، يرجع في أصله العلمي إلى نوع من الرواية في علم الحديث. وهو ما يسمى اصطلاحاً بـ ((الوِجادة))، أي : أن يجد المرء حديثاً بخط شخص وإسناده ، فيرويه كما كان . وهذا أوجب العملَ به بعض المحققين من أصحاب الشافعي ـ رحمه الله ـ لأن الإجازة الحقيقية ليست أكثر من وِجادة معها إذن من الشيخ بالرواية . (١)

ويشبه الوجادةَ في تاريخ العلوم الإسلامية ما يسمى بالإفادة . وهي أن يسمع العالم رواية ، ويكتبها بخطه ويقابلها ، ثم يجعلها لمن سمعها منه شفاهًا ، ليستفيد علمًا عاليًا . وقد شاعت هذه الأساليب في القرن الرابع ، حتى كثرت الكتب والرسائل والمصنفات المصححة الموثقة المعدة لذلك ، وأصبح أكثر الرواية إفادة أو وجادة . (٢)

ولما كان الإسلام الحنيف خاتم الأديان السماوية ، ومنهج الحياة المثلى في العقيدة والعبادة والسلوك والتشريع للأمم والعالَم ، فقد وضع أُسسَ التوثيق والتحقيق علماً وعملاً، لتسلم للنصوص والعلوم صفة الصدق والأمانة والوفاء ، ويُبنى عليها صرح علمي

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٥٧ والباعث الحديث ص ١٢٨ـ١٣٠ وفي منهج تحقيق المخطوطات ص٢٧ـ٣٠.

(٢) مجلة المجمع العلمي بدمشق ٥٠ : ٣ : ٦٣٨ .

حضاري حصين ، يتابع متطلبات الحياة في جميع القطاعات والمستويات والحاجات . كان ذلك كله بما رسمه الله ـ تعالى ـ ورسوله العظيم ، في الآيات الكريمة والتلقي للنصوص القرآنية ، وتعليم الصحابة والتابعين ومن بعدهم أساليبَ الرواية والبحث عن الحقائق .

و إن أول ما نعرفه عن التوثيق ، في تاريخ الإنسانية ، هو آيات مباركات تُثبت وتؤكد أن القرآن الكريم هو كتاب الله : ﴿ لا يأتِيهِ الباطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ ولا مِن خَلفِهِ ، تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .[(١)] و قد تكرر تأكيد ذلك في عدد وافر من الآيات ، كقوله تعالى[(٢)] : ﴿ إنّا نَحنُ نَزَّلْنا علَيكَ القُرآنَ تَنزِيلاً ﴾ ، ﴿ وما كانَ هذا القُرآنُ أن يُفتَرَى مِن دُونِ الله ﴾ ،[(٣)] و ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ ﴾ .[(٤)] ثم ختم ذلك كلَّه تكفُّلُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يصون جميع النصوص القرآنية من التبديل والتحريف والإخلال ، أو النقص أوالتزيد أو الزوال : ﴿ إنّا نَحنُ نَزَّلْنا الذِّكرَ ، وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ .[(٥)]

وإنك لترى في حياة النبوة الكريمة ومقولاتها صورة دقيقة جدًّا للتوثيق ، إذ يُشترط في الحديث النصّيّ الصحيح المرفوع أن يتصلَ سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ، وألاّ يكون شاذًّا أو معلّلاً ، وأن يضافَ إلى النبي ﷺ صراحة أو حكماً ، فيكونَ قبله مباشرة : قال رسول الله ، أو قال النبي ، أو سمعت رسول الله .[(٦)]

وقد كان علماء الحديث يتحرَّون كثيراً في قبول الروايات ، فيسقطون عشرات الآلاف

(١) الآية ٤٢ من سورة فصلت .

(٢) الآية ٢٣ من سورة الإنسان .

(٣) الآية ٣٧ من سورة يونس .

(٤) الآية ١٩٣ من سورة الشعراء .

(٥) الآية ٩ من سورة الحجرات .

(٦) علوم الحديث ص ١٠ وإرشاد طلاب الحقائق ص ٥٧ والحديث النبوي وأحوال رواته ص ٣٩ ـ ٤٢ .

من النصوص المعتبرة ، قبل أن يضعوا واحداً منها في مرتبة الأحاديث الصحيحة أو الحسنة . وفي صنيعهم هذا نماذج غفيرة من التوثيق والتدقيق والأمانة والوفاء ، للعمل العلمي المتقن وللنبي الكريم ﷺ . ولسوف نرى بعد بعون الله ـ تعالى ـ تاريخ التحقيق العربي للنصوص مع نماذج من ذلك .

السمات الشخصية للمحقق :

نقف الآن إزاء شخصية الخادم للتراث ، نستعرض عناصر مكوناتها ، وسبيل التثقيف والعناية والرعاية والتدريب والتأهيل لها. وهنا يتبين لنا أن تلك الشخصية المبتغاة تظهر بوادرها ، في أيام الطفولة واليفوع والشباب . ففي مطاوي تلك الأيام العائلية واللقاءات والزيارات والمحادثات ، وعلى مقاعد الدراسة في مراحل التربية والتعليم وتكوين الثقافة والخبرة ، تتبدى من الناشئين مواهب فطرية واستعدادت فردية ، تشكل نزوعًا إلى طلب الحقيقة في مدار الحديث والدرس والتحصيل .

وإذ ذاك تبرز لدى بعض الأفراد ، في تلك الأحداث الجدلية العفوية ، روح الحوار والنظر في الواقع والمعلومات والأعراف والمفاهيم والمسلَّمات ، وتكون متعطشة إلى نفض غبار القضايا بالمحاكمة والاستدلال ، لترسيخها على مبادئ من الحقائق الثابتة والمعارف الأصولية المقررة . ثم يتميز بعض هؤلاء بمتابعة تلك المسيرة في الأمور الجزئية المدروسة ، لتأصيل مواردها وتحرير مظاهرها ، وإيصالها إلى حيز التمكن والتحقق وا لاستقرار .

ومُهِمّة أسر الناشئة ورجالات التربية والتعليم اكتشاف تلك البوادر اللامعة ، أو غرس بذورها في التربة الصالحة ، ثم رعايتها وتنميتها بالتوجية والصقل والممارسة ، لتأخذ كامل أبعادها في موضوعات الجدل والخلاف ، وتكوّنَ في الناشئ شخصية الطالب للحقيقة والمتتبع لأصولها وأدلتها ووسائلها .

وبمثل هذا التوجيه ، يتقن الطفل الكريم أساليب التجرد من العواطف والأخيلة

والمنافع الشخصية ، ويكون رائده في العمل هو نقل المعلومة كما كانت في أصلها الأصيل ، كالذي رأيناه في تاريخ أئمة القراءات القرآنية والحديث الشريف . ثم إن هذه المهمة التربوية التعليمية تتضخم وتنمو في مراحل الدرس الثانوي فالجامعي ، لتنشئ أفرادًا متميزين بالعقلية المدقِّقة المحقِّقة ، الماهرة في إيصال الأمور إلى منابعها ومصادرها البكر .

فلدينا هنا استعدادات ومواهب وقدرات متأصلة في النفوس عامة ، ومتميزة لدى أفراد نابهين مخلصين للعمل بصدق ونَصفة ووفاء . وأبرز ما يذكر في هذا المجال للإعداد والتأهيل أن يكون لدى الناشئ موهبة بحِدّة الملاحظة والانتباه إلى دقائق الأمور وجزئياتها ومراتبها في سلّم الصواب ، إذ يمكن هذه الحِدّةَ أن تتنمى وتصقل ، لتأخذ شكل الخبرة أوالمهارة الفكرية ، والقدرات العقلية ، تلتمس ما يوصل إلى أعلى مراتب التأصيل للعبارة واللفظ والتركيب ، وأدق مقاصد المصنِّف في عديد من صور التعبيرية والمصادر المختلفة .

يضاف إلى ذلك رغبة وقدرة على المطالعةِ الواسعة ، وحفظِ المعلومات والصيغ والتراكيب المستقراة ، في منظومات فكرية متساوقة ، واستيعابِ مضامينها ومراميها القريبة والبعيدة ، لتأخذ حيزها ومنزلتها في هيكلية المعرفة ، وتكون جاهزة للخدمة والتوظُّف ، حين تقتضيها عمليات البحث والاختيار والتحيز في مواطن الإجراءات العملية . وفي تنمية هذه القدرات وتوسعة مداركها وأبعادها ، يتكون في النفس البشرية خبرات عقلية ومحاكمات نقدية تنسيقية ، ومهارة تمد صاحبها بدقائق إيجابية وعناصر انتقائية ، تمثل وحدة السياق والتفكير والبيان .

ثم تقتضي شخصية المحقق للتراث أن يكون لدية القدرة على تقبل التوجيه والنقد والتقويم ، ليستفيد من تجارب مَن حوله من العلماء والخبراء . بل يجب أن يكون على استعداد دائم للتواضع ، والاستشارة لأهل كل علم أو فن له صلة بمشكلات عمله . وبذلك يستطيع أن يخدم التراث بشكل واف ، بعيدًا عن الأوهام والتصرفات الظنية المرتجلة .

أضف إلى كل هذا أن تتأصل وتنمى لديه إمكانية التمثل للماضي البعيد ، في مظاهر الثقافة والمعرفة والتفكير وأساليب التعبير للأمة عامة ، ولمصنِّف الأثر الخطي خاصة ، حتى يكون اختبار الحقيقة العارضة بمعايير ذلك العصر ومقاييس ذلك المصنِّف ، لا بإسقاط الأساليب المحدثة والقيم والمفاهيم الآنية أو الشخصية . فالفرق كبير جدًّا بين تحكيم المنطق العلمي لبيئة النص ومكوّناته الحضارية ، وبين إقحام رغبات التعالم وصبوات الإصلاح وأشواق التوجيه والتحكم في آثار الأقدمين .

ويظاهر تلك القدراتِ اهتمام بالتدقيق والتعمق في الصور المختلفة ، من معطيات الفكر والتعبير ، لتحليل الاشتراك والافتراق والتوافق والاختلاف ، واكتشاف عناصر الربط بين المعاني والمفاهيم من ناحية ، وبين أساليب التعبير والأداء من جهة ثانية . وعن طريق هذه العمليات العقلية واللسانية ، يتدرب المرء على بسط الخلافيات بدقة واستيفاء ، وعرضها على معايير الوفاق والعطاء التلقائي في اللغة والفكر والبيان ، ليقدم ما هو أهل للاختيار العلمي ، ويضعه في إطاره اللازم مع متطلبات الوفاء والإنصاف .

ومن مواصفات الشخصية المستأهلة لعمليات التحقيق رغبة في اختيار الموضوعات الإيجابية ، التي توصل إلى نتاج علمي بكر ، يقدم للأمة خدمة في حاضرها ومستقبلها ، ويساهم في تنمية واقع العلوم والآداب والمعارف الإنسانية .

فهناك مئات الألوف من الخيارات التراثية ، تتوضع في درجات من مراتب الأهمية . وما يتقدم منها في ذلك يقتضي مهارة في الاصطفاء ، وقدرة على الإقدام وتحمل مسؤولية العمل والإنتاج، واعتمادًا على الجهد الشخصي البكر ، يتناول ما لم يكن قد شَق سبيله آخرون، ليُخرج للناس ما هو ذو فائدة عملية وتوجيه سديد لعجلة التاريخ ، أو لما كان في منشوراته خلل يفسد الحقائق والمقاصد ، ويضيع على الأمة منافذ العمل الكريم . أما الموضوعات المطروقة بوفاء والمستنفدة ، أو القليلة الجدوى والبسيطة المعطيات ، فتترك إلى مراحل زمنية

آتية تقتضيها ، وتكون ذات فعّالية في مسيرتها .

ثم نذكر هنا صفة الصبر على دقائق الأمور ، والاستمرار في متابعتها واختبار حصائلها ، في إطار العبارات والمعلومات المرافقة حولها ، والمكونة للنص كله في سائر صفحاته القبلية والبعدية ، ليتحصل بين أيدي العلماء والباحثين نصوص ذوات شخصيات متزنة متساوقة ، ومعطيات منسجمة مع صاحبها وعصره وبيئته الحضارية . فالإجراءات في ميدان التحقيق هي كالعمليات الجراحية العالية ، إعادة بناء ما تهدم وتبلبل من جزئيات الجسم الحضاري ، في مجاهل المعطيات ونكبات العصور والأقوام .

هذا من حيث الاستعداد والقدرة المتأصلة . ثم يكون معه تدريب على النقد الدائم للمعلومات والصياغات المختلفة ، واختبار مصداقياتها ومطابقتها لواقع الأثر ومصنِّفه ، بعيدًا عن قبول الأوهام الآنية المستعجلة ، واحتراسًا بالشك الموضوعي الهادئ في النفس والغير ، لاستبعاد التحيز والتزوير .

فكثيرًا ما ترد في التراث مسائل شائكة يغمرها احتمالات غفيرة وتوجهات متقاربة ، تقتضي مهارة في اكتشاف الصالح من الفاسد ، بالنقد العلمي المناسب للموضوع ، ولعصره ومؤلفه . وهنا لابد من استنفار الأمانة العلمية والنصفة الوجدانية ، لاستبعاد كل ما من شأنه انقياد للعصبيات والمغالطات ، وادعاء الظفر الكاذب وابتناء الأمجاد الزائفة .

ولتكوين هذه الخصائص وتنميتها وتهيئتها للعمل الإيجابي المنتج ، يجب إحاطتها ببيئة ثقافية وزاد علمي متعدد الجوانب ، وواسع النطاق في ميادين المعارف القديمة والمعاصرة . ومن ذلك اطّلاع كامل على تاريخ عصور النصوص ، في جوانبه المختلفة ، وثقافات الأمة بمصادرها ومنجزاتها ، في سائر العلوم التي تتصل بالموضوعات التراثية ، ولا سيما موضوع النص وشخصية صاحبه، وآثار شيوخه وتلاميذه ومعاصريه وما تلا ذلك في غضون التاريخ.

فالعلم أو الفن الذي يتضمنه عمل التحقيق يقتضي من المقدم عليه أن يكون ذا

اختصاص كامل فيه دقيق ، يحيط بأصوله وفروعه ومسائله وقضاياه ومعضلاته وخطوطه ولهجاته ، ويتقن معرفة تاريخه ورجاله وما فيه من مصطلحات ومفاهيم وأساليب وتوليد وتأصيل وتأثر وتأثير . ويحسن في هذا السبيل الاستفادةُ لكل عنصر من مصادره العلمية والأقاويل التي ترد فيها ، مع خبرة وافية بما يتخلل ذلك من خلاف ودسائس وجدل واحتجاج واستدلال ، ومقولات واقتباسات وتفاعل ، في مجالات العلوم التي يقصدها المحقق ، إذ لكل منها بعض المتطلبات الخاصة ، إضافة إلى الإطار العام الناظم للجميع .[(١)]

والممارسة لعملية التحقيق التراثي تقتضي من صاحبها إحاطة بالمكتبة العربية ، وما فيها من تاريخ العلوم والفنون والآداب عامة ، مع خبرة في الاستفادة منها تبعًا لظروف العمل وحاجاته . يضاف إلى هذا مهارة في إتقان عروبة اللسان في أساليب القول والبيان ، وخصائصها عبر العصور، وخبرة بتتبع ذلك في المصادر المعجمية والنحوية والبلاغية ، ومعرفة للخطوط العربية عامة ، والخط الذي سُجل به النص المقصود .

فلدينا في تاريخ حضارة العرب نماذج غفيرة من الصور الخطية ، لكل منها مفاهيمه ومصطلحاته وأساليبه في الرسم والأداء ، وفي التعبير عن الحروف والأصوات والتراكيب ، والهمزات والألفات والشدات والإعجام والضبط والوصل والفصل . ثم قد يكون ناسخ أو كاتب أو مؤلف على غير إتقان للخط وأساليبه ، يلفق بينها ويستخدم معطياتها بدون وحدة والتزام . وهذا يتطلب مِن داخل ميدان التحقيق أن يستوعب تلك الأصول التاريخية المقننة والشخصية والمختلفة ، ليستطيع أن يعطي النص حقه من الفهم والخدمة والأمانة ، في الفهم والنقل والخدمة الوافية .

ثم يكون بعد هذا كله ومعه أيضًا تزوُّد دائم مستمر ، مما تصدره المؤسسات العلمية من نصوص محققة في الميدان المعيّن ، وأساليب عملية مقررة ، ومعلومات عن النشر التراثي

(١) انظر صفات المحقق العلمي في ص ١٣٠ ـ ١٣٤ من التراث العلمي العربي مناهج تحقيقه وإشكالات نشره .

والبحث فيه ودراسته وتقويمه ، وعن المستجدات من أساليب فرعية للتحقيق في الممارسات العملية الناجزة . ومثل هذا الزاد يكون في المجلات والدوريات والندوات والمحاضرات العلمية والثقافية ، إذ تُطرح للبحث مشكلات وأوضاع من حصائل التراث ، تفيد المحقق تسديد خطواته وأساليبه .

التأهيل للمحققين :

لعلك لاحظت معي أن عمليات التحقيق تتطلب شخصية القاضي العالم الخبير المنصف ، باتزان وأمانة وسعة أفق وبُعد نظر حصيف . فالمحقق هو في الواقع قاض ، أمام وقائع ماضية ونصوص مسجلة ، وأدلة وبيانات وقرائن وشهادات ومزكّيات ، فيها خلافات واضطراب . ومجمل هذا كله يقتضي الدراسة لما بين يديه مستعينًا بعلومه ومعارفه وخبراته وتجاربه ، لاختيار العبارات الأصيلة للنص ، والحكم عليها بحمل المضمون التراثي المعهود .

ولتكوين شخصية هذا القاضي المحقق ، ولِما ذكرناه قبلُ من وجوب التزود الدائم ، كان لا بد من عمليات التثقيف والتدريب والتأهيل ، يحضرها من كان عنده المواهب والاستعدادات والقدرات السالفة الذكر . وإلاّ تصدى لإصدار التراث من لا خبرة عنده ولا منهج لديه ولا غاية واضحة في ذهنه ومقاصده ، كما هي الحال في كثير مما صدر باسم التحقيق . وهو نشر تجاري مختل ، صدر عن القاصرين أو بإشراف غير الخبراء ، فأصبح يفسد على العلماء مقاصدهم ، أو يرغّب الناس عن اقتناء الآثار العلمية ومطالعتها والاستفادة منها، لما يكون فيها من تقحمات واستطالات وأوهام وفساد ، مع تضخيم وتهويل رهيبين .

أما عمليات التثقيف فتعني صقل تلك المواهب والاستعدادات والقدرات بالمعلومات والمعارف ، ورعايتها بما ينميها ويجعلها جاهزة للعمل بمعرفة وخبرة ومهارة ، لتنفيذ طاقاتها في خدمة التراث الكريم . ويتمثل إنجاز ذلك في إقامة دورة تحت عنوان ((علم تحقيق المخطوطات)) ، لينتظم فيها الراغبون ذوو المواهب والاستعدادات والقدرات ، فتقدِّم لهم

المعارف والمعلومات المساعدة على تنمية الشخصية العلمية القادرة على ممارسة متطلبات التحقيق. وفي هذه الدورة ، تغرس في القلوب أولاً محبةُ العروبة والإسلام وتاريخ حضارتهما، مع الإيمان بالقيم المثلى التي يحملها تراث العلم والأدب والفنون العربية ، والحماسةُ العالية لكشف تلك الآثار بعناية فائقة ، وإخراج يحبب الناس بمطالعتها والاستفادة منها .

ثم توضّح في المحاضرات مفاهيم التحقيق وأصوله وأهدافه ، والصفات الشخصية لأصحابه ، وتُعرض أسماء المكتبات الخطية وعناوينها في العالم ، مع بيان كيفية الكشف عما فيها وطرائق الاتصال بها والاستفادة منها بسهولة ويسر . ويلي ذلك بسط أصول العمل التنفيذي ، وأولها هو سبيل اختيار الموضوع الإيجابي والمخطوطات اللازمة والكافية . وعندما تتحصل تلك الوثائق الخطية يترتب على حضورها توثيق النص بتعيين عنوانه وتثبيت نسبته إلى المؤلف وصلة الخط بناسخه وتاريخ النسخ ، من خلال النقدين الخارجي والداخلي ، حتى يتقرر أصل الثقة بمصداقية الصلة بين العلم والعلماء .

تلي ذلك مراحل من الأصول العملية أيضًا . وهي بيان أساليب الدراسة النقدية لمنازل النسخ ، وتصنيفها في سلسلة متتابعة أو في شجرة متفرعة بدرجات موضوعية ، يكون فيها أصل معتمد للنص أو أُمّ معتبرة ، ثم مساعدات ومتممات للترميم والتسديد والإكمال ، وردائف تعين في ذلك السبيل . ويوضع لكل من تلك المساعدات والردائف رموز خاصة ، تيسر الرجوع إليها والتعبير عنها بإيجاز وبيان .

وفي تلك الأصول العملية تعرُّفُ المحقق لشخصيتَيِ النص التراثي وصاحبه ، بقراءات منهجية متوالية ، تبرز سمة الخطوط المعتمدة والرموز والأشكال والجداول والمصطلحات المستخدمة في التعبير عن المفاهيم أو الكتب أو العلماء ، وأسلوب المؤلف ومنهجه ومصادر تفكيره وأدلته .

وبعد هذا تبسط للحاضرين عمليات النقل للأصل المعتمد أو الأمّ ، في تقسيمات

تناسب الموضوع ، وعناوين أصلية وفرعية مساعدة ، وعلامات الضبط والترقيم اللازمة ، مع مقارنة المعتمَد بالنسخ الباقية لاكتشاف ما بينها من الخلافات والنقائص والزيادات ، وتعيين ما هو عمدة ومفيد وما هو سائب أو مقحم أو موهوم .

فإذا تمت مراحل القراءة والمقارنة ، وتبدت صور العُمَد والمتمات والردائف ، كانت مرحلة الإجراء العملي التالي . أعني ضبط النص بما تيسره النسخ الصحيحة الموثقة ، ثم تثبيت صورته النهائية مع تصويب التصحيف والتحريف ، وترميم النقص والخلل ، ومعالجة الزيادات بما يناسبها في سياق الكلام ، واستخدام الأقواس المتمايزة لاقتباسات المختلفة المستويات .

وعندما يأخذ النص شكله النهائي ، وتتميز معطيات النسخ الباقية ، يكون بسط عملية التوثيق للمعلومات ، وتخريج الاقتباسات والأدلة ، فيما يسمى بمتمات التحقيق . وتتوضع هذه المتمات في الهامش تعليقاتٍ تضم ، إلى التوثيق والتخريج ، الخلافات المفيدة بين النسخ، وتفسير الغريب وشرح ما أشكل من العبارات والمفاهيم والمصطلحات والرموز، والتعريف للأعلام والأحداث والمصادر المذكورة في المتن . ومن ثَمّ يختم النص بالفهارس الفنية المناسبة ، ويقدم له بما يصف العمل ومراحله ونتائجه ، ويترجم للمؤلف ، ويدرس معطيات الموضوع العلمية والفنية والتاريخية .

وتنتهي تلك الدورة بامتحان تحريري ، واختبار شفهي ، لتقويم إنجازات التنفيذ للمنهج والمقررات ، والاطمئنان إلى سلامة الاستفادة من ذلك ، وتعيين درجات الاستفادة والاستيعاب والتفوق والإخفاق . وينبني على نتائج الامتحان والاختبار إعادة النظر في مضمون الدورة وأشكال إجرائها ، ليكون في دورات قادمة تقويم وتعديل وتسديد ، واستفادات منهجية وعملية في الإعداد للمستقبل .

هذه هي وظيفة الدورة التثقيفية التعليمية ، ويليها وجوبًا دورة تدريبية ، يشرف فيها

محققون خبراء على الذين تثقفوا منهجيًّا ، وأصبحوا قادرين على التجربة وتكوين الخبرة والمهارة . وهذا يعني أن تهيّأ لهم فهارس للمخطوطات مع نسخ موجزة متوافرة لعديد من الموضوعات ، في العلوم والآداب والفنون المختلفة . ثم توضع بين أيديهم تلك الفهارس ، ليختاروا ما يناسب معارفهم وثقافاتهم الشخصية .

ثم يساعَد هؤلاء على تطبيق أصول التحقيق ، كما عرفوها في الدورة التثقيفية ، فتكون بين أيديهم مكتبة عامرة بالمصادر والمراجع من جميع العلوم والفنون والمعارف ، يسهل تناولها في مراحل العمل . ويوجهون في هذه المكتبة إلى طريقة الاستفادة منها في حل المشكلات وتبين المعلومات ، لتسديد خطوات التحقيق العملي ، وتصويب عوارض الأوهام والخلل والقصور. وبذلك يتيسر لهم أن ينجزوا معًا أعمالاً منهجية كاملة في أجزاء من نص أو كتاب ، وتستقر الثقافة العلمية في شبكة قنوات من الخبرة القادرة على العطاء .

ثم تكون بعد هذه دورة تأهيلية متخصصة ، تُعِدّ أولئك الخبراء لتكوين مهارات متمايزة ، في أنواع العلوم والآداب والفنون . وفي هذه التوجيهات العملية النهائية ، يشترك المتميزون من حصائل ما مضى في سابقاتها ، ويمارسون تحقيق مستويات عالية من النصوص التراثية ، نصوص من اختصاصاتهم كاملة غنية بالمشكلات والعقبات والعثرات ، كل منهم ينصرف إلى نص كامل من اختصاصه ، لتكوين المهارة الفائقة في تلك الميادين .

ولأن أجيال الشعوب الإسلامية نُزعت من نفوسهم الثقة بالعلوم الشائعة بينهم ، فقد أصبح مردود البرامج التعليمية ضئيلًا جدًّا ، لا يوازي ١٠٪ من الجهود المبذولة . ولهذا فإنني أرى أن يجمع بين الدورتين الأوليين في مرحلة واحدة ، بحيث يكون بعد كل محاضرة نظرية جلسة عملية ، للتدريب على ما مضى . ومن ثَمّ ترتبط المعلومات سريعًا بالواقع التجريبي . فإذا انتهت هذه المرحلة اتصل الطلاب الناجحون فيها بالدورة التأهيلية .

وعندما يتخرج هؤلاء بعد بضعة أشهر من التعليم والتدريب ، يكونون مشرفين على

حركة التحقيق ومتابعة سدادها ، وتأدية أهدافها في الثقافة والعلم والحضارة المرجوة . إنهم رعاة لمسيرة العمليات الناشطة ، وخبراء مهرة يُرجع إليهم في حل الأمور المستعصية ، وتوجيه ما يجد من مشكلات وصعوبات . وبهذا نكون قد أعددنا للتراث الخطي قضاة ذوي علم ودربة واقتدار في مختلِف العلوم والفنون ، يحملون مسؤولية النشر العلمي الموثق .

أما إذا أُطلق أولئك المثقفون ثقافة بدائية ، من دون تدريبٍ عملي متقن ، وإنجازِ نصوص محققة منهجيًّا ، ورعايةِ خبراء مهرة في فن التحقيق ، فإنهم سيظنون في أنفسهم القدرة على الإنتاج باستقلال ، ويمارسون بأدواتهم الغضة القاصرة عمليات طائشة متهافتة . ومن ثَمّ يتناولون مصادر التراث بالفجاجة والتحكم والتعالم ، فيكون لدينا إصدارات تجارية ، تخرب على الدارسين سبل الاستفادة ، وتضيع الغايات النبيلة لنشر التراث بين الناس. وهذا ما تناولت أخطاره منذ بضع عشرة سنة ، حيث قلت : (١)

لن نفتح الآن ملف التراث الإسلامي العربي ، لنطرح موضوع قيمته في إغناء الثقافة وتطويرها ، وإمدادِها بالعلم والفن والمعارف والآداب . لن نناقش هذا الجانب الخطير من أهمية التراث ، ووجوبِ نشره وإيصاله إلى كل قارئ وباحث ، لأنه فيما يرى الجميع أمر أُبرم الحكم فيه دون مناقشة أو جدال . وحسب المرء أن يراقب حركة النشر والتوزيع في العالم العربي ، ويرصدَ أعداد النسخ المنصبة في الأسواق ، والمشتراة اقتناء ومطالعة وقراءة ودراسة وبحثًا ، من الكتب ، ليتحقق طغيانَ السيول التراثية .

وهذا ، بلا شك ، برهان على أصالة التراث وغناه وسيادته ، وصدى إيجابيّ لإيمان الجمهور بأن منابع التراث تغذي أشواقه ومنازعه ، وتنمي مواهبه وقدراته ، وتحقق طموحاته وغاياته العلمية والفنية والاجتماعية ، وبأن الحضارة كالإنسان ماض وحاضر ومستقبل ، وأن التراث الخطي لدى جمهور المسلمين والعرب هو غذاء الروح والعقل والذوق واليد واللسان .

(١) التراث في خدمة الثقافة . ص ٨ من صحيفة البيان الصادرة في ١٢ / ٩ / ١٩٨٨ .

ولقد لمستْ دور النشر العربيةُ والأجنبيةُ هذه الظاهرة ، فراحت تتتبع مصادر التراث في الدين واللغة والأدب وبعض العلوم والفنون ، تصدرها بالوسائل المختلفة ، وتجني ثمار ذيوعها ورواجها ونفاد الآلاف المتكاثرة من النسخ ، والعشرات من الطبعات المتفاوتة ، كما أُنشئت في كثير من البلاد العربية مؤسسات ترعى التراث وتشرف على نشره ، كالذي نراه في القاهرة والرباط والكويت ودمشق وحلب ومكة وبغداد وعمّان والرياض ، وأُحدثت في قليل من الجامعات والمعاهد بعض دراسات متخصصة لمتابعة شؤون التراث بفروعه المختلفة ، وتحقيق آثاره ونشرها . ورحنا نرى في معارض الكتب العربية سيطرة المادة التراثية وأقبال الناس عليها ، رغم الأثمان الباهظة لها ، إذا قورنت بالكتب الأُخرى .

بيد أن هذا الإجماع الجماهيريَّ على أهمية التراث ، والإقبالِ عليه ، لم ترافقه العناية الكافية الواعية التي تحقق الفائدة المرجوة من كل عمل تراثي ينشر . والعنايةُ التي نقصد هي الإخراج العلمي اللطيف لما يطبع وينشر ، وتزويده بالوسائل الميسِّرة للتناول ، المحبِّبة للمطالعة ، المقرِّبة للمقاصد والغايات العلمية والأدبية .

عشرات الألوف ، من الأمهات والأصول والمصادر والمراجع التراثية ، تربعت رفوف دور النشر والمكتبات ، وأصبحت في متناول كل طالب مستزيد . غير أن أكثرها نُشر دون تحقيق منهجي ، أو تيسير عملي سديد ، أو مازال في طباعته الحجرية أو صورته القديمة الخالية من الضبط ، ومن توزيع الفِقر وعلامات الترقيم المناسبة ، ومن الفهارس الفنية المساعدة على سرعة الاستفادة وتمامها . بل إن كثيرًا من تلك المنشورات أعيدت طباعته على صورته البدائية الأولى أو بتصويره على علّاته ، أو بتعجل في إخراجه على أيدي الأغرار وجهَلة النُّسّاخ ، في غلاف أنيق لا يقدم خدمة ولا يزيل طِلّسمًا .

ثم إن ما حُقق من تلك المصنفات قل أن تجد فيه المنهج اليسير السوي الناضج ، الذي يجعل النص صديقًا ودودًا لطيفًا ، ليّن المعشر ، جوادًا معطاء بأقصى ما لديه ، خفيف الظل

والروح والحديث . خذ على ذلك مثلاً ((مقتضب)) المبرد . إن اسمه ينبئ عن فحواه في الاختصار والإيجاز ، ولكنه نشر في أربعة مجلدات ضخام بها حُمِّل من أوزار القوم . فقد وُزِّع أمشاجًا من العبارات المتقطعة المتشابكة ، ثم عُلق عليه بنثار كتاب سيبويه وكل من جاء بعد المبرد من أنصاره ومتعقبيه ، وبفهارس مضخمة جدًّا ، فصار المقتضب مطوَّلاً جدًّا جدًّا ، يَرهب الناسُ اقتناءه ، وإذا اجترؤوا على ذلك حالت الرهبة فيهم دون قراءته أو الاستفادة منه . وكذلك تجد كثيراً من النصوص المنشورة ، كدواوين المتلمس والمثقب وعمرو بن قميئة... وفي ذلك إرهاب أيُّ إرهاب !

ثم ما أكثر الرموزَ والمصطلحات المتداخلةَ المستخدمة في مطاوي التحقيق ومتمماته ، لبعض تلك المصادر ! هذه أقواس مفردة ، وتلك مزدوجة أو معقوفة أو منجَّمة أو متعرجة أو مصلَّبة أو متشعبة أو مزوّاة متعاندة متعاكسة متداخلة ، تُنثر على غير منهج أو نظام ، وهاتيك أسهم متشعبة ونجوم مبعثرة وخطوط عمودية ومائلة وأفقية مفردة ومزدوجة . فيحار المرء بين اضطراب مقاصدها وفوضى توزعها ، ويزيغ بصرُه وذهنه وذوقه في تتبع مؤدّاها . لكأنها متاهات ومعميات وشباك متناثرة ، كُتب على القارئ التيهُ في مجاهلها ومطاويها ، من دون أن يكون لها أثر فائدة في خدمة النص . فما أحرانا أن نقتصر على اللازم الكافي اليسير منها ، لنقطع دابر الضياع والرهبة .

والأرقام المقحمة في المتن أدهى من الأقواس وأمرّ . فهذه أرقام هامشية متعددة لجمهور النسخ المختلفة في تحقيق النص مع بيان الظهر والوجه لكل منها ، وتلك أرقام جانبية لتعدد الشواهد الشعرية أو الفِقر ، وثالثة لتحديد مواطن اختلاف الروايات في المصادر والمراجع ، ورابعة لتعيين مواضع التعليقات بالتفسير والتعريف والتوجيه والنقد والإحالة على الأمهات ، وخامسة لتعيين عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ، وسادسة للملاحظات الخاصة.

وقد يكون بعض هذه الأرقام عربيًّا مألوفًا ، والآخر أوربيًّا مؤوفًا ، والثالث رومانيًّا

مخوفًا ، والرابع أبجديًّا أو ألفائيًّا محروفًا ، والسادس جُمَّليًّا مرصوفًا . ثم تضاف نجوم مفردة ومزدوجة ومثلثة ومربعة في الصفحة الواحدة ، وأشكال ملتوية أو بقاع سود لبدء الفقر . فترى القارئ في بحر الرموز والطلاسم ، لا يكاد يبلغ منه بعض ما يريد إلاّ بشق النفس والعناء . فهلاّ أشفقنا عليه ورحمناه ، وأزلنا الفائض من تلك المعالم الشائكة ، واقتصرنا على ذي الفائدة المباشرة في موقعه المناسب بأسلوب ميسر لطيف .

والضبط ضبط المفردات تائه بين إهمال اعتباطي تام ، وحشر كثيف فوق الكمال يَغرز كل حركة وسكون ، حتى في أداة التعريف وهمزة الوصل ، والألف وما قبلها ، وما يتقدم على تاء التأنيث في الاسم المفرد . . . مما يشتت البصر ويقطع النفَس ويلبد الفكر والحس والخيال ، لتتبع كل ما صُب في الكلمات من رموز وإشارات . لقد كان حسبنا أن تضبط الحروف المُشكِلة والكلمات الغريبة ، بيسر ووفاء ، ليبقى للنص صفاؤه كما وضعه صانعوه في مصنفاتهم منذ عرفها التاريخ ، ولتخفَّف على القارئ سبيل المطالعة بلا هيبة أو رهبة أو إجهاد .

وعلامات الترقيم ما أتعس حالها ، بين يدي الناشرين وأدعياء التحقيق ! تجد لها في الصفحات المنشورة صورًا من التناقض والتنافي والغيبيات الضاربة في أعماق المجهول والتشتت والضياع ، فلا ترى صفحة واحدة أو أسطرًا متجاورة تماثل أو تقارب صويحباتها في ذلك بما يقتضيه اللزوم والانتظام . فأنّى يكون لها وفاق هي وشقيقاتها من الكتب الأُخرى ، أو فيما يَنشره الغير من أنصاف المحققين؟

وهذا ـ لعمري ـ منتهى الضياع والتضييع للقارئ المسكين . إذ كيف يدرك المفاهيم المتناقضة لوظائف علامة واحدة بين يدي ناشر واحد ، والمسيَّبة بين أيدي الآخرين ؟ إن لكل علامة وظيفةً محددة مقررة، تعبر عن جملة أو أكثر، ولا بد أن تأخذ مكانها بتخصص وانتظام، لنوجه القارئ في توضيح العلاقات والسياقات بين المفردات والجمل والعبارات .[1]

وتوزيع الفِقرات في النص الواحد أمره أعجب وأدهى . فهذا كتاب محقق ومدقق

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٠ ـ ١٩٠ .

يبدأ بالفقرة من أولـه إلى آخره في ٢٠٠ صفحة ، وذاك يَـفُـكّ فيه ارتباط الفِقر وينثرهـا كـلًّا منها في سطر أم اثنين أو ثلاثة ، وذلك تتوالى فيـه المقطعـات على غـير هـدى ، بـين قصـيرة ومطولة ومديدة ، تزيل معالم الارتباط بين التفكـير والتعبـير ، وتجعـل مرامـي القـراءة رجمًـا بالغيب وضربًا من التكهن والأوهام .[1] كل هذا مع أنه قد تقـرر بـين العـارفين أن الفكـرة تتوضع في فقرة ، وفروعها توزع على فقر فرعية مناسبة لتسلسل المقاصد والنتائج والأحكام .

ثم إن الحروف المستخدمة في الطباعة قل أن يوجههـا الاختيـار الفنـي السـليم ، عـلى الرغم من ذيوع ألوان من النماذج المتكاثرة ، تناسب كل علم وفن وموضوع ومستوى كتابي . فترى الحرف في المنشورات التراثية تارة غليظًا ضخمًا مسـوَّدًا يصـدم الـنفس ويـروع العـين والذوق ويلتهم الصفحات بنهم وطغيان ، وتارة دقيقـًا غائمًا متراكبًـا معمًّـى يثـير أعصـاب القارئ ويجهد بصره وحدسه ويستنفد صبره . وكثيرًا ما ترى الآفتين قـد اجتمعتـا عـلى غـير وفاق ، تـُقحم هذه في تلك كما يتداخل النمل بين أرجل الفيلة ، لقصد تمييز الشعر من النثر ، أو كلام الناس من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في الصفحة الواحدة .

وإذا أضفت إلى ذلك كله ما يتبارى الناشرون فيه من تلوين الكلمات بأصـباغ السـواد والحمرة والزرقـة والسـمرة والخطـوط والأشـكال التزيينـة الصـاخبة والعلامـات الرمزيـة المتكاثرة ، بدت لك صفحات النص كوجوه العجائز الشمط ملطخـةً بالأصـباغ المتنـافرة في حمق وكثافة ، تصد الأبصار والأذواق والنفوس ، وتشعر بتشويه قيم الجمال لـدى القـارئين . ولو أن خبيرًا يقرأ ويفهم حدَّد لكل كتاب ما يتطلبه من الحرف واللون والشكل ، وجرده من تلك الزخـارف الطفوليـة ، لمـا وقعـت مـحـقــقّات الـتراث ومنشـوراته في هـذه المـآزق الطامّات، بطريقها إلى القلوب والعيون والعقول .

أضف إلى هذا أن الكتاب التراثي المنشور قد يكون للصفحة الواحدة منه حقلان أو

(١) النموذجان ٤ و ٥ وما يرد بعد ص ٢٦٠ .

مسلم»، وهي: «إنَّ الملائكة تضع أجنحتَها لطالب العلم رضىً بما يطلب».
و[1] تكلم عليه[2] «السخاويُّ» في «المقاصد الحسنة[3]»، [و[4]]، قال: أخرجه «ابن عدي» و «العُقَيْلِيُّ» من حديث «أنس».

وفيه: «أبو عاتكة، طريف بن سليمان» منكر الحديث[5].

وقال «ابن حبان»: حديثٌ باطل لا أصل له.

وتعقب بأن «أبا عاتكة» من رجال «ابن عدي»، ولم يجرح[6] بكذب ولا بتهمة.

وأخرج «البيهقيُّ» في «الشعب» الحديثَ من طريقه، وقال: متنٌ مشهور، وإسناده ضعيف. انتهى.

قلت: كونه لم يجرح[7] ممنوع [كما يعلم من ترجمته في

---

(١) (قد) بدل (و) في ر.
(٢) أي: على مجموع الحديث.
(٣) انظر (ص: ٦٣).
(٤) لم تذكر في ر.
(٥) انظر «الجرح والتعديل» (٤: ٤٩٤)، و «ميزان الاعتدال» (٢: ٣٣٥).
(٦) (يخرج) في ر.
(٧) (يخرج) في ر.

النموذج ٤ من تخريج أحاديث شرح الكافية: تقطيع وكثرة الأقواس

المقدِّمة[١]] وله متابِعٌ[٢].

وأخرجه «أبو يَعْلَىٰ»، و«ابن عبدالبر» في (العلم) من طريق «كثير ابن شِنْظِير[٣]» عن «ابن سيرين»، عن «أنس».

وأخرجه «ابن عبدالبر» من طريق «يعقوب بن إسحاق العَسْقلاني»، عن «عبيد بن محمد الفريابي»، عن «ابن عيينة»، عن «الزهري»، عن «أنس»، لكن «يعقوب» رُمِيَ بالكذب، وَوَثَّقَهُ «مَسْلَمَة ابن القاسِم[٤]»، وحكىٰ توثيقه عن بعضهم.

ونصفُه الثاني[٥] أخرجه «ابن مَاجَهْ[٦]».

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ر، وأثبته من م.

(٢) «المتابِع» هو الذي يروي حديثاً قد تابع فيه غيرَه في الرواية عن شيخه، أو شيخ شيخه فمَنْ فوقه، إلى منتهى السند، سواء شاركه في اللفظ أو المعنى. فإن كانت المتابعةُ عَن شيخ الراوي فهي تامة، وإن كانت عمن فوقه فهي ناقصة أو قاصرة. ويسمى ذلك «متابَعا عليه» ويسمى روايه «متابِعاً» وتسمى هذه المشاركة «متابَعة». انظر «شرح المنظومة البيقونية» (ص: ١٢٨) و«تدريب الراوي» (١: ٢٤٣) و«قواعد التحديث» (ص: ١٢٨).

(٣) قال عنه «أحمد»: صالح الحديث. و«يحيى»: ثقة، و«النسائي»: ليس بالقوي، و«ابن عديّ»: أحاديثُه أرجو أنْ تكونَ مستقيمة. «ميزان الاعتدال» (٣: ٤٠٦).

(٤) مؤرخ أندلسيٌّ، من المحدثين: توفي سنة ٣٥٣هـ. «الأعلام» (٧: ٢٢٤).

(٥) وهو «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

(٦) في «سننه» في (المقدمة ـ باب الانتفاع بالعلم والعمل به) (١: ٤٨).

ثلاثة أو أربعة للتعليقات : أحدها لخلافات النسخ ، والثاني لروايات المصادر ، والثالث للتفسير والتوجيه والنقد ، والرابع للتراجم والتعريفات مع الإحالات على المصادر والمراجع. ولكل من هذه الأربعة أرقامه الخاصة ، مع الفواصل والنجوم المتناثرة والأقواس المتكاثرة تقحمًا واعتسافًا . ثم قد تتكدس هذه وتيك وتلك وتالك أحيانًا في موقع واحد من النص ، فتتداخل لدى القارئ مرامي مفردات الجزئيات ، أو يوزع بعضها في آخر الكتاب سردًا مكثفًا، فلا يبقى لقيمتها أثر في رتبتها ومدلولها ، ويضيع على الباحث معالم التعبير ومناحي الفكرة ،[(١)] وإذا هو يرجع من دُواره بلا خـُفـَّي حُنين، على الحفى والوجى والضرام.

فإذا جمعت ما ذكرناه كله في الفقر المتقدمة من سلبيات تعرقل وتثبط ـ وفرعياتـُه كثيرة جدًّا لاتحصر ـ وأضفت بعضًا إلى بعض في حيز واحد ، تبدَّى لك الركام الهائل من المشكلات التي يعانيها أبناؤنا وإخواننا الكرام إزاء التراث في ثوبه الجديد . إنه غالبًا ما يتمثل لهم في زيٍّ عجوز هرم وقور مَهيب زِمّيت ، يشبه قاضي البصرة في هزليات الجاحظ ، ويتطلب الحنكة والتؤدة والتوجس والتهيب ، أو إلحاح الذباب العنيد ، لتناوله وخوض مجاهله ، ومعاناة صعوباته المفتعلة المتكاثفة .

ولذلك ترى خصوم المصادر التراثية ينفذون إلى غاياتهم ، بحجة العسر والصعوبات والعـُقـَد المتراكبة ، ويتجاهلون أنها كلها من صنع أيدي أنصاف المحققين وأرباعهم وأخماسهم والأسداس ، الغيورين المغيرين بالطيش والسذاجة على ذاكرتنا الغالية ، والنصَّ منهم بَراء . وبذلك نكون قد أفسدنا على التراث وظيفته في خدمة الثقافة والحضارة والأمة المتفتحة للصحوة المباركة ، وفرضنا عليه أثقالاً ، تحجزه دون مواكبة تشعبات الفكر ومعاركه الحضارية والفكرية ، فخسرنا موردًا غنيًّا من موارد العطاء الأبدي .

وهذا يعني أن تراثنا الكريم يوضع في الميدان ، بين أيدي أناس أكثرهم جهلة بعلم

---

(١) النموذج ٦ .

١٦ قال بعض الفتية لبعض ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا ﴾ بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس، ما ترتفقون[1] به من غداء وعشاء.

١٧ ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور ﴾ بالتشديد والتخفيف[2]، تميل ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ ناحيته ﴿ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم، فلا تصيبهم ألبتة ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ متسع من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ من آيات الله ﴾ دلائل قدرته ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً ﴾[3].

١٨ ﴿ وتحسبهم ﴾ لو رأيتهم ﴿ أيقاظاً ﴾ أي منتبهين، لأن أعينهم منفتحة، جمع يقظ، بكسر القاف ﴿ وهم رقود ﴾ نيام، جمع راقد ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه ﴾ يديه ﴿ بالوصيد ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت ﴾ بالتشديد والتخفيف[4] ﴿ منهم رعباً ﴾ بسكون العين وضمها، منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

١٩ ﴿ وكذلك ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿ بعثناهم ﴾ أيقظناهم ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس، وبعثوا عند غروبها، فظنوا أنه غروب يوم الدخول. ثم ﴿ قالوا ﴾ متوقفين في ذلك ﴿ ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم ﴾ بسكون الراء وكسرها[5]، بفضتكم ﴿ هذه إلى المدينة ﴾ يقال: انها المسماة الآن طرسوس، بفتح الراء[6]

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

(١) تنتفعون.

(٢) للزاي، أي ﴿تَزَاوَرُ﴾ و ﴿تَزَّاوَرُ﴾ قراءتان.

(٣) من وفقه الله تعالى للهداية لما علمه فيه من الميل للحق، فهو المهتدي الذي لا يقدر احد أن يضله. ومن كتب عليه الضلالة، لعلمه بعناده وميله للشر، فلن يوجد من يعينه على الهداية والرشاد.

(٤) للام، أي ﴿لَمُلِئْتَ﴾ و ﴿لَمُلِّئْتَ﴾ قراءتان متواترتان.

(٥) أي ﴿بِوَرْقِكُمْ﴾ و ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ قراءتان متواترتان.

(٦) أي: طرَسُوس، وهي مدينة كانت بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، قال صاحب معجم البلدان: وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها، لأنها من ثغور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال، وخرج منها جماعة من أهل الفضل.

= الكرسي، رقم: ٨٠٩] عصم: ومنع وحفظ من فتنته وشره.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين). وفي رواية موقوفة عليه رضي الله عنه: (ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق). [البيهقي: الجمعة، باب: ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها. . : ٣/٢٤٩. الدارمي: فضائل القرآن، باب: في فضل سورة الكهف].

= الحجر، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية.. فهي صريحة ـ أو كالصريحة ـ في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ، فنمسك عنها. ومنها: أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود، فذكرت ذلك في سورة البقرة، وزدت: أو النصارى، بياناً لقول ثانٍ، فانه المعروف، خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي المنهاج(*): وان خالفت السامرة اليهود، والصابئة النصارى، في أصل دينهم حَرُمْنَ. وفي شروحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى. ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب.

(*) كتاب في الفقه الشافعي للنووي رحمه الله تعالى. وقوله: حَرُمْنَ، أي حرم على المسلم نكاحهن.

النموذج ٦ من تفسير الجلالين ((المنحة)) : حقول كثيرة مع التقطع والتداخل

التحقيق وبعيدون عن أصوله وأساليب إجراءاته ، فيتحكمـون في نشره عـلى غـير هـدى أو خبرة أو عرفان ، ويكونون قضاة بغير الحق ، أي بالباطل والبهتان .

وإذا كان مصير القضاة عامة :[1] ((واحِـدٌ في الجَنّـةِ ، واثنـانِ في النّـارِ)) فـإن مصـير أولئك عشرةٌ في النار وواحد قد يكون في الجنة . ومعنى هذا أن نسمّي مـا صـدر منشـورًا لا محقَّقًا ومصدريه ناشرين لا محقِّقين ، وأن يتقي الله من يُقبل على تحقيق التراث ، بإتقان أصوله وأساليب تنفيذها على علماء محققين ، قبل التعرض لما هو ليس من أهله.

فإذا أردنا أن يقوم التراث العربي الإسلامي بوظيفته، في تنمية الفكر والثقافة المعاصرة، وتزويد القارئ بالمعرفة الفعالة والعلم المفتح للنمو والانطلاق ، كان علينا أن نعمم التمرس بعلم التحقيق وإجراءاته في جميع الكليات والمعاهد ، لنهيئ لماضينا الحضاري خـبراء مهـرة ، ونُعدّ له قضاة خبراء منصفين ، ونعيد إخراجه محقـّقـًا مدقـّـقـًا بأسـلوب علمـي قشـيب ، خالص من الشوائب المفتعلة ، طليق من القيود المصطنعة باسم المناهج الزائفـة ، لنزيـل عـن وجهه تلك الرهبة ، ونحرر يديه من تلك القيود ، فإذا هو يستعيد طبيعتـه الأولى ، ويجتـذب الأفئـدة والأبصار والأذواق ، ويـسهـم في تطـويـر العلوم والـمعارف والـثقافـات للحاضر والمستقبل البعيد ، لجميع الميادين والمستويات .

(١) سنن أبي داود ٢: ٣٢٢ وسنن أبي ماجه ص ٧٧٦ .

البَابُ الأَوَّلُ

علم التحقيق وأصوله



الفصل الأول

أصول التحقيق وتاريخه العربي

عرفنا مما مضى أن التحقيق هو ((عِلم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي وضعها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى)) . وهذه العملية يتصل بها ، في عُرف العلماء ، ما يسمى بالتحرير ، وهو عنصر أصيل في موضوعنا الأساسي ، ولكنه ليس هو نفسه ، خلافًا لما يراه بعض المعاصرين . إذ المراد بتحرير النص هو : خلوصه ، أي : أن يَخلص من النسخ التي حُرِّر عليها ويصفو من كدرها .[1] وهذا قد يقوم به المؤلف نفسه ، أو من يعلق عليه من العلماء ، أو يمارس علم التحقيق بعد .

وفي ذلك العمل التراثي الكريم ، كما سترى ، إنجاز علمي منهجي له إجراءاته العملية وأصول مقررة ، توصل إلى النتائج المطلوبة من المحقِّق ، وتقدم للإنسانية تجارب الماضين في العلوم والآداب والفنون ، والمناهج والأساليب المتبعة في ذلك ، والشخصيات التاريخية التي صنعت مسيرة الحضارة . فلا بد لنا ، ونحن نبحث تلك العمليات الإجرائية المتعددة لميادين هذا العلم العربي الإسلامي ، من تعرف الأصول التي بني عليها وكانت سبيل تنفيذ مقتضياته .

أصول التحقيق :

الأصول : جمع أصل . وهو القاعدة التي يسير عليها الخبير ليصل إلى حقيقة أو حل مشكلة في موضوع معين . ومجموع الأصول هو تلك القواعد مجتمعة متوالية متعاونة ،

(١) انظر أدب الكاتب للصولي ص ١٥٦ .

يعتمدها ذلك الخبير لإنجاز الموضوع كاملاً ، ومتصفًا بالمنهجية العلمية المقررة في نوعه بين أنواع الأبحاث والتجارب والإنتاج .

ولأن البحث العلمي يعني طلب الحقيقة الخالصة وتقصيها ، للانتقال من المجهول إلى المعلوم ، ومن المعرفة السطحية إلى الحقيقة العلمية الصالحة للتجربة والاختبار ، فإن عمليات التحقيق للنصوص لا تدخل حيز القبول والرضا إلاّ إذا انتظمتها الأصول المقررة ، لتنفيذ خطواتها من جميع أطرافها ، بدقة وتسلسل وتعاون ومهارة وسداد وإتقان .

ولقد حاول الدارسون المعاصرون أن يتتبعوا أحداث هذه الإجراءات ، فيما عُرف من تاريخها الواقعي ، ليكتشفوا مبادئها وقواعدها العملية ، فكان لديهم نظرات متفاوتة واقتراحات متفرعة متباينة ، يمكننا أن نحررها من الاضطراب والتفريعات ،[1] ونوجزها الآن مما ذكرناه قبل في ((التمهيد)) . فإذا هي تتوضع كما يلي :

١ ـ اختيار الموضوعِ ونصِّه .

٢ ـ جمع النسخ .

٣ ـ ترتيب النسخ وترميزها .

٤ ـ توثيق النص .

٥ ـ قراءة التحقيق .

٦ ـ نقل النص .

٧ ـ مقابلة النص .

٨ ـ تثبيت النص وترميمه .

٩ ـ توثيق المعلومات .

١٠ ـ تخريج الاقتباسات .

١١ ـ تفسير الغريب والمشكل .

---

(١) انظر شوامخ المحققين ص ٥٩ و١٨٩-١٩١ .

١٢ ـ تعريف الأعلام والأحداث .

١٣ ـ الفهرسة الفنية .

١٤ ـ كتابة المقدمة .

ولكل من هذه الأصول تفصيلات ذهنية وعملية ، تحدث عنها المسلمون العرب المنظّرون لعلم التحقيق ، وأوردوا أمثلة لها ونماذج تبين حدود إجرائها في ميدان العمل ، مع الشروط اللازمة والتفرعات التي تتصل بها وتتمم التنفيذ الناجح للإنتاج القويم . وهي بشكل عام يمكنها أن تنقسم ثلاثة أقسام : التحقيق النظري البدائي ويضم الأصول الخمسة الأوائل ، والعملي النهائي ويشمل الأصول الأربعة التالية ، ومتممات التحقيق وفيها الخمسة الباقية . ولسوف نرى ذلك كله ـ إن شاء الله ـ في فصول قادمة بالتفصيل المناسب .

تاريخ التحقيق :

لقد تجاهل المستشرقون وأنصارهم من العرب أحداث التاريخ ، كما ذكرنا قبل ، وأغلقوا عيونهم وقلوبهم عما كان فيه من حضارة الإسلام والعروبة ، فزعموا أن نشوء هذا العلم كان عند بعض الدول الأوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي ، وأن أول محقق عربي هو أحمد زكي باشا ، وأول كتاب عربي في هذا الفن كان ((تحقيق النصوص ونشرها)) للأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٩٥٤ .[١] وأنت لو تصفحت ما كان في التاريخ العربي رأيت عِيانًا ما يردّ عليهم هذا الزعم ، ويرجع بتحديد الزمن لتلك العمليات التحقيقية إلى السنوات الأولى من البعثة النبوية ، حيث كانت إجراءات أساسية واعية لتحقيق النص الرباني المجيد .

١ ـ في القرآن الكريم :

فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم ، واللفظ للأول[٢] في رواية مسندة موثقة ، عن

---

(١) أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١ ـ ١٣ وشوامخ المحققين ص ٥٨-٥٩ وغلاف تحقيق النصوص ونشرها .

(٢) صحيح البخاري ص ١٣٢٦ ـ ١٣٢٧ في الحديث ذي الرقم ٣٤٢٦ وصحيح مسلم ص ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ في =

أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي دعا السيدة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ في مرضه الأخير ((ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيها حَدِيثاً فبَكَتْ ، فقالَ لَها : لِمَ تَبكِينَ ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيها حَدِيثاً فضَحِكَتْ . . . حَتَّى إذا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فسألتُها فقالت : أَسَرَّ إِلَيَّ : (إنَّ جِبرِيلَ كانَ يُعارِضُنِي القرآنَ كُلَّ سَنةٍ مَرّةً ، وإِنَّهُ عارَضَنِي العامَ مَرّتَينِ . ولا أُراهُ إلاّ حَضَرَ أَجَلِي . وإِنَّكِ أَوَّلُ أهلِ بَيتِي لَحاقاً بِي) . فبَكَيتُ ، فقالَ: (أما تَرضَينَ أن تَكُونِي سَيِّدةَ نِساءِ أهلِ الجَنّةِ ،أو نِساءِ المُؤمِنِينَ) ؟ فضَحِكتُ لِذلِكَ)) .

وفي هذا الحديث الشريف أحداث واقعية لأول تحقيق نادر المثال في التاريخ الإنساني ، إذ يَعرِض النبي الأمين على جبريل المَلَكِ الأمين نصوصَ القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة ، في مدة الوحي الرباني ، لا ليتحقّق صحةَ لفظ آياته الكريمة ، إذ هي صحيحة محفوظة بدقة وإتقان وكفالة من الرحمن : ﴿ إنَّ علَينا جِفظَهُ و قُرآنَهُ ﴾ ، [1] بل ليتبيّن للناس أسلوبُ التوثيق والتحقيق المثالي عمليًّا بالمقابلة والعِراض مرارًا ، وليتحقق لديهم كمال نقله وتبليغه ، فلا يعرِض لأحد منهم شك في أنه قد بولغ في تلقي القرآن الكريم وتقبله وحفظه مبالغات فائقة ، ونُقل إلى البشرية بأعلى وسائل الرواية والتوثيق ، ثم تمّ ترتيب سوره وآياته في العرضة الأخيرة ، بمراعاة ما كان قد نُسخ أو بقي فيما مضى .

وليس قبل هذا الحدث العظيم ولا بعده نص ، عرَضَه فرد واحد على ناقله الأمين بضع مرات ، بله أن يكون عرَضه بضعاً وعشرين مرة . ولذا جعلنا وقوع هذه العروض نموذجاً رائدًا ، وشكلاً فريداً في التاريخ الإنساني ، يُطمئن البشر إلى صحته ، ثم هو يعلّمهم أساليب التحقيق الموثق المتقن بالغ الإتقان .

= الحديث ذي الرقم ٢٤٥٠ . وانظر البحث الأدبي ص ١٥٠ . والمعارضة هنا تعني المقابلة في القراءة عن ظهر قلب .

(١) الآية ١٧ من سورة القيامة .

لقد كان في تلك المعارضات ما لايعلمه إلاّ الله ـ تعالى ـ من أحداث وأقوال ، توجّه إلى صور من الضبط لقراءات مختلفة ، عرفها تاريخ القرآن الكريم . قال رسول الله ﷺ[1] : ((أقرأني جبريلُ على حرفٍ واحدٍ ، فلم أزلْ أستزيدُهُ حتَّى انتهى إلى سبعةِ أحرُفٍ)) . والمراد بالأحرف هنا ما ورد من قراءات صحيحة مختلفة ، في اللفظ أو الصيغة أو التصويت ، ولفظُ السبعة يعني التكثير للقراءات ، لا تعيين العدد . وهي توقيف أي : تعليم من جبريل للنبي ـ عليهما السلام ـ في العرَضات المتعددة ، وتوقيف من النبي للصحابة الكرام ، [2] رويت بالتلقي والضبط والعدالة والثقة التوامّ الكوامل .

وكانت هذه القراءات الكثيرة المذكورة كالنُّسخ المختلفة روايات متعددة موثقة ، يمكنها أن تشكل إحداها متناً والباقي ملحقٌ له ، بحيث تستوفَى بمجموعها الصورة التامة للأشكال القرائية التي ورد بها الكتاب الكريم ، ويكون بذلك تحقيق واف بالصورة التي وُضع عليها ، في جميع الأحوال . وهو تحقيق شفهي ، كما ترى ، متميز بإجراء الأصول الأساسية التي ذكرناها قبل .

ثم إن هذا الحدث العظيم غرس في نفوس الصحابة الكرام السعي في متابعة الحقيقة من الأقوال ، فصاروا إذا اختلفوا في قراءة رجعوا إلى النبي يعرضون عليه ذلك ، فيقر ما هو صواب بأنه كذلك أوحي من عند الله ، ويدفع ما كان من أوهام . وهذا أمر مشهور جدًّا ، متداول في كتب تاريخ القرآن وعلومه ، وهو تحقيق شفهي خالص أيضًا ، وقد يكون فيه ما سجل بين أيدي الرسول والصحابة ، فيتحصل مع الشفهية تحقيق كتابي أيضًا .

---

(١) صحيح البخاري في الحديث ذي الرقم ٣٠٤٧ . وانظر جمال القراء وكمال الإقراء ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) تفسير القرطبي ١ : ٤٢ ـ ٤٨ وتفسير الآلوسي ١ : ٣٨ ـ ٤٠ ومقالات في تاريخ القرآن ص ٥٠ و ٥٧ وجمال القراء ص ١٥٩ والمصاحف ص ٣١ ـ ٣٢ والحديث ٣٠٨٦ في الترمذي و ٧٨٦ في أبي داود وفضائل القرآن ص ٣٣ ـ ٣٤ . وللعلماء ٣٥ قولاً في تفسير الأحرف السبعة ، أصحها وأيسرها ما ذكرنا .

وإذا تابعنا ذلك التاريخ الكريم رأينا أحداثًا أُخرى متوالية ، للتحقيق العملي الموثـق .
فقد كان في عهد رسول الله ـ عليه السلام ـ ثلاثة وأربعون كاتباً للوحي يسجلون ما يـوحى فوراً مع حفظهم ذلك في الصدور . وأشهرهم الخلفاء الأربعة وسعيد بن العاص والزبير بـن العوّام وسعد بن أبي وقّاص وزيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وأبيٌّ بـن كعـب وحُذيفـة بـن اليمان .[1] وكان أكثرَهم لزوماً للنبي وكتابة لـلوحي زيد بن ثابت والإمام علي . وقد صـار عند الأول منهما ـ وهو أحفظ الصحابة للقرآن ـ مصحف تام كتبه عن النبـي في العـام الـذي قـُبض فيه ، أي : بعد العرضتين الأخيرتين اللتين بـُيـّن فيها ما نسخ وما بقي ، ثم قرأه عليـه وكان يقرؤه حتى مات .[2]

والمعروف في تاريخ القرآن الكريم أن كُتّاب الوحي كان كل منهم يسجل القراءة التي تلقاها ، ويخطها بالرسم الإملائي الذي يتقنه وفيه شيء نادر من علامات الإعراب والترقيم على غرار ما في كتابات قومه ، مع ما يمثل بعض اللهجات العربية الخاصة . وبهذا تحصل فيما سجلوا تمثيل للقراءات وتقاليد الكتابة واللهجات والدلالات المختلفة ، مع حفظهم ذلك في الصدور . وفي هذا نسخ متعددة تحيط بالنظم العظيم .

ثم إن هؤلاء الكتبة وآخرين كانوا ، إذا أخذوا آية أو أكثر عن النبـي ، يـترددون عليـه غير مرة ويتلون ما أخذوا أمامه ، ليقابلوا ما عندهم من المحفوظات في الصـدور أو السـطور بما كان لديه من الوحي الكريم ، حتى يزداد تثبتهم من تلقيه وحفظه ، ثم يسألونه : هل حُفظ كما أُنزل ؟ ليقرهم عليه . وكل منهم ينشر ما حفظ ، يعلـّمه الأولاد وغيرهم ممن لم يشـهدوا النزول ساعة الـوحي ، فـلا يـمضي يـوم أو يومـان إلاّ ومـا نـزل مـحفـوظ في صـدور وصحف الكثيرين .

---

(١) مقالات في تاريخ القرآن ص ٥٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥١ وتفسير القرطبي ١ : ٥٣ .

وكذلك كان يتوافد غيرهم إلى النبي الكريم ، يعرضون عليه ما حفظوا ، أو يقرؤون القرآن بأمره ،[١] وإذا اختلفوا في نص آية رجعوا إليه كما ذكرنا ، يحتكمون ليتحقق لديهم الصواب .[٢] وفي هذا صور متعددة قاطعة بالتحقيق الدقيق المتقن شفهيًّا وكتابيًّا ، لم نجد له نظيراً في التاريخ أيضاً . وقد استمرت هذه الإجراءات التطبيقية العملية خلال البعثة النبوية المشرَّفة ، أي : عشرين سنة ونيّفًا .

وفي هذا المضمار ، كان ممن جمع القرآن مع حفظِهِ وعرضِهِ على النبي أيضاً :[٣] معاذ بن جبل وأبو الدرداء وأبو زيد عمُّ أنس بن مالك وسعيد بن عُبيد ومجمّع بن جارية وأبو موسى الأشعري وقيس بن أبي صعصعة وسعيد بن المنذر وقيس بن السكن وسالم مولى أبي حذيفة وعثمان بن عفان وعبيد بن معاوية بن زيد وعقبة بن عامر وتميم الداري وعبد الله بن عمرو .

وقد تثبّتَ واستقرّ في هذه العمليات وما ذكرناه فيما مضى أصل من أصول التحقيق ، ولّدته الحضارة الإسلامية ونمّته حتى صار يعرف بـ ((المقابلة)) التي نفصّل أمرها بعد في أماكن متفرقة ، إن شاء الله . وهو هنا أرفع مراتب المقابلات مما لا نظير له قبل في التاريخ ، لأنه يُرجع فيه إلى الأصل الإنساني الأول ، النبي الأمين الذي يحفظه عن جبريل الأمين أيضًا.

وقد حفظ القرآنَ أيضاً النبيُّ ـ عليه السلام ـ وأبو بكر وأُمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، وكان رسول الله يزورها ويسميها الشهيدة . أما القُرّاء وجامعو المصاحف فكثيرون جدًّا يتعذر إحصاؤهم ، وإنما يعرف التاريخ من كان مشهوراً منهم . فقد قُتل يوم اليمامة سبعون من القُرّاء ، وكان قُتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد .

---

(١) مقالات في تاريخ القرآن ص ٥٠ .

(٢) صحيح مسلم ٦ : ١٠٢ وتفسير القرطبي ١ : ٤٧ ـ ٤٩ .

(٣) البرهان ١ : ٢٤١ ـ ٢٤٣ والإتقان في علوم القرآن ١ : ١٥٤ ـ ١٦٠ والفهرست ص ٣٠ ومقالات في تاريخ القرآن ص ٥٣ .

وعندما استحر القتل في القُرّاء والحُفّاظ يوم اليمامة ، خشي الصحابة أن يذهب أشياخ القراءة ، فجمع أمير المؤمنين أبو بكر الحَفَظَة في دار عمر ، برئاسة زيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ يتشاورون في طريقة جمعه ، ثم قال لزيد : ((إنك رجل شاب عاقل ، ولا نتهمك . كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ . فتتبّعِ القرآن فاجمعْه)) .

وكان زيد قد عرض القرآن على النبي مراراً ثم عرضه عليه ، بعد المقابلتين الأخيرتين مع جبريل ، ليأخذ الشكل النهائي للوحي ، كما ذكرنا فيما مضى . ومن أجل هذا اختاره الخليفة الأول لجمع القرآن إذ ذاك ، وقال له ولعمر بن الخطاب : اقعدا على باب المسجد . فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه .[١]

ومن ثَمّ قام زيد مع عمر يتتبع الآيات ، يجمعها مما سُجّل في الصحف والجريد واللِّخاف والرِّقاع والأكتاف والأضلاع والعُسُب والظُّرَر والخَزف ، وما حفظ في صدور الرجال ، بالشهادات اللازمة ، يملي أبيٌّ بن كعب مما يُلقى عليه محقَّقًا مشهودًا له ومزكًّى ، ويكتب زيد الآيات الكريمة بالقراءات والرسوم واللهجات والدلالات التي يتلقاها ، مع ما فيها من نادر علامات الإعراب والإعجام ، حتى صار لديه القرآن الكريم مصحفاً منسقاً في صحف بين لوحين.[٢] وقد بقيت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم عند عمر حتى وفاته أيضاً ، ثم صارت عند حفصة ابنته أُمّ المؤمنين .

أما منهج زيد في هذا التحقيق فهو أن الخليفة أمره بكتابته على الترتيب الذي تلقاه هو

---

(١) الأحاديث ٤٤٠٢ و ٤٧٠٣ و٦٧٦٨ في البخاري و٣١٠٢ في الترمذي وتفسير القرطبي ١ : ٥٠ وتفسير الآلوسي ١ : ٤٠ ـ ٤١ وإكمال القراء ص ١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) المقنع في معرفة مرسوم المصاحف ص ٢ ـ ٥ وتفسير القرطبي١ : ٥٠ والبرهان في علوم القرآن ١ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤ . واللخاف : جمع لَخْفة ، حجارة بيض رقاق . والرقاع : جمع رُقعة . والأكتاف : جمع كتف . وهو عظم عريض . والعسب : جمع عَسيب . وهو جريد النخل نزع عنه خوصه . والظرر : حجر له حد كحد السكين ، جمعه ظِرار .

ومن معه من الحفظة عن الرسول ، بنفس الألفاظ ونفس الصورة للآيات والسور في العرضة الأخيرة على جبريل . ثم قام بلال ـ رضي الله عنه ـ ينادي في المدينة بجمع الحافظين والقِطَع التي فيها آيات كتبت بمحضر رسول الله وإملائه .

فصار زيد ومن معه من الصحابة يتلقون من الحافظ أو الكاتب أو كليهما ما عنده ، مع شاهدين عدلين يشهدان بصحته وأنه كُتب أو أُخذ عن رسول الله ، ثم يشهد هو أنه أخذه عن رسول الله ، بالإضافة إلى شهادة زيد ومن معه وهم حَفَظة أيضاً . وفي هذا نهاية في الضبط والتوثيق، مع التحقيق في صورتيه الشفهية والكتابية : مصحف زيد وشهادته ، وما جاء به الصحابي ،بالإضافة إلى الشهادات منه ومن الآخرِينَ كذلك .(١)

وبهذا جمعت ، في تاريخ القرآن العظيم ، أول نسخة تامة كاملة ، تضم بين دفتيها النص الرباني مع أشكال متعددة من القراءات وأنماط الإملاء واللهجات العربية . فهي نسخة كتابية محققة موثقة ، تتخللها تلك الأشكال والأنماط ضمن متنها ، لا في الحواشي أو الهوامش كما اعتدنا في المخطوطات والمطبوعات ، وبقيت بعض القراءات محفوظة في الصدور بين القُرّاء .

وفي عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كثر الشهداء من القُرّاء والحُفّاظ أيضاً ، والمصحف وحيد في دار حفصة ، وظهر خلاف بين الناس في التلاوة ، فجَمع الخليفة في المسجد اثني عشر صحابيًّا فيهم زيدُ بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ثم وضع بين أيديهم المصحف الذي كان في حوزة حفصة ـ رضي الله عنها ـ وأمرهم أن ينسخوا منه بشهادة الحُفّاظ والكَتَبة من الصحابة مصاحفَ تجمع القراءات الصحيحة ، كما جاءت بتوقيف من رسول الله في نسق السور والآيات أيضًا .

(١) العصر الإسلامي ص ٢٦ وكتاب السبعة في القراءات ص ٦ والبرهان ١ : ٢٣٧ وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص ٦٩ ـ ٧٣ . وقد نشر هذا الكتاب الأخير باسم : أسرار ترتيب القرآن .

وهكذا توافد الحُفّاظ والقُرّاء وكثروا ، يملي الآياتِ أفصحُ العرب سعيد بن العاص، ويكتبها أجودهم خطًّا زيد بن ثابت ، والبقية شهود ضابطون ، والخليفة مشرف على ذلك بنفسه يوجه ويسدد بإلهام الرحمن. وكانوا إذا اختلفوا في آية ، وعلموا أن أحدًا قرأها أيضًا على رسول الله ، أرسلوا إليه فيجاء به ولو كان على بعد ثلاث ليال ، ويقال له : كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا ؟ فتكون شاهدة موثّقة ومحقّقة ، ويكتبون كما قال .

والقضية الجديدة ، بين أيدي القوم، هي تعدد القراءات والرسوم واللهجات والدلالات. فكيف يكون استيفاء ذلك ؟ لقد رأوا أن التحقيق الموثق يقتضي توزيع ذلك التعدد على أكثر من نسخة ، وتجريد حروفه عما كان في بعضه من النقط والشكل ،[1] للحفاظ على جميع الصور والأنماط والقراءات .[2] فكان لهم جهد عظيم نقل إلينا الصور الخطية المختلفة بين قبائل العربية حينذاك ، فإذا هو وثيقة تاريخية لكتاب الله ، ولخلاف اللهجات والإملاء .

وبذلك سجلوا أربع نسخ بإجماع الأمة ، هي على غرار ما كان في عهد أبي بكر ، مع خلافات مخصوصة في الرسم بين النسخ تستوفي القراءات الصحيحة بلهجاتها وصورها الإملائية ودلالاتها المعنوية ، في اسلوب من التحقيق الكتابي الجماعي . فأُرسلت إحداهن إلى الكوفة ، والثانية إلى البصرة ، والثالثة إلى الشام ، والرابعة بقيت عند عثمان في المدينة المنورة . ثم أُتلف ما بقي من متفرقات بين أيدي الناس مع مصاحف للصحابة .[3]

أما النسخ المرسلة هذه فكان مع كل منها قارئ متقن ، يعلّم الناس صحة القراءة ،

(١) النشر في القراءات العشر ١ : ٧ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ : ٣١-٣٣ . ولهذا كان من شروط القراءة الصحيحة موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية .

(٣) الأحاديث ٣٣١٥ و ٣٦٥٢ و ٤٧٠٢ في البخاري والمقنع ص ٧ ـ ٩ والمصاحف ص ١٨ ـ ٢٣ وفضائل القرآن ص ٢٢ والبرهان ١ : ٢٤٠ والإتقان ١ : ٢٣٥ ـ ٢٣٥ وجمال القراء ص ١٦٤ ـ ١٦٥ وتفسير القرطبي ١ : ٥١ ـ ٥٤ وتفسير الآلوسي ١ : ٤١ والفهرست ص ٢٧ ـ ٢٨ ومقالات في تاريخ القرآن ص ٧٧ ـ ٨٥ وكتاب السبعة ص ٧ والعصر الإسلامي ص ٢٧ . وقيل : إن المصاحف كانت خمسة ، أو سبعة .

مبالغةً في تحقيق القراءات وضبط الألفاظ والصيغ والتراكيب ، واستيضاح المعاني والمقاصد ، إذ كانت المصاحف قد جرّدت حروفها كما قلنا ، فلم يبق فيها شيء من علامات الإعراب والإعجام ، أي : نقط الإعراب الذي عمَّمه بعدُ أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩) ، ونقط الإعجام الذي عمَّمه نصر بن عاصم (ت٩٠) . وكان مصحف عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بنسخه الأربع في صورة آخِرِ ما عُرض على النبي عام وفاته، وكان يصلي بنسخته حتى قُبض، وفيها وفي النسخ الثلاث[1] الباقية ما يقرؤه الناس اليوم في المصاحف .[2]

وقد روي عن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يخاطب المرجفين الذين يتهمون عثمان فيما صنع ، ويزجرهم بقوله : يا معشر الناس ، اتقوا الله ، وإياكم والغلوَّ في عثمان وقولَكم: ((حرّاق المصاحف)). فوالله ما حرقها إلاّ عن ملأ منّا ، أصحابَ رسول الله ﷺ . لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان .[3]

وهكذا ثَبَتَتِ الصور النهائية للمصحف الشريف ، بعد جهود عظيمة من الرسول الكريم والصحابة الأبرار ، وانتهى ما كان لدى بعضهم ، من مصاحف جُمعت على أنساق تخالف ما أقره النبي ﷺ في عامه الأخير . وقد وصف الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ هذا الإنجاز العظيم بقوله : ((أبى الله أن يصحّ إلاّ كتابُه)) . وإنما كان التحقيق في عهدَي أبي بكر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ يعتمد ذلك الترتيب المقرر لأنه الصورة النهائية للقرآن الكريم، كما جاءت في العرضتين الأخيرتين بين الأمينين : الرسول وجبريل ، عليهما السلام .

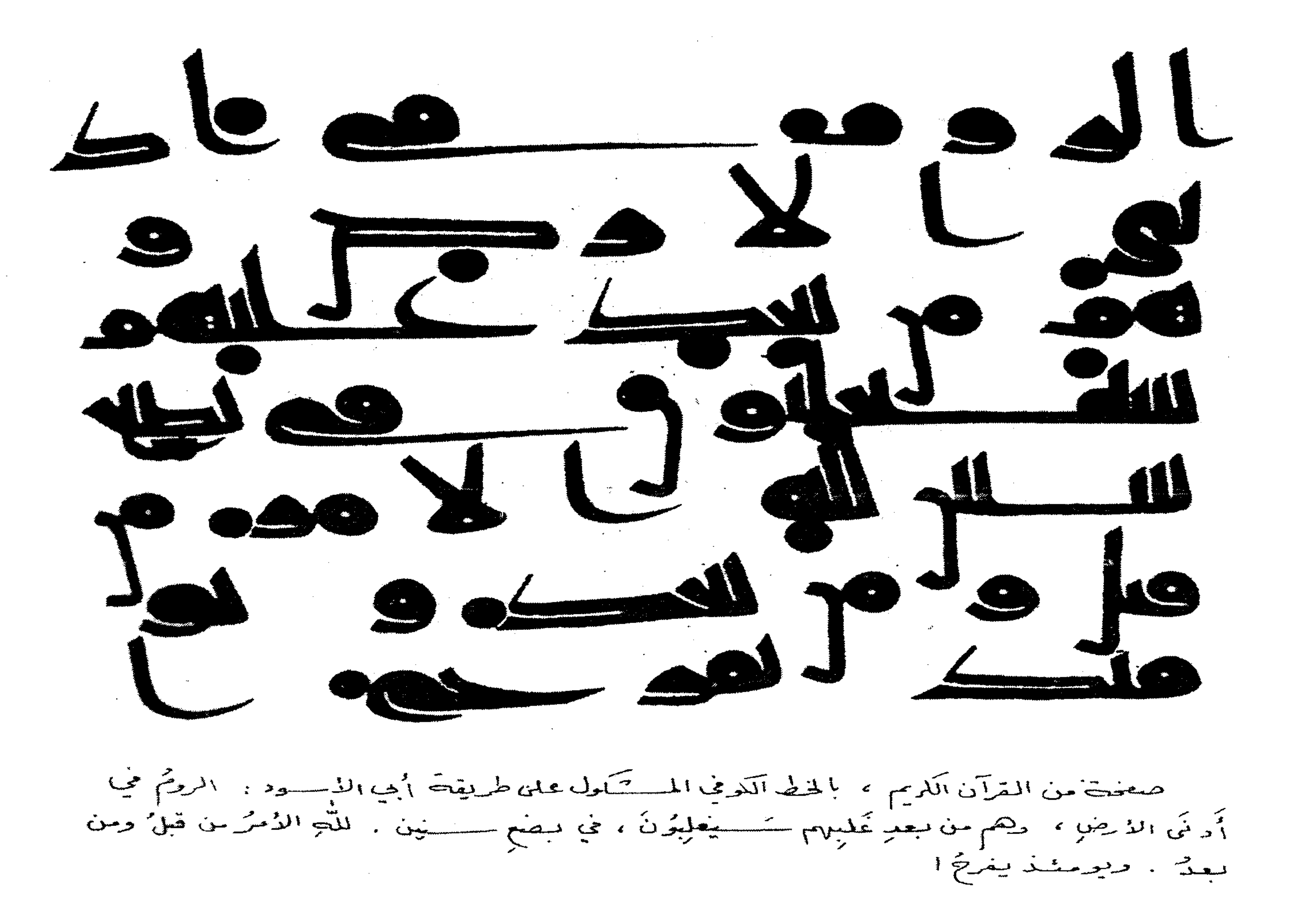
ومع هذا كله ، فقد نقل إلينا التاريخ صور بعض المصاحف المخالفة عند الصحابة الكرام . وهي تقدم نماذج من أحوال الخلافات التي كانت ، بحسب التلقي والكتابة

---

(١) النموذج ٧ .

(٢) مقالات في تاريخ القرآن ص ٥١ .

(٣) تفسير القرطبي ١ : ٥٤ ومقالات في تاريخ القرآن ص ٨٦ .



النموذج ٧ من القرآن الكريم : تنقيط أبي الأسود

والاجتهاد في التنسيق والرسم ، خلال السنوات الثلاث والعشرين من حياة الوحي ، وتَعرض الفرق الكبير بين تلك الجهود الفردية الطيبة [١] وبين الجمع العلمي الجماعي المحقق الموثق ، الذي توجب أصوله الاعتمادَ على الإخراجة الأخيرة من الكتاب المقصود ، والجمعَ في تضاعيفه أيضاً لمختلِف القراءات الصحيحة . وإن صور هذه الجهود الفردية ستبقى ، في نماذجها المتباينة ، أدلة علمية وشواهد مزكِّية لما خلَّده سجل العالَمين ، من توثيق وتحقيق عمليين تاريخيين ، لأعظم كتاب عرفه الوجود الإنساني .

ولمتابعة عمليات التحقيق القرآنية ، بعد تعميم علامات الإعراب والإعجام على يدي أبي الأسود ونصر بن عاصم ، نشط العلماء منذ القرن لأول يرصدون أشكال الروايات المختلفة للَّفظ الواحد أو العبارة ، مما غاب في ذلك التعميم ، فكان أن جمع شيئًا من ذلك يحيى بن يعمر (ت ٨٩) في كتاب تحت عنوان ((القراءة)) ، وسجل فيه الاختلافات المعروفة في المصاحف العثمانية . [٢] ثم تلاه في ذلك عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) ، فصنف ما أسماه : كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق . [٣]

وكانت جهود غفيرة في هذا الميدان تحقق ألفاظ النظم الكريم ، وتعيّن القراءات الصحيحة من ذلك ، لتجرد المتن الشريف من الخلافات المذكورة ، وتكون كحواش متممة. [٤] وقد استمر هذا العمل التحقيقي في سلسلة متوالية من المصنفات، أشهرها : كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ت ٣٢٤) أحمد بن موسى التميمي البغدادي . وهو نموذج فخم لمن تأثره في التوثيق والتحقيق ، نصف عمله هنا بشيء من الإيجاز .

---

(١) انظر الفهرست ص ٢٩ ـ ٣٠ وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٤ـ١٣٦ ومفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ص١٢٨ـ١٤١ وتناسق الدرر في تناسب السور ص ٦٨ ـ ٦٩ ومقالات في تاريخ القرآن ص ٨٧ ـ ١٠٧ .

(٢) طبقات القراء ٢ : ٣٨١ ومقدمة ابن عطية ص ٢٧٦ وتاريخ التراث العربي ١ : ١٤٧ .

(٣) الفهرست ص ٣٩ .

(٤) انظر تاريخ التراث العربي ١ : ١٤٧ ـ ١٧٢ .

فقد تلقى هذا العالم الفاضل جمهورَ القراءات من علماء عصره ، متصلة بأسانيد متواترة إلى رسول الله ﷺ ، واختار منها قراءات سبعًا مشهورة ترد فيما يلي ، من تفصيلنا له : فهو قرأ على عبد الرحمن بن عبدوس عشرين ختَمة ، فيها قراءة عاصم ، وأخذ قراءة ابن كثير عن قُنبُل ، وقراءة نافع عن ابن عبدوس وآخرين كثيرين ، وقراءة أبي عمرو بن العلاء عن ستة عشر سندًا . وقريب من ذلك كان تلقيه قراءة حمزة والكسائي وعبد الله بن عامر .[(١)] ثم عرض كل آيه كان لهؤلاء قراءةٌ متميزة فيها، ونص عليها باللفظ البيّن مع الوصف الكلامي، فكانت كالخلافات المعروفة عند المحققين في نسخ متعددة .

وكذلك فعل من تقدمه أو عاصره أو جاء بعده في مصنفات القراءات والتفسير المطول ـ وهي غفيرة جدًّا ـ استمر تواليها حتى عصرنا هذا . وقد رافق ذلك جهود علماء القرآن ، فنقلوا إلينا بالرسم والوصف ما كان من صور إملائية ولهجية مع وضع القواعد والضوابط الموضحة ذلك ، ليكون عملهم إكمالًا لتجريد المصاحف متونًا وافية .[(٢)]

وكان محصلة تلك الجهود الكريمة أن اصطلح علماء القراءات على لفظ ، يقابل مفهوم التحقيق ، وجعلوه معيارًا للتقويم والتوثيق . ألا وهو القراءة الصحيحة ، متواترة أو أحادية أو مشهورة . وهي التي توافق أحد أحكام اللغة العربية ، ورسم أحد المصاحف العثمانية ، وكان سندها صحيحًا ، أي : بنقل العدل الضابط الثقة المتقن عن مثله في إسناد علمي مقرر ، إلى منتهاه ، من غير شذوذ ولا علة قادحة . وهذا يعني أن القراءة موثقة توثيقًا يقينيًّا ، لا يَرِد فيه شيء من الاحتمال .

٢ ـ في الحديث الشريف :

وقد واكب هذه المسيرة القرآنية في التوثيق والتحقيق نشاط آخر ، يتعلق بالحديث

(١) طبقات القراء ١ : ١٣٩ ـ ١٤٢ وكتاب السبعة ص ١٣ ـ ١٤ و ٨٨ ـ ١٠١ .

(٢) النماذج ٨ و ٩ و ١٠ .

ذكر اختلافهم في سورة الصف

١ ــ قوله : (مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ) [٦] .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم : (مِن بَعْدِيَ) بفتح الياء .

وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائى : (مِن بَعْدِى) ولا يحركون الياء .

٢ ــ قوله : (وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ) [٨] .

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم : (مُتِمُّ نُورِهِۦ) مضافًا .

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم : (مُتِمٌّ نُّورَهُۥ) بالتنوين وفتح الراء .

٣ ــ قوله : (تُنجِيكُم) [١٠] .

قرأ ابن عامر وحده : (تُنَجِّيكُم) مشددة .

وقرأ الباقون : (تُنجِيكُمْ) خفيفة .

٤ ــ قوله : (كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ) [١٤] .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : (كُونُوا أَنصَارًا لِّلَّهِ) منوّنةً .

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى : (أَنصَارَ ٱللَّهِ) مضافًا .

٥ ــ قوله : (مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ) [١٤] .

حرّك نافع : (أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ) . وأسكنها الباقون .

(الثالث عشر) الثاء فى التاء ايضا من (أورثتموها) فى الموضعين من الأعراف والزخرف ؛ فأدغمها أبو عمرو وحمزة والكسائى وهشام ؛ واختلف عن ابن ذكوان فرواها عنه الصورى بالادغام ورواها الأخفش بالاظهار ؛ وبذلك قرأ الباقون وانفرد فى المبهج بالإظهار عن هشام من طريق الداجونى وسائرهم لم يذكر عن هشام فيهما خلافا والله أعلم ؛ وانفرد فى الكامل عن خلف بالادغام ولم يذكره غيره والله أعلم

(الرابع عشر) الدال فى الذال من (ص ذكر) فى أول سورة مريم فأدغمها أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وخلف . وقرأ الباقون بالإظهار

(الخامس عشر) النون فى الواو من (يس والقرآن) فأدغمها الكسائى ويعقوب وخلف وهشام واختلف عن نافع وعاصم والبزى وابن ذكوان . فأما نافع فقطع له بالإدغام من رواية قالون أبو بكر بن مهران وابن سوار فى المستنير وكذلك سبط الخياط فى كفايته ومبهجه وكذلك الحافظ أبو العلاء فى غايته وكذلك جمهور العراقيين من جميع طرقهم الا أن أبا العز استثنى عن هبة الله يعنى من طريق الحلوانى . وبه قرأ صاحب التجريد على الفارسى من طريق أبى نشيط والحلوانى جميعا وعلى ابن نفيس من طريق أبى نشيط وقطع له بالإظهار صاحب التيسير والكافى والهادى والتبصرة والهداية والتلخيص والتذكرة والشاطبية وجمهور المغاربة ، وقطع الدانى فى جامعه بالإدغام من طريق الحلوانى . وبالاظهار من طريق أبى نشيط . وكلاهما صحيح عن قالون من الطريقين . وقطع له بالإدغام من رواية ورش من طريق الأزرق صاحب التيسير والكافى والتبصرة والتلخيص والشاطبية والجمهور وقال فى الهداية إنه الصحيح عن ورش وقطع بالإظهار من الطرق المذكورة صاحب التجريد حسبما قرأ به على شيوخه من طرقهم . وقطع بالإدغام من طريق الأصبهانى أبو العز وابن سوار والحافظ أبو العلاء وصاحب التجريد والمبهج والأكثرون . وبالإظهار الاستاذ أبو بكر

[م ٢ — ج ٢]

المصاحف « كل ما جاء امةً رسولُها » (٤٤) مقطوع وفي بعضها « كلما » موصولة وفي بعضها « ام تسئلهم خراجا » (٧٢) بالف وفي بعضها «خرجا » بغير الف وكتبوا « فخراج ربك » (٧٢) في جميع المصاحف بالالف

وفي الفرقان في بعض المصاحف « فيها سرجا » (٦١) بغير الف وفي بعضها « سراجا » بالالف ٥

وفي الشعراء في بعض المصاحف « اتتركون فيما ههنا ءامنين » (١٤٦) موصولة وفي بعضها « في ما » مقطوعة وفي بعضها « فارهين » (١٤٩) بالف وفي بعضها « فرهين » بغير الف وكذلك « حاذرون » (٥٦) و « حذرون » . ١٠

وفي النمل في بعض المصاحف « تهدي العمي » (٨١) بالتاء بغير الف وفى بعضها « بهادي » بالف وياء بعد الدال وفي بعضها « فناظرة » (٣٥) بالالف وفي بعضها « فنظرة » بغير الف .

وفي القصص في بعض المصاحف « قالوا ساحران تظٰهرا » (٤٨) بالف وفي بعضها « سحران » بغير الف بعد السين . ١٥

وفي الروم في بعض المصاحف « وما انت تهد العمي » (٥٣) بغير الف ولم يثبتوا فيها ياء وفي بعضها « بهاد » بالف وليس فيها ياء . التي في الروم ليس فيها في شيء من المصاحف ياء ، والتي في النمل (٨١) فيها ياء في جميع المصاحف وفي بعضها « وما آتيتم من ربا » (٣٩) بالالف بغير واو وفي بعضها « ربوا » بالواو .

المطهـَّر ، يشبهها في بعض الجوانب الإجرائية . فالصحابة الكرام يتلقون النصوص النبوية من فمه الشريف ، للحفظ بالمداد الأبيض في الصدور وللتقييد بالأسود فيما تيسر . وإذا تعذر عليهم في المجلس تلقي كلمة أو عبارة من الحديث ، لبعد المكان أو حدوث ما يحجب السمع، استعانوا هم أو الرواة الآخرون بمن يتمم لهم ذلك .

أما الصحابة الذين لم يتيسر لهم اللقاء والأخذ المباشر فقد كانوا يتلقون الحافظين المقيِّدين ، ليأخذوا عنهم بالوسائل الضابطة أيضاً . وإذا أشكل عليهم شيء في اللفظ أو الرواية رجعوا بالسؤال إلى النبي ﷺ .(١) وهذا تنفيذ عملي آخر لما ذكرناه من المقابلة المنهجية، في تاريخ القرآن الكريم قبل ، يمثل قمة ثانية من التحقيق والتوثيق نادرة ، ليس لها نظير في تاريخ سائر الأمم ، على ما وصل إلينا من ذلك .

ثم إذا وَجد بعضهم بعدُ ما لم يُرضهم من الرواية ، أو شكوا في صحته ، استعانوا بما يحكم في الأمر لتحقيق الرواية والنص . فقد ذكر الإمامُ علي أنه كان إذا سمع من رسول الله حديثًا انتفع به ، وإذا حدثه غيره استحلفه ، فإذا حلف صدّقه ، وأنه حدثه أبو بكر بحديث شريف لا يعرفه ، فاستحلفه على ذلك .(٢)

وسمع عروةُ بن الزبير قولاً شريفًا من عبد الله بن عمرو ، ثم حدّث به السيدة عائشة أم المؤمنين ، فأنكرته وطلبت من عروة أن يراجع عبد الله فيه . فلما كان العام القابل لقي عروة عبد الله وساءله عن الحديث نفسه ، فأعاده عليه كما كان منه في المرة الأولى . قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلاّ قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص .(٣)

(١) انظر الكفاية ص ٧٠ ـ ٧٣ و السنة قبل التدوين ص ١٣٥ .

(٢) المسند ١ : ١٥٤ و ١٧٤ و ١٧٨ وسنن الترمذي ٢ : ٢٥٧ وتذكرة الحفاظ ١ : ٢ ـ ١٢ .

(٣) صحيح مسلم ص ٢٠٥٩ . والحديث في صحيح البخاري تحت الرقمين ١٠٠ و٦٨٧٧ وسنن الترمذي تحت الرقم ٢٦٥٤ و سنن ابن ماجه تحت الرقم ٥٢ . وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٥ : ٥٣٠ .

وكان الصحابة الحافظون المتقنون يتتبعون - رضي الله عنهم - ما يقع من بعض إخوانهم ، في نصوص الحديث من سهو أو تغيير في اللفظ ، يردّون عليهم ذلك ويصححونه . فلما سمعت السيدة عائشة حديث عمر وابنه عبد الله ، عن النبي أنه قال : ((إنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكاءِ أهلِهِ)) ، قالت : رحم الله عمر . والله ما حدّث رسولُ الله ﷺ : إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه . ولكن رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ اللهَ لَيَزِيدُ الكافِرَ عَذابًا بِبُكاءِ أهلِهِ علَيهِ)) .[1]

وروى عُبيدُ الله بن عُمير عن النبي أنه قال : ((إنَّ مَثَلَ المُنافِقِ كَمَثَلِ الشّاةِ **الرّابِضة** بَينَ الغَنَمَينِ)) ، فقال عبد الله بن عمر : ويلكم ، لا تكذبوا على رسول الله . إنما قال : ((إنَّ مَثَلَ المُنافِقِ كَمَثَلِ الشّاةِ **العائرة** بَينَ الغَنَمَينِ)) .[2] ثم هذا عبد الله بن عمر نفسه روى حديث أركان الإسلام ، فرده بعض الحاضرين بتقديم أحدها على غيره، فقال عبد الله:[3] لا، أجعلُ صيامَ رمضان آخرهنّ، كما سمعت من فِي رسول الله ﷺ.

وكذلك الشأن ، إذا كان تقديمُ حرف على آخر : كالعوثاء بدلاً من الوعثاء ، أو إبدالُ حرف بآخر : كالباء والتاء والثاء ، أو وضعُ اسم موصول موضع غيره : كالتي والذي ، أو إدغامٌ أو إظهار أو لفظ غير مُبين . وربما استعانوا للتحقيق والتوثيق بمن هو في بلد آخر ، ولو كان بعيدًا عنهم.[4]

(١) الحديث ١٢٢٦ في البخاري . وانظر الأحاديث ١٢٢٨ فيه و ٩٢٤ و ٩٢٧ في مسلم والإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ص ٧٣ . والحديث في مسلم ص ٢١٤٦ والنسائي ٨ : ١٢٤ .

(٣) الكفاية ص ١٧٦ .

(٤) انظر المصدر المتقدم ص ١٧٨ ـ ١٨٢ و ٦٨ ـ ٦٩ و ٤٠٢ والجامع لأخلاق الراوي الفقرة ١٧٤٠ والسنة قبل التدوين ص ١١٢ ـ ١٢٥ .

وأحياناً يستعينون بالدليل القاطع ، في شهادة بيّنة ، لتحقيق النص النبوي . فقد حصل أن استأذن أبو موسى الأشعري بالدخول على عمر ثلاثًا ، فلم يؤذَن له فرجع . ولما سأله عمر: ما منعك ؟ أجابه بأن النبي قال : ((إذا استأذَنَ أحَدُكُم ثلاثًا فلَم يُؤذَنْ لَهُ فلْيَرجِعْ)) . فقال له عمر : والله لتُقيمَنَّ عليه بيِّنة . فذهب يبحث عمن يكون بيّنة له ، حتى جاء أبيٌّ بن كعب وأخبر عمر أن النبي ﷺ قال ذلك .[١] فقال عمر لأبي موسى الأشعري : أما إني لا أتهمك ، ولكني خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله .[٢]

وروى[٣] عبد الله بن مسعود (ت ٣٢) لابنه عبد الرحمن حديثًا ، فقال له عبد الرحمن : إنك لم ترو الحديث بطريقة صحيحة . قال عبد الله : ما الذي جعلك تقول هذا ؟ فقال ابنه : لأن هذا الحديث أصله المكتوب معي . فأمر الأب ابنه أن يحضر له الصحيفة . ولما أحضرها وتبين ما فيها من الصواب محاه من صحيفته ، وسجل ما تبين له .

وهذا عبد الله بن عباس يقول[٤] : ((إنْ كان الحديث ليَبلغني عن الرجل ، فآتي بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه يسفي عليّ الريح من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك ؟ هلاّ أرسلتَ إليّ فآتيك . فأقول : لا ، فأنا أحق أن آتيك)) . قال : فأسأله عن الحديث . . .

وربما حملهم ذلك على الرحيل من بلدهم إلى بلد آخر . فقد رحل جابر بن عبد الله من المدينة المنورة إلى دمشق ليسأل عبد الله بن أُنيس عن حديث ، في قصاص المظالم بين

(١) الحديث ٥٨٩١ في البخاري و٢١٥٣ في مسلم . وانظر الموطأ ص ٩٦٤ والرسالة للشافعي ص ٤٣٥ .

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٣ : ١٩٩ ـ ٢٠١ وأصول التشريع الإسلامي ص ٤٤ ـ ٤٥ والصحابة وجهودهم في خدمة الحديث ص ٩٣ ـ ٩٦ .

(٣) تقييد العلم ص ٣٩ .

(٤) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٨ وصفحات من صبر العلماء على شدائد العلم ص ٣٧ ـ ٣٨ . وقائل أي : نائم في القيلولة.

الناس يوم القيامة ، ثم سمع منه وحاوره في الرواية والمعنى .[١] وقال أبو العالية : كنّا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة ، ونحن بالبصرة ، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم.[٢]

وهذا أبو هريرة (ت ٥٩) كان يحفظ بقلبه ولا يكتب ،[٣] ثم خشي أن ينسى بعض ما سيحفظه فشرع في أواخر حياته يعتمد على الكتابة أيضاً ، فصار لديه مما سجّل صحيفة يقال لها ((الصحيحة)). وروي عنه أنه كان يملك ما يملأ خمسة أجولة مما كتب . ومن ثَمّ صار يحقق ما رُوي عنه بالرجوع إلى ما سجله .

قال الحسن بن عمرو بن أمية : ((تحدثتُ عند أبي هريرة بحديث فأنكره ، فقلت : إني سمعته منك . فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي . فأخذ بيدي إلى بيته ، فأرانا كتبًا كثيرة من حديث رسول الله ﷺ ، فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي)) . وهذا تحقيق كتابي ، كما ترى .

وصُحف أبي هريرة كانت كثيرة ، كتب منها ما سمعه تلامذته بإجازة منه ، وألّف منها همام بن منبّه صحيفة نسبت إليه أيضًا . وقال بشير بن نَهيك : كنت أكتب عند أبي هريرة ما سمعته منه . فإذا أردت أن أفارقه جئت بالكتاب فقرأته عليه فقلت : أليس هذا ما سمعتُه ؟ قال : نعم .[٤]

وقد استمر هذا النهج في التحقيق ، وصار له وضوح في أذهان المحدّثين ، يحتكمون

---

(١) المستدرك ٢ : ٤٣٨ والرحلة في طلب الحديث ص ١١ ـ ١٢ .

(٢) المصدر المتقدم تحت الرقمين ٢٠ و٢١ . وانظر السنة المطهرة والتحديات ص ٢٧ ـ ٣٠ .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٣٨١ والمحدث الفاصل ٦٦ أ وجامع بيان العلم ١ : ٨٩ . ولا تزال نسخة مخطوطة من ((الصحيحة)) في دار الكتب المصرية تحت الرقم ١٩٨١ حديث .

(٤) جامع بيان العلم ١ : ٧٢ ـ ٧٤ ومعرفة النسخ ص ٢٦١ والمحدث الفاصل ص ٥٣٨ ودلائل التوثيق ص ٤٣٦ . وانظر النموذج ١١ .

كان على ظهر النسخة بخط عبد السلام بن الحسين

قرأت هذا الكتاب بنسخة وأصلحتها على أبي الحسن أحمد بن محمد بن علي الخياط السيرافي بخط
أستاذي الذي قرأته وصححته وسمعتها مع ما قبلها من لفظي عليه وهو يرويه عن أبي بكر أحمد بن محمد
بن الفضل بن الجراح ... أبو جعفر بن الجراح عن أبي بكر محمد بن القسم الأنباري عن
أبيه عن أحمد بن عبيد عن يعقوب ، وأخبرنا أبو نصر عبد العزيز بن عبيد بن علي
الخياط الشيرازي الشافعي ... عبد الواحد بن عبد الله الأ[illegible] وكتب
عبد السلام بن الحسين بن محمد البصري في اليوم السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة
خمس وثمانين وثلثمائة   وبخطه أيضا

وقرأت أول هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي رحمه الله سنة
ثلث وستين وثلثمائة وكان يرويه عن أبي بكر محمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن بندار بن لرة عن يعقوب
وسمعته أنا بقراءة أبي علي الحسن بن [illegible] من أوله إلى آخره على القاضي أبي سعيد فإن أحببنا أن يروى
عنا هذه الرواية [illegible] رويناها إن شاء الله

وعورضت هذه النسخة بنسخة بغدادية بخط ابن [illegible] كان في
آخرها مكتوب

ما على المنطق هذه النسخة من أوله إلى آخره لأبي عبد الله ابن [illegible] البغدادي أدام الله [illegible] وضبطه وصححه بعد
عرضها على شيخنا أبي سعيد أدام الله عافيته [illegible] النسخة غاية [illegible] وأما [illegible] من قراءة على
أبي عبد الله ابن [illegible] فهو [illegible] على أبي سعيد [illegible] لأنه ما [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] نفعه الله وإيانا بالعلم
والأدب وكتب الحسن بن [illegible] م
وبأولها مكتوب

رواية أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي قراءة عليه عن أبي بكر محمد بن أبي الأزهر قراءة عليه عن أبي عمرو بندار
بن لرة [illegible] صاحب معاني الشعر قراءة عليه قال سمعت أبا يوسف يعقوب بن إسحق السكيت [illegible]
الكتاب كله [illegible]   وأما [illegible] ابن الأنباري [illegible] أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد
البصري قال حدثنا [illegible] عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح الخزاز عن أبي بكر محمد بن القسم
بن محمد بن بشار عن أبيه القسم بن محمد بن بشار عن أبي جعفر أحمد بن عبيد الملقب [illegible] عن
يعقوب بن السكيت   م   وأما [illegible] أبي بكر ابن الأنباري عن أبيه القسم بن محمد بن بشار
عن [illegible] وأبي جعفر أحمد بن عبيد [illegible] عن ابن السكيت م

وكان على ظهرها مكتوب
سمع أبو عبد الله محمد بن [illegible] هذا الكتاب إلى آخره [illegible] وقراءة من قرأه عليه وكتب
الحسن بن عبد الله السيرافي م

النموذج ١١ ـ أ من إصلاح المنطق : أسانيد قراءات النسخ والمعارضة والإجازة

كتاب النوادر

عن أبي مسحل واسمه عبد الوهاب بن حريش ويكنى أبا محمد رواية أبي العباس
أحمد بن يحيى ثعلب وبعضها رواية أبي العباس أحمد بن زياد الأعرابي أخي عبد الله
ابن الأعرابي وقد بينت موضع رواية أبي العباس ابن الأعرابي

عنده كتاب من [illegible] أبي مسحل [illegible]
من كتابه إلى النوادر [illegible]
عن [illegible] وروى مثل [illegible]
أربعين ألف بيت [illegible]
صنف كتاب نوادر العرب [illegible]

نسخت هذه النسخة من نسخة أبي عبد الله ابن [illegible] وكان على ظهرها
ثم أثبت الكتاب على الشيخ أبي عبد الله ابن خالويه وقال قرأت نوادر أبي مسحل على أبي عمر
الزاهد محمد بن عبد الواحد [illegible] عن أبي العباس ثعلب

وعلى ظهر النسخة بخط ابن خالويه

[illegible] أبو عبد الله محمد بن [illegible] البغدادي أيده الله [illegible] على هذا الكتاب قراءة متقن للغة
عالم بها وصححه وضبطه وكتب الحسين بن خالويه بيده

النموذج ١١ ـ ب من كتاب النوادر : أسانيد النسخ والقراءة والإجازة

إليه في التلقي والرواية ، حتى إن الإمام البخاري (ت ٢٥٦) ، لما كان في الحادية عشرة من عمره ، سمع شيخه الداخليّ يقرأ للناس عن سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقال له : ((إن أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم)) ، فانتهره الشيخ ، فقال الغلام : ((ارجع إلى الأصل إن كان عندك)) . فدخل يبحث في الأصل ثم رجع ، فقال : كيف هو يا غلام ؟ قال : ((هو الزبير وهو ابن عدي عن إبراهيم)) . فأخذ القلم منه وأصلح كتابه ، وقال له : صدقتَ .(١)

وكان هذا الإمام يشترط فيما يتلقى من الروايات(٢) أن يكون ما يختاره متفـقًا على ثقة نـقَـلته ، إلى الصحابي المشهور ، من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ، وأن يكـون إسـناده متصلاً غير مقطوع ، وإذا كان للصحابي راويان فصاعدًا فحسنٌ ، وإن لم يكـن إلاّ راو واحـد وصحّ الطريق فكفى . أما الراوي عامـة فيجـب عنـد الإمـام أن يكـون لازَمَ شـيخه طـويلاً بالإضافة إلى ثقته . وبذلك كله حقق التزام الصحة في الحديث ، وألاّ يورد إلاّ الصحيح بهذه الشروط . ولعلك ترى معي في تلك الروايات المتعددة التي يصطفي منها مـا هـو كالنُّـسخ المتعددة، يختار بالمقاييس العلمية ما هو أقرب إلى الصـحة والصـواب أصـلًا ، وتبقـى سـائر الروايات ردائف . وكذلك كان شأن أقرانه من علماء الحديث ، كما سنذكر بعد قليل .

قال الإمام الـحـازمي : ثم اعلم أن هـؤلاء الأئمـة مـذهبًا في كيفيـة استنباط مخارج الحديث... مذهب من يُـخرج الصحيح بأن يعتبر حال الراوي العدل في مَـشايخه ، وفـيمن يروي عنهم ، وهم ثقات أيضًا ، وحديثه عن بعضهم صـحيح ثابـت يلـزم إخراجـه ، وعـن بعضهم مدخول لا يصلح إخراجه إلاّ في الشواهد والمتابعات . وهذا فيه غموض ، وطريقـه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ، ومراتب مداركهم .(٣)

(١) تاريخ بغداد ٢ : ٧ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٦ : ٣٧٠ والإمام الترمذي ص ٥٨ .

(٣) شروط الأئمة الخمسة ص ٤٣ ـ ٤٧ . وقد فصّـل فيها مزايا طبقات الرواة وما يرشحهم للتفضيل والاصطفاء. =

وقد تحصل من تلك الجهود ، في ميدان التحقيق للسُّنّة المشرَّفة ، أن وضعوا مصطلحًا لغويًّا يعبر عن النص المحقَّق ، وهو الصحيح ، متواترًا كان أو أُحاديًا ، أي : الحديث المُسنَد الذي يتصل إسناده ، بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذًّا ولا مُعلّلاً . وهذا ما يُحكَم له بالصحة ، من دون خلاف بين العلماء ، إذ يفيد العلم القاطع بتحقق سلامته من كل احتمال .

وبناء على ما تقدم من الحيطة والتقويم في الرواية والضبط ، والدقة في الاختيار والاصطفاء ، فقد تُركت عشرات آلاف الصحاح لأن في أصحابها ترددًا واحتمالاً ما للسهو أو اللِّين ، كما ذكر البخاري ، وكان أن اختار زهاء ٤٠٠٠ حديث من ٦٠٠٠٠٠ ، واختار مسلم حوالَى ٣٠٠٠ حديث من ٣٠٠٠٠٠ . وكان الترمذي كما قيل فيه : مات البخاري فلم يخلّف بخراسان مثل أبي عيسى ، في العلم والحفظ .[1]

ولم يكتف هؤلاء الأئمة بسداد المنهج الذي رسموه ونفذوه بوفاء وإخلاص وتدقيق ، بل راحوا يعرضون مصنفاتهم النبوية على كبار علماء العصر ، إمعانًا في التحقيق والتوثيق ، ليستفيدوا من الخبرة والنصيحة والتوجيه ، فكان إجماع من أولئك العلماء الأعلام ، يؤكد صواب المنهج والاصطفاء والتنفيذ . الأمر الذي توج الأعمال الكريمة بالتقدير العظيم . ثم إن الترمذي استجاب لنصيحة بعض الأعلام من الشيوخ ، فعدّل ما كان لهم فيه نظر .

وإنما يكون في هذا العرض مقابلة ما جمع الإمام بما لدى الآخرين من نسخ موثقة أو محفوظات في الصدور ، لتوكيد الصحة في إجراءات التوثيق والتحقيق ، مما صار في مصنفاتهم المعروفة. ذلك لأن ما يجمعون في تلك المسندات الصحاح إنما هو، بعد القرآن الكريم ، مورد للشريعة ومنهاج للحياة في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملات وسياسة الأمة والعالم .

= وانظر سنن النسائي بشرح السيوطي والسندي ١ : ٣ ـ ٦ .

(١) تذكرة الحفاظ ص ٦٣٤ .

وقد حض الرسول الكريم أبناء أمته أن يعرفوا منزلة من يتلقَّون عنه هذا المورد الطاهر ، من العدالة والضبط والإتقان ، فقال [(١)] : ((إنَّ هذا العِلمَ دِينٌ . فانظُرُوا : عَمَّن تأخُذُونَ دِينَكُم)) ؟ ثم أوضح لهم أنهم بخير ، ما حافظوا على التثبت والاحتراس من التدليس والتزييف ، وأن هلاك وجودهم كأمة لها عزة وسيادة واستعلاء يكون بالعصبية والقدرية وقبول ((الرِّوايةِ مِن غَيرِ ثَبْتٍ)) . [(٢)]

وبهذا الإتقان في الاصطفاء والضبط والأداء ، نالت كتب الأئمة مرتبة الصحة عامة ، وصارت في قمة التوثيق والتحقيق بعد كتاب الله العزيز . حتى لقد أجمع أهل العلم ، الفقهاء وغيرهم ، على أنه إذا حلف رجل بالطلاق ، أن جميع ما في كتاب البخاري من الحديث قاله النبي بلا شك ، فإنه لا يَحنَث . [(٣)] وقال إمام الحرمين : [(٤)] ((لو حلف إنسان بطلاق امرأته أنّ ما في كتابَي البخاري ومسلم ، مما حكما بصحته ، [هو] من قول النبي ﷺ لما ألزمتُه الطلاق ولا حَنّثتُه ، لإجماع علماء المسلمين على صحتهما)) . وقال الترمذي عن ((سُننه)) : من كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلم .

ثم إليك هذا الإمام الحافظ أبا بكر محمد بن خير الأَمَوي اللمتوني الإشبيلي ، وهو مقرئ مجوّد ومحدّث متقن وأديب نحوي لغوي واسع المعرفة ، ليس له نظير في هذا الشأن (ت ٥٧٥) . فقد تلقى القراءة عن شُريح واختص به إلى أن مات ، وسمع منه ومن ابن العربي وابن حبيش ومن نيف ومِائَة عالم ، وأجاز له من الأندلس ابن عتاب والرشاطي ، ومن المشارقة السِّلفي والمازري . ثم تصدر للعلم في إشبيلية ، وكان من المكثرين

(١) شرح مختصر الجامع الصغير ١ : ١٧٢ وفهرسة ابن خير ص ١٨ . وفي كشف الخفاء أنه رواه مسلم .

(٢) انظر فهرسة ابن خير ص ١٨ .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٢ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١ : ٣٨ .

لتقييد الآثار والمعتنين بتحصيل الرواية . حتى إنه أخذ الحديث الشريف عن الذين شاركوه في السماع من شيوخه أيضًا .

وكان ما جمعه من ذلك السماع - وهو حوالي ١٥٠٠ مصنف - قد أورده [١] في ((فهرسة ما رواه عن شيوخه)) ، مع الروايات والأسانيد المتصلة بالمصنفين والعلماء القدماء، ومنها ما كان فيها للكتاب الواحد عدة أسانيد . وهي أنموذج لبرامج العلوم التي يتلقاها كبار المحدثين ، وتشتمل على علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأنساب .

وله الآن في مكتبة القرويين بمدينة فاس نسخة من ((صحيح مسلم)) التي كان قرأها مراراً وسمع فيها وأسمع ، بحيث تُعَدُّ أعظم أصل من هذا الكتاب في إفريقية . والنسخة المذكورة هي بخط الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ، فرغ منها سنة ٥٧٣ ، وعليها بخط ابن خير أنه عارضها بأصولٍ ثلاثةٍ معارَضةٍ بنسخة الحافظ أبي علي الجيّاني ، مع طُرر وفوائد وشروح بخطه أيضًا . وفرغ من ذلك في تاريخ النَّسخ نفسه . وإنك لتجد ، في مثل هذه الإجراءات التحقيقية المتقنة ، ما لا ترى له مثيلاً في مزاعم المنتسبين إلى التحقيق ، من المستشرقين وآبائهم الأولين وأنصارهم الآخِرين .

بل لقد تحصل لـ ((صحيح البخاري)) إجراءات عملية خاصة أرفع من هذه وأدق ، تُعَد ثاني صورة من التحقيق العلمي الجماعي للكتب في العالم . ذلك أن شرف الدين علي ابن محمد اليُونِيني (ت ٧٠٩) كان قد سمع هذا الكتاب من حُفّاظ دمشق وغيرها ، في أسانيد إلى مؤلفه ، وكذلك حصل قبله لابن مالك النحوي صاحب الألفية (ت ٦٧٢) .

ثم التقيا في مؤتمر لمقابلته وتحقيقه على أصول مصححة مضبوطة ، بحضرة حُفّاظ بلاد

---

(١) هذا نموذجٌ نظائرُه بالمئات من الفهارس والبرامج والأثبات والمشيخات في تاريخ العلوم الإسلامية . انظر ص ٥١٠ ـ ٥١٣ منه وفهرس الفهارس والأثبات ٣ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ و ٣٢٢ ـ ٣٢٩ و ٣٤٤ ـ ٣٤٨ والقواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية ص ٣٣ ـ ١٢١ ، لترى ما نعرفه من عناوينها فقط في المغرب وحده .

الشام في دمشق ، ومع كل منهم نسخته المعتمدة المسندة إلى المؤلف نفسه. وقد استغرق هذا المؤتمر أكثر من سبعين مجلساً ، واليونيني يقرأ من نسخته المعتمدة ، والعلماء الحضور يتابعون ذلك ناظرين في نسخهم ومراجعين في محفوظاتهم أيضاً ، وابن مالك يراعي القراءة ويلاحظ النطق ، ثم يختار ما أجمعت عليه مجمل الروايات وأصحها في الضبط والإعراب فيرجحه ويأمر بإثباته أصلاً ، وما خالف ذلك يحفظ جانبًا و يُجعل في الحاشية .

وبهذه الصورة من الأعمال العلمية المتقنة ، تم تحقيق نسخة اليُونيني ، معارضة بعدد كبير من الأصول معتمدة لدى ابن مالك واليونيني ومعاصريهما الحُفّاظ الأثبات ، وفي حضورهم شخصياً يقرؤون ما لديهم مع استحضار المحفوظات ، لتكون ألفاظ الرواية والضبط صحيحة دقيقة بالغ الصحة والإتقان . وقد وصف تلك الإجراءات الفذة كل من الإمامين في خطبة النسخة المذكورة .(١)

ومن ثَمّ فإن ما كان من موافقة نسخة اليُونيني لبعض تلك الأسانيد من الصحيح أو مخالفتها رُمز إليه بما يميزه عن غيره ،(٢) فكان مثلاً الحرف ((ه)) لأبي ذر الهروي ، و((ص)) للأصيلي ، و ((ش)) للدمشقي ابن عساكر ، و ((ظ)) لأبي الوقت ، و ((ح)) للحمُّوِيّ ،(٣) و ((سـ)) للمستملي ، و ((هـ)) للكُشمِيهَني . وإذا اتفقت بعض الأسانيد في لفظ ذكرت رموزها معًا . ذكر ذلك كله الإمام اليونيني في فرخة ، ألحقها بسنخته المحقَّقة .

وقد وقف على هذه الفرخة الشيخ أحمد بن عثمان المكي سنة ١٢٩٩ في ((بدوامري)) بالهند ، وهي محفوظة عنده من خط من نقلها سنة ١٢٦٠ بالمدينة المنورة ، عن خط مفتيها

(١) انظر إرشاد الساري ١ : ٦٨ ـ ٦٩ والجامع الصحيح مطبوعة دار طوق النجاة ١: ٥-٦ وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص ٢١٩ ـ ٢٢١ ونظرة في تحقيق الكتب ص ١٢ .

(٢) النموذجان ١٢ و ١٣ .

(٣) يجوز فيه فتح الميم مع التشديد أيضًا . وقيل : بتسكين الواو بعدها ياء مكسورة فياءا النسبة . انظر الأنساب ٢: ٢٦٨ و ٣٠١ .



(الجـــزء الاول)

من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسمعيل بن إبراهيم بن المغيرة

ابن بردزبه البخاري الجعفي رضى الله تعالى

عنه ونفعنا به آمين

قد وجدنا فى النسخ الصحيحة المعتمدة التى صححنا عليها هذا المطبوع رموزا لاسماء الرواة منها ه لابي ذر الهروى و ص للاصيلي و س لابن عساكر و ط لابى الوقت و هـ للكشميهنى و حـ للحموى و سـ للمستملى و ك لكريمة و حهـ لاجتماع الحموى والكشميهنى و حسـ للحموى والمستملى وتارة توجد تحت حهـ وحسـ ه أوغيرها اشارة الى روايته عنهما وتارة توجد قبل الرمز (لا) اشارة الى سقوط الكلمة الموضوعة عليها (لا) عند أصحاب الرمز الذى بعدها وقد يوجد فى آخر تلك الجملة التى عليها لا لفظ الى اشارة الى آخر الساقط عند صاحب الرمز ومن الرموز ع ولعلها لابن السمعانى وج ولعلها للجرجانى وق ولعلها للقابسى وح وعط وصح ولم يعلم أصحابها وربما وجد رموز غير ذلك لم تعلم أيضا ويوجد على بعض الكلمات خـ أو خه أو خ وهى اشارة الى أنها نسخة أخرى وقد يوجد على الكلمة لفظ صح اشارة الى صحة سماع هذه الكلمة عند المرموز له أو عند الحافظ اليونينى والله سبحانه أعلم

(طبع)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١١ هجرية

النموذج ١٢ من الجامع الصحيح : رموز النسخ المعارض بها

مُحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الزُّبيري قال حدثنا مِسعرٌ عن الحَكَمِ عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي ليلى عن البَراءِ قال كانَ
سُجودُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وركوعُه وقعودُه بينَ السَّجدتَينِ قريبًا منَ السَّواءِ حدثنا سُليمانُ بنُ
حَربٍ قال حدثنا حمّادُ بنُ زيدٍ عن ثابتٍ عن أنسٍ(1) رضي الله عنه قال إنّي لا آلو أنْ أُصلّيَ بكم كما رأيتُ
النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُصلّي بنا قال ثابتٌ كانَ أنسٌ(2) يصنعُ شيئًا لم أركم تصنعونه كانَ إذا رفعَ رأسَه منَ
الرُّكوعِ قامَ حتّى يقولَ القائلُ قد نَسِيَ وبينَ السَّجدتَينِ حتّى يقولَ القائلُ قد نَسِيَ **باب**
لا يفترشْ ذراعَيه في السُّجودِ وقال أبو حُمَيدٍ سجدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ووضعَ يديه غيرَ مفترشٍ
ولا قابضِهما حدثنا مُحمدُ بنُ بشّارٍ قال حدثنا مُحمدُ بنُ جعفرٍ(3) قال حدثنا شُعبةُ قال سمعتُ قتادةَ عن
أنسِ بنِ مالكٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال اعتدِلوا في السُّجودِ ولا يبسُطْ(4) أحدُكم ذراعَيه انبِساطَ(5)
الكلبِ **باب** مَنِ استوى قاعدًا في وِترٍ من صلاتِه ثمّ نهضَ حدثنا مُحمدُ بنُ الصَّبّاحِ قال
أخبرنا هُشَيمٌ قال أخبرنا خالدٌ الحذّاءُ عن أبي قِلابةَ قال أخبرنا(6) مالكُ بنُ الحُوَيرثِ اللَّيثيُّ أنّه رأى النبيَّ
صلى الله عليه وسلم يُصلّي فإذا كانَ في وِترٍ من صلاتِه لم ينهضْ حتّى يستويَ قاعدًا **باب** كيفَ
يعتمدُ على الأرضِ إذا قامَ منَ الرَّكعةِ(7) حدثنا مُعلّى بنُ أسدٍ(8) قال حدثنا وُهَيبٌ عن أيّوبَ عن أبي قِلابةَ
قال جاءنا مالكُ بنُ الحُوَيرثِ فصلّى بنا في مسجدِنا هذا فقال(9) إنّي لأُصلّي بكم وما أُريدُ الصَّلاةَ ولكنْ(10)
أُريدُ أنْ أُريَكم كيفَ رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُصلّي(11) قال أيّوبُ فقلتُ لأبي قِلابةَ وكيفَ كانتْ
صلاتُه قال مثلَ صلاةِ شيخِنا هذا يعني عمرَو بنَ سلِمةَ قال أيّوبُ وكانَ ذلكَ الشيخُ يُتِمُّ التكبيرَ وإذا
رفعَ رأسَه عنِ السَّجدةِ الثانيةِ جلسَ واعتمدَ على الأرضِ ثمّ قامَ(12) **باب** يُكبِّرُ وهو ينهضُ
منَ السَّجدتَينِ وكانَ ابنُ الزُّبيرِ يُكبِّرُ في نهضتِه حدثنا يحيى بنُ صالحٍ قال حدثنا فُلَيحُ بنُ سُليمانَ عن
سعيدِ بنِ الحارثِ قال صلّى لنا أبو سعيدٍ فجهرَ بالتكبيرِ حينَ رفعَ رأسَه منَ السُّجودِ وحينَ سجدَ وحينَ
رفعَ وحينَ قامَ منَ الرَّكعتَينِ(13) وقال هكذا رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم حدثنا سُليمانُ بنُ حربٍ قال

حدثنا

Right-margin variants: (1) ابن مالك (2) ابن مالك (3) أخبرنا (4) ولا يَبْتَسِطْ – ولا يَنْبَسِطْ (5) انْبِساطَ (6) أخبرني (8) أخبرنا الركعتين (10) لكنّي قال (12) رسول الله (13) من رأسه في

Left-margin references: (تحفة) ٨٢١ – م ٢٩٨ · باب ١٤١ · تغ ٣٢٨/٢ · (تحفة) ٨٢٢ – م د ت س ١٢٣٧ · باب ١٤٢ · (تحفة) ٨٢٣ – د ت س ١١١٨٣ · باب ١٤٣ · (تحفة) ٨٢٤ – د س ١١١٨٥ · باب ١٤٤ · تغ ٣٢٩/٢ · (تحفة) ٨٢٥ – ٤٠٣٨ · (تحفة) ٨٢٦ – م د س ١٠٨٤٨

٨٢١– طرفه: ٨٠٠.
٨٢٢– طرفه: ٢٤١.
٨٢٤– طرفه: ٦٧٧.
٨٢٦– طرفه: ٧٨٤.

النموذج ١٣ من الجامع الصحيح : تحقيق اختلاف النسخ

حينئذ العلامةِ المحدّث عبد السلام بن محمد أمين الداغستاني المدني ، وفيها رموز كثيرة لباقي النسخ المعارَض بها . ثم طُبع هذا الكتاب القيِّم عدة مرات عن نسخة اليُونيني نفسها مع المعارضات والحواشي الملحقة بها ، وتحقيق علمي آخر للجنة علماء الأزهر سنذكره بعد ، إن شاء الله .[١]

فالرواة التسعون ألفاً ، الذين أخذوا ((الجامع الصحيح)) عن مصنفه قراءة أو تلقياً ، نقلوه إلى طلابهم ومريديهم في تلك الأيام ، فكان له إذ ذاك مئات الألوف من الرواة ، ثم تولد عنهم وعن الأجيال التالية في أربعة قرون سلسلة هندسية يتجاوز عدد أفرادها عشرات الملايين في الشرق والغرب . وقد انصبّ كثير من جهود هؤلاء في نسخ مَن شارك في جلسات المؤتمر التحقيقي بدمشق ، وكان عن ذلك كله إخراج نسخة تجمع خلاصة الضبط والتوثيق ، مما بذله علماء الحديث خلال القرون الهجرية السبعة ، وتمثل النموذج الفرد في التاريخ من تحقيق الكتب الإنسانية .

وقريب من هذا الصنيع ما قام به محمد بن محمود الخوارزمي (ت ٦٦٥) وحده في تحقيق ((مسند أبي حنيفة)) ، إذ جمع فيه ١٥ رواية مسندة لفحول علماء الحديث ، وصنفه على ترتيب أبواب الفقه ، بحذف المعاد وترك ما تكرر من الإسناد .[٢]

فقد كانت أساليب الإسناد والرواية والتلقي للسُّنّة المطهَّرة أنصع سبيل ، لمتابعة عمليات التوثيق والتحقيق في تاريخ البشرية . وإنك لواجد منها أشكالاً غفيرة ، توضح ما زعمناه ، حين تتصفح بعض ما هو حاضر في المصادر التراثية الكريمة .

وما زالت جهود علماء الحديث حتى الآن تتابع التوثيق والتحقيق ، لما جاء من

---

(١) انظر المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١ : ١٥٢ ـ ١٥٧ .

(٢) كشف الظنون ص ١٦٨٠ ـ ١٦٨١ .

المقولات النبوية في غير ((كتب الصحاح)) ، اعتمادًا على ما يجدّ من المعارف والأساليب العلمية وما ينشر من مصادر السُّنّة الشريفة ، ليبقى عنصر الصفاء والثقة والوفاء ملازمًا للنصوص الشرعية ، وتتجدد مسيرة إنجازات علم التحقيق في عالم العروبة والإسلام .

وبين تلك القرون كان رجالات العلوم المختلفة قد وضعوا أصولًا للتحقيق ، ومارسوا خطواتها تطبيقًا في كثير من مصادر التراث ، ترى نماذج نظرية لها في عدد من المصنفات أمثال : (١)

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامَهُرمُزي (ت ٣٦٠) ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم النَّيسابوري (ت ٤٠٥) ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ت ٤٦٣) ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ، والكفاية في علم الرواية له أيضًا ، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض اليَحصُبي (ت ٥٤٤) ، وعلوم الحديث لابن الصلاح الشَّهرَزُوري (ت ٦٤٣) ، والاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد المنفلوطي (ت ٧٠٢) ، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب المعلم والمتعلم لبدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣) ، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (ت ٩١٣) ، ومنية المريد في آداب المفيد والمستفيد لزين الدين بن علي العاملي (ت ٩٦٦) ، والمعيد في أدب المفيد والمستفيد لعبد الباسط العَلْمَوي (٩٨١) ، والدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد لبدر الدين الغزي (ت ٩٨٣) ، وتوضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢) ، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢) ، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائري (ت ١٣٣٨) ، وقواعد في علوم الحديث لظفر أحمد التهانوي .

وكذلك ما تراه في نحو : إجازات السماع في المخطوطات القديمة لصلاح الدين

---

(١) انظر مناهج تحقيق التراث ص ٢٥ ـ ٢٧ ومقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث ص ٩١ ـ ٩٢ .

المنجد، ونوادر الإجازات والسماعات لابن طولون الدمشقي ، والبحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف ، والتطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق التراث العلمي لرشيد عبد الرحمن العبيدي ، والعلامات والرموز عند المؤلفين العرب لحسين علي محفوظ ، ومناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لفرنتز روزنتال . . .

٣ ـ في التراث اللغوي :

كان للنهج الرباني في تأصيل التوثيق والتحقيق ، كما ذكرنا قبل ، ولتنفيذ النبي ـ عليه السلام ـ تلك الإجراءاتِ العمليةَ في معارضات رمضان ، ولمتابعة الصحابة توثيقَ النصوص الربانية والنبوية في الرواية والتلقي عنه ، ولجمع المصاحف في عهد الخلافة الراشدة ، ولما وضعه علماء القرآن والحديث ، من اصطلاح لمفهوم النص المحقق ، أي : الصحيح من القراءة والقول النبوي ، كان لكل هذا ما بث روح الضبط والتثبت ونهج التوثيق والتصحيح والتحقيق ، فيما يـرِدُ على المرء من معلومات أو مقولات .

ولذلك هجر علماء العربية مواطن إقامتهم ، وقصدوا قلب الصحاري ، ينفّذون تلك الأساليب من التوثيق والتحقيق ، ليأخذوا اللغة من أفواه أصحابها الفصحاء ، ويسجلوا المخزون اللغوي بأيديهم في الأسفار ، مع ملاحظاتهم الشخصية لظروف المقام والمقال ، وللنطق والتعبير والأداء ، والتفسير الذي يلقيه عليهم أرباب الفصاحة والبيان .

فأبو عمرو بن العلاء مثلاً (ت ١٥٤) كان له رحلات إلى البادية ، جمع فيها ما ملأ بيته مصنفات إلى السقف. والكسائي (ت ١٨٣) خرج إلى البوادي ، ومعه ١٥ قِنّينة حبر ، فأنفدها فيما سجل من كلام العرب سوى ما حفظه عن ظهر قلب ،[1] والنضر بن شميل (ت ٢٠٣) أمضى ٤٠ سنة في البادية ، يسمع ما يتلقاه ويجمعه مادة محققة موثقة للبحث والدراسة .

---

(١) وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٦ و ٤٦٨ ـ ٤٦٩ وإنباه الرواة ٢ : ٢٥٨ و ٣ : ١٦ وبغية الوعاة ٢ : ٢٣٨ و ٣١٦ ونزهة الألباء ص ٦٩ و ٨٥ وشذرات الذهب ١ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ وابن عصفور والتصريف ص ٤١ ـ ٤٢ .

وعندما تستقري مصادر التراث في اللغة والنحو والأدب ، وقد جُمعت على غرار هـذه الإنجازات العالية الدقة ، تجد تطبيقات للتوثيق والتحقيق منثورة بين صفحات التاريخ . فقد روى سيبويه (ت ١٨٠) في كتابه أقوالاً ليونس بن حبيب (ت ١٨٣) وأبي زيـد الأنصاري (ت ٢١٥) . ولما علما بذلك رجعا إلى ذلك الكتاب ، فقيل لكل منهما : قد روى عنـك شيئًا كثيراً . فهل صدق فيه ؟ قال : نعم .[١] ثم إنك لواجد في مقدمات ما نشر من هـذا الكتـاب سـنـة ١٣٨٥ أسـانيد ، فيها الـروايـة والتـلـقـي والـمقـابـلة بالأصول ، من حيـاة المؤلـف إلى ما بعدها بقرون .

وعندما قصد الجاحظ الوزيرَ محمد بن عبد الملك الزيات بالزيارة في بغداد ، قال لـه: أردت أن أُهدي إليك شيئًا ، ففكرت فإذا كل شيء عندك منه ،[٢] فلم أر أشرف من كتـاب سيبويه . فقال له الوزير : أوَظننتَ أن خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ أجابـه الجـاحظ عـن النسخة التي يعنيها : ما ظننتُ ذلك . ولكنها بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي ، وتهذيب عمرو ابن بحر الجاحظ . فقال الوزير : ((هذه أجلُّ نسخة توجد وأغربها)) . ثم طلـب إحضـارها وسُـرَّ بها ، ووقعت منه أجمل موقع .

وقد تأثر بعض علماء العربية معاصريهم أيضًا من القـُرّاء والمحـدّثين ، في أخـذ المـرء النصَّ المعيّن عن أكثر من عالِـم واحد ، ليكون لديه نسخ متعددة ، توثق نسبة الـنص وتحقـق وجه الصواب فيه . فالـمبرد (ت ٢٨٥) يقرأ كتـاب سـبيويه مـثلاً عـلى كـل مـن الجرمـي (ت ٢٢٥) و المازني (ت ٢٤٩) .[٣] وكذلك كان لأحمد بن جعفر الدِّينَـوَري (ت ٢٨٩)

(١) مراتب النحويين ص ٧٦ ـ ٧٧ . وانظر أخبار النحويين البصريين ٣٧ وطبقات النحويين واللغويين ص ٤٩ .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٣٥١ . وفي المطبوعة : دونه .

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ١٠٧ ـ ١٠٨ وطبقات النحويين واللغويين ص ١٠٨ و ١١٩ و ١٥٦ .

قراءتان للكتاب : أولاهما على المازني والثانية على المبرد .[١] بل إن أبا القاسم بن ولّاد قرأ هذا الكتاب مرارًا ، ليكون التوثيق والتحقيق أحسن ما يمكن من الدقة والبيان .[٢]

ثم نرى كتابًا أدبيًّا لأبي زيد الأنصاري اسمه ((النوادر)) ،[٣] يخضع لأساليب التوثيق والتحقيق بين أيدي أجيال من العلماء . فابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) يتلقى[٤] كتاب النوادر ، في إسنادين متصلين بالمؤلف نفسه . إنه يرويه عن النَّفْزي عن المخزومي عن ابن خيرون السهمي عن ابن أبان عن القالي عن : ابن دريد عن السجستاني ، وعن المبرد عن التوّزي . وكلا السجستاني والتوزي روياه عن أبي زيد . وكذلك إسناد ابن خير عن ابن عتاب عن أبيه عن ابن غَمرُون[٥] عن القالي ، في السند المتقدم أيضاً .

وهذا نموذج واحد لكتابٍ يسيرٍ عند أحد العلماء غير المشهورين ، وفي ((فهرسٍ)) ليس بذي أهمية بالغة . وقد كان في هذا الفهرس أسانيد شبيهة بما رأيناه الآن لحوالَى[٦] ألفي كتاب من العلوم المختلفة ، تلقاها مؤلفه عن شيوخه قراءة بالأسانيد المعتبرة . ولو أنك اطلعت على الفهارس التي سجلها علماء الإسلام في التاريخ ، وهي يتعذر حصرها ،[٧] لرأيت العجب العجاب .

لست مغالياً فيما أقول . فحسبك أن تتصفح مصنفاً واحداً يجمع بعض هذا الضرب

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٤٣ .

(٢) المصدر المتقدم ص ٢٣٦ . وانظر الكتاب ١ : ٣ ـ ١١ من مطبوعة دار القلم لعلم ١٩٦٦ .

(٣) هذا الكتاب هو مختارات أدبية من الشعر والرجز والنثر ، زعم المؤرخون والدارسون والمحققون أنه كتاب لغة ، تأثرًا بما وضعه عليه اللغويون والنحاة من تفسيرات وشروح . انظر قراءة موجهة ص ٨٤ ـ ٩٦ .

(٤) فهرسة ابن خير ص ٣٧١ .

(٥) انظر فهرس الفهارس ص ٨٩٢ .

(٦) حوالَى : جمع حَولَى مثل :فتوَى وفتاوَى .

(٧) انظر القواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية ص ٣٣ ـ ٧٢ .

من الروايات ، وهو «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» ، لترى عشرات الإجازات والفهارس المماثلة لصنيع ابن خير ، وفي كل منها ما لا يعلمه إلا الله من الأسانيد والروايات المتصلة الموثقة . وإذا تيسر لك الاطلاع [١] على كل إجازة منها وإسناد وثَبَت ، فيما نشر من هذه المصنفات وحدها ، كان بين يديك الآلاف المؤلفة الشبيهة بما رأينا في روايتَيِ ابن خير لكتاب النوادر . كل هذا هو خدمة لتوثيق وتحقيق العلوم والمعارف والمقولات ، وفتح باب البحث عن الحقيقة فيما كان .

ومع هذا ، فإن ما وصل إلينا من سند لكتاب النوادر يمثل لنا نموذجًا فيه غناء وكفاية، إذ يضاف إلى تلك الرواية التي أوردها ابن خير له روايات أُخر تعززها وتحقق إشراق الوجه التاريخي لما نحن في سمته . فقد جاء في نسخة سجلها ابن دينار الكاتب توثيق لها بخطوط جلّة من العلماء ، وسند يبدأ بأبي علي الفارسي عن ابن السراج عن الرياشي والسجستاني والجرمي والمازني . وكل من الأربعة الأخيرين رواها عن أبي زيد .

وفي نسخة ثانية أنها بخط ابن منظور صاحب «لسان العرب» ، وقد عاشت هذه حتى يومنا الحاضر ، وصارت من مقتنيات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وعنها نُشرت مطبوعة بيروت من «النوادر» . وثالثة كانت بحوزة البغدادي أيضاً صاحب الخزانة ، بخط قديم جدًّا ، وهي مع ما قبلها برواية الأخفش الأصغر . [٢]

ثم إذا رجعنا إلى مجموع هذه النسخ نرى للكتاب سنداً عاماً ، نصه كما يلي : [٣]

(١) للعلماء أصول وأساليب معتمدة في نصوص الأسانيد والإجازات ، ترى نماذج منها في «نوادر الإجازات والسماعات» لابن طولون الدمشقي وغيره ، مطبوعة دار الفكر عام ١٤١٩ وفي «إجازات السماع في المخطوطات» لصلاح الدين المنجد بمجلة معهد المخطوطات ١ : ٢٣٢ من عام ١٩٥٥ والرسالة للإمام الشافعي ص ٣٠ـ١١٦ من مقدمة المحقق . وفي «الأعلام» للزركلي صور كثيرة منها .

(٢) شرح أبيات المغني ١ : ١٠٧ـ١٠٨ و ١٩٣ـ١٩٤ .

(٣) الورقة ١ من نسخة عاطف أفندي . وفي النسخ الأُخرى المخطوطة والمطبوعة زيادات لا تخل بعمود السند العام .

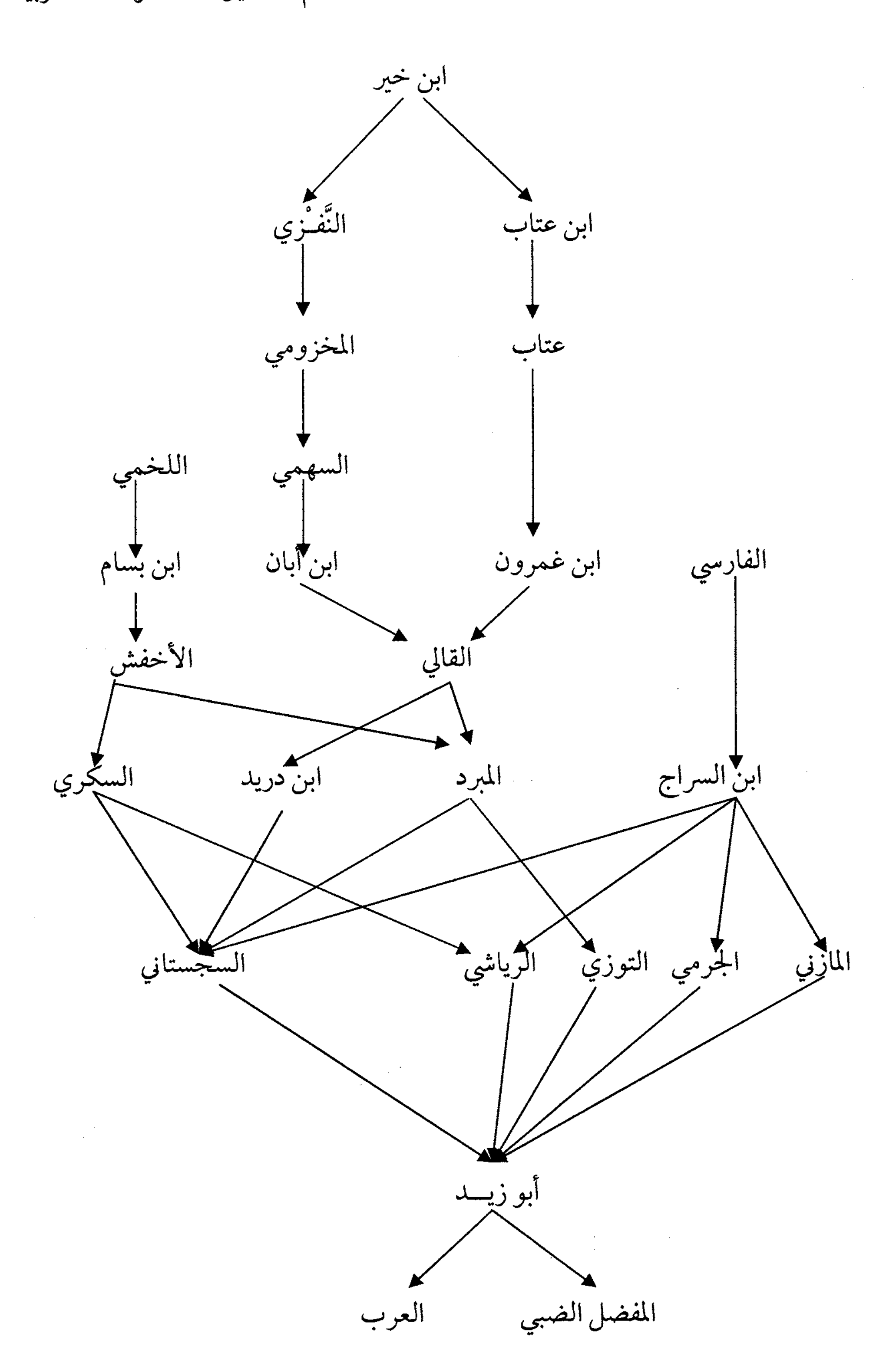
((قال تمام بن عبد السلام بن محمد بن أحمد اللخمي اللغوي ، رحمه الله : قرأت على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن بسام بفسطاط مصر ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي ابن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي ، قال : أخبرني التوّزي وأبو حاتم السجستاني عن أبي زيد .

قال الأخفش : وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصري المعروف بالسكري ، عن الرياشي وأبي حاتم ، عن أبي زيد ، قال أبو سعيد :

هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت ، مما سمعه من المفضَّل بن محمد الضبِّي ، ومن العرب . قال أبو حاتم : قال لي أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضَّل بن محمد الضبِّي الكوفي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب)) .

فالكتاب هنا ، كما ترى ، مسند موثق أيضاً بروايات متوالية : تمام اللخمي عن إبراهيم ابن محمد عن الأخفش في روايتين : عن المبرد عن التوَّزي والسجستاني ، وعن السكري عن الرياشي والسجستاني ، وكل من التوَّزي والسجستاني والرياشي عن أبي زيد الأنصاري المؤلف والراوي والمملي لكتاب((النوادر)) نفسه .

و في مجموع ما ذكرنا لهذا الكتاب ، من أسانيد خاصة وعامة – وهو نموذج لنظائره التي لا تحصى – تجد أنه قد حظي في عدة قرون بروايات غفيرة ، تمثل العناية الظاهرة ، والتوثيق العلمي العالي ، الأمر الذي تفتقده الحضارات الإنسانية غير الإسلامية ، والعلوم المختلفة في تاريخ تلك الأمم . ثم تجد أن ما جاء في هذا الكتاب ، عن أبي زيد والمفضل والعرب ، يحمل طابع النقل رواية ومشافهة، مع قراءات مختلفة للعلماء مسندة في عدة أجيال ، يمثله الشكل التالي ، وهو يَعِزّ نظيره في كثير من المصنفات الأدبية العربية :


ابن خير
النَّفْزي
ابن عتاب
المخزومي
عتاب
اللخمي
السهمي
ابن بسام
ابن أبان
ابن غمرون
الفارسي
الأخفش
القالي
السكري
ابن دريد
المبرد
ابن السراج
السجستاني
الرياشي
التوزي
الجرمي
المازني
أبو زيـد
العرب
المفضل الضبي

ومن هذا المخطط التاريخي الدقيق ، يتبين لنا توارد الأسانيد كما يلي :

١ ـ تمّام اللخمي يروي عن ابن بسّام عن الأخفش الأصغر (ت ٣١٥) ، والأخفش هذا يروي عن المبرّد (ت ٢٨٦) وعن السكّري (٢٧٥) : والمبرّد يروي عن التوَّزي (ت ٢٣٠) والسِّجستاني (ت ٢٥٠) ، والسكّري يروي عن الرِّياشي (ت ٢٥٧) والسِّجستاني أيضاً . وكل من التوَّزي والسِّجستاني والرِّياشي أخذ عن أبي زيد .

٢ ـ ابن جنّي (ت ٣٩٢) يروي عن الفارسي (ت ٣٧٧) ، وأبو علي الفارسي يروي عن ابن السرّاج (٣١٦) ، وابن السرّاج يروي عن مجموع الرِّياشي والسِّجستاني والجَرمي (ت ٢٢٥) والمازني (ت ٢٤٥) . وكل من هؤلاْ الأربعة أخذ عن أبي زيد أيضًا .

٣ ـ ابن خير (ت ٥٧٥) يروي عن النفّزي (ت ٥٢٥) ، والنفّزي يروي عن خاله غانم المخزومي (ت ٤٧٠) ، والمخزومي يروي عن ابن خَيرون الذي روى عن ابن أبان (ت ٣٨٢) ، وابن أبان روى عن القالي (ت ٣٥٦) ، والقالي روى : عن ابن دريد (ت ٣٢١) عن السِّجستاني ، وعن المبرِّد عن التوَّزي والسِّجستاني . والسِّجستاني والتوَّزي أخذا عن أبي زيد كما ذكرنا .

٤ ـ ابن خير أيضاً يروي عن ابن عتّاب (ت ٥٣١) ، وابن عتّاب يروي عن أبيه الذي روى مناولة عن ابن غَمرُون عن القالي عن : ابن دريد عن السِّجستاني ، وعن المبرِّد عن التوَّزي . والسِّجستاني والتوَّزي أخذا عن أبي زيد أيضاً .

والأسانيد هذه متفرعة ، كما ترى ، بتواتر أو تفرُّد عن أبي زيد إلى تلامذته الأربعة : التوَّزي والمازني و السِّجستاني والرِّياشي . وهؤلاء الأربعة أخذ عنهم باجتماع أو بانفراد كل من السكّري والمبرِّد وابن السرّاج وابن دريد . وعن هؤلاء الأربعة الآخرين أخذ أيضاً الأخفش الأصغر والقالي والفارسي . وعن الأخفش أخذ ابن بسّام ، وعن القالي أخذ ابن أبان وابن غمرون ، وعن الفارسي أخذ ابن جنّي كما مر بنا من قبل . ثم تفرقت المسارات في

تاريخ واسع ، يعلم الله – عز وجل – ما فيه من السند والتلقي والرواية . وما بالقليل ذا النسبُ ، ولا باليسير هذا الأسلوب من التوثيق والتحقيق القيم !

ومن هذا القبيل ما تجده في ديوان جرير صنعةِ محمد بن حبيب (ت ٢٤٥) ، إذ يجمع رواية الديوان من قراءتـه على عُـمارة (ت ٢٣٩) ابن عقيل بن جرير الشاعر نفسه ، وقراءتـه على ابن الأعرابي (ت ٢٣١) . ومن ثَـمّ يصنفه[(١)] ليـورد أقـوال كـل مـنهما ، حيـث يكـون الخلاف في الرواية أو التفسير والأخبار .

ثم نرى محمد بن الحسن بن دينار الأحول ـ وهو من طبقة المبرد وثعلب وقد جمع ١٢٠ ديوانًا ـ يصنع ديوان سلامة بن جندل الشاعر الجاهلي الفارس مـن روايتـين : إحـداهما لأبي عمرٍو الشيباني (ت ٢٠٦) والأُخرى للأصمعي (ت ٢١٦) ، ناصًّا ما كان بينهما من خلاف أيضًا ، في الرواية والشرح .[(٢)]

أما أبو سعيد السكري (ت ٢٧٥) ـ وهو قـد جمـع دواويـن ٥٠ شـاعرًا ، ودواويـن بعض القبائل أيضًا مع الشرح ـ فإنه ضم في ((شعر الأخطل)) روايتَـي أبي عمرٍو الشـيباني وابن الأعرابي ، مما تلقاه هو عن ابن حبيب . ولكي يميز فـوارق الـروايتين ، جعـل الـديوان قسمين : يضم الأول ما روياه معًا ، ويضم الثاني ما انفرد به أبـو عمـرو .[(٣)] والنسـخة التـي وصلت إلينا من هذا الديوان هي منقولة من خط السكري نفسه ، ومعارضة بالأصل المنقولة عنه بقلم الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) .

---

(١) ديوان جرير ص ٢٩ ـ ٣١ . ورُوي عن حنين بن إسحاق (ت ٢٦٠) أنه عارض كتبًا كثيرة بنسخها المختلفة ، ليخرج نسخة صحيحة موثقة . ومن ذلك كتاب لجالينوس ، وكان يبحث عن عدد من النسخ للكتاب الواحد ، ثم يعيد الترجمة والمعارضة مرارًا في عشرات السنوات . انظر رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى مطبوعة ليبزغ سنة ١٩٢٥ ومحاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥ .

(٢) ديوان سلامة بن جندل ص ١٣ ـ ١٣ و ٩٠ ـ ٢٠٩ .

(٣) شعر الأخطل ص ١٠ ـ ١٦ .

وفي شعر قبيلة هـُذيل كان للسكري جهود تحقيقية ضخمة جدًّا . فقد روى الأشعار والشروح والتفسيرات في عدة أسانيد تضم ٢٥ راويًا ، متصلة بالأصمعي وابن الأعرابي وأبي عمرٍو الشيباني وأبي عمرِو بن العلاء وأمثالهم ، وكان لكل منهم روايات وأقوال وأخبار وتفسيرات وشروح غفيرة ، متعاونة في تكوين المصنف العلمي الكبير . ومجموع هذه المواد الشعرية والنثرية يمثل عدة نسخ متداخلة المحتوى . ومع هذا فقد استطاع أن ينص على ما اتفقوا فيه ، ويميز ما انفرد به واحد منهم أو أكثر في شيء من ذلك ، مع ذكر أسماء الرواة ، مضيفًا إلى ذلك كله ما حصله من معلوماته بنفسه ومبيّنًا له أيضًا .[1]

وعندما أراد أبو محمد القاسم (ت ٣٠٤) ابن محمد الأنباري تحقيق القصائد المفضليات ، قام بجهود واسعة في التلقي من مجموعة علماءَ ما يحملون من أشعارها والشروح والتفسيرات ، ثم صنف ذلك في كتاب ضخم ، مبينًا ما كان لكل منهم ، ومضيفًا ما بدا له من التعليقات ، ثم مهد لذلك بقوله :[2]

« أملى علينا عامرُ بنُ عِمرانَ أبو عِكرمةَ الضبيُّ هذه القصائد المختارة المنسوبة إلى المفضَّل بن محمد الضبِّيِّ إملاءً مجلسًا مجلسًا ، من أولها إلى آخرها ، وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمدِ بنِ زيادٍ الأعرابي ، وذكر أنه أخذها عن المفضَّل الضبِّي . قال أبو محمد : وكنت أسأل أبا عمرٍو بندارَ الكرخي وأبا بكرٍ العبدي وأبا عبد الله محمدَ بنَ رُستُمَ والطوسي وغيرهم ، عن الشيء بعد الشيء منها ، فيزيدونني على رواية أبي عكرمة البيتَ والتفسير . وأنا ذاكر ذلك في موضعه ، إن شاء الله . فلما فرغنا منها صرت إلى أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ عُبيدِ بنِ ناصح ، فقرأتها عليه من أولها إلى آخرها شعرَها وغريبها ، فأنكر على أبي عكرمة أشياء ، أنا

(١) انظر شرح شعر هذيل ص ١٠ ـ ١٢و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٣١ و ٢٣٣ و ٢٨٢ و ٣٠٣ و ٣٦٣ و ٣٨٧ و ٤٤٤ و ٤٥٥ و ٤٦٢و ٤٧٠ و ٩٩٩ و ١٠٨٠ و ١١٢٢و ١٢٢٠ و ١٢٨٥ .

(٢) ديوان المفضليات ص ١ .

مبيِّنها في مواضعها ، ومسندٌ إلى أبي جعفر ما فسّر وروى في موضعه ، إن شاء الله . والمعين الله ـ جل وعز ـ والحول لـه والقوة به . وعمود الكتاب على نسق أبي عكرمة وروايته)) .

ولما كان ابن دريد (ت ٣٢١) قد أملى كتابه ((جمهرة اللغة)) مرارًا من حفظه ، وحصل في ذلك خلاف كثير في الروايات ، شرع تلميذه عُبيد الله بن أحمد الذي لقبه جخجخ (ت ٣٥٨) في تحقيق النسخة الأخيرة مستعينًا بما كان قبلها من النسخ أيضًا ، ثم قرأها على المؤلف ، فكانت هي المعتمدة في التاريخ بين العلماء .[١]

وفي عهد الحكم المستنصر بالله (ت ٣٦٦) نرى لجنة ألفها هذا الخليفة الأموي ، لتحقيق كتاب الخليل ((العين)) . فقد أحضر نسخًا من ذلك الكتاب ، في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي تلقاها بمصر عن ابن ولاّد ، وأمر بعض العلماء أن يقابلوا ذلك كله مع أبي علي القالي بما أحضره من بغداد .[٢]

---

(١) جمهرة اللغة ١ : ١٥ وكشف الظنون ص ٦٠٨ وإنباه الرواة ٢ : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٢) جذوة المقتبس ص ٥١ . وأمثال هذه المعارضة تتوضّع في المرتبة الثانية ، من المنازل المنهجية في أصول التحقيق ، لأنها تعتمد نسخًا متأخرة عن زمن صاحب النص ، بخلاف ما رأيناه فيما ذكرنا عن القرآن الكريم والحديث الشريف ، من مقابلات متميزة تعتمد على الأصل الأصيل للنص ، لتثبت أنها تتصدر قمة المراتب العلمية الموثقة . ويلي هاتين المنزلتين بعد درجات ودرجات ما جاء في تاريخ الأقدمين :

فقد روي أن بعض اليهود سجلوا التوراة وما شابهها ، بالذهب على أوراق فضة ، للملك فيلدلفوس قبل الميلاد بحوالي ٢٧٨ سنة ، فطلب منهم الأصول وقابل عليها . عيون الأنباء ص ١١١ ـ ١١٢ . وقيل : إن علماء الاسكندرية عارضوا ، في القرن الثالث قبل الميلاد أيضًا ، نسخًا متعددة لكتاب واحد . البنيوية ص ٥٦ ـ ٥٧ . وروي أن تيموتاس السرياني عارض نسخة من كتاب بأُخرى ، في القرن الثاني الميلادي ، وأن تومى الحرقلي عارض بعض نسخ الإنجيل ، في مستهل القرن السابع .

وهذه روايات ليس لها إسناد علمي موثق ، ولا بيان تفصيلي للنسخ المعارضة وصلتها بالمصدر الأصلي للكتب المذكورة . فهي أخبار تحتاج إلى ما يعطيها شيئًا من التوضيح والتوثيق ، حتى تصبح ذات قيمة تاريخية في ميدان العلوم. ولذلك تبقى في المرتبة الدنيا من منازل الإجراءات العملية للمعارضة .

وقد انتشرت هذه الرواية في الأوساط الأندلسية ، فكان لها روايات متعددة ، كما جاء في ((فهرسة ابن خير)) .[١] وإنك لترى في هذا المصنف المعجمي الرائد نماذج غفيرة جدًّا ، تمثل الإجراءات الواقعية لما نحن في سمته ، من التوثيق والمقابلة والتحقيق العملي، منذ أحد عشر قرنًا.

* * *

وعلى غرار تلك النماذج المسرودة هنا ، ترى مئات الألوف من المصنفات والنسخ الخطية ، تـُجري عمليات التوثيق والتحقيق ، وتحدد مدلولاتها ومفاهيمها ، خلال العمل التنفيذي . وفي ممارسة هذه الإجراءات من أساليب التوثيق والتحقيق ، خلال تلك القرون العملية الجادة ، كان رجالات العلوم المختلفة قد وضعوا أصولًا وقواعد ، ومارسوا خطواتها تطبيقًا في كثير من مصادر التراث ، ترى نماذج نظرية لها في عدد من المصنفات .[٢]

وقد تولد عن هذه الميادين التأسيسية ، وما استخدمه رجال العلوم الإسلامية ، رسم نظري وعملي لتوثيق النصوص وتحقيقها ، في أصول تجريبية كما ذكرنا قبل ، نفذوها في الكثير الكثير من المصنفات ، وأوضحوا جوانبها بالتفصيل في كتب منهجية مؤلفة ، ونصوص متلقّاة بالإجراءات التطبيقية .[٣] ونحن سوف نقف إزاء تلك الأصول بالبيان في فصل

(١) ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(٢) انظر إجازات السماع في المخطوطات القديمة لصلاح الدين المنجد ، والبحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف، وتدريب الراوي للسيوطي ، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم لابن جماعة ، والتطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق التراث العلمي لرشيد عبد الرحمن العبيدي ، والعلامات والرموزعند المؤلفين العرب لحسين علي محفوظ ، والمعيد في أدب المفيد والمستفيد لعبد الباسط العلموي ، ومناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لفرنتز روزنتال ، ونوادر الإجازات والسماعات لابن طولون الدمشقي ، ومعجم السماعات الدمشقية والسماع في المخطوطات العربية لمأمون الصاغرجي ، والقواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من االكتب والأجزاء التراثية ص ٣٣ ـ ٧٩ .

(٣) انظر تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم لابن جماعة ، والمعيد في أدب المفيد والمستفيد لعبد الباسط =

آخر، إن شاء الله تعالى . على أننا نبسط هنا بعض النماذج العملية تضيء لنا السبيل ، فيما كانت عليه مستويات ذلك العمل الكريم .

بين يديَّ الآن نسخة خطية من كتاب ((إصلاح المنطق)) ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤) ، سجلها أحد الناسخين المغمورين في القرن الخامس الهجري . وإنك حين تتصفحها تجد فيها التسجيل الدقيق للأصول العلمية المقررة في هذا الفن.[1] فقد جاء العنوان التالي في الصفحة الأولى من أول ورقة : ((كتابُ إصلاحِ المَنطقِ ، تأليف أبي يوسفَ يعقوبَ ابنِ إسحاقَ السِّكِّيتِ)) . ويلي ذلك قول الناسخ عن نفسه : ((علي بن عبيد الله الشيرازي ، على الله يتوكل)) . وفي هذا توثيق لعنوان الكتاب واسم مؤلفه واسم ناسخه .

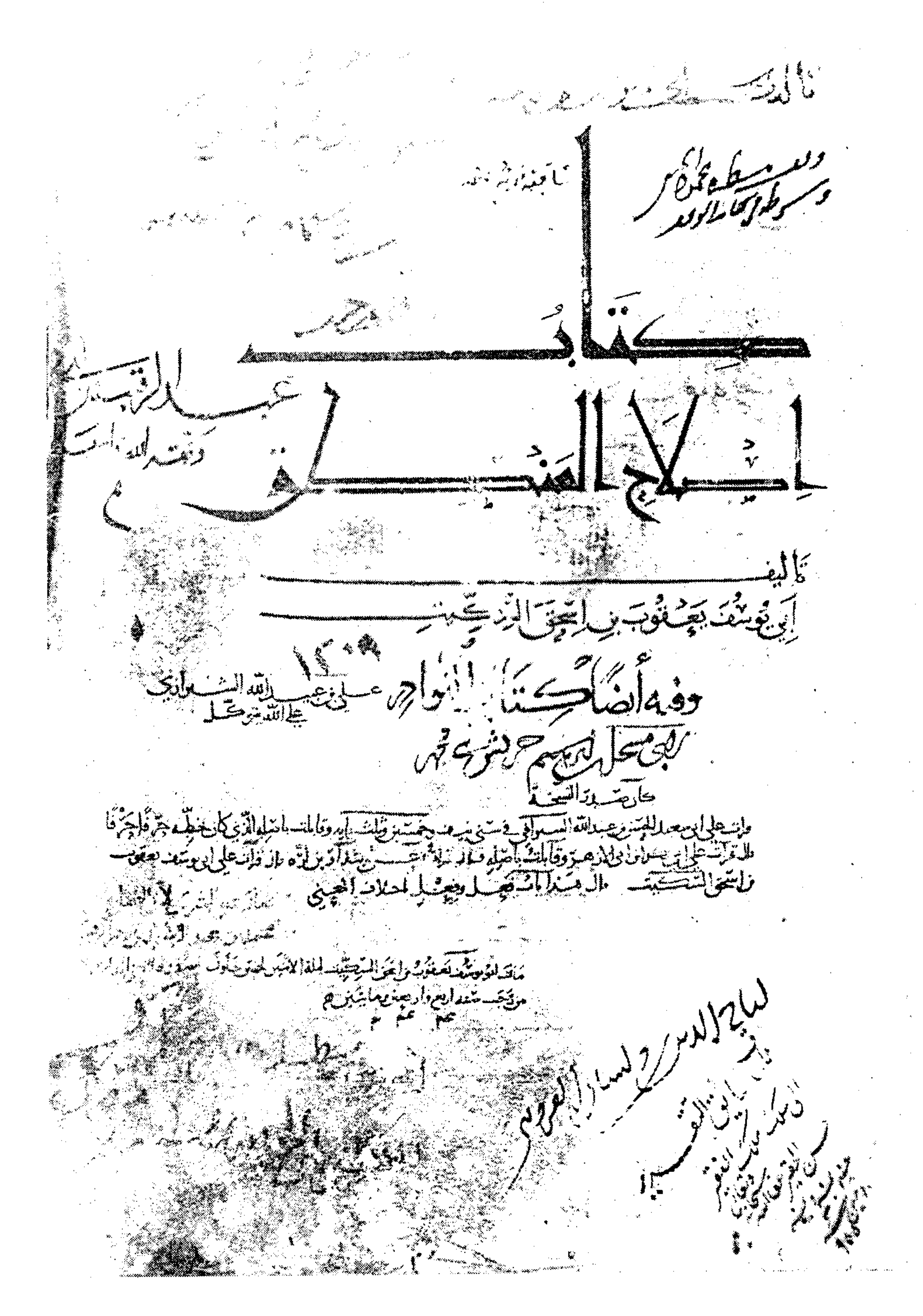
ثم ترد النصوص المؤكدة للتوثيق ، إذ يكون تعريف بالنسخة المنقول عنها تحت العنوان المتقدم كمايلي : ((كان في صدر النسخة : قرأتُ على أبي سعيد عبد الله السِّيرافي ، في سني نيف وخمسين وثلاثِمِائةٍ ، وقابلتُ بأصله الذي كان بخطه حرفًا حرفًا ، قال : قرأتُ على أبي بكر بن أبي الأزهر ، وقابلتُ بأصله ، قال : قرأتُ على بُندار بن لُرَّةَ ، قال : قرأتُ على أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت ، قال : هذا بابُ فَعْلٍ وفِعْلٍ باختلاف المعنى)).

وفي أسفل الصفحة : ((مات أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ليلة الاثنين ، لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومِائتَين)) . ثم في حاشية مطلع الصفحة التالية : ((كان صدر الأصل : حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ القاسم الأنباري النحوي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا الرُّستُمي محمدُ بن رُستُمَ وأبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عُبيد قالا : قال أبو يوسف هذا باب)).

وفي الصفحة الأولى من الورقة الأخيرة ختامًا للنص : ((آخرُ كتابِ إصلاحِ المنطقِ ، عن يعقوبَ بنِ إسحاقَ السِّكِّيتِ . والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وحسبنا الله

= العلموي ، والبحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف ،ومناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لفرنتز روزنتال .

(١) النموذجان ١٤ و ١٥ .


كتاب
إصلاح المنطق
تأليف
أبي يوسف يعقوب بن إسحق السكيت

النموذج ١٤ من إصلاح المنطق : توثيق النص : أسماء الكتاب والمؤلف والناسخ

وحشوت الغيظ في اضلاعه فهو يمشي

حظلانا كالنقر

والنعرة ذباب اخضر ازرق يدخل في انوف
الإبل والدواب فاذا دخل في انف الحمار سما براسه
صعدا يقال حمار نعر . والحكة دويبة
شبيهة بالعظاءة تبرق ليس لها ذنب طويل مثل
ذنب العظاءة وقوائمها خفية . والوبة
واد من اودية اليمن . والسخلة الارنب
الصغيرة التي قد استغنت عن الخرنق وفارقت
امها . والقبعة طويئر ابقع مثل العصفور يكون
عند حجرة الجرذان فاذا فزع او رمي انجحر
وهي القبعة بالحجرة . والقنبرة . والملوعة
طائر شبيه بالدراجة . والدرجة طائر اسود
باطن الجناحين وظاهرهما اغبر وهي على خلقة
القطاة الا انها الطف . والقصعة والنفقة من جحرة
اليربوع . وزاد الاحمر الرهطة . والدامة وهي
الراطبة . وهي الدولة والتولة للداهية يقال جاء
بالدولات والتولات . وهي القرزة لما يلصق في اسفل القدر
والقرارة . والحززة وجع يأخذ في الظهر . والنخرة
من الفرس والحمار مقدم انفه . وخرزة يقال
لها العقرة تشدها المرأة في حقوها لئلا تحمل
ويقال للحمرة الحمرة وقال ابن احمر

١٧٦

النموذج ١٥ ـ أ من إصلاح المنطق : إجراءات التحقيق ومتمماته

تبيض على أرجائها الحُمَّر والرُّبَعة والذَّكَر
الرُّبَع ما نُتِج في الرَّبيع والهُبَعة والهُبَع ما نُتِج في
الصَّيف . الكسائي وأبو زيد قالا الحرب خُدعة

وقرأته [illegible] على [illegible]
[illegible] وصح والحمد لله
[illegible] بالأصل

آخر كتاب
إصلاح المنطق عن يعقوب بن إسحق السكيت

والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من نسخه علي بن عبيد الله الشيرازي في يوم الاثنين
الثاني عشر من شعبان سنة سبع وأربعين وأربع مائة
ماه آذر روز شهريور ونحمد الله ونستغفره

النموذج ١٥ ـ ب من إصلاح المنطق : شدّ الكتاب ومعارضته وتاريخ نسخه

ونعم الوكيل . فرغ من نسخه علي بن عُبيد الله الشيرازي ، في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبانِ سنةِ أربع وأربعين وأربعمِائـَة ـ ماه أذررور شهرير ـ وهو يحمد الله ويستغفره)) .

وفي مطاوي هذه النسخة ترد عبارات المعارضـة بالأصـل المنقولـة عنـه ، إذ تقـف في الحواشي على قول الناسخ : ((بلغَـتِ المقابلة)) يتكرر في عديد من المواطن . ومن خلال هذه المعارضة تبـدت للناسـخ مـواطن خطـأ أو خلـل أو نقـص أو زيـادة ، فكـان يعـالج ذلـك بالأساليب المنهجية المقررة ، كما ذكرنا في مواضع من كتابنا هذا ، فيصوب الخطأ ويقوم الخلل مع الرموز اللازمة ، ويلحق النقص بالحاشية مع إشارة الإلحاق ، ويعلـّم على الزيادة بما يحدد أولها وآخرها ، معيِّنًا النسخة التي تفتقدها .

وخُـتم ذلك كلـه ، في نهايـة الكتـاب ، بالعبـارة التاليـة : ((قوبـل بالأصـل وصـحّ . والـحمد لله)). ثم عورضت هذه النسخة بنسخة أُخرى ، كما جاء بخط الناسخ نفسه إذ قال: ((قوبل ثانية بنسخة عراقية ، عـلى ظهرهـا خـط عبـد الســلام بـن الـحسيــن الـبصري بروايات عنده ، وصحّ. والــحمد لله)) . وجـاء في مطـاوي الكتـاب عبـارات كثـيرة تحـدد مواضع هذه المعارضة الثانية ، بحيث شملت النص كلـه . وقـد علـّق هـذا الناسـخ الـذي عارض نسخته بالثنتين ، في حواشيها ، كثيرًا من العبارات والألفـاظ الخلافيـة أو التصـويبية نقلاً عن كل منهما، مع تقدمة بقوله: ((النسخة)) أو ((نسخة)) أو ((أُخرى)) .

وفي بدء كل مجموع من الورقات كملزمة أو كـُـرّاسة ، تقف على عبارة تعين مرتبته من ملازم أو كراريس هذه النسخة أيضًا ،[1] نحو : ثاني إصلاح المنطق ، ثالث إصلاح المنطـق ، رابع إصلاح المنطق . . . خامس عشر إصلاح المنطق . وهـذا يؤكـد اتصـال نـص الكتـاب ، بالإضافة إلى وحدة الخط وأسـلوبه في الرسـم والضـبط وتوزيـع الأبـواب والعبـارات نثـرًا

(١) كان القدماء يعتمدون تقسيم المصنفات إلى كراريس بدلاً من ترقيم الصفحات أو الأوراق ، ويقدرون سعة المصنفات بعدد الكراريس . انظر الكتاب ١ : ٤٧٨ وما يذكره المؤرخون عن مقدار المؤلفات القديمة .

وشعرًا، في كل المصنف .

ثم جاء في الصفحة التالية لختام المصنَّف كتابات تصف النسخة العراقية بما يزيد التوثيق توكيدًا ، كما يلي :[١]

((كان في أخر النسخة بخط عبد السلام بن الحسين : قرأتُ هذه الكرَّاسة[٢] وأصلحتُها ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن علي الخياط الشيرازي ينظر في أصلي الذي قرأتُه وصححتُه ، وسمعها مع ما قبلها من لفظي . فليروِ عني وعن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجرّاح . وقد أجاز له أبو بكر بن الجرّاح عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه عن ابن رستم عن يعقوب . وأجزته أنا لأخيه عبد العزيز بن محمد بن علي الخياط الشيرازي الشافعي ، ولصهره أبي زُرعة عبد الواحد بن عُبيد الله الآدمي . وكتب عبد السلام ابن الحسين بن محمد البصري . وذلك يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاثمِائَة)) . وبخطه أيضًا :

وقد قرأ أبو العباس هذا الكتاب على القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وستين وثلاثمِائَة . وكان يرويه عن أبي بكر محمد بن مَزْيَد أبي الأزهر عن بُندار بن لُرّة عن يعقوب . وسمعته أنا بقراءة أبي علي الحسن بن منال من أوله إلى آخره، على القاضي أبي سعيد . فإن أحبّا أن يرويا عنّا هذه الرواية فليروياها ، إن شاء الله .

وعورضت هذه النسخة بنسخة بغدادية بخط ابن بلبل ، كان في آخرها مكتوب :

قرأ عليَّ ((المنطق)) هذه النسخةَ ، من أوله إلى آخره ، أبو عبد الله بن بلبل البغدادي ـ أيّده الله ـ وضبطه وصححه بعد تصحيحنا على شيخنا أبي سعيد . أدام الله عافيته . فهذه النسخة غاية وإمام ، يُرجَع إليها . ومن قرأه على أبي عبد الله بن بلبل فهو كالقارئ على أبي

(١) كنا عرضنا صورة تمثل ذلك منذ صفحات . راجع النموذج بعد ص ٩١ .

(٢) يعني الكراسة الأخيرة من الكتاب .

سعيد وعليَّ ، لأنه ما عذّرَ ولا قصّرَ ولا ألا . نفعه الله وإيانا بالعلم والأدب . وكتب الحسين ابن خالـوَيه .

وفي أولها مكتوب :

رواية أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي قراءة عليه ، عن أبي بكر محمد بن أبي الأزهر قراءة عليه ، عن أبي عمرو بُندار بن لـُرّة الكرخي صاحب ((معاني الشعر)) قراءة عليه ، قال : سمعتُ أبا يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت يقول . الكتاب كله على هذا . وأما رواية ابن الأنباري فرواه [أي : الكتاب . أو لعل الصواب : فرواها] عن أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البصري ، قال : حدثنا ابن يزيد عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل بن الجرّاح الخزاز ، عن أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، عن أبيه القاسم ابن محمد بن بشار، عن أبي جعفر أحمد بن عبيد الملقب بأبي عصيدة، عن يعقوب بن السكيت. وأما رواية أبي بكر بن الأنباري فعن أبيه القاسم بن محمد بن بشار ، عن عبد الله بن رستم وأبي جعفر أحمد بن عبيد جميعًا ، عن ابن السكيت .

وكان على ظهرها مكتوب :

سمع أبو عبد الله محمد بن عثمان بن بلبل هذا الكتاب إلى آخره ، بقراءته وقراءة من قرأ عليه . وكتب الحسن بن عبد الله السيرافي) .

وأنت تلقى في هذه الروايات توثيق الصلة الكاملة للكتاب بمؤلفه ابن السكيت ، عَبر عدة أسانيد متصلة ، فيها أسماء العلماء القارئين والمجيزين والسامعين ، وكل ذلك ينتهي بالمؤلف سماعًا منه ، وهو يقرأ الكتاب ويمليه بنفسه . وقد ضُبط النص كله ، في شعره ونثره وآياته وأحاديثه ، ضبطًا متقنًا ، مع خط ممتاز لا إشكال فيه ، ثم إذا بدا في بعض الكلمات غموضْ حرف أو إشكال في ضبط لها علق عليها في الحاشية باللفظ نفسه موضّحًا المراد . والخط أيضًا كان في مستويات مختلفة ، لعناوين الأبواب ضخماً متميزًا ، وللشعر متوسطًا

وأسود قاتمًا ، وللنثر دون ذلك في الحجم واللون ، وللتعليقات دقيقًا إلّا ما كان لحقًا فهو من مستوى الشعر أو النثر نفسه .

يضاف إلى هذا معارضة بنسخ أُخرى متعددة مختلفة ، جاء منها في الحاشية : نسخة ، نسخة ع ، ونسخة ق ، وفي بعض النسخ ، وفي النسخة ، وفي نسخة . . . وقد صدر عن تلك المعارضات المذكورة الغفيرة تعليقات كثيرة ، فيها إلحاق ما سقط سهوًا ، وإشارات إلى أن بعض العبارات أو المفردات غير وارد في نسخة أو أكثر ، وتصويب لما كان من خطأ في الرواية أو الضبط ، وتقويم نسق العبارة التي فيها تقديم وتأخير ، وتصحيح روايات الشعر والشواهد الأُخرى . وكل من هذه التعليقات في الحواشي مختوم بالحرف ((هـ)) أو بعبارة ((تمت)) ليتميز بعضه من بعض . ثم إن العبارات في المتن تختم كل جملة منه بثلاث نقط كالمثلث ∴ ، وكل فقرة بالحرف : هـ .

وبما أن نسختنا التي سجلها علي الشيرازي جمعت روايات متعددة ، ثم قوبلت بنسختين أُخريين تضمان مزيدًا من الروايات الموثقة ، فقد حرَص الناسخ المتقن أن ينقل في حواشيها مجموعات غفيرة جدًّا من التعليقات عن أولئك الأعلام الذين خدموا الكتاب في قرن ونيف . وما تضمنته هذه التعليقات يدخل في أصول متممات التحقيق ، إذ تجد فيه تصويبًا لبعض الألفاظ والعبارات ، وتفسيرًا للغريب والمشكل منها ، وتعريفًا لبعض الأعلام الواردة في النص ، وزيادات عن بعض النسخ المنسوبة الموثقة ، وشرحًا للشعر مع بيان موضوعه وذكر روايات له واسم قائله ، والأبيات التي هي صلة له وتتمم توضيح معانيه .

وجمهور ذلك منسوب إلى قائليه أو راويه . فخِدمة الشعر غالبًا ما يرد كل قول منها بعد أحد الرمزين التاليين : **س** ، **ب** . والظاهر أن المراد بالأول هو أبومحمد يوسف بن سعيد السيرافي ، وبالثاني هو أبو عبد الله بن بلبل الذي يروي كثيرًا من المقولات عن الأزهري محمد ابن مَزْيَد أبي الأزهر ، وعن الخارْزنجي أحمد بن محمد البستي ، وعن القرشي ، وعن ابن

دريد ، وعن أبي حمزة ، وعن ش .

والتعليقات الأُخرى تتقدمها رموز حرفية متعددة نحو : ح ، ك ، ع ، ج ، ش ، ق ، خ ، قب ، ح ع ، ع ح . . . وكل منها اختصار لاسم أحد العلماء ، مع نص أحيانًا بالأسماء منها : أبو محمد ، أبو سعيد ، ابن كيسان ، أبو بكر ، أبو جعفر ، ثعلب ، أحمد ، أبو العباس ، أبو عمر، الجرجاني ، الطوسي . وهم الذين كان لهم حواش ، على هذا الكتاب اللغوي الكبير ، نُقل بعضها من خطوطهم ، وتضم تفسيرًا أو تصويبًا ، أو زيادات من بعض النسخ ، أو روايات أُخرى لبعض العبارات ، أو شواهد نثرية وشعرية على العبارات الواردة في متن الكتاب . هذا بالإضافة إلى بعض التعليقات الغفل من كل رمز أو اسم . الأمر الذي يغني الكتاب بمزيد من التحقيق ومتمماته عمليًّا ، وهو كله في أواخر القرن الرابع الهجري .

وإليك نموذجًا آخر كان في أواخر القرن الخامس ، وهو ((تهذيب إصلاح المنطق)) . فقد قرأ الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) كتاب ((إصلاح المنطق)) على أبي العلاء المعري (ت ٤٤٨) ، وعلى شيوخ العراق بأسانيد تصل إلى المؤلف ابن السكيت ، ثم هذبه تحت العنوان المذكور قبل . وقد جاءتنا نسخة من هذا الكتاب في أولها عنوانه واسم مؤلفه ، ثم عبارات بخط المؤلف نفسه أن الناسخ قرأها عليه معارضًا بالأصل ، وفي نهايتها : هذا آخر كتاب تهذيب الإصلاح . . .

وكان التبريزي استفاد من قراءاته تلك تصويبات وتفسيرات وتعليقات من العلماء ، ثم وقف على بعض النسخ من ((الإصلاح)) وفيها كثير من الحواشي المتضمنة لخلاف الرواية ولتوجيه المعاني والعبارات ، وعلى شرح شواهد ((الإصلاح)) الشعرية لأبي محمد بن السيرافي ، فجمع ذلك كله في كتابه التهذيب .

وعندما تتصفح هذا الكتاب ترى أصول التحقيق وأساليبه ومصطلحاته جارية ، في غضون العبارات من أوله إلى آخره . ففي الخطبة تجد ذكر القراءات التي كانت على العلماء ،

ثم إسناد الرواية إلى مؤلفه ، على الشكل التالي : ((قرأتُ على الرئيس أبي الحسينِ هلالِ بنِ المحسّن ، عن أبي بكرٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الجرّاح ، عن ابن الأنباري ، عن أبيه ، عن عبد الله بنِ محمدِ بنِ رستمَ ، عن أبي يوسف يعقوبَ بنِ السِّكِّيت ، قال : باب فَعل وفِعل . . .)) .
وفي هذه الخطبة أيضًا ذكر التبريزي أنه استفاد من توجيهات العلماء ، واعتمد ما صنفه ابن السيرافي من شرح للأبيات .

أما متن الكتاب فتُنثر فيه عبارات التوثيق للنصوص والتحقيق للعبارات ،[١] عن العلماء من الخليل إلى أبي محمد الغُندُجاني ، وعن الكتب المتقدمة من كتاب سيبويه إلى تذكرة الفارسي ، مع استخدام بعض الرموز . نحو : ث : لثعلب ، ج ، فتح : لأبي الفتح بن جني ، ح : للحَوفي ، رز : للرزاز ، ع : للمعري ، ق : للرقي ، ك : لابن كيسان ، س ، ط ، زح ، زع ، ض ق ، ق س ، ق ك ، ذع ح ، زع ح ، ح ر زع . . . كما ذُكرَتِ النسخ التي نَقل عنها بعض العبارات والنصوص .

وأخيرًا هذا عمل من منتصف القرن الثامن ، أنجزه أبو حيّان النحوي (ت ٧٤٥) ، وهو نسخة من كتاب ((الممتع الكبير)) في التصريف لمؤلفه ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩)، تمثل الصورة الأخيرة من إخراجات ابن عصفور للكتاب . ذلك لأن المؤلف كان قد صنف كتابه مختصرًا في شكل بدائي ، ثم تابع إغناءه بالمواد العلمية يومًا بعد يوم ، يلحقها بحواشي نسخته ، حتى وافته المنية . ومن ثَمّ تولدت عن عمله هذا عدة نسخ مختلفة تبعًا لتاريخ نقلها من الأصل ، وكان فيما بينها خلافات كثيرة في النص وملحقاته وتصويباته ، ونسخة أبي حيان هي آخر ما نُقل من إنجازات المؤلف في تعديل الكتاب .[٢]

لقد جاء في أولها : ((تصريف الأستاذ أبي الحسن ابن عصفور ، أكرمه الله . وهو الذي

---

(١) انظر تهذيب إصلاح المنطق ص ح ـ ط و ١ ـ ٣ و ٥٢٤ و ٧٧٩ و ٧٨٠ .

(٢) انظر الممتع الكبير ص ٥ ـ ١٩ وابن عصفور والتصريف ص ٢٥٣ ـ ٢٨٩ .

سماه بالممتع في التصريف)) . وكان أبو حيّان تملكها ، وحملها معه إلى القاهرة ، حيث سجل ما يلي : ((قابلت جميع هذا الكتاب مع شيخنا الإمام اللغوي الحافظ حجّة العرب أوحد عصره ، رضي الدين أبي عبد الله محمدِ بنِ عليٍّ بنِ يوسفَ الأنصاريِّ الأندلسي الشاطبي . قاله كاتبه أبو حيّانَ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ عليٍّ بنِ حيّانَ النَّفْزيُّ الأندلسي الجيّاني نزيل القاهرة)) . وفي هذا توثيق وتحقيق بالمعارضة والقراءة للنص بكامله .

ثم ألحق بحواشي النسخة تعليقات كثيرة جدًّا، تنصبّ في ذلك السبيل العلمي الكريم:

١ ـ وقف على جزء من الكتاب بخط المؤلف نفسه ، فعارض به ما كان لديه منه ، وسجل زيادات وتصويبات ، ختمت بعبارة : ((من خط المصنِّف)) .

٢ ـ ورجع إلى نسخة لشيخه أيضًا أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، وعارض بها النص كله ، عدا خطبة الكتاب لأنها لم ترد فيها . فقد جاء في الخطبة في أول الكتاب قوله : ((هذه الخطبة لم تثبت في كتاب أستاذي أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ وثبتت في بعض النسخ)) .

٣ ـ وعارض أيضًا بنسخة لمن يقال له ((ابن الخفّاف)) ، وهي بخطه ، فنقل عنها كثيرًا من النصوص .

٤ ـ وعارض بنسخة رابعة ، وصفَ صاحبها بالخزرجي .

٥ ـ وعارض بنسخة خامسة ، عبر عن صاحبها بأنه الكرماني .

٦ ـ وتتبع نسخًا أُخرى ، عارض بها ما لديه من الكتاب ، ونقل منها الخطبة وعشرات من النصوص التي علقها ابن مالك (ت ٦٧٠) على عبارات ابن عصفور وأحكامه .

وبهذا أصبحت نسخة أبي حيان تمثل أكثر من عشر نسخ ، وتغني الكتاب بعناصر غفيرة من التوثيق والتحقيق . ثم أضاف إلى ذلك تعليقات وافرة تخدم متممات التحقيق ، كتفسيرِ المفردات الغريبة والمصطلحات العلمية واللهجات الخاصة ، وبسطِ البيان للمعلومات المتخصصة مع اختلاف العلماء فيها ، وسردٍ لأمثلة القواعد المختصرة ، وتعقبٍ

للأحكام المشكلة أو الضعيفة ، واستدراكٍ لما غفل عنه المؤلف أو كان شاذًّا أو نادرًا ، و نقدٍ لما كان من وهم أو سهو أو خطأ في النقل والرواية والأحكام .

وبعض هذا هو من جهود أبي حيان ، وبعضه الآخر منقول عن ابن مالك وآخرين من العلماء وكتبهم . ولذلك ورد عنده استخدام رموز أحيانًا ، إشارة إلى صاحب القول . فمنه ما عرفنا دلالته ، نحو : س : سيبويه ، ش : الأخفش ، ص : ابن عصفور ، ع : ابن عصفور ، فا: أبوعلي الفارسي . وما لم يتضح المراد به : ب ، بيع ، ح ، في . . . .

* * *

تلك الأمثلة التي عرضنا هي نماذج قليلة ، من مئات آلاف النسخ الخطية والكتب المصنفة حتى منتصف القرن الهجري الثامن ، أي : منتصف القرن الثالث عشر الميلادي . وقد استمرت هذه التقاليد العلمية في التوثيق والتحقيق ، تتكاثر صورها ومصطلحاتها وأساليبها بين الأفهام والألسنة والأقلام ، حتى زمننا هذا ، ونُفِّذتْ أيضًا في مئات من النصوص المخزونة على رفوف المكتبات الخطية في العالم ، شاهدَ عدل على ما قدمته حضارة العروبة والإسلام لتاريخ هذا العلم العظيم .

يضاف إلى هذا أنك تقف ، بين طيات المخزون العلمي الخطي ، على توثيق الاقتباسات بأسلوب منهجي دقيق ، يعتمد النسخ ذوات النسب العريق . هذا عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣) ، تراه في ((خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)) ، يسرد مصادره في التأليف ، فيجعل نوادر أبي زيد الأنصاري بين مجاميع الشعر والأدب ،[١] بما توفر لديه من مصادر تراثية أصيلة مواتية .

لقد كان عنده من النوادر هذه ثلاث نسخ :[٢] إحداها منقولة من نسخة قديمة جدًّا

(١) الخزانة ١ : ١٠ .

(٢) شرح أبيات المغني ١ : ١٠٧ و١٠٨ و ١٩٣ و ١٩٤ . وانظر منه ٨ : ٤٤٦ والخزانة ١ : ٩١ و٣ : ١٢ و١٩٩.

فيها صنعة السجستاني على نوادر أبي زيد ، وما زال من هذا النص المجرد عن شرح الأخفش نسختان خطيتان : إحداهما كتبها بخطه محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي سنة ١٢٩٦ بالقسطنطينية ، وهي الآن محفوظة في دار الكتب المصرية تحت الرقم ٤٤ أدب ش ، ضمن مجموع مع أمالي المرتضى . والأُخرى في مكتبة كوبرلي بإستنبول ، وثالثة مما عند البغدادي هي بشرح الأخفش وتعليقاته ، ومضمونها هو ما نشر حتى الآن .

وقد رجع إلى هذه النسخ ، وإلى مئات أُخرى من أمثالها ، فيما يحقق من النصوص الشعرية والنثرية ، ونقل ما يعينه على تحرير المسائل وتصويب العبارات ، ثم أحال على ما يوثّق المعلومات ويربطها بمصادرها المعتبرة . وكان في غالب الأحيان يذكر القيمة العلمية لما يعتمده من النسخ ، بما فيها من أسانيد موثقة ، وقراءات وسماعات وإجازات ومطالعات ، وما عليها من خطوط للعلماء والقراء .

وعندما أراد تحقيق شواهد ((مغني اللبيب)) ، رجع إلى أصول للكتاب نفسه ، وشروح وحواش وتعقبات عليه وتقريرات ، ليجد فيها ما يصحح العبارة ، ويوثق المقولات في الشعر والنثر أيضًا . وكان من جملة ذلك ثلاثة شروح للدماميني ، أحدها هو الحاشية الهندية تحت عنوان ((تحفة الغريب على مغني اللبيب)) ، والثاني كان يسميه ((المزج)) ، ثم شرح رابع صاحبه الشُّمُنّيّ واسمه ((المنصف من الكلام على مغني ابن هشام)) ، وخامس لابن المُلَّى الحلبي ، وسادس لمحمد العيزري تحت عنوان ((مُدني اللبيب من حاصل مغني اللبيب)) . ثم استعان بما كان للسيوطي في ((شرح شواهد المغني)) و ((وتحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب)) ، وما كتبه على المغني أيضًا محمد بن إبراهيم الحلبي .[1]

هذا بالإضافة إلى آلاف المصنفات ، في اللغة والأدب والتاريخ والشعر والنحو . . . يعاون بعضها بعضًا في توثيق النصوص وتحقيق عباراتها ، ويعيّن مصادرها الأصلية في

---

(١) انظر شرح أبيات معني اللبيب ٣ : ١٦٨ و ١ : ١ و ٢٨ و ٣ : ٣٨ و ٢٦٠ و ٨ : ٤٤١ و ٤٤٢ .

تاريخ الرواية . وربما أغرق في البعد بحثًا عن التوثيق ، ليرجع إلى خطوط العلماء أصحاب المقولات المقتبسة أو من في طبقتهم ، وينص على ذلك بالتعيين . ومن قبيل ذلك : قال ابن جني في ((سرّ الصناعة)) ، ومن خطه نقلتُ . ورأيت في ((شرح أشعار هذيل)) للسكري ، في نسخة بخط أبي بكر القارئ ، وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطهما . وقال معمر بن المثنى شارح ديوان بشر ، وهو عندي بخطه ، وهو كوفي .[1]

وكان كثيرًا ما يقرن اسم المصدر باسم مؤلفه ، للبيان والتوثيق ، نحو[2] : قال ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وقد ذكر ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف ، وروى العباسي في معاهد التنصيص ، ثم رأيت الصغاني قال في العباب ، وقال السخاوي في شرح المفصل ، وقال الدماميني في شرح المغني ، وقال المرزباني في الموشح ، وقال أبو حنيفة الدِّينَوَري في كتاب النبات ، وقال ابن الحاجب في أماليه ، وقال علي بن حمزة البصري في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة .

وقد يعرض من ذلك أقوالاً متقاربة لبعض المصنفين ، مع تعيين صاحب العبارة ، ليزيد الأمر بيانًا ودقة وتوثيقًا . ترى هذا في مثل عبارته التالية الواضحة الدلالة والتعيين : ((قال الأصمعي في كتاب الصفات ، وابن دريد في الجمهرة ، وأبو علي القالي في أماليه ، وابن الأثير في المرصع ، واللفظ له)) .[3]

ولما كان تعيين موضع الاقتباس في النسخ الخطية متعذرًا ، لاختلاف ترقيم الصفحات والأوراق والملازم بينها ، اتخذ البغدادي أسلوبًا يناسب الواقع المنهجي للمصنفات . فابن الشجري قوله هو ((في المجلس الثالث من أماليه)) ، و((قال أيضًا في المجلس الرابع

(١) الخزانة ١ : ٣٢٧ و ١٣٣ و ٢ : ٢٦٢ . وانظر منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٢٤ ـ ٤٨ . وانظر منهج البغدادي ص ٢٥ ـ ٢٧ .

(٣) الخزانة ١ : ٤٩٩ ومنهج البغدادي ص ٢٥ .

والعشرين)) . وابن هشام أورد البيت ((في أواخر الباب الخامس من المغني)) ، والقراءة شاهدًا على لغة ((أكلوني البراغيث)) أوردها صاحب ((الكشاف)) في سورة المؤمنون ، والقضية النحوية أوردها ابن الأنباري في موضعين بالوجهين : في المسألة الخامسة والسبعين ، وفي المسألة الثانية عشرة بعد المائة . والبيت من قصيدة لذي الرمة هي ((أول ديوانه)) ، ورجز أخي الشماخ جبار بن جزء ((هو من جملة أرجاز لجماعة ، لها حكاية مسطورة في آخر ديوان الشماخ)) ، والبيت ((آخر أبيات أربعة لمسافع بن حذيفة العبسي ، مذكورة في باب المراثي من الحماسة)) لأبي تمام .[١]

وقد أضاف إلى كل ذلك كمتمات للتحقيق مقابلة بين نسخ الكتاب الواحد ، واجتهادًا لتخريج النص وتحقيق عبارته ، مع التنبيه على اختلاف الروايات ، وتعيين نسبة النصوص التي كانت مجهولة النسب ، وتعريفًا بالأعلام الوارد ذكرها في النصوص ، أفرادًا كانت أو قبائل أو جماعات أو حيوانات أو مواضع ، مع تفصيل للأحداث أيضًا ، وتعقيب بذكر المصادر التي استمد منها ذلك ، وتفضيل بعض على بعض .[٢]

ومعايير التفضيل هذه هي المقررة في أصول البحث والتحقيق . أعني ما كان ألصق بالموضوع ، أو أقرب إليه زمانًا ومكانًا ، حتى لتراه يتابع الرجوع إلى ما كتبه العالم بيده ، أو تلاميذه ومن عاصروه ونقلوا عنه بالتلقي والرواية والإسناد . ثم إذا تكرر ذكر العَلَم من الشعراء أو العلماء ، في موضع آخر بعد المرة الأولى ، أحال على مكان ترجمته له بدقة ، يحدد فيها رقم الشاهد الذي كانت بين ثنايا شرحه . وكذلك شأن المعلومات المكررة .

الانتحال الاستشراقي وإزالته :

تلك صور يسيرة مشرقة مشرّفة ، من إنجازات التاريخ الإسلامي الوافرة جدًّا ،

(١) الخزانة ١ : ٥١٠ و ٥١١ و ٥٦٨ و ٢ : ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٢٦ و ١٧٣ و ٣٥٩ . ومنهج البغدادي ص ٤٠ـ٤٣.

(٢) انظر مناهج تحقيق التراث ص ٥٠ ـ ٥٣ .

والمتعددة الأشكال والمستويات والنتائج . وأنت إذا تصفحت جمهور ما تضمنته تلك العمليات التنفيذية الواقعية ، في المصنفات الخطية المتكاثرة ، رأيت إجراءات أصول التحقيق تسير في خطوط متميزة شِبه موحدة ، لدى جمهور المؤلفين والنُّسّاخ ، وتبين أن مراحلها المختلفة تتوزع في خطوتين اثنتين :

١ ـ التحقيق النظري : ويكون فيه نظر ذهني بالتدبر والتفكير ، لإجراء مراحل الخطوات الخمس الأولية ، من اختيار الموضوع ونصه ، و جمع النسخ ، وترتيبها وترميزها ، و توثيق النص ، وقراءة التحقيق .

٢ ـ التحقيق العملي : وفيه تنفيذ الإجراء للمراحل الأربع التالية لما ذكرنا قبل ، وهي نقل النص ، ومقابلته بالنسخ ، وتثبيته وترميمه ، وتوثيق المعلومات .

ثم يلي ذلك متممات التحقيق ، وتشمل ما ييسر للباحث والدارس سبيل الفهم والاستفادة ، من تخريج الاقتباسات ، و تفسير الغريب والمشكل ، وتعريف الأعلام والأحداث ، والفهرسة المناسبة (وكان بعض المخطوطات فيه ذلك أيضًا ، كما سترى بعد ، إن شاء الله) ، وكتابة الخطبة أي : المقدمة .

وهذه المراحل النظرية والعملية ، مع المتممات المذكورة ، أخذت أبعادها في تاريخ التراث العربي الإسلامي ، بصورة كاملة ومتعددة الأشكال والنماذج ، حتى صارت تقليدًا منهجيًّا يلتزمه العلماء وكبار الناسخين ، وثبتت صوره في الآلاف المتكاثرة من النسخ التراثية. ونحن سوف نعرض هذا النهج العلمي ،[١] إن شاء الله تعالى ، في فصول تناسب الخطوتين الرئيسيتين ، وما يكون بعدهما من خدمة تيسير المتممات .

وعلى الرغم من هذا التاريخ الحافل بالجهود الكبرى في العالم الإسلامي العربي ، من الإجراءات في التوثيق والتحقيق منذ فجر الإسلام ، وما رافق ذلك من أصول وأساليب

(١) انظر تطبيقات ذلك بالتفصيل في « منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية » للدكتور أحمد محمد الخراط .

نظرية مقررة وأعمال تطبيقية منتجة ، ورسم للمنهج العلمي المتقن ، على الرغم من ذلك كله فإن رجالات الاستشراق والاستغراب يتجاهلون الواقع التاريخي والإنجازات الحضارية الإسلامية ، ويزعمون أن هذا العلم الكريم لم يكن يُعرف قبل القرن الخامس عشر الميلادي ، أي : القرن التاسع الهجري ، وأنه إذ ذاك نشأ على أيد أوربية ، رسمت طريقه ونفذته .[(١)]

والواقع أنه في تلك الآونة نشأت الطباعة هناك ، فقام بعض المستشرقين بأعمال طباعية فيها شيء من التصحيح البدائي ، تأثرًا بها لمحوا انتشاره في التراث الإسلامي ، ثم نقلوا إلى العالم صورًا مبسطة مشوهة من الحضارة العربية .[(٢)] وبذلك نُشرت بعض المخطوطات اليونانية واللاتينية والعربية ، ليس لها من التوثيق ما يذكر . وقد كان في البدء نشر الكتاب باعتماد نسخة واحدة، دون شيء من مظاهر التحقيق. ولما اطلع رجال من العاملين في الطباعة على الجهود العربية بشكل ما ، في تخريج النصوص والجمع بين الروايات والنسخ ، ظهرت بين أيديهم تعليقات طفيفة ، هي مَسخ أعجمي لآثار المسلمين في نتاجهم العلمي المديد .

ولقد استمرت هذه الأساليب البدائية تزين بعض المنشورات الأوربية ، أكثر من قرنين، كالذي تراه سنة ١٥٩٢ برومة في ((الكافية في علم النحو)) لابن الحاجب (ت ٦٤٦)، وكتاب ((نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والبلدان والجزر والمدن والآفاق)) المقتطع من مصنف الإدريسي المشهور(ت ٥٦٠) ، وسنة ١٥٩٣ في كتاب ((النجاة)) لابن سينا (ت ٤٢٨) ، وسنة ١٥٩٤ في ((تحديد أصول الهندسة)) الذي كان ترجمه نصير الدين

(١) أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١ ـ ١٢وقواعد تحقيق المخطوطات ص٧ ـ ٨ وتحقيق التراث ص٩ـ١٠وشوامخ المحققين ص ١٨٣-١٨٤. بل إن تقسيم مراحل التنفيذ لعمليات التحقيق ، كالذي ذكرته مرارًا ، نسب إلى عالم ألماني عاش في القرن التاسع عشر أيضًا . انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ٨٩ .

(٢) انظر ((معجم المطبوعات العربية والمعربة)) ليوسف إليان سركيس و كتاب ((المستشرقون)) للعقيقي ، والدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية ص ٩ ـ ٦٤ وتحقيق النصوص ونشرها ص ٧٧ وتحقيق التراث ص ١١ ـ ١٦ ، حيث كان عدة أوهام لاضطراب في الترجمة والنقل .

الطوسي (ت ٦٧٢) عن كتاب إقليدس ، وسنة ١٦١٠ في ((التصريف العزي)) للزنجاني (ت ٦٥٥)، وسنة ١٦٣٦ بليدن في ((عجائب المقدور في نوائب تيمور)) لابن عربشاه أحمد الدمشقي (ت ٨٥٤) . . . ثم سنة ١٧٩٤ بكوبنهاغن في ((المختصر في أخبار البشر)) لأبي الفداء (ت ٧٣٢)، وسنة ١٧٩٧ في ((نبذة العقود في أمور النقود)) للمقريزي (ت ٨٤٥)، و سنة ١٨٠٠ بألمانية في ((الأوزان والمكاييل الشرعية)) للمقريزي أيضًا .

وإذا تصفحت مثل هذه المطبوعات لم تجد فيها ما يدل على معرفة منهجية أو أسلوب عملي مقرر ، وإنما هي شذرات نادرة جدًّا متناثرة لبعض الملاحظات الآنية الفجة .[1] ثم كان الغزو الأوربي الموسع للمخطوطات العربية ، إذ شرع رجالات العولمة القديمة في القرن التاسع عشر يسطون عليها ويجمعونها لديهم ، بالسمسرة والسرقة والغش والرشاوى . وبهذا كان الاطلاع على نماذج من النتاج الإسلامي المبارك ، فأصبحت عناصر من أساليب التحقيق المتعددة تتسرب إلى منشورات القرن التاسع عشر ، ظهر تنفيذها في المصادر التراثية العربية ونشرات العهد الجديد للكتاب المقدس التي طبعت هناك .

ومن ثَم ترى بعض بوادر تلك الأساليب ، بطبع ((شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)) لابن وحشية النبطي في لندن سنة ١٨٠٦ . وفي هذا الكتاب بيان مفصل للخطوط القديمة عند كثير من الأمم ، مع الأمثلة التوضيحية والشرح المفصل . وقد اعتمده المستشرقون في حل مخطوطات الآثار والمستحاثات العربية والأعجمية في الشرق والغرب ، ثم زعموا أنهم هم الذين اكتشفوا معرفة تلك الخطوط ، من دون مراجع عربية . وهذا دأبهم

(١) بل لقد زارني للاستشارة ، منذ ثلاثين سنة في جامعة حلب ، مستشرق فرنسي يحمل اوراقًا مبعثرة من إحدى المخطوطات العربية ، ويسجل عليها بقلمه الأعجمي عبارات باسم التحقيق . ولما أنكرت عليه الكتابة على النسخة الخطية قابل إنكاري بالابتسام المتعض . يعني أن عمله هذا أمر مألوف لا بأس فيه عندهم.

في كفران الجميل ، وانتحال أعمال الغير زورًا وبهتانًا .[(١)]

ثم كان نشر ((زبدة الحلب في تاريخ حلب)) لابن العديم (ت ٦٦٠) في بون سنة ١٨١٩ـ١٨٢٠، و((شرح الحماسة)) للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) في بون أيضًا سنة ١٨٢٨ ، و ((تقويم البلدان)) لأبي الفداء في باريس سنة ١٨٤٠، و((العهد الجديد)) سنة ١٨٤٢ ، و((معجم البلدان)) لياقوت الحموي سنة ١٨٦٦ ، و((الفهرست)) لابن النديم سنة ١٨٧١، و كتاب سيبويه سنة ١٨٨١،[(٢)] و((صفة جزيرة العرب)) للهمداني سنة ١٨٩١.

وفي العقد الثاني من القرن الماضي نضجت بوارق من مظاهر الخبرة التحقيقية لدى بعض المستشرقين ، فكان أن صدر أمثال ((ديوان المفضليات)) للأنباري عام ١٩٢٠في بيروت بعناية الإنكليزي شارل ليال .[(٣)] وهو من نادر أعمالهم في شيء من الخبرة .

ولكنك ترى فيه ، مع ذلك ، تغيير لفظ العنوان ، وكثرة الاضطراب في توظيف علامات الترقيم ، والتقحم بما زُرع في متنه وهامشه من أساليب ورموز وحروف لاتينية ورومانية أجنبية ، وتجاهل التوثيق للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ومقولات العلماء ، وإغفال التفسير والشرح للغريب والمشكل وللتعريف بالأعلام لقصور اليد وتفاقم الجهل ، والاقتصار على قليل من الفهارس الفنية لأنه يهمهم في توجهاتهم المشبوهة . ثم ترى المقدمة باللغة العجماء ، لا يكتشف أسرارها إلا أمثالهم من الأعاجم المعتدين ، ولا تقدم خدمة لأصحاب هذا التراث المنكوب بأعدائه وأبنائه .

---

(١) انظر منهج تحقيق المخطوطات ص ١١٩ ـ ٢٠٨ وملامح في فقه اللهجات العربية من الأكادية ... والعدنانية ص١٣٧ ـ ٧٠٩ والنموذجين ١٦ و ١٧ .

(٢) انظر تحليل النص النحوي ص١٥١ ـ ١٦٣ ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ٨٩ وتحقيق النصوص ص ١٥٠ ـ ١٥١ وقواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٠ ومنهج تحقيق المخطوطات ص ١٦ .

(٣) يتوهم بعض الدارسين أن هذا الكتاب نشر في أوائل القرن التاسع عشر . تحقيق التراث ص ١٢ ومحاضرات في تحقيق النصوص ص ١٩.

ص ق ر ش ت ث خ

وهذا صفة قلم القبا: ذ ض غ ظ

وهم اصحاب الرصودات والطلسمات والاسرار والتاريخات

الكارقة وذكرا غاذيمون انه نقل العلوم الطلسمية عنه ولم يفهم

الى ذلك احد من المتقدمين والمتاخرين فافهم ذلك وهذا قلمهم

ا ب ج د ه و

ز ح ط ى ك ل م

ن س ع ف ص ق ر

ش ت ث خ ذ ض

ظ غ وأما الكلدانيين فكانوا اعلم الناس

في زمانهم بالعلوم والمعارف والحكم والصنايع وكانوا

الاكراد الاول يريدون مناظرتهم ومماثلتهم ولكن

شتان ما بين الثرى والثريا وانما كانت براعة الاكراد

الاول

النموذج ١٦ من شوق المستهام : خطوط الأمم القديمة في خدمة ترجمة الآثار

ح د ض ظ ع

وهذا ايضا قلم قديم تزعم فراعنة مصر انه كان يستعمل
قبل الطوفان وكانوا يتبركون به ويكتبون بهذا
القلم كتب علومهم التي يعرفونها في هياكلهم قدام
اصنامهم. وقد رايت بارض الصعيد نواويسا وبرابي
واحجار مرقومة بهذا القلم فيحتمل ان يكون ذلك راي
النبط والكلدانيين . وهذه صفة حروفه

ا ب ت ث ج ح خ

د ذ ر ز س ش

ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن

ه و ى

واما الاقلام التي ...

وقد توالت عمليات الطباعة ، تنتقل إنجازاتها إلى البلاد العربية والإسلامية ، منذ القرن الثامن عشر ، فكان أول ذلك في عام ١٧٠٦ بسورية ، ثم في ١٧٢٨ بتركية ، فعام ١٧٣٤ بلبنان ، فعام ١٧٨٥ بما وراء النهر وروسية ، فعام ١٧٩١ بإيران ، فعام ١٨٠٢ بالهند وما حولها ، فعام ١٨٢٢ بمصر . . . وأواخر القرن التاسع عشر في السودان وما حولها . وتحصل عن مجموع ذلك نشر حوالي ١٦٠٠ كتاب ، حتى نهاية ذلك القرن ، نصفها كان صدوره في مصر ، والنصف الثاني في بقية العالم .[١] وأكثر ذلك هو من تأليف رجالات تلك القرون ، وكله خال من عمليات التوثيق والتحرير والتحقيق ، وإن حصل في بعضه متفرقات من التصويب والتعليق والتوجيه .

وبين ثنايا تلك السنوات ، وضع العاملون في الحقل العلمي الأوربي بعض الأصول العملية للتحقيق ، وكانت هزيلة جدًّا ، تناسب فهمهم السطحي له وماضيهم العلمي القاصر وتراثهم الحضاري المحدود . فقد ترك لهم أجدادهم عشرات من المصنفات ، محدودة النسخ وليس فيها شيء من التوثيق أو الإسناد ، وكانت هذه الآثار مدار أعمال النشر وأصوله حينذاك . ولضيق هذا الأفق ومحدودية المصنفات والنسخ ، كان إمكان الوضع لما يناسبه من إجراءات سطحية نادرة الوقوع .

هذا ما كان في ميادين الاستشراق . أما واقع التحقيق في الوطن العربي فيرى الدارسون والمؤرخون أنه نشأ في العصر الحديث على يد أحمد زكي باشا (ت ١٩٤٣) ، وكان يتقن الفرنسية وبعض اللغات الأجنبية . فقد شرع في نشر ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري أحمد بن عبد الوهاب ، وصدر منه أول جزء عام ١٩٢٣ ، و ((مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)) لابن فضل العمري ، وصدر الجزء الأول منه عام ١٩٢٤ .

بيد أن هؤلاء الدارسين والمؤرخين يتجاهلون ما كان في التاريخ الإسلامي كلّه ، وما

---

(١) انظر النتاج الفكري العربي المطبوع من الكتب منذ نشأة الطباعة ص ٤٧ . وفي تعيين الأرقام نظر ، لما تراه في مثل : حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ص٩١-٦١٠ .

تحصل قبل هذا الباشا بثلاثين سنة ، أعني تحقيق ((صحيح البخاري)) الذي حصل عام ١٣١١هـ - ١٨٩٢م . وذلك أن السلطان عبد الحميد - رحمه الله - أمر بطبعه حينذاك في المطبعة الأميرية ببولاق ، فاعتمد المصححون له على النسخة اليونينية المحفوظة في الخزانة الملوكية بالآستانة ، وعارضوها بنسخ أُخرى شهيرة الصحة والضبط .

ثم أصدر السلطان أمره إلى مشيخة الأزهر ، بتحقيق جماعي آخر لما صار عليه هذا الكتاب ، فقام بذلك ستة عشر من أكابر محدِّثي الأزهر الأعلام وعلماء العربية ، اعتمادًا على الأصل اليونيني ، ومعارضة بفروعه الخطية الموثقة أسوة بما كان من مجالس اليونيني وابن مالك مع محدّثي الشام ، قبل ذلك بسبعة قرون . وبهذا صار النص الأصلي في المتن ، مع علامات بموافقات الفروع وخلافاتها ، وفي الحاشية ما كان من نحوه أيضًا ، بالإضافة إلى تفسير وشرح لما أشكل .[١] ونجز نشر الكتاب سنة ١٣١٣ ، وأغفل المؤرخون للنشر هذه الوقائع ، مع استيفائهم لما هو دونها في بالتاريخ .

أما صنيع أحمد زكي باشا فتَطّلع عليه مما جاء في نشره ((أنساب الخيل)) ، وهو نموذج لما كان من المستويات البائسة . لقد نُشر هذا الكتاب في ليدن عام ١٩٢٨ ، وأعدّه للنشر أحمد زكي بعد ذلك متأثرًا ما كان هناك من خطأ في اسم الكتاب واسم مؤلفه ، كما ذكرنا في موطن آخر ، ومقتفيًا ما كان من أساليب الاستشراق الأعجمية القاصرة .

ثم تابع الزملاء العرب العاملون في ميدان التحقيق ما سار عليه أحمد زكي ، في اقتفاء آثار المستشرقين ، وقل منهم من خرج على ذلك حتى لقد زعموا أن قواعد التحقيق استقرت في منتصف القرن التاسع عشر.[٢] فقد بهرتهم بوارق العولمة ، حتى صاروا يقرؤون التراث الخطي قراءة ناشر ، ولم يخطر لهم أن يدرسوا ما فيه من اصول وأساليب عملية لعلم التحقيق العربي.

غير أن الاطلاع الواسع لرجال الاستعمار على التراث العربي الإسلامي فتح عيون

---

(١) الجامع الصحيح ١ : ٦-٤٦ من مقدمة الناشر والنموذج ١٨ . وانظر شرح الكافية المطبوع سنة ١٣١٠ .

(٢) شوامخ المحققين ص ٥٨-٥٩ .

عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت كنا إذا أصابت(1) إحدانا جنابة أخذت بيديها(2) ثلاثا فوق رأسها
ثم تأخذ بيدها على شقها الأيمن وبيدها الأخرى على شقها الأيسر

بسم الله الرحمن الرحيم **باب** من اغتسل عريانا وحده في الخلوة(3) ومن تستر(4) فالتستر(5) أفضل | باب ٢٠

وقال بهز(6) عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم الله أحق أن يستحيا منه من الناس حدثنا | تغ ١٥٩/٢ — ٢٧٨ (تحفة)
إسحق بن نصر قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله | م ١٤٧٠٨
عليه وسلم(7) قال كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده
فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر
بثوبه فخرج(8) موسى في إثره يقول ثوبي يا حجر(9) حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا(10) والله ما بموسى
من بأس وأخذ ثوبه فطفق(11) بالحجر ضربا فقال(12) أبو هريرة والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربا بالحجر
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب | ٢٧٩ (تحفة)
فجعل أيوب يحتثي(13) في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي | ١٤٧٢٤
عن بركتك ورواه إبرهيم(14) عن موسى بن عقبة عن صفوان عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي | تغ ١٦٣/٢ (تحفة ١٤٢٢٤) س
صلى الله عليه وسلم قال بينا أيوب يغتسل عريانا **باب** التستر في الغسل عند(15) الناس | باب ٢١

حدثنا عبد الله بن مسلمة(16) عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت | ٢٨٠ (تحفة)
أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح | م ت س ق ١٨٠١٨
فوجدته يغتسل وفاطمة تستره فقال من هذه فقلت(17) أنا أم هانئ حدثنا عبدان قال أخبرنا | ٢٨١ (تحفة)
عبد الله قال أخبرنا(18) سفين عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس عن ميمونة | ع ١٨٠٦٤
قالت سترت النبي(19) صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل من الجنابة فغسل يديه ثم صب بيمينه على شماله فغسل
فرجه وما أصابه ثم مسح بيده(20) على الحائط أو الأرض ثم توضأ وضوءه للصلاة غير رجليه ثم أفاض على
جسده الماء ثم تنحى فغسل قدميه * تابعه أبو عوانة وابن فضيل في الستر(21) **باب** إذا احتلمت | باب ٢٢ — تغ ١٦٤/٢

المرأة حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب ابنة(22) أبي سلمة | ٢٨٢ (تحفة)
| م ت س ق ١٨٢٦٤

١ أصاب ٢ بيدها ٣ خلوة ٤ يستتر ٥ والتستر ٦ بهز ابن حكيم ٧ صلى الله عليه اهـ من هامش الأصل وفي فرع آخر والقسطلاني زيادة وسلم كتبه مصححه ٨ فجمح ٩ ثوبي ياحجر ١٠ وقالوا ١١ وطفق ١١ (قوله فطفق بالحجر ضربا) كذا لأكثر الرواة وللكشميهني والحموي فطفق الحجر ضربا والحجر على هذا منصوب بفعل مقدر أي يضرب الحجر ضربا اهـ فتح ١٢ قال ١٣ يحتثن * كذا في اليونينية من الفرع . وفي القسطلاني نسبة هذه الرواية للقابسي عن أبي زيد ونقل عن العيني أنه أمعن النظر في كتب اللغة فلم يجد لهذه الرواية معنى ١٤ ابن سليم ١٥ عن ١٦ مسلمة بن قعنب ١٧ قلت ١٨ حدثنا ١٩ رسول الله ٢٠ بيده الحائط والأرض ٢١ التستر ٢٢ كذا في الأصل المعول عليه غير أنه ضرب على الألف بالحمرة ورسم التاء كغيره مجرورة وفي بعض النسخ المعول عليها بالهامش بنت مرة وما عليها س ص و بصلبها ابنة عن

٢٧٨- طرفه: ٣٤٠٤، ٤٧٩٩.
٢٧٩- طرفه: ٣٣٩١، ٧٤٩٣.
٢٨٠- طرفه: ٣٥٧، ٣١٧١، ٦١٥٨.
٢٨١- طرفه: ٢٤٩.
٢٨٢- طرفه: ١٣٠.

النموذج ١٨ ـ أ من الجامع الصحيح : إجراءات التحقيق ومتمماته

عن أم سلمة أم المؤمنين أنها قالت جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إذا رأت الماء

باب ٢٣ — (تحفة) ٢٨٣ — ع ١٤٦٤٨

باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يحيى قال حدثنا حميد قال حدثنا بكر عن أبي رافع عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب فانخنست[1] منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال أين كنت يا أبا هريرة قال[3] كنت جنبا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة فقال[4] سبحان الله إن المسلم[5] لا ينجس

باب ٢٤ — تغ ٢/١٦٤

باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره وقال عطاء يحتجم الجنب ويقلم أظفاره ويحلق رأسه وإن لم يتوضأ

(تحفة) ٢٨٤ — س ١١٨٦

حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم[6] أن نبي[7] الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة

(تحفة) ٢٨٥ — ع ١٤٦٤٨

حدثنا عياش قال حدثنا عبد الأعلى حدثنا حميد عن بكر عن أبي رافع عن أبي هريرة قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جنب فأخذ بيدي فمشيت معه حتى قعد فانسللت[8] فأتيت[9] الرحل فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد فقال أين كنت يا أبا هر[10] فقلت له فقال سبحان الله يا أبا هر إن المؤمن لا ينجس

باب ٢٥ — (تحفة) ٢٨٦ — ١٧٧٨٥

باب كينونة الجنب في البيت إذا توضأ قبل أن يغتسل حدثنا أبو نعيم قال حدثنا هشام وشيبان عن يحيى[11] عن أبي سلمة قال سألت عائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقد وهو جنب قالت نعم ويتوضأ

باب ٢٦ — (تحفة) ٢٨٧ — ٨٣٠٣

باب[12] نوم الجنب حدثنا قتيبة[13] قال حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيرقد أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد وهو جنب

باب ٢٧ — (تحفة) ٢٨٨ — ١٦٣٩٩

باب الجنب يتوضأ ثم ينام حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة

(تحفة) ٢٨٩ — ٧٦١٨

حدثنا موسى بن إسمعيل قال حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله[14] قال استفتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال[15] نعم إذا توضأ

(تحفة) ٢٩٠ — م د س ٧٢٢٤

حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله

١ طرق ٢ فانبجست . زاد في الفتح عزوها للاصيلي ٢ فانخنس ٢ فانخنست . كذا في اليونينية كذا في الفرع المكي ولكن الذي في الفتح والقسطلاني وفرع آخر ان رواية المستملي فانبجست راجع ٣ كذا في عدة نسخ صحيحة قال بدون فاء وفي الفرع الذي بأيدينا فقال ٤ فقال ٥ المؤمن ٦ حدثه ٧ النبي ٨ منه ٩ وأتيت ١٠ هريرة، كذا في اليونينية كذا في الفرع وعزا في الفتح رواية المتن للمستملي والكشميهني ١١ ابن أبي كثير ١٢ سقط التبويب والترجمة عند ص ط عط ١٣ عن الليث (قوله وهو جنب آخر الباب) ساقط عند ص س ١٤ عن ابن عمر . كذا في فرعين علامة الاصيلي ونسبها في الفتح لابن عساكر ١٥ فقال

٢٨٣- طرفه: ٢٨٥.
٢٨٤- طرفه: ٢٦٨.
٢٨٥- طرفه: ٢٨٣.
٢٨٦- طرفه: ٢٨٨.
٢٨٧- طرفه: ٢٨٩، ٢٩٠.
٢٨٨- طرفه: ٢٨٦.
٢٨٩- طرفه: ٢٨٧.
٢٩٠- طرفه: ٢٨٧.

النموذج ١٨ - ب من الجامع الصحيح : إجراءات التحقيق ومتمماته

المتأخرين منهم على منافذ جديدة وعالم غني بالتنظير والتطبيق ، فراحوا يقتبسون بعض مناراته ، ويرصفونها قواعد وأساليب للعمل في حقول النشر العربي ، دون أن يجدوا لها مادة عملية في تراثهم اليسير . ففي باريس عام ١٩٣١ أصدر الفرنسي كولمب ((نقد النصوص)) باللغة الفرنسية ، وفي سنة ١٩٣٢ ألقى الألماني برجستراسر بالعربية في جامعة القاهرة محاضرات ، نشرت تحت عنوان ((أصول نقد النصوص ونشر الكتب)) .

ثم أصدر بلاشير وسوفاجيه ((قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها)) بالفرنسية عام ١٩٤٥، وترجمت إلى العربية سنة ١٩٨٨ . وقد استخلصت تلك القواعد من ((المجموعة العربية)) التي نشرتها رابطة غيوم بوديه ، ومن ((الوثائق المتعلقة بالحروب الصليبية)) وكان قد نشرها مجمع النقوش والآداب . ثم صدرت بعد هذه القواعد نشرات بالعربية في كتب ومقالات ومقررات ، تستقي أكثر معلوماتها عن المستشرقين ، وتوهم الدارسين وطلبة التحقيق أن هذا الفن هو من بدائع الاستعمار الأوربي المقيت ، وكنا قد ذكرنا بعضها في حواشي ما تقدم .

بيد أن الخبراء بالحضارات والعلوم ، وما كان فيها من تنقل وتأثر وانتحال ، وقفوا عند هذه الناحية التاريخية اللامعة ، ورصدوا تحركاتها ، فردوا إلى أسلافنا قليلًا من حقوقهم فيها ، ثم أضافوا إليها لمسات فنية متميزة . وهذا ما تراه عند بعض المنصفين ، كالذي فصله الأستاذ أحمد زكي باشا (ت ١٩٣٤) ، ثم ما اقترحه عام ١٩١٢ من تفريع وتوسعة لتوظيف علامات الترقيم ، وتعريف للنص ووصف لمخطوطاته ، وعناية بالإخراج الطباعي ، وصنع للفهارس الحديثة ، والاستدراكات والتذييلات .[1] وبذلك اتضحت معالم التطور التاريخي لهذا العلم العربي الإسلامي الفذ .

وفي عام ١٩٣٧ قدم الشيخ أحمد شاكر لصحيح الترمذي بتمجيد نشرات المستشرقين،

(١) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص٤٦ – ٥٠ وتحقيق النصوص ونشرها ص ٧٧ ـ ٨٠ .

مع ذكر لتحريفهم وتعصبهم وضعف قدراتهم في ذلك . وفي عام ١٩٤٤ نشر الدكتور محمد مندور مقالين ، بتوجه استشراقي خالص ، نقد فيهما ما كان من تحقيق في نشر كتاب ((قوانين الدواوين)) لابن مماتي (ت ٦٠٦) ، مع بعض التوجيهات العامة ، ثم ضمهما إلى كتابه ((الميزان الجديد)) .[١] وفي عام ١٩٥١ نُشر في المجمع العلمي العربي بدمشق ((تاريخ مدينة دمشق)) ، فحددَتِ اللجنة المختصة في العمل ((أن الغاية من تحقيق الكتاب هو تقديم نص صحيح . لذلك يجب أن يُعتنى باختلاف الروايات ، وأن يُثبت ما صح منها)) ، مع الإيجاز في التعليقات ، وضبط الأعلام ، وتفسير الغريب ، وتوظيف بعض علامات الترقيم ، وترقيم سطور النص ، وجعل الآيات الكريمة ضمن قوسين مزهَّرين ، وإغفال تخريج الأحاديث الشريفة.[٢] وقد امتزج أكثر هذه التوجهات بأنفاس استشراقية أيضًا .

ثم كانت جهود الناشرين لكتاب ((الشفاء)) عام ١٩٥٣ ، وما صنفه الأستاد عبد السلام هارون عام ١٩٥٤ ، عن تجربته في التحقيق ، إذ بين أصالة ذلك في الحضارة الإسلامية ، وتأثر المستشرقين إياها ، وذكر كثيرًا من أصول التحقيق والمكملات الحديثة له ، بوجه عربي مشرق وتفصيلات عملية دقيقة محكمة ، لم يرض عنها ربائب الاستشراق في وطننا المنكوب بهم .

ولذلك أصدر الدكتور صلاح الدين المنجد عام ١٩٥٥ ((قواعد تحقيق المخطوطات))، منكرًا الأصالة العربية في هذه القواعد ، وزاعمًا أن الفضل فيها هو للمستشرقين ، ولم يضف إلى الموضوع شيئًا يذكر . وقد رجّح كفة العروبة في هذا الميدان ما ظهر عام ١٩٦٥ في ((تحقيق التراث الأدبي))، وعام ١٩٦٧ في ((عصر إحياء التراث)) ، لأستاذنا الكبير الدكتور شوقي ضيف ، ثم ما بُني عليهما عام ١٩٧٢ في كتابه الضخم الرائد ، تحت عنوان ((البحث الأدبي)).

(١) مجلة الثقافة العددان ٢٧٧ و ٢٨٠ .

(٢) انظر مقدمة المجلد الأول من تاريخ مدينة دمشق .

وتوالت خلال ذلك محاضرات ومقالالت وكتب وكتيبات غفيرة ، مترددة بين مزاعم المستشرقين والتوجه العربي ، تفصل بعض الجزئيات ، وتضيف تجارب جديدة وتوجيهات مفيدة ، كالذي تجده عام ١٩٦٥ ، في أمالي الدكتور مصطفى جواد ((أصول تحقيق النصوص)) المنشورة بعد في كتاب ((دراسات وتحقيقات)) . وعام ١٩٦٧ تحدثتْ عن شيء من موضوعنا الدكتورة عائشة عبد الرحمن في ((مركز تحقيق التراث)) بالقاهرة ، ثم الدكتور رمضان عبد التواب حين تكلم ((في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص)) سنة ١٩٧٢ من مجلة المورد العراقية و ((تحقيق التراث أساليبه وأهدافه)) عام ١٩٧٦ ، و ((خواطر من تجاربي في تحقيق التراث)) عام ١٩٨٣ . وقد كانت هذه المقالات الثلاث نواة لما أصدره سنة ١٩٨٦ في كتاب عنوانه: ((مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين)) باهتمام عربي ظاهر.

وفي تلك الآونة ، كانت قد أقيمت دورة تدريبية بالجامعة العربية عام ١٩٧١ ، وضع فيها الدكتور حسين نصار أمالي عن ((التربية العملية لتحقيق التراث)) ، وأتبعها سنة ١٩٨٠ ببحث عنوانه ((منهج تحقيق التراث العربي وقواعد نشره)) في ندوة التراث بالقاهرة . وكان الدكتور عبد الرحمن الباشا أيضًا قد حاضر سنة ١٩٧٢ عن ((البحث والتحقيق)) في كلية اللغة العربية بالرياض ، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كلية الشريعة بالرياض .

وفي عام ١٩٧٥ صدر ((منهج تحقيق النصوص ونشرها)) للدكتورين نوري حمود القيسي وسامي مكي العاني ، وفي العام ١٩٨٠ صدر عن لجنة مختصة ببغداد تقرير تحت عنوان ((أسس تحقيق التراث العربي)) .[1] ثم أصدر الدكتور بشار عواد معروف سنة

(١) كان هذا التقرير حصيلة أبحاث ستة ، هي : التراث العربي ومناهج تحقيقه للدكتور أحمد سليم سعيدان ، وضبط النص والتعليق عليه للدكتور بشار عواد معروف ، والتعليق والتصحيح والتخريج والكتابة والضبط في التحقيق للدكتور حسين علي محفوظ ، وعلم تحقيق الوثائق للأستاذ سالم عبود الآلوسي ، وحول تحقيق ونشر المخطوطات الطبية العربية للدكتور سلمان قطاية ، والتراث العربي خطة ومنهج للدكتور شكري فيصل .

١٩٨٢ ((ضبط النص والتعليق عليه)) ، وفي سنة ١٩٨٣ أصدر الأستاذ مطاع طرابيشي ((في منهج تحقيق المخطوطات)) ، وكان في العام نفسه للدكتور عبد المجيد دياب ((تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره)) . هذا بالإضافة إلى ما صدر من أبحاث لبعض الزملاء ، كالدكتور أكرم ضياء العمري ، ومحيي هلال السرحان ، والدكتور محمود محمد الطناحي ، والدكتور محمد عجاج الخطيب ، والدكتور أحمد حسن فرحات . . . (١)

النصوص التراثية العربية :

النص: ما ينقل من الكلام كتابة أو رواية أو قراءة . فهو مصدر قولنا ((نَصَّ يَنُصُّ))، عُبِّرَ به عن اسم المفعول للمبالغة ، ثم نقل إلى التعبير عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ومنه نصُّ القرآنِ والحديث ، وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره . يقال : نص الشيءَ ، أي : رفعه وأظهره وعيّنه بشكل قاطع . ونصصتُ الحديث : إذا عزَوتَه إلى محدثك به . وكل شيء أظهرتَه فقد نصصته ، وكل تبيين أو إظهار فهو نص . (٢)

هذا هو المفهوم اللغوي والاستعمال الاصطلاحي عند العرب في العلوم الإسلامية ، منذ قديم الزمان ، ولكن ربائب الاستشراق يغمضمون أعينهم عن المخزون الدلالي الأصيل ، (٣) ويزعمون أن المصطلح ترجمة لما عُرِف في اللغتين الفرنسية والإنكليزية .

وعلى هذا الذي قدمنا من البيان ، فالنص كلام ظاهر يبلغ السامعين ، والنص المخطوط: ما سُجِّل باللغة ولم يُنشر بعدُ . أعني ما كان مسجَّلاً في شيء من الورق أو الصحف أو المَهارق أو البَرْديّ ، أو الجريد أو اللِّخاف أو الرِّقاع أو العِظام أو العُسُب ، أو

(١) انظر فهرس المصادر والمراجع .

(٢) مجالس ثعلب ١ : ١٠ والجمهرة ١ : ١٠٣ .

(٣) تحقيق التراث ص ٣٢ ـ ٣٥ ، حيث جعل المخطوط والتراث من المترجمات أيضًا .

الظُّرَر أو الخَزف أو الزجاج أو الحجارة أو القِرميد ، أوالخشب أو المعادن أو الجلود .[١]

ولكن المستشرقين حصروا حدود المخطوطات فيما كان من الكتب والرسائل ، وتابعهم على ذلك بالتقليد الأعمى كل من تحدث من العرب في موضوعات التحقيق للتراث، فوجهوا الأنظار إلى المكتبات الخطية ، وحجبوا عنا مجرد التفكير في الكثير الكثير من التراث المخطوط الذي حُجز في جَعبة رجالات الاستعمار والعدوان ، يوجهونه كما يشاؤون .

وما ذكرناه في تعريف المخطوط هنا يشمل الآثار الخطية الحديثة المعاصرة وما قبلها ، والقديمة جدًّا. وهي في بلاد العرب ولغتهم تضم لهجات من الفصحى والفصيحة و العامية. ومجموعها هو كل ما عُرف بين المسشرقين والمستغربين باسم اللغات السامية ، عدا طُمطانية يهود العبرية المصطنعة . وإنما أعني هنا ما هو معروف باللهجات العربية :[٢] العدنانية والأكادية (البابلية والآشورية) ، والمصرية القديمة ، والعَبلية (الإبلائية) ، والعمورية الكنعانية والأُغاريدية (الأُغاريدية) ، والآرامية والنبطية والصفوية والثمودية واللحيانية والسبئية القحطانية ، والسريانية والآرامية والبربرية والقبطية والحبشية ...

وهذه اللهجات تركت آثارًا خطية كثيرة جدًّا ، في المواطن التي عاشت فيها أو اتصلت

(١) الصحف : جمع صحيفة . وهي ماصنع وصقل للكتابة . والمهارق : جمع مُهرَق ، ما كان من الحرير الأبيض مصقولاً للكتابة .و اللخاف : جمع لَخْفة ، حجارة بيض رقاق. والرقاع : جمع رُقعة. والأكتاف : جمع كتف. وهو عظم عريض . وروي عن الشافعي أنه كان يكتب في الألواح والعظام .المطالع النصرية ص ١٨ . والعسب : جمع عَسيب. وهو جريد النخل نزع عنه خوصه . والظرر : حجر له حد كحد السكين ، جمعه ظِرار . والجلود : جمع جلد تصنع منه الرقوق . وكان لدى المسلمين ما يسمى الطروس . وهي جمع طرس يكون لما يكتب ثم يمحى . وقد استعمل كثير من هذه المواد في القديم مكانًا للكتابة ، وكان يفضل الجلد لاحتمال بقائه ، والورق لخفة استعماله . انظر تحقيق النصوص ونشرها ص ١٤ ـ ١٧ .

(٢) انظر كتابنا تحت عنوان: ولا يزالون يقاتلونكم.. في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان ص٨٩ـ١٠٠.

بها ، عن طريق التجارة والحرب والعهود والسلطان الحضاري . ولها في الرُّقُم والبَرْدي والسجلات الاجتماعية والسياسة مئات الآلاف من النصوص عُرفت بين يدي العدوان الاستعماري بالآثار السامية ، واختص رجاله أنفسَهم بها ، فقرؤوها وفسروها ووجهوها ، كما يحلو لهم من تحريف وتشويه ، ليرسخوا جذورَ الاستعلاء والابتزاز في بلادنا ، ومظاهرَ الخزي والاستسلام في نفوسنا . ولهذا فإنه قلَّما يستطيع أحد منا أن يباشر تلك الآثار بالدراسة أو الاطلاع ، إلاّ من خلال ما زعموه أباطيل وترّهات .

فمنذ سنوات جاءتني بعض الموضوعات العلمية من زملاء في إحدى الجامعات العربية ، للتحكيم في الترقية إلى مراتب الأستاذية ، وهي دراسات عن تلك اللهجات العربية العامية القديمة ، فكانت المقولات والأدلة والنتائج تمثل ما زعمه المستشرقون ، ومحالة على كتبهم ومقالاتهم . فأنكرت ذلك على الزملاء الكرام ، وأوجبت عليهم أن يعودوا بأنفسهم إلى تلك الآثار ، يتقنون مفاهيم رموزها ، ويقرؤونها كما وضعها أصحابها ، ليحققوا الصور الصحيحة في اللفظ والمعنى ، ويستخلصوا منها مضامين الفكر والعلم والفن والآداب والحضارة ، لا أن يتكلوا على مزاعم اليهود وأصحابهم من رجالات الاستشراق والعدوان .

بل إن منجزات الدراسة العلمية في جامعات العرب ، لنيل درجات التخصص والبحث والعالِية ، لَتـقُيم غالبية مصنفاتها وأبحاثها عن هذه اللهجات على تلك الأباطيل الاستشراقية ، وقل أن تحمل أصحابها على مباشرة الدراسة الشخصية للمواد الخطية التي وضعها أجدادنا ، كي تستخلصَ النتائج العلمية المنصفة للتاريخ والحضارة . وقد راجعتُ في ذلك بعض المشرفين على هذه الرسائل الجامعية ، فاعتذروا بعوائق السياسة والمال والعلم والخبرة الفنية ، وبالعجز عن تكليف الدارسين تخطيها في هذه الظروف الحاضرة .

لكأنهم يريدون أن يبقوا عالة على العدو ، في فهم الماضي والحاضر والمستقبل ، يقرؤون بعينيه وخبث نفَسه ، ويكرسون ذلك باسم العوائق والعجز والقصور . ففي متاحف بلاد

العالم العربي : الشام ومصر والخليج واليمن والسودان وليبية والصومال ... والمغرب والعراق ، والبلاد الإسلامية والغربية والشرقية ، مئات الألوف من وثائق البَرْدي والسجلات القديمة التي تنتظر عيونًا وأيديًا وأنفاسًا وعقولاً عربية تباشر دراستها ، وكل منا يرجع إلى ما صدّره الغزاة في حقول تفسيرها وتوجيهها المنحرف المأفون . إنها هي هي جزء من التراث الخطي العربي ، ينادينا : أن هلموا إلى ماضيكم ، فاستنقذوه من عبث المعتدين ، وخذوا حقيقته بأنفسكم علمًا وثقافة ولغة ودلالة وروحًا ومعنى .

وإن أقدم ما اكتُشف من الآثار الخطية المعروفة النسبة في التاريخ هو كتابات مِسمارية ، لأقوام عاد وثمود في الجزيرة العربية .[1] وتعود هذه الخطوط إلى عهد إرَمَ ذاتِ العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد . وهي الجيل الثاني بعد نوح ـ عليه السلام ـ فيما ذكر زبانية التاريخ اليهودي . ولكن المؤرخ العربي ابن الكلبي (ت ٢٠٤) ذكر بأسانيده المعروفة أن إرمَ جدَّ أقوام عاد وثمود وإخوانهم هو سام بن نوح نفسُه .

وليس في التاريخ آثار خطية عرف أصحابها قبل هؤلاء العرب الفصحاء الذين يقال لهم : العرب العَرباء . إنهم أصل العروبة وأجدادها القدماء ، وآثارهم أقدم ما عرفه التاريخ الإنساني بعد نوح ، عليه الصلاة والسلام . والعلماء مجمعون على أن تلك القبائل هي العرب العَربانيّة العاربة ،[2] وأنها كانت مع شقائقها من القبائل متعددة منتشرة في جزيرتنا شمالاً وجنوباً ، وأن ما يروى لها من كلام في شعر أو نثر لا يوثق به ، رغم أصالتها العربية .[3]

(١) قصص الأنبياء ص ٥١ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ٣١ ـ ٣٥ ورسالة الغفران ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ والصحاح واللسان والتاج (عرب) والمزهر ١ : ٣٠ ـ ٣١ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٥٣٧ ـ ٥٣٨ .

(٣) لباب التأويل في معالم التنزيل ٢ : ٢٥٤ وتفسير القرآن العظيم ٢ : ٢١٧ والجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢٣٨ والمحرر الوجيز ٢ : ٤٢٠ والبحر المحيط ٤ : ٣٢٣ وتفسير روح المعاني ٨ : ٢٤١ وأخبار عبيد بن شرية ص ٣٧٠ ـ ٣٩٦ وتاريخ أبي الفداء ١ : ١٠٤ وصبح الأعشى ١ : ٣١٣ ونهاية الأرب ٢ :٢٩٢ والصحاح واللسان والتاج (ثمد).

هذا أوثق ما عرفه التاريخ للبشر والعربية والعرب . ولقد بقيت آثار إرَمَ ، أي : عاد وثمود في مواطنها حتى الآن ، تراها في مستحاثاتها المكتشفة من شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها ، وكان المسلمون في العهد الأموي يزورون قبور عاد ، ويلتقطون منها مَصاغاً من الحليّ والحجر الكريم .(١)

ولما نزل النبي ﷺ في غزوة تبوك بمواطن ثمود من الحِجر أمر أصحابه ألاّ يشربوا من بئرها ، ولا يستقوا منها ، فقالوا : قد عجنّا منها واستقينا . فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ، أو يَعلفوا الإبل إياه ، ويُهَريقوا ذلك الماء . و كان عندما مرّ بتلك البقاع في سبيله قد قال لأصحابه : ((لا تَدخُلُوا مَساكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنفُسَهُم ، إلاّ أن تَكُونُوا باكِينَ ، أن يُصِيبَكُم مِثلُ ما أصابَهُم)) .(٢)

هذه حقائق واقعية ثابتة ، يطمئن إليها البحث العلمي ، في تاريخ حياة الإنسان وعروبة اللسان . وقد خصها ابن النديم بذكر متميز ، موثقاً ومطمْئناً عن محمد بن إسحاق ، الذي روى عن الثقة :

أن الكلام العربي هو بلغة حِمْيَر وطَسم وجَديس وإرَم وحَويل . وهم العرب العاربة .(٣) وإنما سميت تلك الجماعات ـ وهي في قبائل وأمم لا يعلم عددها إلا الله ـ عرباً لأنها من خُلَّص الفصاحة والبيان ، إذ لفظ ((عَرَب)) هو مصدر للفعل : عَرِبَ ،(٤) أي : فَصُحَ وكان عَرَبانيَّ اللسان . ولذلك قيل عن تلك القبائل والأمم : ((عاربة وعَرباء)) ،

---

(١) انظر قصص الأنبياء ص ٥١ وخط الجزم ابن الخط المسند ص ٢٧ و كتاب الألفاظ ص ٤٨٩ وتهذيب الألفاظ ص ٦٥٨ .

(٢) الأحاديث ٣١٩٨ ـ ٣٢٠١ في صحيح البخاري ص ١٢٣٦ ـ ١٢٣٧ وفتح الباري ٦ : ٤٦٦ ـ ٤٧٠ وعمدة القاري ١٣ : ١١ ـ ١٢ . وأن يصيبكم أي : خشية إصابتكم .

(٣) الفهرست ص ٨ .

(٤) الصحاح واللسان والتاج (عرب) والمزهر ١ : ٣١ ـ ٣٣ .

بخلاف ما كان بعدها من المتعرّبة والمستعربة .

ولقد قال ابن عباس : ((ما أنزل الله ـ عز وجل ـ من السماء كتاباً إلاّ بالعَـرَبانـيّـة .[١] وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يترجم لكل نبي بلسان قومه)). وإنَّـمـا جاء هذا عن ابن عباس بيانًا ، لـمـا رَوى أبو هريرة عن النبي ﷺ ، من قـولـه : ((والَّذِي نَـفسِي بِيَـدِهِ ، مـا أنـزَلَ اللهُ وَحيًا قَطُّ علَى نَبِيٍّ ، بَيَنَهُ وبَينَهُ ، إلّا بالعَرَبِيّةِ ، ثُمَّ يَكُونُ هُوَ بَعدُ يُبَلِّغُهُ قومَهُ بِلِسانِهِ)) .[٢]

وهذا يعني أن العربية أقدم مما ذكرنا قبلُ بكثير ، وبها سجلت الكتب السماوية أيضـاً ، ثم ترجمت إلى لغة الأقوام التي نزلت إليهم ، ثم كـُتب على العربيـة أن يكـون لهـا حضـور في الأرض بما عرفنا من النص القرآني الكريم .

وقد توالت النِّـقَـم الربانية على بعض تلـك القبائـل ، لـِـما كانـت عليـه مـن الكفـر والجحود والمكابرة ، فدمرت ديارها وأفنت الرجال والنساء والذراري ، إلاّ مـن آمـن بهـود وصالح وأمثالهما ، أنجاهم الله مـع الأنبيـاء برحمتـه وقدرتـه ،[٣] فسـاحوا في الـبلاد العربيـة يستوطنون المدن والوديان والمراعي ، وكانت سلالاتهم في تفرق وشتات :[٤]

(١) أي : العربية الفصحى . انظر كتاب اللغات في القرآن لابن عباس ص ١٦ . وقد صحف الناشر هذا التركيب كما يلي : ((بالعبرية)) ، مع أن ما ذكره عن الأصل المخطوط أشبه بما ذكرنا . وهذا منه جهل فاحش وتشويه استشراقي يفسد الحقائق والتاريخ . انظر البحر ٥ : ٤٠٥ والدر المنثور ٤ : ٧٠ وروح المعاني ١٣ : ٢٦٨.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠: ٥٣ .

(٣) هذا خلاف ما زعمه بعض المؤرخين ، إذ ادّعوا أن تلك الأمم لم يكن لها باقية ، ونسوا ما ورد في القرآن الكريم ، من نجاة المؤمنين كلما وقع نكبات الكفر والإلحاد . انظر جمهرة أنساب العرب ص ٨ ـ ٩ والآيات نحو : ٢٢ و ٢٣ من سورة المائدة و ٧٢ و ٨٣ من سورة الأعراف و ١٠٣ من سورة يونس و ١١٦ من سورة هود و ٥٧ من سورة النمل و٩ من سورة الأنبياء .

(٤) مروج الذهب ٢ : ١١٠ ـ ١٢٠ وتاريخ العبر ١ : ٤٢ ـ ١٢٧ و ٥٠٥ ـ ٦٩٩ ودائرة معارف القرن العشرين ٦ : ٢٢٥ ـ ٢٤٨ وتفسير الجلالين الميسر ص ٢٣١ والمفصل في تفسير القرآن العظيم ص ٣٢-٣٣ من مقدمة المحقق والأجزاء الخمسة الأُول من تاريخ الجنس العربي لعزة دروزة .

نزل بعضهم في اليمن ، ليقيم دولة مديدة العمر جدُّها يَعرُب بن قحطان ، بممالك ذات حضارة ولغة وعمران للحِمْيَريين والمعينيين والسبئيين والثموديين . وآخرون كالعماليق توجهوا نحو الشمال الغربي ، فكان لهم مملكة الرعاة ((الهكسوس)) ، قبل الفراعنة وفي عهدهم وبعدهم أيضًا على الأقباط العرب . وقد شوّه الاستشراق اسم أولئك الأجداد ، ليزيل عنهم سمة العروبة .

ومنهم من هاجر إلى شمالي غربي إفريقية وشرقيها ليكون منهم وممن هناك البربر ، والجعزيون الذين اختلط بهم الأحباش . وآخرون وهم سلالة مَديَنٍ وإخوتِه أبناءِ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأُمُّهم العربية قَنطوراء توجهوا إلى الشمال الشرقي ، فكان منهم الأكراد وترك خراسان . وآخرون استوطنوا الحجاز ونجدًا بما فيهما من المدن والصحاري والوديان والجبال ، لتترعرع أكثر أجيال العدنانيين . وآخرون استوطنوا اليمامة والبحرين والطائف . وآخرون توزعوا في بلاد الشام والعراق ، ليتألف من مجموعهم الآراميون ، أي : الإرَميون .[1] وهم : الأكّاديون من الآشور والبابلية والسريان متغلبين على الشعب السومري ، والتدمريون والأنباط والفينيقيون والعماليق والكنعانيون والمؤابيون واللحيانيون والصفويون وما ذكرنا قبل من القبائل .

ولأن الذين شرّقوا وغرّبوا وأيمنوا خالطوا الأعاجم ، من سلالات الفرس واليونان والروم والهنود وشعوب آسية السمراء وإفريقية السوداء ، ولأنهم صادفوا ظروفًا وحاجات وأجواء مختلفة ومنهم من تنصر أو تهود أو تمجس أو توثن ، تأثرت ألسنتهم العربية بلغات

(١) الحق أن كلمات : إرَم وآرام وعَرَب ، هي ذات أصل واحد في اللفظ ، كان فيها تبادل صوتي : بين الهمزة والعين ، وهما حرفان حلقيان يكون البدل بينهما ـ فقه اللغة السامية ص ٤٨ وتاريخ اللغات السامية ص ٢٩٠ والمعرب ص٢٨٠ ـ وبين الميم والباء ، وهما حرفان فمويان يكون بينهما تبادل أيضًا . القلب والإبدال ص ١٠ ـ ١٧ . وبهذا صار اللفظ بالعين والراء والباء : عرب ، كما وصل إلينا أخيرًا ، للدلالة على الأمة ذات اللغة الفصحى وبقي لفظ الأُرومة للدلالة على الأصل . انظر معجم متن اللغة ١ : ٣٤ ـ ٣٥ .

تلك الأمم والظروف والحاجات والأجواء في صور متباينة ، فكان لكل منهم لهجة تخالف كثيراً من لهجات الآخرين واللغة العدنانية أيضًا . وهذه اللهجات المتفرقة هي في الحقيقة لُغيّات عربية عامّيّة ، كالتي نحن عليها الآن في حياتنا اليومية من أقطار العروبة ، خليط من أصول عربية منحرفة ملحونة ، ممزوجة بصور صوتية مشوهة .

إن تلك اللُّغيّات هي في حقيقة الواقع بُنيّات هجينة ، وبرغم ما فيها وما بينها وبين عروبة اللسان من ظواهر خلافية في بعض الأصوات والصيغ والتراكيب ، تلتقي في نسب واحد قبل تمايزها هو لغة القرآن الكريم . وقد أطلق عليها بعض المعاصرين اسم العُروبية ، ليسد باب اختلاق أنساب لها مصطنعة . فلا يهولنك ما فيها من الرَّطانة والطُّمطمانية ، لتذهبَ بك الظنون والافتراضات الوهمية مذاهب المستشرقين والمستغربين .

ومما يؤنسك بهذا مقولة لأبي عمرو بن العلاء ، حينما تحدث عن لهجات يمانية في عصره ، وهي أقرب تلك اللُّغيّات إلى فصاحة العدنانيين ، فقال :[1] ((ما لسان حِمْيَرَ وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا)) . فهو في عبارته هذه ، على الرغم من انتقاصه تلك الظواهرَ اللغوية وتفريقه بينها وبين لغة القرآن الكريم ، يعترف بأنها عربية لا يجوز إخراجها من نطاق العروبة .

وكذلك يقال في ((الحضرمية)) التي عُرفت بين اللغويين[2] رمزاً إلى الانحراف اللغوي ، وفي سائر اللهجات المحلية العامية التي ذكرنا قبل . فقد تعرض بعض العلماء في اللغة والنحو والتفسير لمجموعة من مفردات القرآن الكريم وغيره ، واختلفوا فيها . فمنهم من نسبها إلى[3] النبطية والسريانية والحبشية والقبطية والبربرية والحورانية ، حاملين في

(١) طبقات فحول الشعراء ص ١١ . وانظر الخصائص ١ : ٣٨٦ .

(٢) انظر اللسان والتاج (حضرم) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١ : ٢٨٦ ـ ٢٩٠ والإتقان ١ : ٢٨٨ ـ ٢٩٨ والصاحبي ص ٥٩ .

أنفسهم ما يعتقده أبو عمرو . ولذلك وصفوها بأنها من غير لغة العرب ، وأنها نقلت بالتعريب إلى لغة العدنانيين فصارت من كلامهم الأصيل ، وكان لدى العلماء اختلاف كبير في تلك النِّسب المتفرقة .

ولقد استغل رجال التنصير والاستعمار هذه الظواهر الخلافية ، وأضافوا إليها أشكالاً لفظية متعددة ، فاختلقوا ما سمي باللغات السامية ، وزعموا أن تلك اللهجات هي من هاتيك اللغة المختلقة ، وليست من العربية في مكان . ثم افترضوا لها مع العدنانية أقساماً : غربية وشرقية وشمالية وجنوبية ، ولكل قسم فروعاً تُوهِمُ التمايز الكبير .[1]

وقد جرى على ذلك أنصار الاستشراق ، من مستغربين ومتعبدين بالمخططات المشبوهة ، دون بحث أو تحقيق ، أو من متهيبين أن يخالفوا شيوخهم ، فانطلقوا يشيعونه في الكتب والمحاضرات والمقالات والمؤتمرات في بلاد العرب ، ويجمعون له المؤيدات الوهمية من أدلة مصطنعة وأمثلة ملفقة ، حتى صار في الأذهان والأقلام والأفهام حقيقةً مسلَّمة أو كالحقيقة، تُقَرَّرُ في كل مجلس ونتاج لغوي أو حضاري . وإذا عارضتَها اتُّهمتَ بالخروج على الحقائق الموضوعية العالمية .

والواقع أن ما ذكرناه من خلاف العلماء في بعض المفردات أمر فيه نظر ، يفسره تاريخ العروبة كما ذكرناه قبل . فالفئات التي اختُلف في نسبة المفردات إليها هي قبائل ومجموعات عربية ، تفرقت في مواطن متعددة ومعها لغتها الأمّ ، ثم امتزجت بشعوب أعجمية مجاورة أو مشاركة في الإقامة ، فكان لديها انحراف في الصياغة أو اللفظ مع بقاء أثارة من الأصالة ، وبقيت العدنانية تحملها خالصةَ العروبة .

وعندما لوحظ التشابه بين لفظ هؤلاء الفصحاء لتلك المفردات ولفظ بعض تلك الفئات توهَّم فريق من العلماء أنها معرّبة ، وكان بينهم ما هو معروف من الرجم بالغيب

(١) الوجيز في فقه اللغة ص ٧١ ـ ١٣٤ .

وافتراض الأحكام . والحق أن هذه المعرّبات هي عربية الأصل ، تلبست في الغربة بعض المظاهر الأجنبية ، ثم نُزعَتِ العجمة عنها وأعيدت إلى أصلها بالثوب العربي العدناني .

وعلى هذا فإن ما بقي من كتابات هذه القبائل العربية المختلفة هو تراث خطي لنا ، ونحن مطالبون طِلاب إلزام أن نتولى تحقيقه ونشره بالأساليب العلمية الخالصة من التحيز والتشويه والزور والبهتان . وهو جهد كبير ، يقتضي منا دراسة تلك اللهجات المحلية العامية القديمة ، لمعرفة رسم ألفاظها ودلالة معانيها وصيغ تركيبها مفردات وجملاً وعبارات . ثم نحن ملزمون أن نتابع دراسة تاريخ هاتيك العصور ، لاستيعاب حضاراتها ومعارفها وعلومها وتقاليدهاوأساليب القول فيها ، لنستطيع أن نخرج بحقائق صادقة ونتائج واقعية ، بعيدين عن تخرصات العولمات القديمة والحديثة والمعاصرة .

الفصل الثاني

أصول التحقيق النظري

يضم هذا القسم ، من الإجراءات التحقيقية ، أوائل خمسة الأصول التي ذكرناها فيما مضى . ومن ثـَمّ فإنه يعتمد أكثر اعتماده على استعمال النظر الذهني ، بالتفكير والتدبر لإجراء ما تقتضيه تلك الأصول المقررة . وسيكون لها بيان واف ـ إن شاء الله ـ في هذا الحيّز الأساسي من بحثنا الكريم .

اختيار الموضوع و نصه :

يعتمد إجراء هذا الاختيار على الخبرة الذاتية أولاً ، ثم يستعين بالخبراء والمصادر ، والموسوعات والنشرات والمؤسسات العلمية المتخصصة ، للوصول إلى مواد إيجابية العطاء والنتائج . ويمكننا أن نسرد المراحل العملية ، اللازمة في هذه السبيل كما يلي :

١ ـ اختيار الموضوع :

ذلك أن العمل في ميدان التحقيق يقتضي خبرة دقيقة ، في ميدان العلم أو الفن الذي يتضمنه النص المعرَّض للإجراء التنفيذي . وهذا يعني أن يكون المقدم على ذلك يتقن ميدانًا معيّنًا ، ويحيط بتاريخه ومصادره ومصنفاته ومصطلحاته وأساليب القول فيه ، وما كان له من اتجاهات أو مذاهب أو مدارس ، وما صدر فيه من مقولات هي قواعد ومسلّمات علمية ، ومن نظريات أو تجارب أو أقوال شخصية متفردة ، وتطور في مسيرة البحث والمفاهيم والأساليب والرموز والرسوم . ومثل هذا الإتقان يقتضي استيعاب المواد والأقوال والأحكام والأدلة والاقتباسات والتأثر والتأثير ، ووسائل الاستدلال والحجاج والترجيح ، للتمكن من

فهم النص ، وتحقيق مضمونه وتعبيره ، كما أراد المؤلف في عصره وكتابه .

فإذا أتقن الراغب حدود ذلك الميدان ، وأحاط بجوانبه المتعددة ، كان على علم بما نُشر من تراثه الخطي ، والقيمة العلمية لتلك المنشورات : أتجارية هي سوقية عاجزة عن خدمة النصوص وتزويد الثقافة والمعرفة ، أم منهجية علمية تقدم نصًا مشرقًا أهلاً للبحث والدراسة والمطالعة ؟ وهذا الإدراك لمنازل المنشورات التراثية يهيئ الحركة في حلبة البحث عن النصوص بقدرة ونجاح ، ويساعد على الاختيار لما يخدم الأمة في حضارتها وعلومها والفنون بعطاء ووفاء . وإلا فإن الجهل بهذه الحدود قد يقود المرء إلى الطريق المسدود ، فيختار ما هو محقق بأفضل الخبرات والجهود ، أو ما هو معدوم في عالم التراث مفقود .[1]

٢ ـ اختيار نص الموضوع :

يظن كثير من الطلاب والباحثين الأغرار أن ميدان التحقيق شُغلت آفاقه بالنشر ، وملئت ثُغُرات آثاره بالمطبوعات اللازمة ، حتى ضاقت على القاصدين سبل العمل والإنتاج . والواقع أن المكتبات الخطية المشهورة في العالم تضم حوالَى ١٠٠٠٠٠٠ مليون[2] عنوان عربي تراثي ، ولابد أن يكون في المكتبات الخاصة المجهولة بين الناس ، والبعيدة عن تناول الباحثين ، عشرات مئات الآلاف أيضًا من عناوين المخطوطات الغائبة عن منظور البحث والتاريخ المعاصر .

---

(١) انظر القواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية للدكتور حكمت بشير ياسين .

(٢) التقدير العام لذلك يُذكر فيه حوالَى ٦٠٠٠٠٠٠ ستة ملايين . وهو عدد للنسخ لا للعناوين ، إذ يرد للعنوان الواحد في مجمل المخطوطات ما يكون بين النسخة والعشرات ، والمعدل الوسطي لعدد المصنفات هو في حدود ما ذكرت . انظر صناعة المخطوطات ص ٥٤٠ ـ ٥٤٤ . ومما يذكره التاريخ أن يحيى البرمكي كان لكل كتاب مما عنده ٣ نسخ ، وأنه كان في خزانة العزيز بالله ٣٠ نسخة من كتاب العين ، و١٠٠ نسخة من كتاب الجمهرة ، وفي خزانة كتب الفاطميين ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري . الحيوان ١ : ٦٠ والمزهر ١ : ٨٧ . وقولنا « حوالَى » هو جمع حَولَى ، مثل : فتوى وفتاوى وبلوى وبلاوى .

فالمساجد والزوايا والرُّبُط عامة ، وكثير من المتاحف والجامعات والمدارس العربية والأجنبية ، ومنازل الأسر العلمية والمثقفة والأمية في بلاد العرب والمسلمين ، ومكتبات المحبين للآثار الخطية والفنون الجميلة والتراث ،والمتاحف العامة والخاصة ومؤسسات الأوابد والمستحاثات ، ودوائر الحكومات والدول الإسلامية بما فيها من القرارات والسجلاّت الرسمية المنظمة لأمور البلاد والعباد والدول والأمم ، والمتضمنة شؤون العهود والقضاء والعقود وأمور الحياة العامة ، في السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والصناعات... والأحكام القضائية في خلافات الناس وخصوماتهم ، والوصف لأحوال الشعوب والحكام والأمراء والقضاة والولاة والسعاة ، وأعمال الحسبة والشرطة والوزراء والكتاب والعلماء والفقهاء ، وأوضاع المساجد والمدارس والأسواق والمجالس العامة والخاصة ، ومسيرة العلم والأدب والفقه والتشريع . . .

أمثال تلك المواطن في العالم هي مراكز غنية بالمصنفات الخطية العربية والوثائق والنصوص التراثية . وقد لا يطلع على كثير منها أحد ، أو لا يعرف عناوينها ومحتوياتها ، لأنها تحاط بالقدسية والحيطة والحذر والسرية غالبًا ، على توهم أنها من الآثار ومظاهر الأُبـّهة والزخرفة والمفاخر وزيارات السُّيّاح ، أو أنها لا صلة لها بالتراث . فهي مجهولة الكم والكيف ، ولا يعلم حقيقتها إلاّ الله ، وهي المواد الأساسية والواقعية لتاريخنا في جميع مرافق الحياة ، لا ما سُجل لنا في المقررات المدرسية والجامعية ، من صراعات ومجازر مضرجة بالدماء والحديد والنار ، وتجاهل لأحوال الأمة في شؤونها العامة والخاصة .

فإذا أضفت هذه المواد الوثائقية المحجوبة عنا إلى ما ذكرنا قبل من العدد ، ثم أضفت إليها ما وسَّعنا معناه عن مفهوم المخطوط التراثي العربي ، وهو يضم مئات الآلاف من النصوص العادية في الآثار المكتشفة من عالمنا العربي ، وفي المتاحف العالمية من مسجلات في ورق البَرْدي والرُّقم والمستحاثات والعاديّات ، كان لديك حوالَى ٢٠٠٠٠٠٠ مليوني

نص تراثي عربي ، يتطلع إلى قلوب وأفهام وأيد عربية خبيرة وفية ، تقدمه للتاريخ والحضارات أنوارًا على طريق الأهلية لخلافة الله في هذا الكوكب الصغير .

ومجمل ما نشر من ذلك حتى الآن لا يتجاوز ٢٠٠٠٠ عشرين ألف عنوان ، يعني : ٢٠٠٠٠ / ٢٠٠٠٠٠٠ أي : ١ / ٠٠ من النصوص . ثم إن ما كان فيها محقّقًا تحقيقًا علميًّا منصفًا رائقًا يبلغ عدده ٢٠٠ عنوان في أعلى تقدير . وهذا يعني : ٢٠٠ / ٢٠٠٠٠٠٠ أي : ١ / ٢٠٠٠٠ . هذه حصيلة ما يحترم من التراث العربي المنشور ، والباقي أعمال تجارية مبتذلة، أو إصدارات مرتجلة عن غير خبرة وإتقان ، أو تحريفات استشراقية مفتعلة ، وهو قد يفيد الدارسين والباحثين ، ولكنه قاصر عن إعطاء الحقيقي لمضامين المصنفات التراثية ، إن لم يكن فيه ما هو تشويه وتصرفات شخصية مأفونة .

وكذلك شأن ما ينشر بالتصوير لبعض النصوص . فهو نقل آليّ لما في النسخة الخطية ، من دون ضبط أو توزيع أو تحقيق أو بيان ، أو خدمة تيسر للناس الاستفادة العملية فيما يقصدون . والقيام به تقليد استشراقي ودليل عجز عن التحقيق وجهل بمقاصده وفائدته ، واستباق للأحداث بإخراج نص للأسواق ، وتقديم خدمة للمستشرقين يستفيدون منه ، فيما يخرّبون من أحوال البلاد والعباد . وفي هذا أيضًا قطع الطريق على من يريد التحقيق الفعلي ، ويكون لديه القدرات والكفايات والوسائل اللازمة لذلك .

يضاف إلى ذلك كله طغيان جوانب معينة فيه من الموضوعات ، كالأدب واللغة والنحو والتاريخ والتراجم والفقه والحديث والتفسير ، على حينٍ شِبهِ غيابٍ لنصوص العلوم الأساسية والكونية والتطبيقية ، حتى كأن العرب ليس لهم حضور في هذه الميادين . فما نُشر في هذا الميدان أيًّا كان أسلوب نشره يُعدّ بالعشرات ، وإذا قارنته بالآلاف الصادرة ، كما ذكرنا ، تبدى لك الفارق الكبير بين الحصيلتين ،[1] وتحتم إغناء الكفة الشائلة بما يقيم

---

(١) التراث العلمي العربي ـ مناهج تحقيقه وإشكالات نشره ص٨١ـ٢٣٩ وتاريخ العلوم عند العرب ص٥١٨ـ٥٤٥=

التوازن والوفاق ، ولا سيما إذا تذكرنا ما نحن فيه اليوم من صراع للحضارات مادته الأولى هي العلم والقوة الرادعة . ولذلك كان من مقررات اللجنة المختصة ، في بغداد لعام ١٩٨٠ ، أن تُصرَف عناية خاصة إلى التراث العلمي ، استجابة للحاجة الحضارية الراهنة ، وتحقيقًا للتوازن بين التراثين العلمي والأدبي.[١]

وقد تنبه إلى هذه الزاوية الحادة مؤسسو ((الجمعية السورية لتاريخ العلوم)) بجامعة حلب ـ وهي تحمل على عاتقها مسؤولية النهوض بالأبحاث العلمية العربية ، لإبراز إسهامات العرب في كافة العلوم ، ونشر البحوث والدراسات المتعلقة بذلك ـ[٢] فجعلوا في برنامج الدورة التعليمية الأولى لتحقيق المخطوطات ساعات متميزة لبحث ((خصوصيات تحقيق تراث العلوم الكونية)) ، وساعات مماثلة في الدورة التدريبية لعرض نماذج من تحقيق ذلك التراث ، والقيام بتنفيذ عملي لتحقيق نصوص علمية مناسبة . وهذه بادرة طيبة تبشر بالخير والنصفة ، إن شاء الله .

وأيًّا كان الأمر فإنك عندما تتذكر ما أحيطت به النصوص الوثائقية والعاديّة ، من تزوير استشراقي وتوجيه عولمي ، يتبين لك أن كل تلك الآثار الخطية هي في حاجة إلى الخبرة والإخلاص والعمل الجاد الوفي ، لتخرج إلى الناس بوجه مشرق محبب ، مشجع على الاقتناء والمطالعة ، ومعطٍ يده بيسر ومودة لكل طالب علم أو معرفة ، ومشارك في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية ، بصدق ودقة وشمول لجميع مناحي الحياة . ثم يكون في تضاعيفه آية شكر لرجال العولمة والاستشراق ، على ما قدموه لنا من فتات الموائد وبالة

= و التراث العلمي العربي في العلوم الأساسية ص ٢٥ ـ ٨٧٢ .

(١) في المخطوطات العربية ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ وأسس تحقيق التراث العربي ص ١٣ .

(٢) انظر الجمعية السورية لتاريخ العلوم ص ٧ و ٥٨ ـ ١٠٦ حيث تجد ما قامت به الجمعية ، من خدمة لنشر التراث العلمي والبحث فيه .

البالات ، في الفكر والبحث والإنتاج الترميمي ، المغمور بالحديد والنار والاستعباد والارتـزاق والابتزاز والدمار.

ومن هذا الذي عـرضـنـاه كله يتضح لنا سعـة الأفـق الـتـراثي ، وضيق الـمـيـدان الاختصاصي لمن يرغب في العمل للنشر والتحقيق . فعن طريق الخبرة والاطـلاع الميداني ، على مدى العناوين التي يغطيها تخصص المرء ، وحركة النشر المحقـَّق منه ، وما كان من ذلك غير ذي كفاية علمية أو فنية ، يستطيع أن يختـار العنـوان الـذي هـو أهـل للعمـل والخدمـة والإصدار . ثم إن كل نص تراثي منشور بتحقيق علمي محترم يقتضي تجديد الخدمـة لـه ، إذا اكتـُشفت منه نسخ أقدم وأوثق وأصح وأوفى . فالعمل جهاد مستمر متجدد إلى يوم القيامة .

ولا بد في اختيار عنوان النص من مواصفات ، تيسر النتائج العمليـة الإيجابيـة . ومـن ذلك أن يكون المضمون المختار مناسبًا للميول العلمية والخبرة الميدانيـة ، ومواتيًـا للقـدرات المادية والمعنوية ، إذ تكاليف الحيازة للمخطوطات أو تصويرها باهظة جدًّا ، ولا سيما إذا كان للنص عشرات من النسخ في العالم . فحسب المرء أن يصطفي من الملايين المتعطشة إلى النـور ما هو ميسر الوصول والتناول ، وحاضر الأصول والمصادر المُعِـينة على الإجراءات العملية ، ومستحق للنشر في الظروف الوطنية والقومية والإنسانية الحاليـة ، وخـادم لعجلـة الأمـة في مسارها الحضاري المرسوم .

فليكن اختيارنا للموضوعات الإيجابية التي تضـيف إلى الحـاضر حقـائق علميـة ، أو معلومات تخدم المعارف الإنسانية ، أو تحقق بعض الأفكـار الصـحيحة ، وتزودهـا بـدفعات تراثية نظرية أو عملية . وهذا يعني أن يكون تقديم الأهم على المهم ، والأصول على الفـروع والمختصرات ، وما لم ينشر على إعادة ما نُشر ، مع التسامح في تجديد هذا الأخير إذا كان غـير مراعى فيه العمل التحقيقي الوافي ، أو ظهر له نسخ أكثر صحّة وتوثيقًا .[1]

---

(١) أسس تحقيق التراث العربي ص ١٥ .

وفي مجالات علوم الكون التطبيقية والعقلية مثلاً ، يمكننا أن نفتش عن النصوص التي غمرتها العصور ، وهي تحمل تجارب عربية إسلامية ، أو اقتباسات من آثار الأقدمين في الشرق والغرب ، لنضعها بين أيدي العلماء والباحثين . ومن هذا أمثال ما قدمه أجدادنا لعمليات الطب والاستشفاء والصيدلة والجراحة والفلك والرياضيات والهندسة والآلات الحركية والحربية ، ولمضامين قاموس مصطلحات العلوم المختلفة ، وللخدمات الصحية في المؤسسات العامة والخاصة . فالكتاب التراثي المتخصص يقدم لتاريخ الحضارة إضاءات متميزة ، ببيان معارف جديدة أوتوكيد لصحتها أو تجارب عملية ، تحرك العجلة العربية في ميادين البحث والإنتاج الكريمين . ومن ذلك مثلاً :

١ ـ ما يذكره المؤرخون عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥) ، من علومه المبتكرة ، في الأصوات والمعجمية والموسيقى والعروض ، وما فتح به باب المعمَّيات والألغاز، حين أقدم على كسر الشِّفرة ، بما صنعه من حل بعض اللغات الأعجمية ، ثم صنَّف ذلك في كتابه المعروف باسم ((المعمَّى)) . وهذا ما يتجاهله الغربيون ، وينسبونه إلى الإيطالي البرتي في القرن الخامس عشر .

٢ ـ ما قدمه حنين بن إسحاق (ت ٢٦٠) من خلال كتابه ((العشر مسائل في العين)) ، إذ كشف ما تأثره منه الرازيُّ في كتاب ((الحاوي)) ، وأن الترجمات اللاتينية كانت زائفة ، وأن قسطنطين الإفريقي سلخ منه تسع مقالات في كتابه ((طب العيون)) المطبوع سنة ١٥١٥ بكليات إسحاق الإسرائيلي ، ونسبها إلى نفسه . وكذلك ما نُشر من طبعات لكتب طبية بين سنتي ١٥١٤ و ١٦٢٥ .

٣ ـ ما بسطه عبد الرحمن الصوفي (ت ٣٧٦) ، حين تعقب في ((صور الكواكب الثمانية والأربعين)) أوهام الفلكيين القدماء بالأدلة العلمية والتجريبية ، من خلال رصدِه مواقعَ الكواكب ، ووضعهِ الجداولَ الفلكية ورسومَ ما يرى في الأرض من الأفلاك ، وتصورِه ذلك في السماء ، والحساباتِ السديمية . . .

٤ ـ ما تراه في ((التصريف لمن عجز التأليف)) ، الذي جمع فيه أبو القاسم الزهراوي (ت ٤٠٤) تجارب جراحية وأدواتها وفنون العلاج ، ولا سيما أمر السرطان واستئصال المثانة النسائية وشق القصبة الهوائية ، واستعمال الجبس في معالجة الكسور ، والصور العملية لتلك الإجراءات والوسائل الفنية العالية في عصرها .

٥ ـ ما جاء في كتاب ((المناظر)) لمحمد بن [١] الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠) ، يبيّن ارتباط الحركة العلمية به في أوربة ، خلال العصور الوسطى والحديثة ، حتى إنه ليشكل العصب في ((علم البصَريات)) الحديث ، وما كان من دراسات في مجال علم الضوء ، إذ كان له ترجمات لاتينية قديمة .

٦ ـ ما تراه في كتاب علي بن رضوان (ت ٤٦٠) تحت عنوان ((شرح المقالات الأربعة [٢] في القضايا بالنجوم لبطليموس)) ،إذ بسط معلومات دقيقة ، لبعض الظواهر الفلكية في الكون ، كانت مثار اهتمام العلماء قديمًا وحديثًا .

٧ ـ ما صنفه موفق الدين بن المطران (ت ٥٨٥) في كتابه ((بستان الأطباء وروضة الألباء)) ، من الأمراض والمعلومات الطبية والوسائل العلاجية ، والتعريفات للمصطلحات والمفاهيم ، وواجبات الأطباء في تشخيص الحالات المرضية وعلاجها .

٨ ـ ما يقدمه لنا ابن النفيس (ت ٦٨٧) ، في كتابه ((شرح تشريح القانون)) ، من وصف للدورة الدموية في الرئة ، وتقرير أن عضلات القلب تتغذى من الأوعية الدموية في داخلها لا من الدم في أجواف القلب .

٩ ـ ما يوضحه لك مصنف ((عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)) للقزويني

---

(١) انظر التراث العلمي العربي – مناهج تحقيقه و إشكالات نشره ص ١١٣ ـ ١٢٢ . ونسب الكتاب فيه إلى الحسن ابن هيثم .

(٢) تجوز موافقة العدد للمعدود هنا ، لأنه غير مضاف إليه .

جمال الدين زكريا بن محمد (ت ٦٨٢)، من رسوم وأشكال للناس والحيوانات، وأزياء تاريخية فنية، ومعلومات عن كثير من المخلوقات.

١٠ ـ ما يعرضه حسام الدين لاجين بن عبد الله الطرابلسي أحد امراء القرن الثامن، في ((تحفة المجاهدين في العمل بالميادين)) ؛ إذ يبسط رسومًا لعمليات التعبئة العسكرية، وأساليب المبارزة والاقتحام والهجوم والكرّ والفرّ . . .

١١ ـ ما زودنا به كتاب ((اللمع في الحساب)) لابن الهائم الرياضي (ت ٨١٥)، من معلومات رائدة في تطور علم الحساب، لعصر ما سماه المستشرقون ((فترة توقف الإبداع العربي)). وفي ذلك اجتهادات علمية دقيقة، تتصل بأحكام المواريث الواسعة المدى، في التفرع والإشكال والتدقيق.

١٢ ـ ما خلده داود الأنطاكي (ت ١٠٠٨) في ((الجامع للعجب العجاب))، من نصوصٍ علمية قيمة ضاعت مصادرها القديمة، وعرضٍ لترجمات مبكرة من مصادر معرفية وعملية مفقودة الأصول والفروع.[1]

١٣ ـ ما جمعه رجال الفكر والتنظير للعلوم، من مصطلحات ومفاهيم، تساعد على توضيح الحقائق والتجارب والمعلومات والأحداث، كالذي تراه في ((مفاتيح العلوم)) للخوارزمي (ت ٣٨٧)، و ((التعريفات)) للجرجاني (٨١٦)، و ((الكليات)) لأبي البقاء الكفوي (١٠٩٤)، و ((كشاف مصطلحات الفنون)) للتهانوي (ت ١١٦٠).

* * *

وبذلك يمكننا أن نعيد إلى الحاضر صلته بالقديم، بعد أن قطعتنا عنه مخططات الاستعمار والابتزاز، وغمرته أباطيل الاستشراق والاستغراب والعولمة، بالاتهامات

(١) وانظر محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية بإيران ص ٤٦ ـ ٥٦.

والافتراءات والبهتان ، وحجبت عنا رؤيته والاستفادة منه ، لما قدمت لنا من مغريات الترف والكماليات والأبهة ومفاتن اللهو والعبث والمجون ، والمعلومات المستنفدة والعلوم المشحونة بالتثبيط وتكريس التخلف والاستخزاء .

فقد شُغلنا بفتات الموائد حينًا من الدهر ، وانسقنا خلف النظريات المستهلكة والنتائج المصنوعة للتصدير ، وضاع من أيدينا رباط الحياة الحضارية التي تكون باستمرار البحث والإنتاج ، في ميادين العلم والعمل . وآن لنا أن نعيد لواقعنا مسيرته المتصلة بمعالم الماضي المتألقة، لنبني المستقبل الكريم، ونستعيد الاستقلال والمساهمة في بناء صرح التجديد والعلاء.

٣ ـ مصادر الاختيار :

يرجع الباحث عن عنوان للتحقيق إلى ميدانين اثنين ، بالإضافة إلى الخبرة الخاصة والمطالعة الدائبة واستشارة الخبراء الناصحين . وهما مصادر المعلومات التراثية ومراجعها ، والمكتبات الخطية في العالم . أما الأول فيقتضي منا تعرّف مفهوم المصدر والمرجع في عالَمِي التوثيق والتحقيق . ولذا فإننا نقول :

المصدر العلمي هو كتاب أو إنسان أو أثر يقدم حقائق أو معلومات أساسية ، عن النصوص التي هي موضوع العمل . ومن هذا المورد المعتبر تُستقى مادة المعارف والحقائق عن ذلك ، فتكون بمثابة الأسس للإنجاز العلمي المقصود . ولذا يجب أن يكون مصدرنا في كل موضوع أقدم ما عرف عنه ، وأقربه إليه زماناً ومكاناً ، ليستطيع التزويد بما هو أصح وأصدق ما يمكن من المادة اللازمة . ثم يجب أن يكون أيضاً شديد الصلة بالموضوع ، بحيث لا يُستغنى عنه في استمداد صلب المواد العلمية .

ومما تقدم يتبين أن ما كتبه الإنسان بيده أو روي عنه مباشرة هو صاحب الصدارة في التقدمة . وهذا يشمل الكتب والرسائل الشخصية والترجمة الذاتية ، ويلي ذلك ما روي عمن عاصره من وثائق وأخبار وكان له صلة به ، ثم ما كان بعدُ في العصور المتوالية والأصقاع

المختلفة ، مع الفضيلة والتميز لما هو أقدم وأقرب في الزمان والمكان والشخص الكاتب ، إذ يكون أوثق من غيره وأدق في البيان .

ولابد أن نذكر هنا ما تحمله المكتشفات الأثرية من أوابد ومستحاثات ، وما تتضمنه المتاحف ومراكز الوثائق العالمية والمحلية من سجلات ونصوص كتبت في ظروفها الواقعية . فهذه وتلك هي أصدق المصادر وأحقها بالاعتماد في التحقيق ، لأنها أوثق الأصول المعتبرة .

أما المرجع فما نُقل عن المصدر غير الميسَّر استخدامُه ، أو ما كان فيه معالجة لبعض مسائل الموضوع أو قضاياه بأسلوب متميز ونتائج مفيدة . وإنما سمي مرجعاً لأنه يُرجَع إليه للفوائد الجزئية أو الثانوية الفرعية ، وهو أقل ثقة من المصادر ، إذ قد يقع فيه تبديل وتحوير لبعض الحقائق والمعلومات ، بفهم خاطئ لها أو بقصد التحيز والتزوير والتضليل للعلماء . ومن هذا القبيل كتب الأدب والتراجم والتاريخ ، ومصنفات التفاسير وشروح الأحاديث النبوية ، وشروح المصنفات والدواوين والأشعار والرسائل والمقامات ومختصراتها ، ومؤلفات الحضارة والعلوم لتصوير بيئة أو أحداث أو أعمال ، والدراسات العلمية والأدبية والفنية . . .

ولا يخفى على كل ذي جنان أن النقول المتابعة للمعلومات ، بين المصادر والمراجع المتوالية ، تترك آثاراً كثيرة من التشويه والتحوير ، مما يجعل الاعتماد على المراجع المتأخرة ذا مزالق ومخاطر ، يتعذر فيها تجنب الأوهام والأباطيل . ولذا كان الاستمدادُ من المصادر هو الأصل في إنجاز الإجراءات العلمية الموثقة ، والعودةُ إلى المراجع تكون للتوضيح والترميم لما هو في حاجة إلى شيء منهما.

ثم إن المرجع المعيَّن قد يكون فيه معلومات وحقائق ، هو مصدر لها أيضاً . وذلك في المعارف والنتائج التي أصبحت خاصة بالمؤلف نفسه ، هو صاحبها ولم ينقلها عن غيره ، أو التي فُقدت أصول مصادرها أو تعذر الوقوف عليها . فهذه المعلومات الفريدة تُستقى على أنها أصيلة ، وتكون في مرتبة ما ينقل من المصادر أيضاً . فإذا ظهر مع الزمن لها أصل أقدم عاد

كتاب صاحبها أو قولـه مرجعاً ثانوياً . وهنا يحسن بنا أن نعرض أشكال المصـادر المسـاعدة على الاختيار والاصطفاء ، فيكون لدينا :

دائـرات الـمـعـارف (الـمـوسوعات العامة) : دائـرة المعـارف هـي مجموعـة مـن المقالات المتخصصة جدًّا ، تعالج المعارف الإنسانية عامـة والموضـوعات الكثيـرة بأسـلوب علمي دقيق موجز . وعلى هذا فهي تمثل نقطةَ البدء للبحوث ، إذ تقدم المعلومات والحقائق ، مع مصادرها والمراجع ، لينطلق منها الباحث إلى توسعة موضوعه وإغنائه وإنجازه بما تحيلـه عليه ((الدائرة)) نفسها .

وتكونُ فيها المواد العلمية موزعة على أصغر ما يمكـن مـن الجزئيـات ، وإن ضـحت بالوحدة الموضوعية لكل معرفة ، كي يتسنى في ذلك تحقيق الاختصاص والدقة والإيجار ، ثم تقيمُ الترابط بين أجزاء الوحدة بإحالات في بعض الأجزاء على بعض . ولهذا يكتب كل مقالة متخصص في مضمونها تخصصاً عميقاً ، وهـو مـن الأمـة صـاحبة الشـأن لا مـن أعـدائها ، ويزودها بالرسوم والصور والبيانات اللازمة ، ويلحق بها ثَـبَـتاً بأهم المصادر والمراجع ، ثـم يذيلها باسمه ولقبه .

وتنسق تلك المقالات تحت عناوين مكثفة تنسيقاً ألفبائيًّـا ، بحسـب حـروف كلـمات العناوين ، تيسيراً للتناول والاستفادة . وإذا كانت بلغة أجنبيـة ـ وهـذا شيء غـير مقبـول في ميدان المعلومات أصلاً ـ فإنه يترجِـم كلَّ مقالة عالم آخر ، ويلحـق بهـا تعليقـات عليهـا في الحاشية ، مع ذكر اسمه ولقبه أيضاً . ويجب أن يكـون المـترجم مختصًّـا في موضـوع المقالـة ، ليَستطيع نقلها بـدقـة وأمـانـة ، والـتعليـق عليها بالاسـتدراكات والـتعقبـات والتصويبات الضرورية ، لما وهمَ فيه المؤلف أو أغفله أو حاد به عن الصواب أو زوره من الحقائق العلمية.

وتُستهل ((الدائرة)) بمقدمة ، تحدد الغاية منها والمنهج المتبـع ومفـاتيح الرجـوع إلى المعلومات المطلوبة لدى الباحث والدارس والمحقق ، ثم تختم بالفهارس الفنية والكشـافات

المساعدة على التناول والاستفادة بأسرع ما يمكن . وتكون المعلومات الواردة فيها محدودة بتاريخ كتابة المقالات ، لتعذر متابعة ما يجد في العالم من ذلك حينئذ ، ثم تصدر ملاحق سنوية تحوي المواد والمعلومات المستجدة ، مع الإشارة إلى حذف ما ثَبَتَ بطلانه . وعلى هذا المنوال تبقى ((الدائرة)) في تجدد ونمو واغتناء ، تلاحق ما أمكن من الأحداث والعلوم والمكتشفات والمخترعات والتغيرات .

كذلك شأن دوائر المعارف العامة ، ويطلق عليها أحياناً أسماء((الموسوعات)) . ولفظ الموسوعة هنا بمعنى الواسعة ، أي : المستوعِبة المحيطة الشاملة للمعارف والعلوم . فهو على صيغة : مفعولة ، بمعنى اسم الفاعل المؤنث للمبالغة ، على غرار : مَحصول ومَهُول ومُحصَن ومُسهَب ، بمعنى : حاصل وهائل ومُحصِن ومُسهِب . وقد اقترح بعض المعاصرين أن يكون ((المَعلَمة)) بديل هذا وذاك . والأصح أن يُستبدل بالجميع لفظُ : الوَسيعة أو الوَساع . إذ كل من هذين اللفظين أدلُّ بصيغته ومعناه على الاستيعاب والشمول ، من دون تكلف واصطناع . وأشهر هذا النوع من الوسيعات :

١ ـ **دائرة معارف القرن العشرين** : ألفها محمد فريد وجدي ، وأصدرها بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٥ م ، في ١٠ مجلدات ضخام ، ثم نشرت ثانية سنة ١٩٧١ . وهي أوثق الدوائر وأصحها ، فيما عرضتْ له حتى الآن .

٢ ـ **دائرة المعارف الإسلامية** : ألفتها مجموعة من المستشرقين وأتباعهم ، وصدرت بين أعوام ١٩٠٨ ـ ١٩٣٩ م ، باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية ، وهي محشوة بكثير من الأباطيل والتشويه للدين الإسلامي والعلوم العربية والإسلامية والتاريخ الإنساني ، عن جهل لبعض الكُتّاب أو قصد للتضليل والإفساد من بعض ، بما يفتريه اليهود ورجال العولمة الباغية .

فليُتنبّه إلى ذلك خشية الدخول في التيه الذي صُنع للمسلمين ، إذ كلنا على علم بما

خلّده الله ـ تعالى ـ من خطاب للمسلمين : ﴿ إن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرِينَ ﴾ ،[1] ومن قوله عن الكافرين : ﴿ ولا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم ، إنِ استَطاعُوا ﴾[2] . وقتالهم هذا يكون بكل سلاح ، في حروب متعددة الأشكال والمظاهر والأساليب ، ومنها تشويه المعلومات ونشر الضلال والأباطيل والفساد .

وقد تَرجم بعض علماء المسلمين قدراً كبيراً من هذه الدائرة ، منذ عام ١٩٣٣ ، انتهى إلى قسم من حرف العين ، أي : ما يقارب نصف الموسوعة . وعلق آخرون في هوامش الترجمة على ما فيها من أكاذيب وافتراءات وقصور ، لمساعدة الدارسين على الصواب . ولكن هيهات هيهات أن تُستأصل أو تُستقصى دسائس الاستعمار والإسرائيليات الخبيثة ! أضف إلى هذا أن المعلومات المتضمَّنة في الأصل قاصرة محدودة بزمان الصدور الأول ، وليس فيها ما يحيط بالموضوعات المطروحة.

٣ ـ **الموسوعة العربية الميسرة** : وهي مختصرة موجزة تستوعب غالبية المعارف المعاصرة ، نُشرت في مجلد واحد سنة ١٩٥٩ ، بمشاركة جماعة من العلماء والمختصين المتأثرين بالتفكير الغربي . وهي خالية من أسماء الباحثين المؤلفين لها ، ومن مسرد المصادر والمراجع ، ولم تواصِل ما جدّ من المستحدثات بعد .

٤ ـ **دائرة المعارف الإسلامية الثانية** : شارك في إعدادها وكتابتها مجموعة من المستشرقين والمسلمين . وهي شبيهة بالأولى ، بدأ صدور مجلداتها سنة ١٩٦٠ باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، مزودة بالمصادر والمراجع وأسماء الكتّاب ، وبالرمز إلى أسماء الدوريات ، وبما اصطُلح عليه من حروف لاتينية مقابلة للحروف والحركات العربية .

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

٥ ـ الموسوعة العربية العالمية : وهي ترجمة لـــ " دائرة المعارف العالمية " الصادرة بالإنكليزية سنوات ١٩٩٢ ـ ١٩٩٤ في الولايات المتحدة الأمريكية ، مع إضافات إسلامية عربية ، و تعديلات واختصار لتجنب الدسائس والافتئات ، وهيهات هيهات ، ومع افتقادٍ للجهد العلمي الإسلامي الشامل ، وعدمِ الاستيعاب الكامل الدقيق للمعارف والعلوم المتخصصة ، إذ هذه الموسوعةُ موجهة إلى عامة الناس . وقد صدرت الترجمة المذكورة سنة ١٩٩٦ في مدينة الرياض ، خالية من أسماء الكُتّاب والمصادر والمراجع ، فكانت في ٣٠ مجلداً ، و الثلاثة الأخيرة منها خصصت لمعجم مترجم ، وفهرسة لعناوين الموضوعات الرئيسية والمصطلحات.

* * *

والملاحظ فيما ورد من هذه الموسوعات ، عدا ما ألفه محمد فريد وجدي ، أنه نتاج غير عربي ولا إسلامي ، في أصله وتفرعاته وتفكيره وتوجُّهه ، وما جاء من لمسات لترميم مزالقه ودسائسه وافتقاره لم يستطع أن يسد الفراغ ويملأ حاجات الباحثين والدارسين ، لأنه صادر عن تفكير فيه آثار الثقافات الأوربية والسياسات العولمية المبرمجة المدبلجة ، فكان يغلب عليه المحاولات السطحية القاصرة والتوجهات المشبوهة . وقديماً قال زهير بن أبي سُلمى :

ومَن لَم يَذُدْ عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّم ، ومن لايَظلِمِ النّاسَ يُظلَمِ

ومَن لا يَزَلْ يَستَحمِلُ النّاسَ نَفسَهُ ، ولا يُغنِها ، يَوماً مِنَ الدَّهرِ ، يُسأَمِ

ولهذا شرعتْ بعض الدول الإسلامية والعربية تسعى في إعداد موسوعات بالجهود الذاتية ، تلتزم الأمانة والدقة ، لتقدم للباحثين والدارسين وجهاً مشرقاً وحقائق موثقة لا دَخَلَ فيها . وهي محاولات بدائية ، تحتاج إلى تعاون علمي كامل وإخلاص وتجرد تامين ، لتجاوز مراحل القصور وضيق الأفق والنزعات الفردية أو المحلية أو الوطنية أو القومية .

ومن هذه الأعمال ما صدر أو يصدر في حلب ودمشق والقاهرة وعمّان وتونس وإستانبول ...

دائرات المعارف الخاصة : هي موسوعات متخصصة تعالج مجالاً واحداً محدداً من العلوم والمعارف ، كالأدب والتاريخ والثقافة والطب والهندسة ، أو عدة مجالات متقاربة : كالفنون والعلوم الاجتماعية والدين والأخلاق . وتمتاز هذه المصنفات بكثرة التفصيل في معالجة الموضوعات ، وأن بعضها يكون في مستويات : للجامعيين أو العلماء أو التلاميذ الصغار . ومنها :

١ ـ الموسوعة الثقافية ، بإشراف الدكتور حسين سعيد ، صدرت في القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٢ ـ موسوعة المستشرقين ، بتأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي ، صدرت في بيروت سنة ١٩٨٤ .

٣ ـ الموسوعة الفلسطينية ، بتأليف عدد من العلماء المختصين ، صدرت في دمشق سنة١٩٨٤ .

٤ ـ الموسوعة الفلسفية العربية ، بإشراف الدكتور معن زيادة ، صدرت في بيروت سنة١٩٨٦ .

٥ ـ الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، للدكتور كميل الحاج ، صدرت في بيروت .

٦ ـ موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، بإشراف جامعة السلطان قابوس ، صدرت في بيروت .

قوائم الكتب والمقالات (البيليوغرافية) : في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية فن من التأليف عُرف باسم الوِراقة ، وكان يراد به نسخ الكتب للمكتبات وللناس ، إذ نشأ بتفرغ بعض الخطاطين لكتابة المصاحف الشريفة في منتصف القرن الأول .

وعملية النسخ تعني نقل النصوص من صحف إلى غيرها ، بالدقة والكمال . وأصل ذلك فيما ورد من الآية الكريمة :[١] ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، أي: نأمر بتسجيلها كما هي . وقد كان العرب يستعملون هذا اللفظ في أمور معروفة لديهم . قال أبو حاتم : النَّسخ : أن تحوِّل ما في الخلية من العسل والنحل في أُخرى . قال : ومنه نسخ الكتب.[٢]

وقد أصبح لهذه المـُهمّة رجال مختصون مشهورون ، حتي إن المهلب بن أبي صُفرة (ت ٨٣) أوصى بنيه بقوله:[٣] ((يا بَنِيَّ ، لا تقوموا في الأسواق إلاّ على زرّاد أو ورّاق)) . ثم أضيفت إلى تلك المهمات بعض الأعمال المتممة ، فصارت كما عرفها ابن خلدون ((الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكُتبية والدواوين)).[٤] وقد أُطلق على القائم بذلك عدة أسماء ، نحو : الكاتب والناسخ والمحرر والمصاحفي والمستملي والصَّحفي والنقّاط .

ولما اشتهر بعض العلماء والأدباء صار لكل منهم ورّاق ناسخ أو أكثر ، يستملي ما يكون من العلم أو الأدب ، ويُخرج منه النسخ للناس رواية أو كتبًا يتلقونها بالمال الوافر . وكذلك فعل الخلفاء والأمراء ، إذ اتخذوا من ينسخ لهم الكتب ، فكان عَلاّنُ الشعوبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة ، وأصبح لكل من الجاحظ والمبرد ورّاقان ، وللفراء وراقون يصحبونه في مجالسه ، وكان محمد بن الحسن الأحول يورّق لحنين بن إسحاق منقولاته لعلوم الأوائل .[٥]

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الجاثية .

(٢) المجمل ومقاييس اللغة (نسخ) .

(٣) الحيوان ١ : ٥٢ وعيون الأخبار ١ : ١٢٩ . والزراد : صانع الدروع .

(٤) المقدمة ص ٩٦٢ . وانظر المخطوط العربي ص ١١٥ ـ ١٢٨ وصناعة المخطوطات العربية الإسلامية من الترميم إلى التجليد ص ٨٩ ـ ١٣٧ .

(٥) الفهرست ص ١١٨ و ٦٥ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ و١٨ : ١٢٥ وتاريخ بغداد ١٤ : ١٥٠ .

ثم تطور هذا الفن الكتابي فأصبح أصحابه ذوي أسواق واسعة ، يقصدها الأدباء والعلماء ، ويكون فيها مجالس لهم مع طُلاّب العلم والمعرفة . وبذلك صار الورّاق مركز النشر والتوزيع لمصادر الثقافة والمعارف ، ومرجعًا لمن يتتبع مصنفات العلوم والآداب ، ومتخصصًا في التأليف عن الحركة العلمية فيما حوله . فهو يمارس البحث والتأليف عن الكتب عامة ، و التعريف بها وبأصحابها ، شأن ما نعرفه اليوم في علم المكتبات والفهرسة وقوائم الكتب باسم : الببليوغرافية .

وإنما كان يقوم هذا العمل على التعريف بالكتب وأصحابها ، في تنسيق بحسب أنواع العلوم والفنون أو أسماء المؤلفين ، وقد يختص بعضها بنوع من العلوم أو المذاهب ، أو يكون صاحبه عالمًا يجمع ما كان له من تلق بالرواية للمصنفات والكتب . وقد صدر عن ذلك عدة نماذج في التاريخ العربي وما اتصل به ، إليك أشهرها :

١ ـ الفِهرست لابن النديم سنة ٣٧٧ . وتوفي صاحبه سنة ٣٨٠ .

٢ ـ فِهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين لأبي جعفر محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠، ويقال له : فهرس الطوسي . طبع عام ١٨٥٣ بكلكتة .

٣ ـ فَهرسة ما رواه عن شيوخه ابن خير الإشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ .

٤ ـ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ .

٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاجّ خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ .

٦ ـ أسماء الكتب لعبد اللطيف بن محمد رياضي زادة من علماء القرن الحادي عشر .

٧ ـ جامع التصانيف المصرية الحديثة المنشورة خلال سنوات ١٣٠١و ١٣١٠ لعبد الله الأنصاري .

٨ ـ أبجد العلوم لصديق بن حسن القنّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧ ، وفيه أنواع العلوم وما لها من المصنفات .

٩ ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لأدوار فـنَديك نشر سنة ١٣١٣ . وفيه أيضًا ذكر لأماكن وجود الكتب العربية ، وفهرس الكتب العربية في مكتبات أوربة ، مع أبواب أربعة بحسب العصور التاريخية .

١٠ ـ كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار لإعجاز حسين النيسابوري، وفيه الكتب التي صنفها الإمامية ، نشر سنة ١٣٣٠ .

١١ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، وهدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٤٠ .

١٢ ـ جامع التصانيف الحديثة المطبوعة في البلاد الشرقية والغربية والأمريكية ، ليوسف اليان سركيس ، طبع سنة ١٩٢٧ ، وفيه ما نشر بين سنوات ١٩٢٠ و ١٩٢٧ م .

١٣ ـ البيبليوغرافية العربية للمستشرق شنورر ، جمعتْ ما نُشر بين عامي ١٥٠٠و١٨١٠ .

١٤ ـ ببليوغرافية المكتبة الشرقية للمستشرق الألماني زنكر ، فيها ما نشر حتى سنة ١٨٦٠ ، وأسماء الكتب بالعربية ، وأوصافها بالفرنسية . طبعت في ليبسغ بين ١٨٤٦ و ١٨٦١ ، ولها ملحقان أيضًا .

١٥ ـ المكتبة الشرقية ليوسف سمعان السمعاني السرياني ، ذكر فيه الكتب المخطوطة السريانية والعربية . وهو باللغة اللاتينية في أربعة مجلدات ، ونشر برومة بين ١٧١٩ و ١٧٣٠ .

١٦ ـ الفهارس والبرامج والأثبات والمشيخات في تاريخ العلوم الإسلامية ، من أمثال ما ذكرنا تحت الرقم ٣ . انظر ص ٥١٠ ـ ٥١٣ من فهرست ابن خير وفهرس الفهارس والأثبات ٣ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ و ٣٢٢ ـ ٣٢٩ و ٣٤٤ ـ ٣٤٨ ، لترى ما نعرفه من عناوينها فقط في المغرب وحده .

١٧ ـ البيليوغرافية الشرقية للمستشرق لوسيان شرمان ، جمعتْ ما نُشر بين عامي ١٨٨٧ و ١٩١٠.

١٨ـ سلسلة الأعمال المطبوعة في أوربة بين ١٨١٠ و ١٨٨٥ للمستشرق فكتور شوفان ، صدرت حتى ١٩٢٢.

١٩ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس طبع سنة ١٩٢٨ .

٢٠ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن الشيخ آغا بزرك الطهراني ، بدئ بنشرها سنة ١٩٣٦ .

٢١ ـ رائد التراث العربي مما ألفه المستشرقون لجان سوفاجيه نشر بالعربية عام ١٩٤٧.

٢٢ ـ فهرست الكتب المطبوعة في مصر بين ١٩٤٢ و ١٩٤٤ لجورج شحاته قنواتي ، نشر عام ١٩٤٩.

٢٣ ـ الفهرس الإسلامي للمقالات المنشورة بين ١٩٠٥ و ١٩٧٥ للمستشرق إ . د . برسون ، صدر بين ١٩٥٨ و ١٩٧٥ ، ثم أتبع ذلك بمجلة فصلية لكل ٣ أشهر ، تستوفي ما ينشر مع الملاحق اللازمة .

٢٤ـ الدليل البيليوجرافي للمراجع بالعالم العربي لسعد محمد الهجرسي ، نشر بين ١٩٦٠ و ١٩٦٤.

٢٥ـ الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٤٠ لعائدة إبراهيم نصر ، نشر سنة ١٩٦٩.

٢٦ ـ دليل المراجع العربية والمعربة لعبد الجبار عبد الرحمن ، نشر سنة ١٩٧٠ .

٢٧ ـ الثَّبَت البيليوجرافي للأعمال المترجمة ، تصنيف لجنة خاصة ، نشر سنة ١٩٧٢.

٢٨ ـ الدليل الببليوجرافي للمراجع بالوطن العربي لسعد محمد الهجرسي ، نشر سنة ١٩٧٥ .

٢٩ ـ دليل المطبوعات المصرية ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٥٦ لمجموعة من الباحثين ، نشر سنة ١٩٧٥ .

٣٠ ـ معجم المخطوطات المطبوعة ما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٨٠ للدكتور صلاح الدين المنجد ، نشر سنة ١٣٩٨ .

٣١ ـ المطبوعات الحجرية في المغرب ، لفوزي عبد الرزاق، نشر في الرباط سنة ١٩٨٦ .

٣٢ ـ دليل الباحث اللغوي في الدوريات العربية بإشراف الدكتور محمد علي سلطان ، نشر سنة ١٤٠٢ .

٣٣ ـ فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . وهو ذيل على طبقات الحفاظ والمحدثين لابن ناصر والسيوطي ، صدرت مطبوعته الثانية سنة ١٤٠٢ ببيروت .

٣٤ ـ فهرست الكتب النحوية المطبوعة للدكتور عبد الهادي الفضلي ، نشر سنة ١٤٠٧.

٣٥ ـ النشرة المصرية والنشرة الوافية للمطبوعات ونشرات الإيداع ، والنشرات الببليوغرافية اللبنانية والجزائرية والليبية بعد سنة ١٩٦٤ .

٣٦ ـ المستخلصات العلمية العربية لما بعد سنة ١٩٧٢، وهي مرتبة بحسب أسماء المؤلفين ضمن العلوم .

٣٧ ـ الحركة اللغوية في الوطن العربي عام ١٩١٨ ـ ١٩٧٥ للدكتور شكري فيصل ، نشر سنة ١٤١٢ .

٣٨ ـ المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع للدكتور محمد عيسى صالحية ، بدئ

بنشره سنة ١٩٩٢ .

٣٩ ـ دليل المؤلفات الإسلامية في المملكة العربية السعودية بين ١٤٠٠ و ١٤٠٩ هـ ، لمحمد خير رمضان يوسف ، صدر سنة ١٩٩٣ بالرياض .

٤٠ ـ موسوعة المصادر والمراجع للدكتور عبد الرحمن عطبة نشر سنة ١٤١٨ .

٤١ ـ التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر ، لمحمد الحبيب الهيلة ، نشر سنة ١٩٩٤ في مكة .

٤٢ ـ دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة ، لمحيي الدين عطية ، نشر عام ١٩٩٥ ببيروت .

٤٣ ـ إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد لمحمد بن إبراهيم الأكفاني السنجري ، فيه بحث عن ٦٠ عِلمًا إسلاميًّا ، مع ذكر المصنفات والمؤلفين لبعضها .

٤٤ ـ كشاف الفهارس وأوصاف المخطوطات في مكتبات فارس لمحمد باقر حجتي ، ويضم تعريفًا بمخطوطات بلغ عددها ١٠٠٠٠ من العلوم المختلفة .

٤٥ ـ مكتبة المرعشي النجفي ، وفيها أكثر من ٣٠٠٠٠ مخطوط ، وبعضها مجموعات من الكتب ، حتى إن عناوين الكتب تتجاوز ٦٥٠٠٠ عنوان .

يضاف إلى ما سردنا هنا ، من المصادر والمراجع ، أن يكون اطلاع دائم على الدوريات العربية والأجنبية ، التي تتابع شؤون المخطوطات ونشر التراث ، ويكون فيها أخبار متواصلة عن مسيرة هذه الآثار ، وما يكون حولها من نقد وتوجيه وملحوظات علمية مفيدة .[1]

* * *

(١) في معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ١٤٦٥ ـ ١٤٦٧ فهارس أُخرى يحسن الاطلاع عليها . وانظر محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران ص ٩٠ ـ ٩٧ .

و يذكر في هذا القبيل من المصنفات ما هو أعم وأوفى ، استغرق التاريخ العربي المعروف كله ، وكان فيه بعض الدرس والتفصيل . وذلك نحو :

١ ـ **الأعلام لخير الدين الزركلي** ، صدرت منه ٣ أجزاء عام ١٩٢٧ ، ثم صدر كاملاً بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٩ ، وأُلحق به مستدركان بعد ، وأصدر أخيراً الدكتور نزار أباظه ومحمد رياض صالح كتاباً ملحقاً به تحت عنوان ((إتمام الأعلام)) في بيروت عام ١٩٩٩ .

٢ ـ **معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة** ، صدر في بيروت سنة ١٩٥٧م ، ثم أُتبع بمستدرك سنة ١٩٨٥ فيه زيادات وإضافات . وهو يعرّف بالمؤلفين مع ذكر أشهر كتبهم المطبوعة والمخطوطة ، والمصادر والمراجع التي تُتم الفائدة .

٣ ـ **تاريخ الأدب العربي للمستشرق كارل بروكلمان** ، ألفه ونشره باللغة الألمانية ، وبدئ بنشر أجزاء منه مترجمة إلى العربية سنة ١٩٦٠م ، ثم صدر كاملاً بين عامي ١٩٩٢ ـ ١٩٩٥ م . وقد ضم ذكر الكتب المطبوعة والمخطوطة مما اطلع عليه المؤلف ، وفيه أوهام ودسائس وأباطيل كثيرة يجب التنبه إليها . ولكنك تجد إقبال صنائع الاستشراق عليه ، وتوجيه الأنظار إليه ، مما يظهر الجهل بالمضمون ، ويورث العجب وسوء الظن .[1]

٤ ـ ثم تابع **فؤاد سزكين** عمل بروكلمان ، يستدرك ما فاته من المطبوعات والمخطوطات ، ويصحح بعض ما انتشر فيه من الدسائس والأوهام ، وهيهات هيهات ، فأصدر تحت عنوان ((**تاريخ التراث العربي**)) باللغة الألمانية عدة مجلدات بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨١ م ، وتُرجم منها جزءان في القاهرة سنتي ١٩٧١ و ١٩٧٨، ثم بعض الأجزاء في الرياض بين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٦ .

---

(١) انظر قواعد تحقيق المخطوطات ص١٢. وتحقيق التراث ص ٤١ ـ ٥٦ و ١٢٨ ـ ١٣٨ . وكان قد سبق مستشرقون آخرون إلى ما صنعه بروكلمان ، من أمثال النمساوي يوسف همر الذي نشر في أوائل القرن ١٩ ((تاريخ الآداب العربية)) في سبعة مجلدات ، وكان فيه عدد التراجم حوالي عشرة آلاف ترجمة . وقد تأثر بروكلمان بذلك فيما ذكرنا .

وهذا المصدر العلمي الضخم مبني على تقسيم موضوعي للعلوم ، ثم تقسيم إقليمي تاريخي . وفيه ما ورد عند بروكلمان من معلومات وتراجم ومصنفات ، مع بعض الأوهام والمتسرِّبات من دسائس المستشرقين ، ثم زيادات غفيرة جدًّا مما يحتاج إليه المحققون والدارسون والباحثون . وقد زوّده مؤلفه بالكشافات والفهارس للمؤلفين والكتب والمحققين ، وجمع مادة ذلك بنفسه من الكتب المخطوطة في مكتبات ١٠٠ دولة ، كان في إستابول وحدها ٩٧ مكتبة منها .

٥ ـ **وللدكتور عمر فروخ** أيضًا ((**تاريخ الأدب العربي**)) . وهو واف بالحياة العلمية والفنون الأدبية ، وقد صدرت منه عدة مجلدات بحسب العصور التاريخية .

ثم لا تنس ما صدر من نشرات ومصنفات ودراسات عن نصوص المستحاثات والآثار العربية والسجلات السياسية والاجتماعية ، ومصادر العلوم الأساسية والكونية والتطبيقية ، إذ تجد فيها مواد ثرة لإحياء تلك الوثائق والمؤلفات التراثية بروح علمي بعيد عن التحيز والتشويه العدواني .

❋ ❋ ❋

هذه نبذة عن الميدان الأول من مصادر اختيار النصوص التراثية . أما الميدان الثاني فهو المكتبات والمتاحف التي تضم خطيات من الكتب والآثار العادية العربية ، وهي كثيرة جدًّا لا نستطيع استيعابها في هذا المجال الضيق . فحسبنا أن نتذكر المتاحف العربية والأجنبية ، ومؤسسات المستحاثات والأوابد والعاديات ، لنضع أقدامنا في الطريق المؤدي إلى المعلومات المساعدة . ثم نضيف أسماء بعض المكتبات المشهورة ، مع عناوينها وفهارس مخطوطاتها للتيسير .

والمعروف في التاريخ الإسلامي أن المكتبات العامة لها حضور منذ القرن الأول . فقد كان منزل النبوة مهدًا لكتابة الوحي الكريم خلال سنوات الدعوة ، ثم أصبح مركزًا

للمصحف الشريف الذي جمع في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ يُرجع إليه في أمور المسلمين، وهو في الحقيقة مكتبة تامة في كتاب .[١]

ثم شرع الصحابة العظام يقتنون ما يصل إليهم من الكتب والرسائل ، حتى كان عند عبد الله بن عباس (ت ٦٨) أحمال من ذلك ، ينقلها معه في تسفاره . وكذلك صار شأن كثير من معاصريه يتابعون أمر المصنفات والصحف الحديثية ، ويجمعون منها في منازلهم ما تيسر لهم ، وأصبح للمساجد وجه جديد في الحياة الإسلامية ، إذ كان يودع فيها العلماء نسخًا مما صنفوه ، حتى إنه قلما يخلو مسجد جامع من خزانة كتب يرتادها طلاب المعرفة . ومما ذكر في ذلك أن أبا عمرٍو الشيباني (ت ١٧٨) شرع يكتب المصاحف ويوقفها في المساجد ، تكفيرًا عما جمعه من أشعار قد يكون فيها بعض المنكرات .

بل لقد روي أن خالد بن يزيد (ت ٨٥) أنشأ مكتبة عامة في دمشق ، وجمع فيها كتب العلوم الإسلامية وغيرها من المترجمات ، ثم كان للعلماء مكتبات خاصة في منازلهم . هذا أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤) يجمع ما صنفه من كتب اللغة والأدب والشعر في داره ، فيكون منها ما يملأ الدار إلى السقف . وكذلك كان شأن كثير من نظرائه في البحث والتأليف كعيسى ابن عمر والخليل بن أحمد والكسائي والفراء وأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري .

وفي أوائل العهد العباسي قام أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨) بتأسيس دار الحكمة في بغداد لجمع المصنفات العربية والمترجمة أيضًا ، ثم أسس خزانة الحكمة كل من الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧ وعلي بن يحيى المنجم سنة ٢٧٥ . ومع خواتيم القرن الثالث أقام الأغالبة في القيروان بيت الحكمة ، واتَّبعهم الفاطميون في القرن الرابع فأنشؤوا دار العلم في القدس، و دار الحكمة في القاهرة . وهي تضم ألف ألف وستمِائَة ألف كتاب .

وكذلك كان الشأن في انتشار المكتبات وكثرة ما تحويه ، في العالم الإسلامي ، حتى إن

---

(١) مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث ص ٤٠ ـ ٤١ .

أبا حاتم محمد بن حبّان البستي (ت ٣٥٤) وضع مؤلفاته الغفيرة في دار خاصة من بلده ، وجعلها وقفًا لأهل العلم. وكان لكل مدرسة أقامها المسلمون في الشرق والغرب ولكل مسجد جامع مكتبة عامة للعلماء والطلبة ، الأمر الذي صار تقليدًا علميًّا لدى الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء .[١] بل لقد روي أن عائشة القرطبية (ت ٤٠٠) ـ وهي إحدى المشهورات بكتابة المصاحف ـ كان لها خزانة كتب كبيرة في دارها .[٢]

وقد كان لبعض هذه المكتبات الخاصة والعامة فهارس منتظمة ، تيسر الاستفادة والتناول للكتب بأقرب سبيل . فقد وُضع مثلاً في ((خزانة الحكمة)) ببغداد فهرسة ، لما تضم من الكتب . وفي منتصف القرن الرابع كانت مكتبة ابن النديم ـ وهو ورّاق يعمل في جمع الكتب وبيعها ـ تضم عشرة أقسام :

كتب الشرائع المنزَّلة ومذاهب أهلها وعلوم القرآن ، النحو وتاريخه ومذاهبه ، التاريخ والسير والملوك والعمال والندماء ، طبقات الشعراء وأسماء الرواة وجامعي الدواوين ، تاريخ الكلام والمتكلمين والزهاد ، الفقه والفقهاء والمحدثين ، الفلسفة والعلوم القديمة ، الأسمار والخرافات والسحر والشعبذة ، المذاهب والاعتقادات ، أخبار الكيماويين والفلاسفة .[٣]

أما مكتبة الحكم المستنصر الأموي (ت ٣٦٦) فبلغ عدد فهارس كتبها ٤٤ ، في كل واحد منها ٢٠ ورقة ، وليس فيها غير أسماء المصنفات .[٤] وأما فِهرس مكتبة الصاحب بن عبّاد (ت ٣٨٥) فقد بلغ ١٠ مجلدات ، وكان يقول : ((عندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على ٤٠٠ جمل أو أكثر)) . وعلى سبيل المثال ، فإن فهرس الخزانة في جامع بني أمية

(١) انظر قواعد فهرسة المخطوطات ص ١٣ ـ ١٥ .

(٢) خزائن الكتب العربية في الخافقين ص ١٠١٤ ـ ١٠٣٠ .

(٣) فهرست ابن النديم ص ٣ ـ ٥ .

(٤) انظر معجم الأدباء ٦ : ٢٥٦ وخزائن الكتب العربية في الخافقين ص ٣٤٥ .

بدمشق كان منسقًا كما يلي: علوم القرآن ، وعلوم الحديث ، والفقه ، واللغة ، والشعر ، والنحو التصريف ، وعلوم الأوائل .

وفي أواخر القرن السادس تجد مكتبة لأحد المحدّثين في الأندلس ـ وهو محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥) ـ وزعت تحت عناوين متفرعة ، يمكن تصنيفها فيما يلي : علوم القرآن ، علوم الحديث وفقه الصحابة ، التاريخ والسير والأنساب ، الفقه وأصول الدين ، الأشربة والفرائض ، عبارة الرؤيا والزهد والرقائق ، مصنفات اللغة ، كتب النحو و الأدب والشعر وشرح الدواوين ، ما جاء به القالي من الكتب المشرقية .(١)

وجمهور هذه الخزائن والمكتبات كان عامًّا ، يتردد عليه العلماء والطلاب والدارسون والباحثون ، للمطالعة في المصنفات والرسائل والكتب ، ولهم مجالس وأوقات محددة منظمة . فخزانة أحد أمراء إفريقية ، على سبيل المثال ، أُنشئت عام ٨٢٢ في المسجد الكبير بمدينة تونس ، وفيها مؤلفات الشريعة والنحو واللغة والطب والرياضة والتاريخ . . . وقد جعلت أوقات المطالعة فيها بين صلاتـَيِ الصبح والعشاء .

أما في أوربة فقد تأخر نشوء المكتبات كثيرًا ، وكذلك وضعُ الفهارس لها . بل إن الذين شرعوا في فهرسة ما كان هناك هم رجالات من العرب . فأول ما عرف من ذلك فهرس مكتبة فلورنسة بإيطالية وضعه راهب لبناني سنة ١٧٤٢ م ، ثم شاركه في فهرسة مكتبة الفاتيكان راهب آخر من لبنان سنة ١٧٥٦ . وفي سنة ١٧٩٤ صنع راهب لبناني ثالث فهرسة لمكتبة الأسكوريال بإسبانية . وإن ما شاع أخيرًا ، من تصنيف وضعه جون ديوي ، لا يصلح في توزيع التراث العربي . ولذا أصبح فرضه على مكتباتنا عبثًا نظريًّا ، لا يؤخذ به في غالب الأحيان.

ونحن الآن نقف إزاء الواقع المكتبي في العالم ، لنستعرض أشهر ما يضم التراث العربي الإسلامي ، فيكون لدينا ما يلي :(٢)

(١) فهرسة ابن خير ص (ل ـ ن) من المقدمة .

(٢) انظر تاريخ التراث العربي ١ : ٩ ـ ١٠٤ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١ : ٨ ـ ٣١ ومعجم =

المكتبة الخالدية في القدس: برنامج المكتبة الخالدية لمحمد محمود حبال في عام ١٣١٨ .

المكتبة العربية في الإسكوريال من إسبانية : المخطوطات العربية ١٨٨٤ ـ ١٩٣٩ .

جامعة غرناطة : فهرس المخطوطات العربية ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩ .

مكتبة متحف هران في أفغانستان : مخطوطات أفغانستان ١٩٦٤ .

مكتبة كلية الآداب بكابول : مخطوطات أفغانستان ١٩٥٦ .

مكتبة جامعة إرلانجن بألمانية : فهرس المخطوطات ١٨٥٢ .

مكتبة جامعة ليبزج : المخطوطات العربية الإسلامية ١٩٠٩ .

مكتبة بولديانه : فهرس المخطوطات الشرقية ١٨٢١ ـ ١٨٣٥ .

مكتبة جامعة كمبردج : فهرس المخطوطات العربية الإسلامية ١٩٠٠ .

مكتبة المتحف البريطاني : فهرس المخطوطات الشرقية ١٩٥١ .

مكتبة المكتب الهندي بلندن : فهرس المخطوطات العربية ١٨٧٧ ـ ١٩٤٠ .

مكتبة متحف باتافية في جاكارتة : فهرس المخطوطات العربية ١٨٧٣ ـ ١٩١٣ .

مكتبة إصفهان : فهرس المخطوطات ١٣٤١ ـ ١٣٨٢ .

المكتبة الوطنية بتبريز : قائمة بمخطوطات عربية وفارسية ١٩٦٦ .

مكتبة الجامعة المركزية بطهران : فهرس المكتبة ١٣٣٠ .

مكتبة متحف إيران القديم : فهرس المخطوطات ١٣٤٢ .

المكتبة الرضوية بمشهد : فهرس المكتبة والمخطوطات الهامة ١٣٢٩ و ١٩٣٥ .

مكتبة نشستربيتي بدبلن ' قائمة المخطوطات ١٩٥٥ ـ ١٩٦٦ .

مكتبة مارسيانة بفلورنسة في إيطالية : مخطوطات عربية ١٨٨٦ .

= المطبوعات العربية والمعربة ص ١٤٦٥ ـ ١٤٦٧ وتحقيق التراث ص ٦٠ ـ ١٠٢ وصناعة المخطوطات العربية الإسلامية من الترميم إلى التجليد ص ٣٠٦ ـ ٣١٢ و ٥٤٥ ـ ٥٩٢ و قواعد فهرسة المخطوطات ص ١٩ ـ ٤٧ .

مكتبة الفاتيكان : فهرس المخطوطات ١٧٥٦ـ ١٩٦٥ .

مكتبة امبروزيانة بميلانو : فهرس المخطوطات ١٩٠٨ـ ١٩٢٠.

مكتبة رجب علي بلاهور في باكستان : مخطوطات رجب علي ١٩٥٣ .

المكتبة الأهلية بلشبونة في البرتغال : المخطوطات العربية بالأكاديمية ١٩٦٤ .

مكتبة أياصوفية : فهرس النخطوطات ١٣٠٤ و ١٩١٢ .

المكتبة السليمانية : فهارس المخطوطات ، كثيرة جدًّا ومتفرعة .

المكتبة الأهلية ببراغ : المخطوطات العربية ١٩٥٧ .

المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة : مجموعة المخطوطات .

مكتبة الجامع الكبير بالجزائر : فهرس المخطوطات العربية ١٩٠٩ .

مكتبة البلدية بالإسكندرية : فهرس المخطوطات العربية ١٩٥٤ـ ١٩٥٥ .

مكتبة الأزهر : فهرس الكتب ١٩٤٦ـ ١٩٥٥ .

مكتبة دار الكتب المصرية : فهرس الكتب والمخطوطات ١٣٠٥ـ ١٩٥٥ .

مكتبة معهد المخطوطات بالقاهرة : فهرس المخطوطات المصورة ١٩٥٤ـ ١٩٦٣ .

مكتبة الأكاديمية العلمية بطشقند ١٩٦٠ .

مكتبة المتحف الآسيوي بلييننجراد : المخطوطات ١٨٩٠ـ ١٩١٩ .

مكتبة الأكاديمية العلمية الروسية بموسكو : فهرس المخطوطات ١٩٦٠ـ ١٩٦٥ .

مكتبة الأسد بدمشق : فهارس كثيرة ومتنوعة ١٨٨١ـ ١٩٥٩ .

المكتبة العباسية بالبصرة : مخطوطات المكتبة ١٩٦١ـ ١٩٦٢ .

مكتبة المتحف ببغداد : المخطوطات التاريخية ١٩٣٣ـ ١٩٥٩ .

مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة : فهرس المخطوطات ١٩٣٦ـ ١٩٥٣ .

المكتبة الوطنية بباريس فهرس المخطوطات ١٩٢٥ـ ١٩٥٥ .

مكتبة جامعة القديس يوسف ببيروت : فهرس المخطوطات ١٩١٣ـ١٩٢٩ .

المكتبة العامة بالرباط : المخطوطات العربية ١٩٢١ـ١٩٥٩ .

مكتبة جامع القرويين : المخطوطات العربية ١٨٨٣ـ١٩٦٠ .

المكتبة الحسنية بالرباط : المخطوطات ١٩٠٥ . ١٨٨٣ـ١٩٦٠ .

مكتبة ابن يوسف بمراكش : المخطوطات ١٩٤٤ـ١٩٥٩ .

المكتبة الأكاديمية بفينة : المخطوطات العربية والفارسية ١٨٤٢ـ١٨٦٧ .

المكتبة الشرقية ببنكيبور : فهرس المخطوطات ١٩١٠ـ١٩٤٦ .

مكتبة أصفية بحيدر أباد : فهرس الكتب العربي ١٣٣٣ـ١٣٣٧ .

مكتبة الجامعة بليدن في هولندة : فهرس المخطوطات ١٨٥١ـ١٨٧٧ .

مكتبة جامعة هارفارد بكمبردج : فهرس المخطوطات العربية ١٩٥٩ .

مكتبة جامعت ييل بنيوهافن : فهرس المخطوطات العربية ١٩٥٦ .

مكتبة الكونجرس : فهرس المخطوطات العربية ١٩٥١ .

مكتبة الخزانة المتوكلية : فهرس كتب الخزانة ١٩٥٢ـ١٩٥٥ .

تلك بعض الخزائن والمكتبات التي تضم التراث الخطي العربي ، في مستودعاتها ورفوفها ، ومنها يستمد قاصد التحقيق ما يعتمده في إجراءات عمله . على أنه لا بد من الإشارة إلى بعض العثرات في سبيل الإجراءات ، كالعسر في الاتصالات ، والتعقيد للمعاملات ، وتعذر تناول ما أفسده الإهمال وخنقه سوء التصرف ، و كثرة الأوهام في عناوين النصوص وأسماء أصحابها ، وغياب بعض منها بين مطاوي كتب أُخرى في مجموعات متفرقة ، وافتقاد بعض آخر لعناوينه أو أسماء مؤلفيه .

* * *

وبعد أن حددتَ عنوان الكتاب أو الموضوع الذي عزمتَ على إخراج نصه إلى النـور ، واستعنتَ بأهل الخبرة الناصحين من العلماء والباحثين ، كان عليك أن تراجع فهـارس هـذه الخزائن والمكتبات ، للاطلاع على ما نُشر من التراث ومسـتويات العمـل فيـه ، و بحثًـا عـن النسخ التي تقدم عمليات إيجابية ، للتحقيق العلمي المقرر ، إذ يجب أن يكون بين يدَيِ المحقق أكثر من نسخة ، حتى يستطيع الوصول إلى النص كما تقتضيه أصول العمل المنهجي .

ويسعفك في تقويم ما نـُشر أو حُـقـِّق أن تراجع الدوريات المهتمة بشـؤون الـتراث ، كالمجلات الصادرة عن المؤسسـات المختصـة في ذلـك نحـو : معهـد المخطوطـات العربيـة بالقاهرة ، ومركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت ، ومعهد التراث العربي بحلـب ، وخزانة الـتراث في الرياض ـ وهي مـعـروفـة بأنها قاعدة معلومات المخطوطات العربيـة في العالم ـ ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي . . . ثم المصنفات من نحو : الجامع للرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية ، والسورية ، والمصرية ، والأردنية . . .

ولما كان التراث الخطي مجموعًا لآثار تختلف مستوياتها ، في القيمة العلمية ، منها ما هو بقلم صاحبه يمثل أصالة النص ، ومنها ما هو منقـول عـن ذلـك أو روايـة سـماعية لـه ، في درجات متقدمة أو متأخرة من المكان والزمان والقدرات والخـبرات ، كـان الاختيـار لنسـخ الموضوع المقصود يقتضي البدء بأقربها من صاحبها وألصقها به . ومن ثَـمّ يمكـن النـزول في المراتب المتوالية ، مع الحرص على لزوم القريب فالقريب . وبـذلك يكـون في سـاحة العمـل عدد من الصور الخطية للنص ، يفتح أمام المرء سبل التنفيذ السديد .

ترتيب النسخ وترميزها :

إذا جمع العامل في ميدان التحقيق نصوص موضوعه المعيَّن توجـب عليـه أن يتفـرغ ، بالـخبرة والوسائل التاريـخيـة والعلمية ، لدراسـة أحـوال تلـك النصـوص وصـفـاتـهـا وخصائصها ، وتمييز مراتبها في الأصالة والتفرع . والاختيار في معايير علم التحقيق أن يقدَّم

ما كان بخط المؤلف نفسه . فنسخته الشخصية المبيَّضة هي قمة الاعتماد ، وإلاّ فالمسوّدة التي تركها ولم يتيسر لـه إعادة إخراجها بشكل نهائي تحتل هذه المنزلة ، كالذي ذُكر عن ابن دُريـد من أنه صنع كتاب ((أدب الكاتب)) على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرّده من المسَـوَّدة .(١)

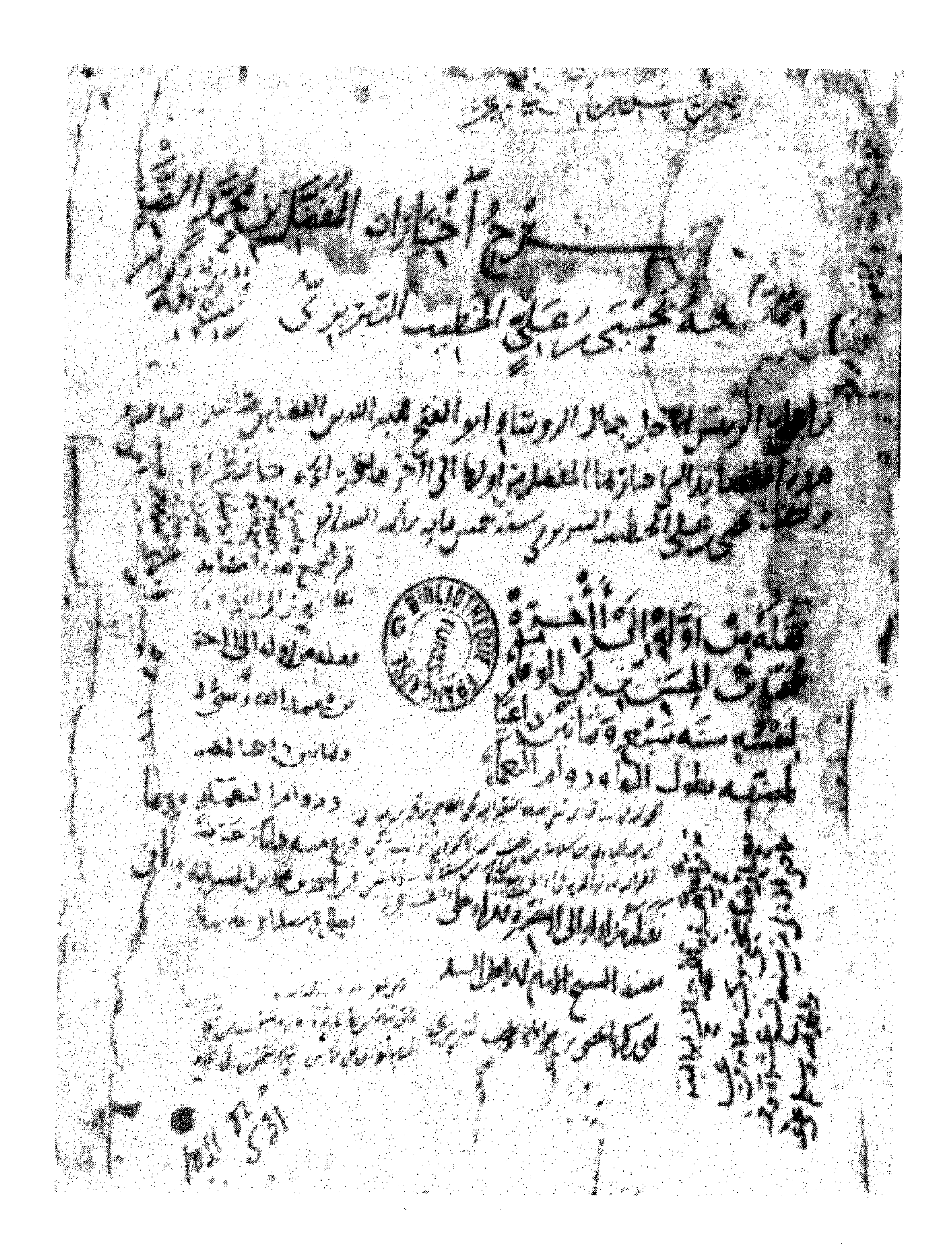
هذه هي المنزلة الأولى للأصل المعتمد في العمل ، والذي يقدِّم أصدق صورة للنص في صياغته ومضمونه . ولكنه لا يكفي وحده إلاّ إذا كان تامًّـا غير مختل أو ناقص ، وثَبَـت أنـه آخر ما وضعه مؤلفه ، إذ قد يكون في أواخر التصنيف للكتاب الواحد ما هو زيادة أو تعديل أو تصحيح لبعض المعلومات .

وهذا ما كان معي في ((شرح اختيارات المفضل)) ، إذ وقفت على نسـخة تامة بخـط مؤلفه الخطيب التبريزي ، كما جاء في أخرها : ((وكتب يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، سنة ست وثمانين وأربعمِـائَـة بمدينة السلام)) . ثم رجع إلى هذه النسـخة مـرارًا ليقرأهـا عليـه بعض العلماء ، ويثبت حصول ذلك في أولها وآخرهـا . وبهـذه القـراءات اكتسـبت النسـخة زيادات كثيرة في الحواشي وفي فرخة ملحقة أيضًا .(٢) ولكن ما أصـابها ، مـن نقـص لـبعض العبارات ، أوجب الاستعانة بنسختين ، فيهما ترميم وإغناء بتعليقات كثيرة : إحداهما نقلـت من خط المؤلف نفسه ، والأُخرى نقلت من أصل متأخر وعورضت ببعض النسخ .

فإن فُـقـد الأصل المطلوب كانت التقدمة للنسـخة المنقولـة عـن خـط المؤلـف ، مـع تسجيل سماعه للقراءة عليه وإجازته للقارئ والمعارضة بأصله أيضًا . ذلك لأن النَّسخ وحده لا ينقل الصورة الحقيقية بدقة وكمال ، وكثـيرًا مـا تشـوبه الأوهـام والأغـلاط والتصرفـات المقصودة والعفوية . وبذلك تضيع معالم بعض المقاصـد أو تظهـر بأشـكال يخـالف مـا أراده

(١) الفهرست ص ٦٧ . وانظر ما ذكره القسطلاني عن مسوّدة ((مجمع البحرين وجواهر الحبرين)) ليحيى بن محمد الكرماني ، و ((اللمع الصبيح)) لشمس الدين البرماوي شرحًا لصحيح البخاري .

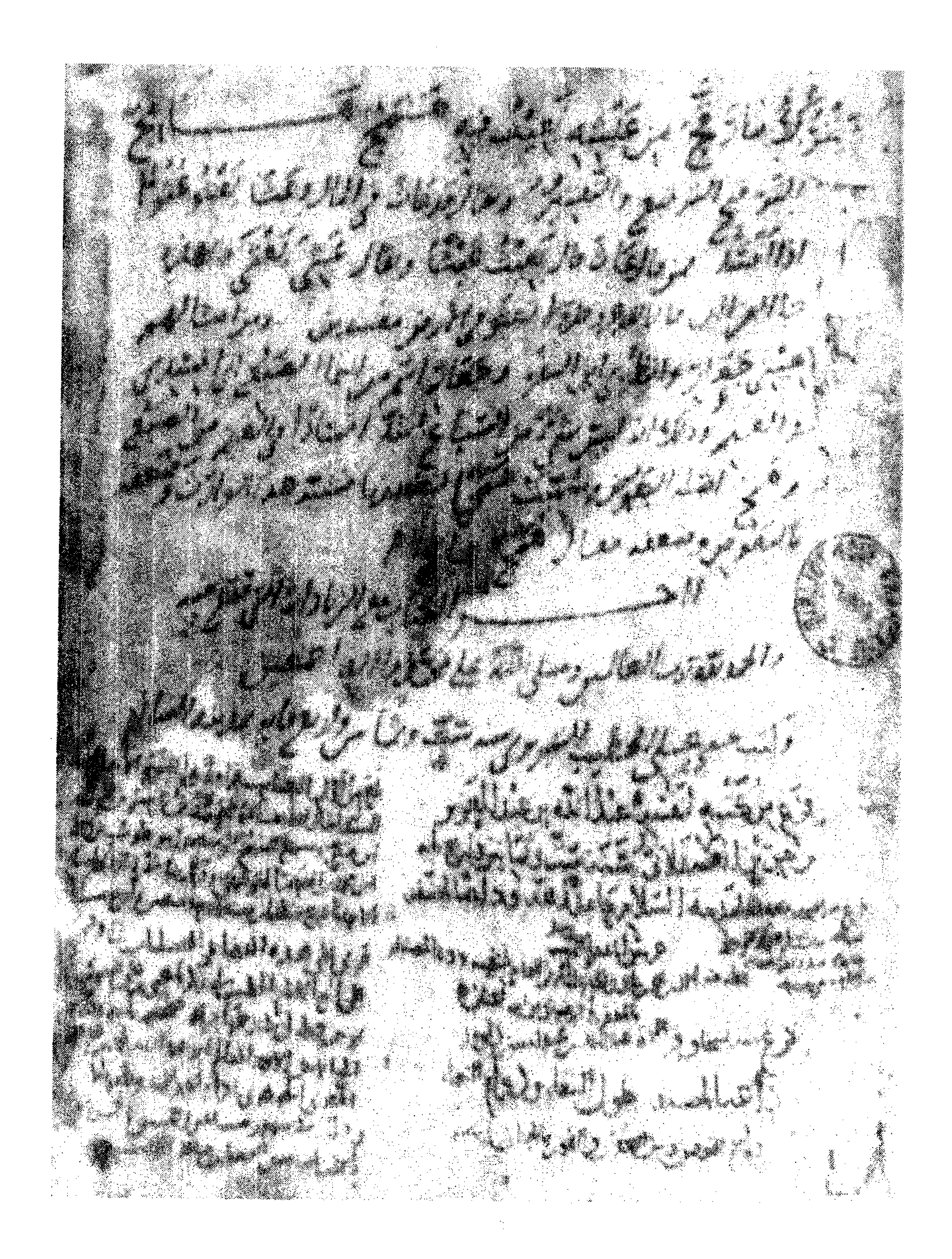
(٢) النموذج ١٩ .



شرح اختيارات المفضل بن محمد الضبي

صنعة يحيى بن علي الخطيب التبريزي

النموذج ١٩ ـ أ من شرح اختيارات المفضل : نسخة بخط المؤلف مصححة ومقروءة عليه



النموذج ١٩ ـ ب من شرح اختيارات المفضل : نسخة بخط المؤلف مع تاريخ النسخ

المؤلف . وهذا عدا ما يصيب النص من خلل في التعبير والتركيب . قال الأخفش :[١] ((إذا نُسخ الكتاب ولم يعارَض ، ثم نُسخ ولم يعارَض ، خرج أعجميًّا)) .

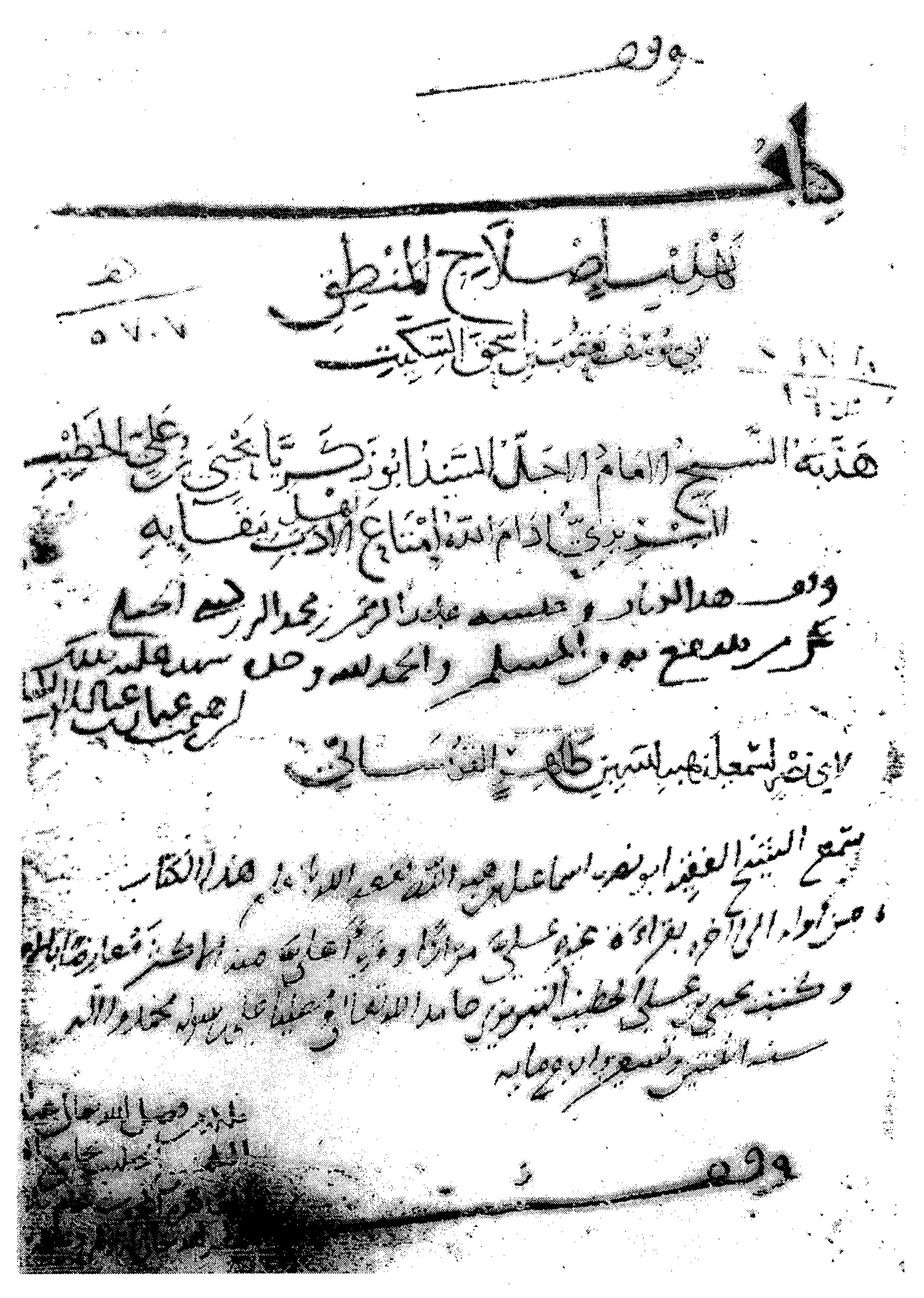
وفي السعي لتحقيق ((تهذيب إصلاح المنطق)) تيسرت لي نسخة منقولة من خط مؤلفه نفسه الخطيب التبريزي أيضًا . فقد نقلها تلميذه سنة ٤٩١ ، وسمع قراءة الكتاب مرارًا على الشيخ نفسه مقابلاً بنسخته ، كما قرأ عليه أكثرَه أيضًا ، وسجل ذلك له الشيخ بقوله : ((سمع . . . من أوله إلى آخره بقراءة غيره عليّ مرارًا ، وقرأ منه الأكثر ، معارضًا بالأصل . وكتب يحيى بن علي الخطيب التبريزي . . . سنة اثنتين وتسعين وأربعمِائـة)).[٢] على أن خرمًا أصاب هذه النسخة ، أسقط منها عشر ورقات متوالية ، واحتاج العمل إلى ما يملأ ذلك الفراغ ، فاستعنت بنسخة أذِنَ لصاحبها برواياتها عالم من تلاميذ أبي منصور الجواليقي الذي هو تلميذ للمؤلف . وكان في هذه خرم أيضًا ، إلاّ أنه في موضع آخر من الكتاب .

ومن هذا القبيل ما كان لي مع ((الإيضاح في شرح سقط الزند)) للخطيب كذلك ، إذ حصلتُ على نسخة تامة كاملة ، نقلها تلميذه من الأصل سنة ٤٨٩ ، وقابلها به مع تسجيل أحداث ذلك في الحواشي . ثم قرأ بعضها عليه وسمع قراءة غيره أيضًا ، كما جاء في الصفحة الأولى منها : ((قرأ عليَّ الشيخ الفقيه . . . هذا الكتاب إلى موضع علامة البلاغ فيه ، وسمع بقراءة غيره عليَّ من أوله إلى آخره ، قراءة ضبط وتصحيح ، معارضًا بالأصل . وكتب يحيى ابن عليّ الخطيب التبريزي . . . سنة إحدى وتسعين وأربعمِائـة)) . وقد جاء فوق هذه العبارة ما يلي : ((هذا خط الخطيب التبريزي ـ رحمه الله ـ مصنف هذا الشرح)).[٣] ومع هذا الكمال التام كان لي استعانة ، في التحقيق ، بما ورد في نسخ أربع أُخرى ، وبما جاء عن الشُّرّاح

(١) علوم الحديث ص ١٦٩ .

(٢) النماذج ٢٠ و ٢١ و ٢٢ . والثالث هو من تهذيب الألفاظ.

(٣) النموذج ٢٣ .

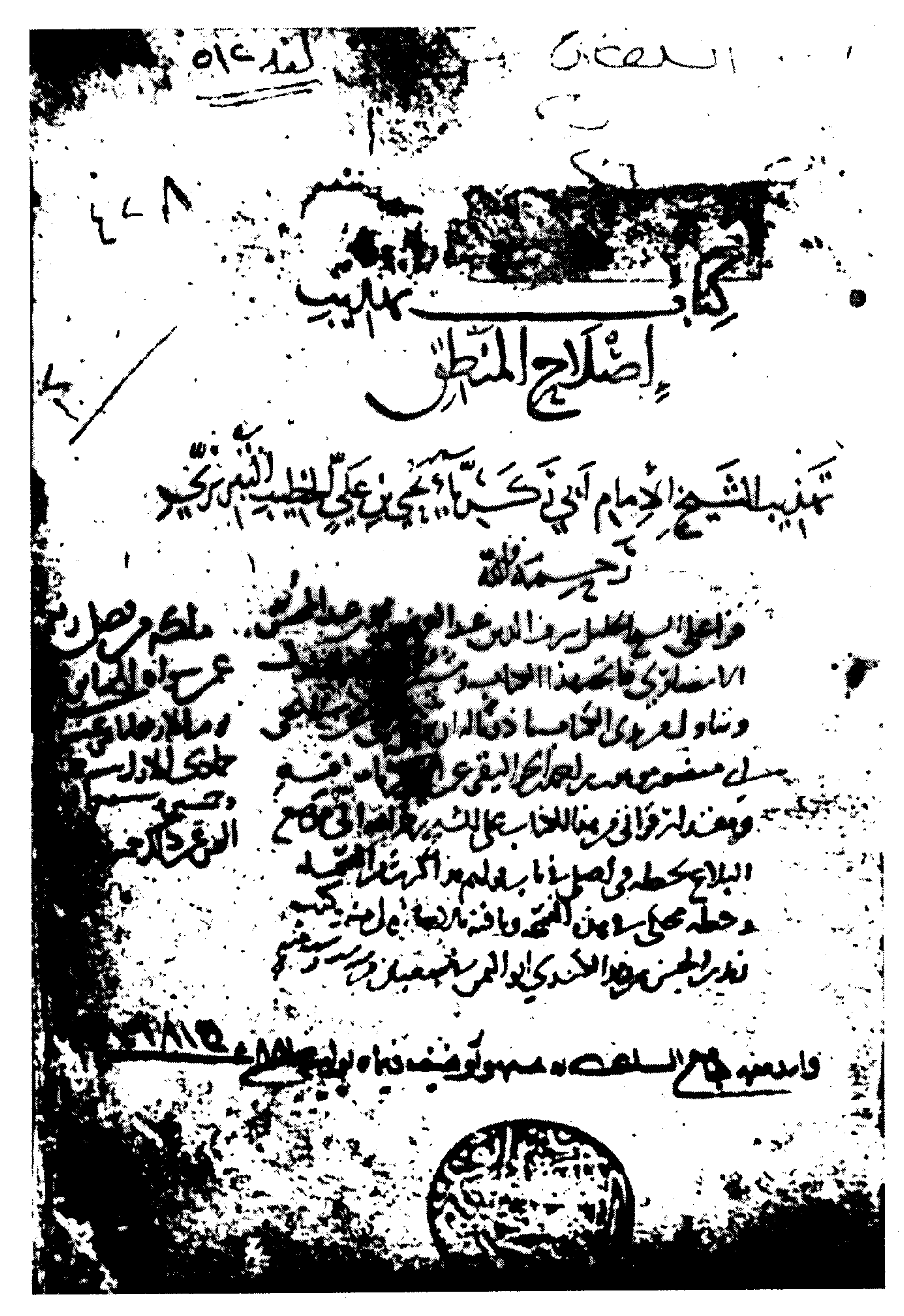


كتاب تهذيب إصلاح المنطق

لأبي يوسف يعقوب بن إسحق السكيت

هذبه الشيخ الإمام الأجل السيد أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي

النموذج ٢٠ من تهذيب إصلاح المنطق : نسخة مقروءة على المؤلف ومعارضة بنسخته


كتاب تهذيب
إصلاح المنطق
تهذيب الشيخ الإمام أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي
رحمه الله

النموذج ٢١ من تهذيب إصلاح المنطق : نسخة مقروءة ومجازة بإسناد إلى المؤلف

تهذيب

الألفاظ

لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت رحمه الله

هذبه الشيخ الإمام الأوحد أبو زكرياء يحيى بن علي

الخطيب التبريزي دام الله إمتاع أهل الأدب ببقائه

من كتب يوسف بن محمد بن علي بن محمد ...

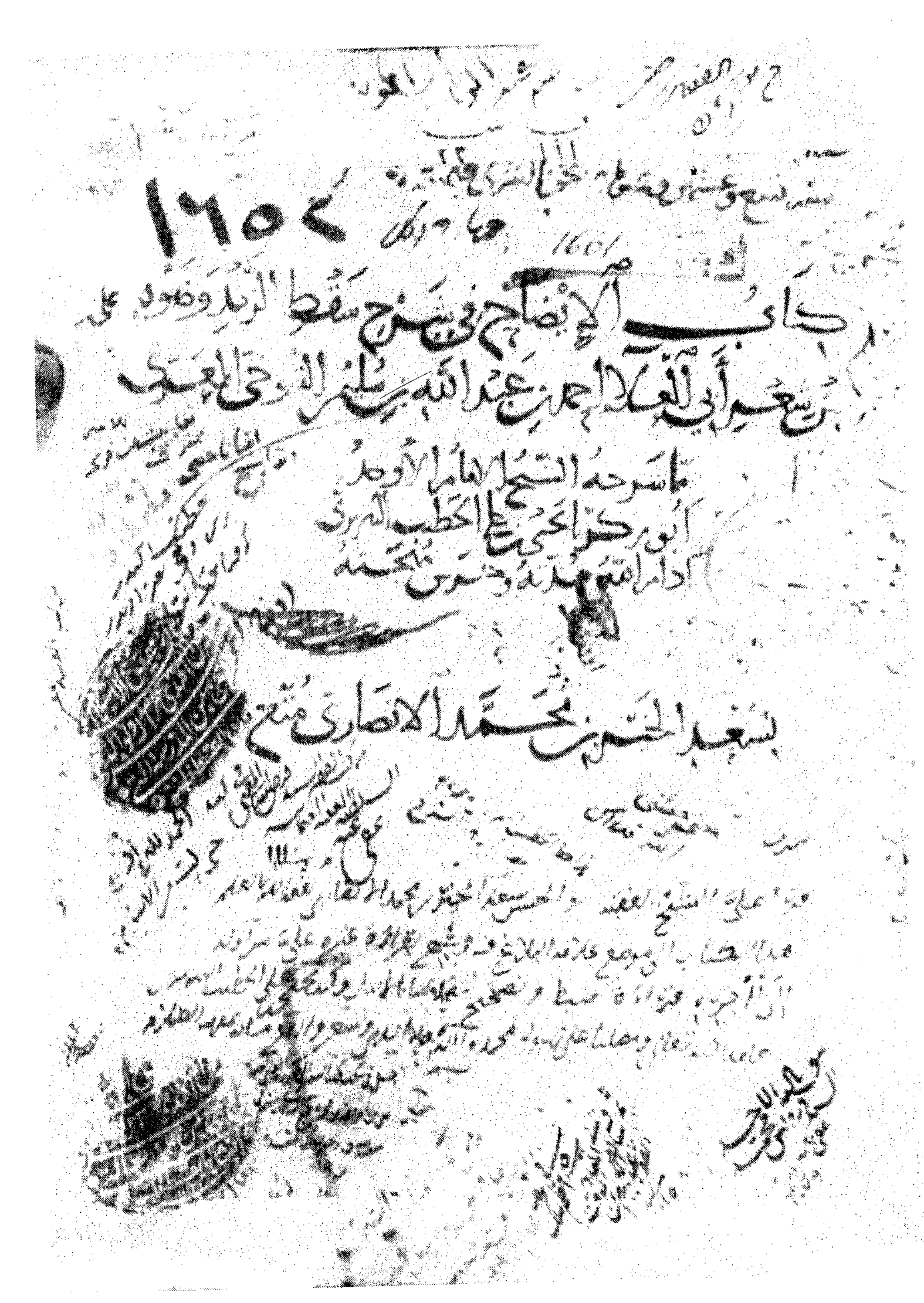
قرأت على الشيخ الأديب أبو الثناء هبة الله بن محمد الفارسي نفعه الله بالعلم

هذا الكتاب من أوله إلى آخره ...

ACAD.LVGD

Ex Legato Viri Amplissimi LEVINI WARNERI

النموذج ٢٢ من كتاب تهذيب الألفاظ : نسخة مقروءة على المؤلف مع المعارضة



النموذج ٢٣ من كتاب الإيضاح : قراءة وسماع ومعارضة بنسخة المؤلف

المتأخرين من نقول عن الخطيب التبريزي نفسه .

والسماع الحقيقي نوع من التوثيق للنص ، إذ ينقل إلينا أنه قرئ على العالم نفسه أو من أخذ عنه في أسانيد معتبرة . وغالبًا ما يرافق ذلك إجازة للقارئ من المقروء عليه ، تزيد الأمر تثبيتًا ، لأنها تعني أن القارئ أتقن علم ما عنده في النسخة ، فحق له أن يرويها ويُقرئها بالأساليب المقررة . ثم يلي هذا ما يكون من إقراء ما سمع ووعى وأُجيز به ، فيكون النقل والتلقي في أكمل صورة من الإسناد للعلم والمعرفة والخبرات في النصوص التراثية .

وفي تلك الإجراءات المتعددة الموروثة عن الحضارة الإسلامية ضروب من التوثيق ، وتصوير لواقع التعليم الجامعي العالي ، وتعريف بمراكز العلم ومراتب العلماء في العالم الإسلامي ، وصلة الأنساب بين رجالات المعرفة في التاريخ .(١)

بيد أن بعض السماع الذي يرد في النسخ قد يكون سطحيًّا غير دقيق ، يتخلله السهو وعدم الاستيفاء والاستيعاب ، فيتسرب خلال ذلك أوهام وزلات كثيرة وخطيرة . أضف إلى هذا ما قد يحصل من تضليلات ومحسوبيات ، تتسم بالإهمال للواجبات وإطلاق الدعاوى الفارغة .(٢) فلا بد من الدراسة الوافية لواقع النسخة ، قبل وضعها في منزلة المسموعات .

فإن تعذر الوصول إلى نسخة مقروءة بإتقان ، على المؤلف مع المعارضة بأصله ، كانت المنزلة التالية لما هو معارض به من دون قراءة ، ثم ما كان منقولاً من المعارَض أو من نسخة أحد تلاميذه ، مع القراءة عليه والمعارضة.(٣) وإلاّ جاز اعتماد ما كان مقابَلاً بنسخ موثّقة

(١) انظر إجازات السماع في المخطوطات القديمة من مجلة المخطوطات العربية ١ : ٢ : ٢٣٤ ـ ٢٤٠ ودراسة جديدة عن إجازات الإقراء والسماع المثبتة في المخطوطات العربية بدار الكتب الوكنية بباريس لفايدا ، مطبوعة ١٩٥٧ ومجلس السماع في المخطوطات العربية وقيمته العلمية ودلالته الحضارية لمأمون الصاغرجي ومعجم السماعات الدمشقية .

(٢) سير أعلام النبلاء ٧ : ١٦٧ .

(٣) النموذج ٢٤ .

شرح القصائد السبع مع المضاف إليها

وهي قصيدة الأعشى اللامية وقصيدة

النابغة الذبياني الدالية وقصيدة عبيد بن الأبرص البائية

مما شرحه الإمام أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي رحمه الله

رواية الشيخ الإمام العالم أبي المعالي أحمد بن علي بن علي

المعروف بابن السمين عفر الله له عنه

قرأ على الشيخ العالم أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد

الأزجي جميع هذه القصائد العشر مع ما أضيف إليها وهي

منصوبة أبي بكر بن دريد جميع شرحها وعارض بها

أصلي الذي نسخ منه وذلك بسماعي وقرائي على مؤلفها

وشارحها الشيخ الإمام أبي زكريا التبريزي قراءة ضبط وتصحيح

لمتنها ولسحتها وسمع المسمون معه ... الجلد ...

أحمد علي علي المعروف بابن السمين وذلك في شعبان من سنة

... حامداً لله ومصلياً على نبيه

النموذج ٢٤ من شرح القصائد: إسناد إلى المؤلف بالقراءة والسماع

وعليها خطوط العلماء الأثبات .

ففي شرح السكري على ((شعر الأخطل)) لم أجد إلاّ نسخة وحيدة ، وكانت كافية للعمل التام . إنها تضم الشرح مع الشعر كاملة ، نقلت من خط المؤلف ، ثم عارضها الخطيب التبريزي بذلك الأصل ، وعارض أشعارها بنسخ أُخرى ، ملحقًا ما سقط سهوًا ، ومصححًا ما كان من الغلط ، فكانت من أبدع ما خلفه تاريخ التراث الأدبي.[1] ومع هذا كله ظهر فيها بعض الهَنات ، فاستعنت ببعض المصادر للتصويب وترميم النقائص والثُّغرات .

ولـما تعذر الوصول إلى مثل هذا ، في ((الممتع الكبير)) لابن عصفور ، اعتمدتُ على نسخة تملكها عالم نحوي كما ذكرت من قبل ، هو أبو حيان الأندلسي ، وقرأها على شيخه محمد بن علي الأنصاري ، معارضًا إياها بما كان عند الشيخ ، ثم قابلها بعدة نسخ أُخرى موثقة ، وبقطعة من خط المؤلف ، وبما جاء من نقود ابن مالك لابن عصفور . ولأن هذا وحده غير كاف للتحقيق ، استعنت بنسخة ثانية تساعد على توضيح ما أشكل وملء ما ذهب بعوامل الآثار المعروفة في عالم التراث .

أما العمل في ((الجنى الداني)) للحسن بن قاسم المرادي فلم يكن له شيء من ذلك كله . ولذلك جمعت نسخًا متعددة ، وكان فيها واحدة جاء في آخرها : ((كمل كتاب الجنى الداني في حروف المعاني من نسخة ، فيها أنها كُتبت من نسخة مؤلفها ، حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي ، المرادي نسبًا المالكي مذهبًا)) . وهذا الوصف الممرَّض يشعر بأصالة النسب . إلاّ أن ما كان في النسخة ، من رداءة الخط وقصور في الضبط والإعجام وكثرة الخروم والتصحيفات والتصرفات ، جعلها في المرتبة الثانية من الاعتماد ، تساعد أصلاً أصح منها مع نسختين أُخريين .

وفي ((مبرز قواعد الإعراب)) للرسموكي الجزولي ، لم أجد نسخة خطية لها أصالة أو

(١) النموذج ٢٥ .

فقالت أنا أكرم مالي وتشربه ولا تمدحني

كما تمدح الناس فقال

إذا ذكر النساء بيوم خير فما أم زنبر ولا براعي

بن يزيد أنه ليس لك في الخير شيء فظننت أنه

مدحها فقالت له يا أبا مالك خذ ابن الفلانة

تعني ناقة فاشرب به هـ

وقال الأخطل

ألا دنوا بالبين جيرانهم ثم رحلوا ثم ما باتوا

فسروا ليلهم كله فغدوا والهم أشتات

من عقار تركت ألسنهم خرسا من بعد ما صاتوا

فكأنما قضوا أمورهم ثم عاشوا بعد ما ماتوا

النموذج ٢٥ ـ أ من شرح شعر الأخطل : نسخة منقولة من خط الشارح مع المعارضة

هذا الجزء فيه شعر الأخطل من رواية ابن الأعرابي

وأبي عمرو الشيباني صنعة أبي سعيد

السكري رواية عن أبي جعفر

محمد بن حبيب ونقلته من أصله بخطه

والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه

فرغ من نسخه يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان

سنة تسع وتسعين وأربع مئة

النموذج ٢٥ ـ ب من شرح شعر الأخطل : نسخة منقولة من خط الشارح مع التاريخ والمعارضة

نسب معتبر ، فكان عليّ أن أصطفي ما هو أوثق من غيره فيما تحصل لديّ . لقد اجتمع عندي أربع نسخ متأخرة بينها وبين الأصل حلقات مجهولة ، ومنها نسخة الخزانة الحسنية بالرباط ، وهي معارضة بعدة نسخ ، إحداها لمن قيل عنه المرادي ، وأُخرى لعالم مغربي ، مع شروح غفيرة للزياتي وبيروك والعمراني . . . تسهم في تحرير العبارات وتصويب الأوهام . ومن ثَمّ كانت هذه أصلاً للتحقيق ، والثلاث الباقية مساعدات وردائف .

ثم إذا تساوت الصفات ، والخصائص التاريخية والفنية ، كانت المنزلة الأولى لأقدم النسخ أو أكملها .[1] ومن هذا ما وقع لي في ((شرح التصريف الملوكي)) لابن يعيش الحلبي (ت ٦٤٣) ، إذ وقفت على أربع نسخ منه ، تاريخ الأولى سنة ٦٧٨ والثانية ٧٥١ والثالثة ١٣٠٣ ، فكانت تقدمة الأولى لقربها من حياة المؤلف ، مع المقابلة بها نُقلت عنه أيضًا . يضاف إلى ذلك أن ورقتين كانتا قد سقطتا من أولها ، فألحقهما بها من النسخة الشنقيطية الشيخ عبد الفتاح أبوغدة سنة ١٣٦٧ ، وسجل تزكيةً لها أنها تمتاز بالضبط وبقربها من حياة المؤلف وسلامتها من التحريف .

ومن المرجحات في توثيق النص وإعطائه الصبغة العلمية المعتبرة ما يسمى بالمطالعة ، أو النظر . والمراد بذلك أن يكون أحد العلماء في موضوع الكتاب نفسه قد طالعه ، فاستفاد منه ، وعلق عليه بما عرض ، من التقويم والتفسير والتوجيه والتعقب . ومثل هذه الظاهرة يبدؤها العالم بقوله: طالعه فلان ، أو طالع فيه ، أو نظر فيه. ثم يرفق حواشيه المتوالية باسمه، أو برمز حرفي مقتطع منه . والنسخة التي يصحبها شيء من ذلك تكون مقدمة ، إذا فُقدت المرجحات المتقدمة الذكر .

أما ما كان قد طبع من النص بشيء من العناية فحكمه حكم النسخة المتأخرة جدًّا ،

---

(١) هذا يعني أن يختار ما هو أصح وأوثق ، وإن تأخر التاريخ ، لأن الغاية هي إخراج النص كما أراد صاحبه . انظر البحث الأدبي ص ١٧٨ . على أن المستشرقين ، لعجزهم عن التدقيق والتحقيق ، يجعلون أيسر النسخ قراءة أصلاً مع وجود ما هو أوثق . أصول نقد النصوص ص ١٤ ـ ١٦ .

بحسب تاريخ الطباعة ، أي : النسخة الحديثة المعاصرة . وإذا لم يوقف على نسخ متعددة فالمطبوعة تجاريًّا تسعف ما لديك في العمل ، خلافًا لما يراه بعض الباحثين المنظِّرين ،[١] لكنها تبقى مؤنسة ومساعدة في الضبط والتقويم لا معتمدة اعتمادًا كاملاً . وبمجموع هذه العمليات التقويمية لصور النص المتيسرة ، يستطيع المرء أن يطمئن إلى تنفيذ ما تقتضيه أصول علم التحقيق ، في هذه المراحل .

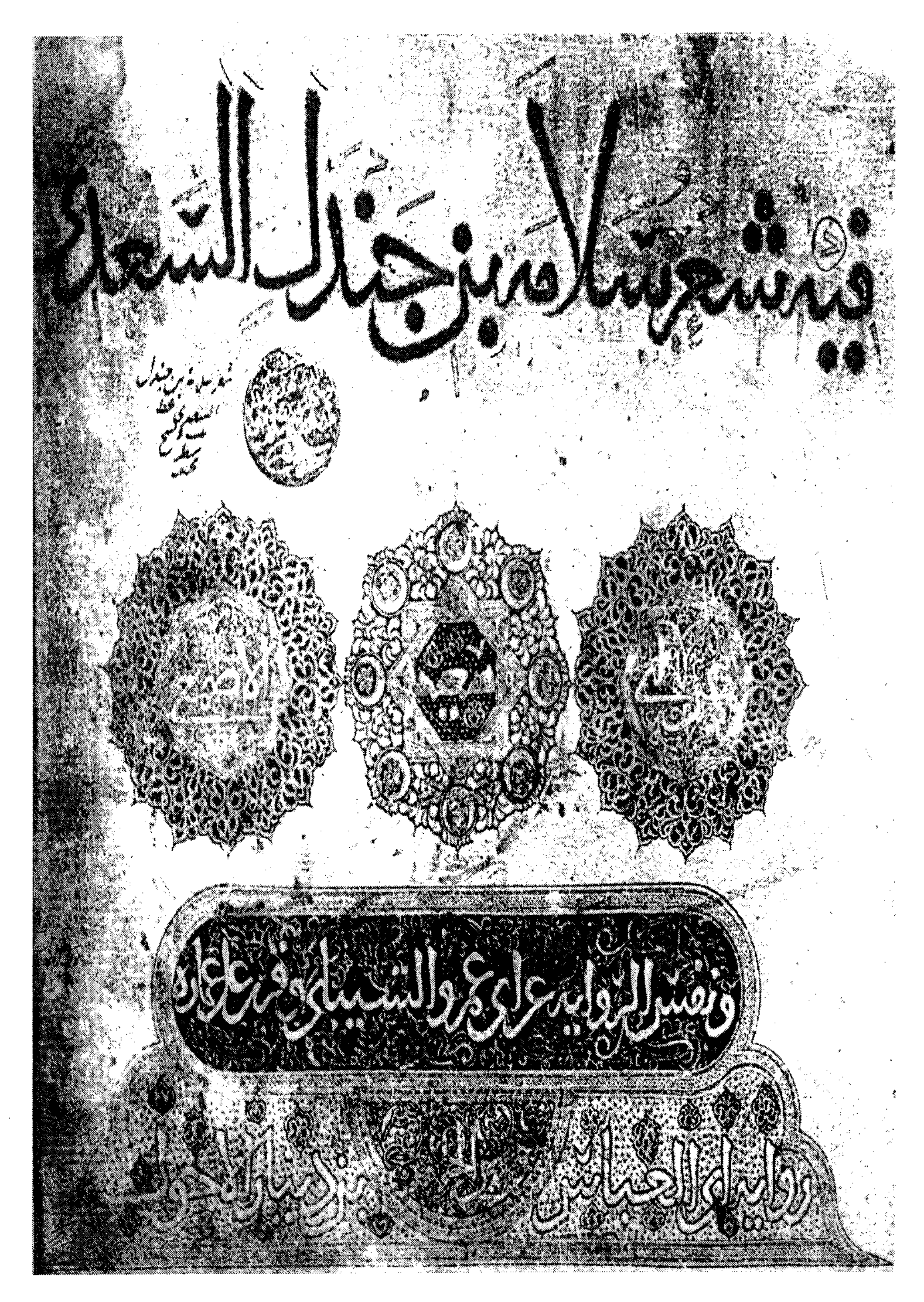
فقد نُشر ((ديوان سلامة بن جندل)) في أربع طبعات بسنة واحدة بين عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠ ، ثم اجتمع لديّ ثلاث نسخ مرجعها واحدة منها هي أُمٌّ للثنتين الأُخريين ، كتبها سنة ٤٠٨ بخطه الجميل المتقن ابن البوّاب علي بن هلال (ت ٤١٣).[٢] ولذلك جعلتُ تلك الطبعات كالنسخ المعاصرة ، وهي مفعمة بالتحريف والتصحيف والزيادة والنقص ، والتصرفات الاستشراقية المأفونة .

ولا يغيبَنَّ عن البال أن النص التراثي قد يكون له نماذج متعددة ، أي : يكون المؤلف قد تابع إعداده في مواقف مختلفة مع الزمن ، كما يفعل كثير من العلماء والأدباء في تعديل نتاجهم وتنقيحه بالزيادة والنقص والتصرفات المعروفة . وهذا يعني أنه قد يتحصل للكتاب أو الرسالة أو الأوراق المخطوطة عدة إخراجات ، بقلم المؤلف نفسه ، توالت فيها عمليات من التغيير والتبديل والتقويم .

وحصول هذا يضع بين يدَيِ التاريخ صورًا كثيرة للنص الواحد . وهنا في مثل هذه المواقف ، يتحتم علينا ما أمكن أن نعتمد آخر شكل لأنه هو محط القصد ونهاية مراد صاحبه . على أن ذلك لا يعفينا من الاستئناس بالإخراجات المتقدمة ، بل يوجبه علينا ، لأنها ترمم بعض حاجات التحقيق ، وتطلعنا على تطور الفكر والمعلومات والأداء . وقد رأينا نموذجاً ، فيما ذكرنا عن ((الممتع)) لابن عصفور .

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٠ .

(٢) النموذج ٢٦ .



النموذج ٢٦ من شعر سلامة بن جندل : نسخة بخط ابن البواب علي بن هلال

وفي هذه الزاوية من أساليب التأليف ، جانب آخر يقتضي النظر والاعتبار . فقد يكون للمؤلف إصدارات مختلفة للموضوع الواحد ، هي في مستويات أو مجالس وأماليّ متباينة . فالأصمعي مثلاً أملى كتاب ((خلق الإنسان)) خمس عشرة مرة ، وكل منها يخالف سائر الأمليات في نقص أو زيادة ،(١) والإمام الشافعي صنف ((الرسالة)) مرتين ،(٢) ثم قرئت عليه الثانية أربعين مرة ، وكان يعتقد أن ذلك كله غير واف بالتلقي الكامل الدقة والصحة ، فيقول: ((أبى الله أن يصح إلاّ كتابُه)). وهذا الإمام البخاري يسمع منه ((الجامع الصحيح)) تسعون ألف محدث .(٣)

أما أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥) فإنه أملى ((الياقوت في اللغة)) عدة مرات متفاوتة ، وكان دائمًا يمليه ارتجالاً ، ثم يزيد أضعاف ذلك ويضع تعديلات مختلفة ويرتجل يواقيت أُخر. فقام تلميذه عُبيد بن أحمد بن محمد النحوي ذو اللقب جَخجخ بالتأليف بين النسخ المتقدمة ، وقرأ ذلك عليه من ذي قعدةِ ٣٢٩ إلى آخر ربيعَي ٣٣١ ، وزاده المصنف أيضًا أشياء ، وتوافقا على الكتاب من أوله إلى آخره . ثم ارتجل يواقيت وزيادات في أضعاف الكتاب ، و وعد الناس بتقريرِ آخرِ إخراج لا يكون بعده غيره ، فأملى في منزل تلميذه المذكور ما نسخَه هذا . ولكن الشيخ جمع الناس لإملاء آخَر ، فكان منه زياداتٌ ، ختمها بأن ما روي بعدُ عنه من زيادات فهو كذب عليه .(٤)

وكذلك ابن دريد ألقى ((الجمهرة في اللغة)) غير مرة من حفظه كما ذكرنا ، في فارس وفي بغداد ـ وكان على الأولى علامة تميزها مما سواها ـ فاختلفت نسخها أيضًا بالزيادة

(١) شرح الحماسة للتبريزي ١ : ١٤٥ .

(٢) الرسالة ص ١٠ ـ ٨٤ .

(٣) تاريخ بغداد ٢ : ٩ .

(٤) الفهرست ص ٨٢ ـ ٨٣ و إنباه الرواة ٣ : ١٧٥ ـ ١٧٦ والبحث الأدبي ص ١٨٠ . وكان قد استوفى ((كتاب الألفاظ)) لابن السكيت في إملاءاته تلك . انظر ص (و) من الألفاظ وتهذيب اللغة ١ : ٢٣ .

والنقص وغير ذلك . وصار المعوَّل بعدُ عليها من تلك الروايات هي الأخيرة ، وآخر ما صح من ذلك نسخة تلميذه جَخجخ نفسه ، لأنه كتبها من عدة نسخ ثم قرأها عليه .(١)

ومثل هذه الأوضاع يسبب ، بلا شك ، قلقًا في اختيار النصوص ونُسخها ، إذ تتداخل أحيانًا تلك الإخراجات المتباينة ، فيُظن أن في بعضها تقحمات من النساخ والعلماء المتأخرين . وإذا أضفت إلى ذلك أن بعض العلماء كان يصنف للكتاب الواحد مستويات مختلفة ، في الاختصار والتوسعة ، كان احتمال لاضطراب أكبر .

فقد روي أن للأخفش الأوسط (ت ٢١٥) كتب : المسائل الصغير ، والأوسط في النحو ، والمسائل الكبير . ولكل من الكسائي والشيباني ثلاث مصنفات في : النوادر .(٢) وأبو تمام (ت ٢٣٢) جمع من الاختيارات كتابين : الحماسة الصغرى وتسمى الوحشيات ، والحماسة الكبرى .(٣) والجاحظ (ت ٢٥٥) ألف كتاب ((البيان والتبيين)) مرتين ، فكانت الثانية أصح وأجود ، كما ذكر هو نفسه .(٤)

وروي أيضًا أنه كانت لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠) ثلاث أمالٍ : الأمالي الكبرى ، والأمالي الوسطى ، والأمالي الصغرى .(٥) وصنع الخطيب التبريزي ثلاثة شروح على حماسة أبي تمام : شرح ديوان الحماسة الصغير ، وشرح ديوان الحماسة المتوسط ، وشرح ديوان الحماسة الأكبر.(٦)

---

(١) الفهرست ص ٦٧ و كشف الظنون ص ٦٠٥ والجمهرة ١ : ١٥ . وانظر أصول نقد النصوص ص ٢٦ .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٤٢ وبغية الوعاة ١ : ٥٩١ والفهرست ص ٧٢ ـ ٧٥ .

(٣) الوحشيات ص ٣ ـ ١١ وشرح الحماسة للتبريزي ١ : ٥ وإعجاز القرآن للباقلاني ص ١٧٧ والعيني ٢ : ٤٠٤ وأمالي المرتضى ٤ : ٩١ .

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ .

(٥) الخزانة ١ : ١٠ والإيضاح ص ٥ وأمالي الزجاجي ص ١٦ ـ ١٨ .

(٦) شرح اختيارات المفضل ص ٢٤ .

وكذلك جاء عن الشلَوبينِ (ت ٦٥٤) في شرح المقدمة الجـُزولية: شرح صغير ، وشرح متوسط هو التوطئة ، وشرح كبير .[(١)] وكل من أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩) وابن بابشاذ (ت ٤٦٩) و ابن عصفور (٦٦٩) تحصل له ثلاثة شروح على((جمل)) الزجاجي أيضًا ،[(٢)] وابن عساكر (ت ٥٧١) ألف ((تاريخ مدينة دمشق)) مرتين : إحداهما في ٥٧ مجلدًا ، والأُخرى في ٨٠ .

حسبنا هذا بيانًا لما تتصف به الحضارة العلمية الإسلامية ، في سعة الآفاق العلمية وتعدد مستويات البحث والتصنيف ، وهو غيض من فيض له نظائر وافرة لسنا في صدد حشدها. فكثرة أمثاله وأمثال ما قبله تقتضي من المرء أن يتلبث في تنسيق ما اختاره من النسخ، لئلا يقع في أوهام علمية فادحة .

وبعد جمع المسجلات الخطية من الموضوع ، وهي كافية لإخراج نص بتحقيق علمي منهجي ، يترتب على القائم بهذا العمل أن يكتشف من مضمونها وموثّقاتها النصية والتاريخية القيمة العملية لكل منها ، وينسقها تبعًا لخصائصها في سلسلة متتابعة أو خطوط متشعبة أو شجرة متفرعة .

فما كان بخط المؤلف أو بإملائه وتصحيحه وإجازته فهو الأصل المعتمد ، والتي ترد بعده هي فروع تولدت عنه مباشرة ، أو عن نسخ مختلفة نُقلت منه . فإذا كانت من الأولى توضعت في ردائف ومساعدات لترميم ما يتبدّى في الأصل من نقص أو خلل . أما إذا كانت من الثانية فهي مجموعات ، كل منها بُنيّات وحفيدات لأمّ تتصل بها وتعود إليها . والأمّ هنا تكون كالأصل في التحقيق .

وعلى هذا تنسق البُنيّات والحفيدات بحسب تسلسلها . فإذا كانت كل منها راجعة إلى

---

(١) شرح المقدمة الجزولية الكبير ص٤٥ ـ ٤٧ .

(٢) إنباه الرواة ١ : ٦٤ ـ ٦٦ والبلغة ص ١٠٠ وفهرسة ابن خير ص ٣١٥ وبغية الوعاة٢ ٣١٠ والبسيط في شرح الجمل ص ٨٠ ـ ٨٥ .

فرع متميز ، بينها أو بين بعضها وحدة في التعبير والنسق ، رُتِّبَتْ في خط مستقيم بحسب قيمتها في خدمة النص . وإذا تبين أنها تتشعب من فروع نُسِّقتْ في خطوط يحوي كل خط سلسلة متتابعة . وإذا صارت تشكل زمرًا متفرعة عن مجموعة نسخ متوالية عن الأصل انتظمت في شجرة لها جذر وجذع وأغصان .

ثم تكون مرحلة الترميز أي : إعطاء كل نسخة رمزًا يناسب موقعها في مراحل الترجيح لعبارات النص أو التصويب . وذلك لتيسير الإشارة إلى كل منها باختصار وبيان . ويُختار لهذه الأحوال من الاختصار أحرف من الأبجدية : أ ب ج د هـ و ز ح ط ي . . . أو أحرف متمايزة من أسماء المكتبات الخطية التي جاءت منها النسخ ، أو أسماء أصحاب النسخ أو كاتبيها . مثال ذلك ما يلي :

المكتبة السليمانية : س

المكتبة الأزهرية : هـ

مكتبة القرويين : ق

دار الكتب المصرية : م

مكتبة المتحف : ح

وبهذا تكون المادة النصية قد أصبحت جاهزة بين أيدينا ، مهيّئة للعمليات الأصولية التالية في التحقيق ، فننتقل إلى المرحلة التالية . وهي توثيق النص .

على أنه لابد هنا من الإشارة إلى أن عمليات الترميز كانت قديمة جدًّا في الحضارة العربية المعروفة.[1] وأول ما يصادفنا منها في التاريخ البعيدِ القِدمِ هو ((نقط الإعراب)) ، الذي كانت بعض الآيات تحمل صورًا منه بين أيدي كتبة الوحي ، ثم عممه بمنهجية أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩) على صيغ المفردات وصور إعرابها وبنائها في المصحف الشريف ،

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٦٧ ـ ١٩٠ .

بوضع نقطة فوق الحرف للفتحة ، وتحته للكسرة ، وأمامه للضمة ، وخصّ التنوين بنقطتين على غرار ذلك التوزيع .[(١)]

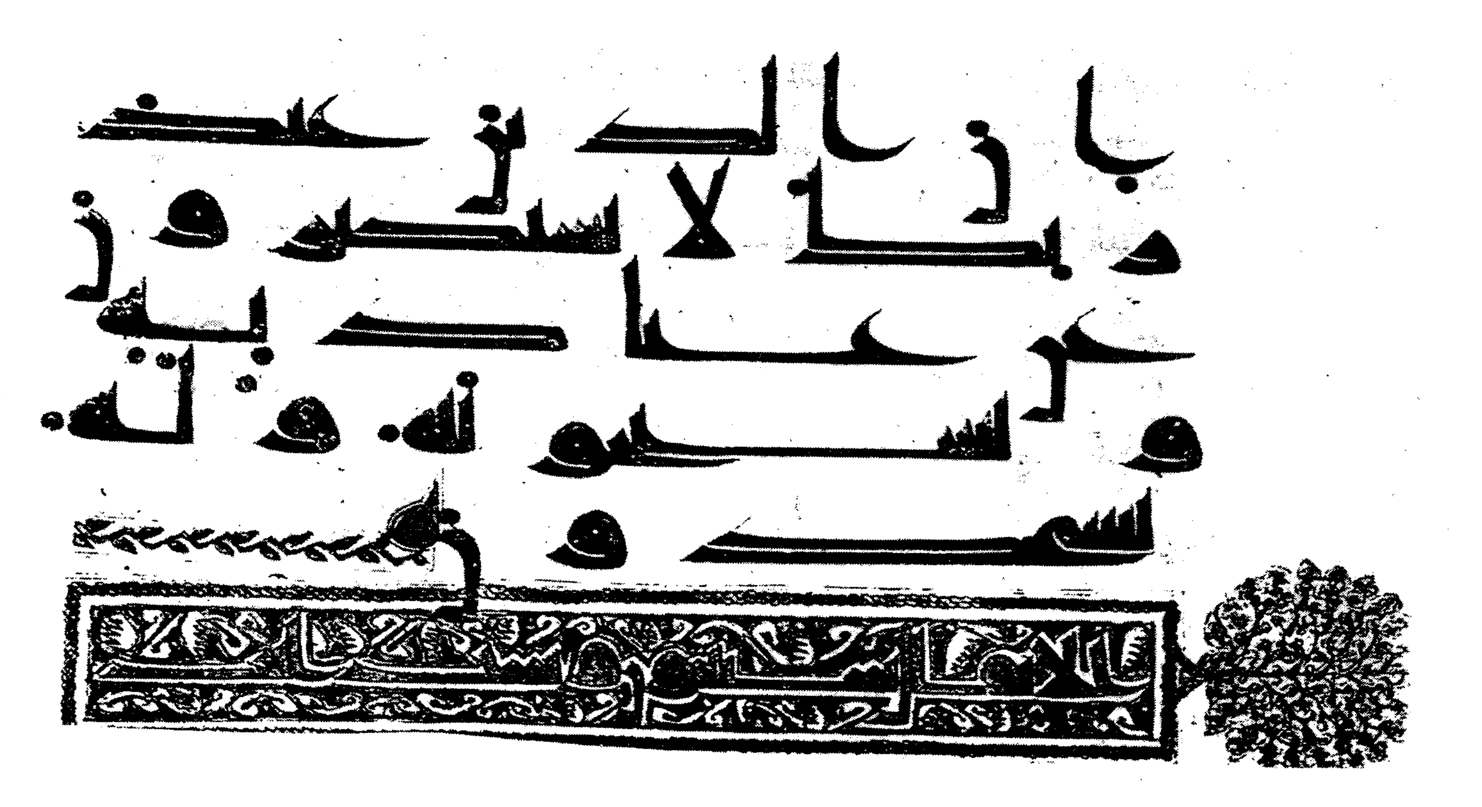
ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥) ، ليستبدل بذلك أسلوبًا آخر ، نُتج عنه ما نعرفه اليوم باسم : علامات الإعراب : الضمة علامة الإسناد ((ُ)) ، والفتحة علامة الفضلات ((َ)) ، والكسرة علامة الإضافة ((ِ)) ، والصِّفر ((ْ)) أي: الخلوّ من الحركة للسكون، والتنوين علامة التنكير: ((ٌ ً ٍ)) ، بالإضافة إلى رموز فرعية لها دلالات أُخرى مخصوصة .

وجمهور هذه المثبتة هنا صويتات قصيرة خفيفة ، يدل كل منها على الوظيفة أو الحالة الإعرابية للمفردات ضمن التركيب النحوي ، إذ تكون بدلًا من قولك : فاعل ، مفعول به ، مضاف إليه ، نكرة ، مجزوم ، مبني. والمعروف بين الباحثين أن تلك الصويتات هي اختصار رمزي ، استُغني به عن إيراد الكلمات الدالّ عليها . إنه تلك الوظائف الإعرابية ، تكثفت مع الزمن في هذه الرموز الصوتية الرشيقة ، فأغنت عن تكرار ملايين الكلمات في النص الواحد ، ثم غابت في الكتابات القديمة رسمًا ، إذ هي حاضرة في الكلام عند الحاجة إليها .

فلما أراد أبو الأسود الدؤلي أن يظهرها عامة ، في الخط المصحفي ، عبّر عنها بنقاط تحل كل منها في جهة من الحرف كما رأينا ، لتدل على الوظيفة المقصودة ، وضم إليها أيضًا حركات المفردات الصرفية، ليكون العمل في نسق واحد . ثم جاء الخليل بن أحمد ، فاستبدل بالنقاط رموزًا دقيقة جدًا ، تناسب الأصوات التي تمثلها ، من ضم وفتح وكسر وتنوين .

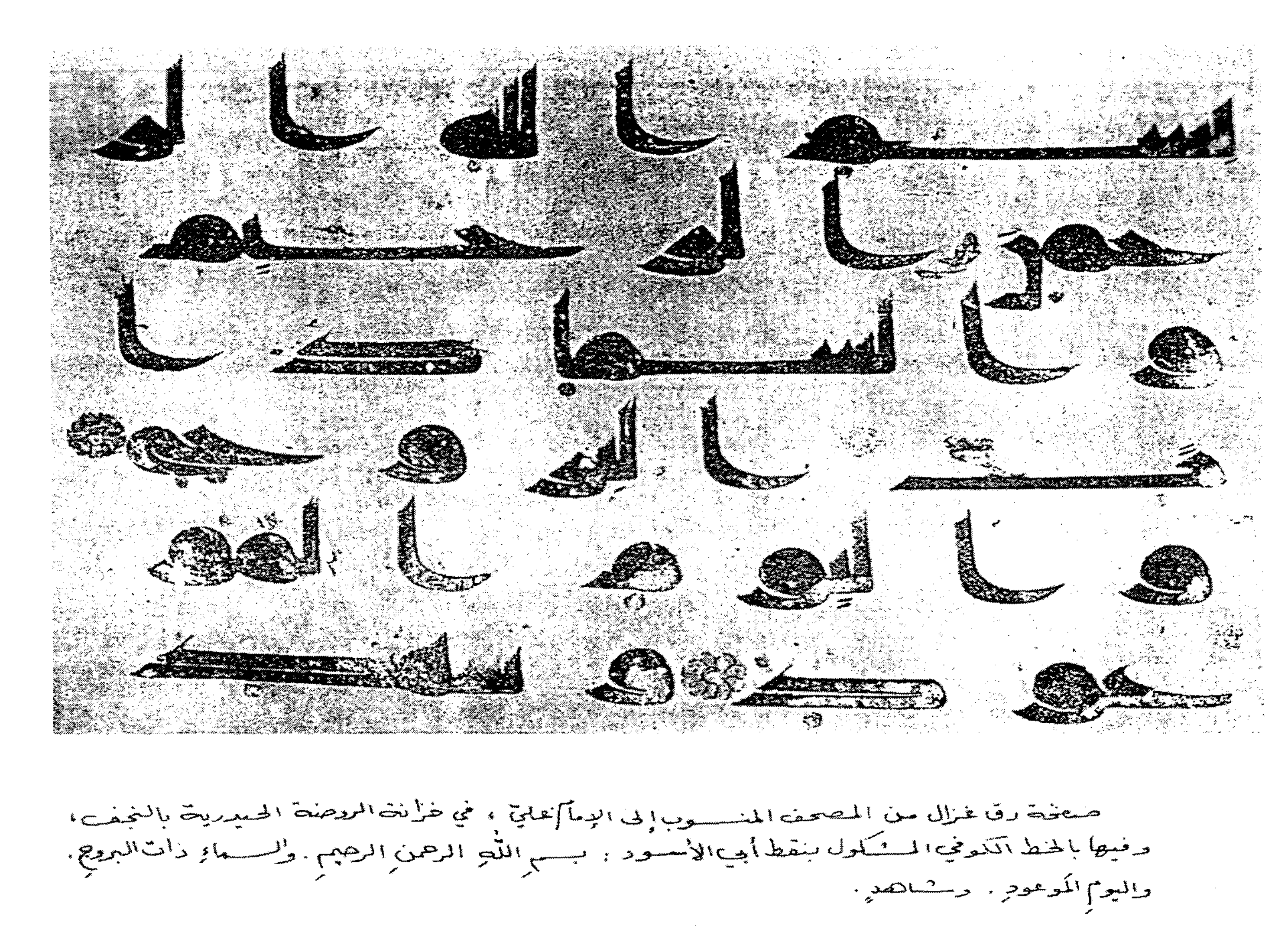
أضف إلى هذا أن في تصميم المفردات من الرمز ضروبًا ظاهرة البيان . فتكرار الحرف الثاني من الفعل والمشتقات يفيد التكثير للحَدَث : قطَّعَ ، مُقطِّعٌ . وزيادة ألف بعد الفاء تفيد المشاركة : قاطَعَ ، مُقاطِعٌ . وزيادة همزة في أول الفعل قد تعني المبالغة في الحَدَث :

(١) انظر الوقف والابتداء ص٤١ والمحكم في نقط المصاحف ص٧-١٠ ومراتب النحويين ص١٠ والمقنع ص١٢٦ ومشكلة العامل النحوي ص٦٢-٦٧ والنموذجين ٢٧ و ٢٨ .



آخر سورة الأعراف ، بخط كوفي مشكول بعضه على طريقة أبي الأسود : إنَّ الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ، ويسبحونه وله يسجدون . (وفي الذيل توطئة لسورة الأنفال) .

النموذج ٢٧ من القرآن الكريم : تنقيط أبي الأسود للإعراب والصرف



النموذج ٢٨ من القرآن الكريم : تنقيط أبي الأسود للإعراب والصرف

أحبَّ ، أو الصيرورة : أفلسَ . ثم يكون للحرفين أو الثلاثة والأربعة معان كثيرة جدًّا.[1] بل إن قولنا: ((سلَّمَ)) صاغه العربي اختصارًا رمزيًّا من كلمات العبارة التالية : قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وروي عن أخوين كانا في قديم الزمان متخاصمين متنابذين ، لا يتبادلان الكلام في السَّنة كلها ، وهما يعملان معًا في الرعي ، فإذا كان وقت العمل قال أحدهما للآخر : ألا تا ؟ أي : ألا تنهض؟ وأجابه الثاني : بلى فا ، أي : بلى فانهض . ولما غضب النبي لتشامخ أنصاري بالبناء ، فهُدم ذلك ، قال عليه السلام : ((أما إنَّ كُلَّ بِناءٍ وَبالٌ علَى صاحِبِهِ ، إلّا ما لا إلّا ما لا)). يعني : ما لابدّ منه.[2]

ولما نزل الوحي الكريم بما في القرآن العظيم ، وبلّغ النبي ـ عليه السلام ـ أصحابه ما ورد في أوائل بعض السور من أحرف متقطعة ، ذهب العلماء منهم في تفسيرها مذاهب متعددة ، تشير إلى الوظائف الرمزية التي تحملها في توجيهات المولى ـ تعالى ـ للبشر ، وفي الفكر العربي وعروبة اللسان . وقد كثرت هذه التأويلات بين المفسرين ، دلالة على سعة الأفق الرمزي وشَياعه في اللسان العربي .[3]

ثم توج علماء الحديث المسيرة الرمزية في تاريخ العلوم الإسلامية ، فوضعوا في أوائل القرن الثالث مصطلحات مختصرة من ألفاظ أساليب التحديث والرواية والتلقي . ولما شاع استعمالها في المصنفات تولدت منها بنيات وحفيدات ،[4] حتى صار لها في القرون المتأخرة

(١) تصريف الأسماء والأفعال ص ١١ ـ ١٢.

(٢) الحديث ٥٢٣٧ في سنن أبي داود .

(٣) تفسير الآلوسي ١ : ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٤) علوم الحديث ص ١٨٠ ـ ١٨٢ والكفاية في علم الرواية ص ٣٧٤ ـ ٣٨٤ وإرشاد طلاب الحقائق ص ١٥٠ ـ ١٥١ والجامع الصغير ١ : ١ وصحيح الجامع وزياداته ص ٢١ ـ ٢٥ وكشف الظنون ص ٥٦٠ ـ ٥٦١ و ٥٩٧ ومنتخب كنز العمال ١ : ٧ ـ ٩ وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٣ وتقريب التهذيب ١ : ١٦ والقاموس المحيط ص ٢٣ و ٣٥ =

عشرات من الصور الصوتية ، بين كثير من العلوم الإسلامية والفنون الأدبية ، ولكل منها دلالة اصطلاحية معقدة.

توثيق النص :[١]

عرفنا فيما مضى أن التوثيق هو تثبيت نسبة النص إلى صاحبه بالأدلة المرجحة أو القاطعة ، من أسانيد وأقوال متضافرة أو متواترة . وإن فُقد ذلك كان نقدان خارجي وداخلي للإسناد والمتن ، بمقاييس علمية مقررة وأساليب موضوعية معتبرة ، يوصلان إلى ضروب ودرجات من الاطمئنان . ولذلك وضع العلماء ، في مثل هذه المواطن ، شروطًا منهجية تلازم الاعتماد على النصوص الخطية .

فالأساليب العربية هنا تذكرنا بـ ((الوِجادة)) ، مع الأصول التي تلزمها لتكون ، صحيحة مقبولة وموثقة . وقد جزم بعض المحققين ،[٢] من أصحاب الشافعي كما ذكرنا قبل ، بوجوب العمل بها في تلقي العلوم ، عند حصول الثقة . قال القاضي عياض : ((والذي استمر عليه الأشياخ قديمًا وحديثًا في هذا قولهم: وجدت بخط فلان ، وقرأت في كتاب فلان بخطه)).[٣]

فالوجادة المعتبرة في الرواية يجب أن يكون فيها توثيق لأسماء : المؤلف والناسخ والكتاب معًا ، حتى يرقى النص إلى مرتبة من الصحة والموثوقية . وإلاّ فالأمر يبقى في حيز البحث والتقصي إلى أن تلتقي فيه تلك الثلاثية المقررة . ومن ثَمّ فإن هذه العملية الأصولية لها جانبان في التحقيق : تثبيت عبارة العنوان ، وتثبيت نسبة النص . ويبقى اسم الناسخ

= ومنهج التبريزي ص٢٢١ ـ ٢٢٢ وتهذيب إصلاح المنطق ص٧٨٠ والرموز عند المؤلفين العرب لحسين علي محفوظ.

(١) انظر فن فهرسة المخطوطات ص ١١٧ ـ ١٣٥ .

(٢) علوم الحديث ص ١٦٠ وفي منهج تحقيق المخطوطات ص ٢٧ ـ ٣١ .

(٣) الإلماع ص ١١٧ . وانظر ذيل الأمالي والنوادر ص ١٢٢ ـ ١٢٣ وفقه اللغة للثعالبي ص ٤١ ومناهج تحقيق التراث ص ٢٣ ـ ٢٤ .

للخبرة بالخطوط والمعلومات التاريخية . فلنقف عند الأول .

١ ـ تثبيت عبارة العنوان :

كثيرًا ما تنال عناوينَ النصوص الخطية في الكتب والمجلدات آثار التغيير والتبديل والتصحيف . فلأن العنوان غالبًا ما يقع في الصفحة الأولى من النص ، وهي عرضة للتأثر بعوامل الاحتكاك واللمس والعبث والرطوبة والأرضة والنقص والسقوط والبلى والتلاشي، صار العنوان معرضًا لما ذكرنا من الآثار . وقد أوقع تكرُّر مثل هذه الظاهرة في المصنفات الخطية التباسًا بين العلماء والنُّسّاخ أيضًا ، فاقترحوا لما بين أيديهم من المصنفات أساليب ، تناسب موقعها وموضوعها وما لديهم من تجارب تاريخية ، فكان بعضها ناجحًا ، وبعض آخر بعيدًا من ذلك في قليل أو كثير .

ولهذا أصبح في تقاليد النَّسخ والكتابة أن تترك ورقة أو أكثر في أول الكتاب أو المجلد ، لتحمُّل تلك العوامل والآثار ، ويسجل العنوان في ورقة ثانية أو ثالثة ، فيبقى له حظ أوفر من الوقاية والحضور الوظيفي المقصود . ولكن هذا الإجراء العملي لم يدخل كل مصنف في التاريخ ، وكان دخوله أيضًا في بعض التراثيات غير مانع من جور العوامل وشدتها ، فبقيت المسألة ذات أبعاد مضللة في عمليات التحقيق . ومن ثَمّ صار يلجأ الدارسون والباحثون أحيانًا إلى الخبراء الحُفّاظ في عالم الكتاب ، كالمعري وابن سيده وأمثالهما ، يستشيرونهم لتوثيق عنوان ما صار غفلًا بلا بيان .

فإذا كان العنوان بين يديك واضح العبارة ، بخط الناسخ المتقن للكتاب ، سليمًا من كل مظاهر العبث والتحوير ، فإنه غالبًا ما ينال الثقة أن يُعتمد ويحرر ، في إجراءات علم التحقيق . و قد يكون فيه أيضًا تزويرٌ من الناسخ ، بقصد التضليل والكسب الدنيء للشهرة والحظوة ، عند أرباب العلم والسيادة في المجتمع والسياسة وعالَم الكتاب ، أو جهلُ متعالم لبعده عن موارد اللغة وأساليب العنونة والكتابة . وقد رأينا من قبلُ تشويه المستشرق الألماني

لكتاب ابن جنّي ((المقتضَب)) ، إذ نشره على غرار الكتب الأوربية في صفحات من اليسار إلى اليمين ، وسماه ((المغتصَب)) بصدق وغباء .[١]

وقد جرى نظائر لهذا التصرف في بعض المطبوعات العربية أيضًا . فكتاب الفراء المشهور باسم ((معاني القرآن)) كان مصنِّفه قد سماه : ((تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه)) ، كما جاء في الصفحة الأولى منه . وإنما حمل المحققَ على اختيار ذلك العنوان ما ورد من قول الراوي ، من تلاميذ الفراء : هذا كتاب فيه معاني القرآن ، أملاه علينا أبو زكريا يحيى ابن زياد الفراء .[٢]

وهذا أحد الزملاء الكرام ، وقف على رسالة لأبي العباس الإبَّياني التونسي (ت ٣٥٢) ، عنوانها ((مسائل السماسرة في البيع)) ، وذهب إلى ظنه أن لفظ ((السِّمسار)) ما كان يجمع على ((سماسرة)) في عصر ذلك المؤلف . ولذلك تصرف في العبارة الواردة في النص ، وجعل العنوان ((رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه)) .[٣]

وما سماه محمد بن الحسن الزُّبيدي (٣٧٩) باسم ((الواضح في النحو)) تراه مستبدلًا به في الطباعة عنوان : ((الواضح في علم العربية)) . وكذلك كتاب ((المفصل في صنعة الإعراب)) للزمخشري (ت ٥٣٨) ، يرد في المطبوعات بتسميات مختلفة . وثمة كتاب لابن معطٍ (ت ٦٢٨) عنوانه في النسخ الخطية ((الفصول النحوية)) صار بين يدي الناشر ((الفصول الخمسون)) ، وكأنه تأثر ما قاله الحاجّ خليفة .[٤] ومثل هذا كثير وافر ـ والحمد لله ، الذي لا يُحمد على مكروه سواه ـ ويقتضي من المحقق تحرير مسائله على الصواب ، إذا وقف عليها أو تعرض لها .

(١) انظر ص ٥٧ من كتابنا : ولا يزالون يقاتلونكم .

(٢) معاني القرآن ١ : ١ .

(٣) نصوص ودراسات عربية وإفريقية ص ١٢٣ . وانظر منها ص ١٣٨ . وإفراد الضمير خطأ آخر .

(٤) كشف الظنون ص ١٢٦٩ .

والتحرير في هذه الأمور يعني أن يختبر المرء ما يجمع من النسخ ، لتأصيل الثقة بالاسم الذي اختاره لـه صاحبه . فقد يكون للكتاب أكثر من عنوان في التاريخ أو المخطوطات المتوفرة ، مما يثير الاضطراب في النقل وإحالة المقتبسات .[١] فكتاب ((الفوائد في اختصار المقاصد)) للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠) تجد لـه في المصادر والمخطوطات أسماء : الفوائد في مختصر القواعد ، والقواعد الصغرى ، والأمالي ، ورسالة في الفقه ، والفوائد في اختصار القواعد ، أو القواعد الصغرى .

وكذلك شأن ((تهذيب إصلاح المنطق)) عُرفت لـه عدة أسماء : مختصر إصلاح المنطق ، وشرح إصلاح المنطق ، وشرح شواهد إصلاح المنطق ، وإيضاح الإصلاح . غير أن النسختين اللتين اعتمدتـُهما للتحقيق جاء العنوان في أولهما وآخرهما على الصواب ، مع العلم أن الأولى مقروءة على المؤلف ، والثانية مقروءة على تلميذ لأحد تلاميذه ، فكان ذلك توثيقًا عمليًا للمراد .

ولكي يتمكن المحقق من مثل هذا التوثيق ، فيما أشكل أو اختل أو اضطرب ، فإنه يلجأ إلى مصنفات تراجم الأعلام والتعريف بالكتب ، نحو : فهرست ابن النديم ، وفهرسة ابن خير ، وكشف الظنون للحاجّ خليفة ، وذيله لإسماعيل باشا البغدادي ، ثم يحاول التوفيق بين ما يتحصل عنده ، لاختيار ما هو ألصق بالمصنَّف المقصود .

وقد يكون في خطبة الكتاب ما يكفي من ذلك ، كما قال الحسن بن قاسم فيها من كتاب لـه : ((سميته بالجنى الداني في حروف المعاني)) ،[٢] وكما جاء عن ابن عصفور أيضًا أنه قال في مقدمة أحد كتبه : سميته بالممتع ليكون اسمه وفق معناه ومترجمًا عن فحواه .[٣]

(١) انظر منهج تحقيق المخطوطات ص٣٠ـ٣١ و منهج التبريزي ص ٢٧٩ ـ ٢٩٦ وتهذيب إصلاح المنطق ص : هـ.

(٢) الجنى الداني ص ١٣ .

(٣) الممتع ص ٢٨ .

وإذا خلت الخطبة من ذلك فقد يرد في الختام ، أي : في ((شدّ الكتاب)) ، ما يفيد . فقد ختمت مختارات المفضل والأصمعي بالقول:[١] ((تمّ كتاب الاختيارين : اختيار المفضل الضبي ، وعبد الملك بن قريب الأصمعي)) . وقال ناسخ الشرح لديوان الأخطل : هذا آخر شعر الأخطل ، من رواية ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ، صنعة أبي سعيد السكري ، روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب . ونقلته من أصله بخطه .[٢]

ولكن مثل هذه الظواهر البيّنة قد يغفل عنها الناشرون للنصوص التراثية . فعلى رغم ما في كتاب العُكبَري من قوله:[٣] ((هذا آخر ما تيسر من التبيان في إعراب القرآن)) ، وعلى الرغم من أن نفس العنوان [٤] جاء فيما عرّفه به الحاجّ خليفة ، ترى الناشرين الأوائل جعلوا له العنوان التالي: ((إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن)). ثم زعم آخرون أنه أيضًا : إعراب القرآن .[٥] فكأن هؤلاء وأولئك صاغوا عبارتيهم فيما ذكروا مما جاء في الخطبة من قول المؤلف : أحببت أن أملي كتابًا يصغر حجمه ويكثر علمه ، أقتصر فيه على ذكر الإعراب ووجوه القراءات .[٦]

ثم إنه كثيرًا ما تختلف نسخ النص الواحد في عبارة العنوان أيضًا . فإن لم يكن بينها نسخ موثقة ، بأسانيد وقراءات ومقابلات ترجح وجهًا معينًا ، تحتم على المحقق أن يراجع

(١) كتاب الاختيارين ص ٧٥٩ . وانظر النموذج ٢٩ .

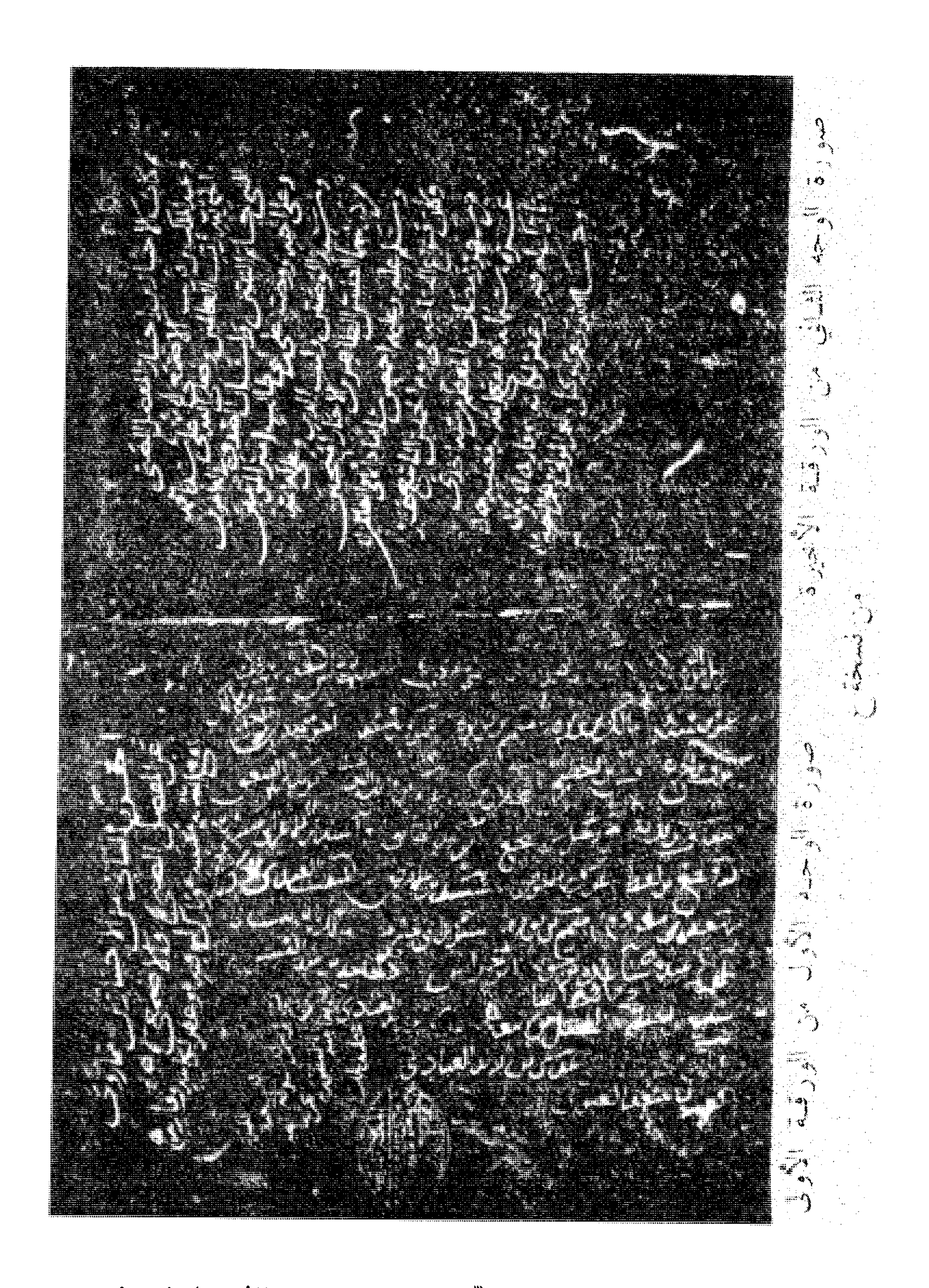
(٢) شعر الأخطل ص ٥٠٨ . وانظر النموذج ٢٥ب فيما مضى قبل .

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ٢ : ٢٩٨ .

(٤) كشف الظنون ص ٣٤١ .

(٥) اللباب علل النحو ١ : ١٦ . وقد نشر هذا الكتاب أيضًا تحت عنوان فيه تصرف ، هو : اللباب في علل البناء والإعراب . وانظر منه ١ : ٢٣ و ٣٩ . وانظر التبيين عن مذاهب النحويين ص ٣٩ . وقد زيد في عنوان هذا الكتاب أيضًا : البصريين والكوفيين .

(٦) إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٣ .



النموذج ٢٩ من كتاب الاختيارين : شدّ الكتاب باسمه واسم مؤلفيه وتاريخ نسخه

المصادر التراثية التي ذكرناها ، والكتب التي شرحت النص أو اختصرته ، أو تكلمت عليه أو ترجمت لصاحبه أواستقت منه بعض المعلومات . ولا بد أن يجد فيها تسميات مختلفة كذلك . ومن مجمل تلك الخلافات ، يتحصل عنده ما هو أكثر صحة ومصداقية ، فيكون اختياره أقرب إلى الصواب .

٢ ـ تثبيت اسم المؤلف :

التحقيق للنص يقتضي تعيين نسبه الصحيح إلى مؤلفه ، وهذه مسألة تكون يسيرة في كثير من المخطوطات المسندة الموثقة ، كما ذكرنا من قبل وعرضنا من النماذج ، لما فيها من أدلة علمية على المصدر الأول للنص . ولكن يعترض المرءَ في بعض الأحيان ما اعترضه من مشكلات في عناوين الكتب ، إذ يكون اسم المؤلف مع العنوان في صفحة واحدة ، وعرضة لعوامل الاستعمال الكثير والرطوبة والأرضة وسقوط الأوراق الأولى أيضًا .

والمعروف في عالم الكتاب أن عنوانه يساعد في تحديد مؤلفه ، إذ يكون في لفظه دلالة على من هو صاحبه في التاريخ التراثي . وهذا الأصل صحيح في أكثر حضارات العالم ، وقد يتخلف حكمه في كثير من النتاج العربي ، إذ تجد للعنوان الواحد عشرات الكتب ، ولكل منها مؤلف خاص به ، أو لكل مؤلف فيها أكثر من كتاب ، كما ذكرنا من قبل . خذ مثلاً اسم ((النوادر)) ، تجد أنه ينسب تأليفه في القرون الثاني والثالث والرابع وحدها إلى أمثال :[1]

أبي عمرو بن العلاء وأبي شبل العقيلي وأبي المضرحي ويونس بن حبيب ، والأصمعي وعبد الرحمن بن بُزُرْج والكسائي وأبي عمرو الشيباني والفراء وأبي المنهال وأبي عبيدة ،

(١) انظر ص ١٦١ من فهارس الفهرست و ص ١٢٨ من فهارس نفح الطيب ، وقسم النوادر من فهارس الكتب في إنباه الرواة ، ونور القبس ص ٤٥١ وفهرست ابن خير ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦ ووفيات الأعيان ٨ : ٥٦٠ ـ ٥٦١ وكشاف مفتاح السعادة ص ٥٣ وكشف الظنون ص ١٩٨٠ والمزهر ٢ : ٦٥٠ والخزانة ١٣ : ١١٦ ـ ١١٨ وشرح أبيات المغني ٨ : ٤٤٤ والمعجم العربي ١ : ١٣٥ ـ ١٣٦ وفهرس الفهارس والأثبات ٣ : ٣٦٣ .

والقاسم بن معن والكلابي وأبي محمد الأموي والهَجَري واللحياني وأبي مسحل وقطرب والتوزي وابن السكيت وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ، والهيثم بن عدي والنَّجيرمي والحسن بن عليل العنزي وابن الأعرابي ويحيى بن المبارك والأثرم ، وأبي الوازع ودلامز البهلول وابن هانئ النيسابوري وثعلب وابن قتيبة وأبي حنيفة الدينوري ، والحسن بن عبد الله لكذة ونصر بن مضر الأسدي وابن مقسم والزجاج ، وابن دريد وأبي هلال العسكري واليزيدي والقالي والزجاجي والمطرز . . .

فما قولك فيما كان بعد في القرون العشرة التالية ؟ وكذلك العناوين من نحو : معاني القرآن ، والأصول ، ومسائل ، ومقدمة ، والأمالي ، والأضداد ، وشرح الألفية ، وشرح المفصل ، والجُمل ، ومعاني الشعر ، وتفسير القرآن ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، وشرح المقصورة ، والمذكر و المؤنث ، والمقصور والممدود ، والخيل ، والإبل . . .

نعم قد يكون مع بعض هذه الألفاظ ما يقيدها في العنوان ، فيساعد على تعيين المؤلفين . ولكن هذا التقييد يشترك فيه أحيانًا أكثر من واحد في تاريخ التراث ، فتبقى المسألة بحاجة إلى الحل العلمي الدقيق .

وهنا يكون لنا وسيلتان من النقد والاختبار : اسم الكتاب ، ومضمون النص . أما الوسيلة الأولى فقد تبيّنّا تعذر حلها أحيانًا لاشتراك المؤلِّفين في العنوان ، واشتراك العناوين في المؤلِّف . فلا بد لنا إذًا من الوسيلة الثانية ، فنرجع إلى خطبة الكتاب وخاتمته ، أي : شدّه ، وما بينهما طلبًا للحل المرجو . ذلك لأنه غالبًا ما لا يذكر المؤلف اسمه أو لقبه في مطالع الخطبة وخواتيمها ، وكذلك ما يفعله بعض الرواة والنساخ .

ومن هذا القبيل ما جاء عن شرح ديوان المتنبي ((التبيان في شرح الديوان)) المطبوع عدة مرات ، منسوبًا إلى أبي البقاء العُكبَريّ (ت ٦١٦) . نعم إن له شرحًا على ذلك

الديوان ،[١] ولكن القراءة في ذلك المطبوع تضع الدارس في شك من النسبة المذكورة ، لما يرد من نصوص تنقضها ، إذ ترى أخبارًا تمتد إلى سنة ٦٣٠ ، وتلمذةً للمؤلف على نصر الله ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ ، ومقولات تخالف مذهب الرجل في النحو وما جاء من اقتباسات عنه في مصنفات مَن بعده .[٢] ومن خلال ذلك كله ، وما في الكتاب من نصوص مساعدة ، يترجح أنه من تصيف تلميذ للعكبري ، وهو علي بن عدلان الموصلي (ت ٦٦٦) .

وقد تكون بعض عبارات المصنف مضللة أحيانًا ، كالذي حصل في ((الأضداد)) حين نشره المستشرق هفنر ، ناسبًا إياه إلى الأصمعي . وذلك لأنه بدأ النص بقول له ، فتوهم الناشر ما ذهب به عن الصواب . غير أن مراجعة يسيرة بعد ذلك ، قام بها الباحثون ، بيّنت أن المصنَّف المذكور هو لابن السكيت ، وكان هذا غالبًا ما يروي النصوص عن الأصمعي . وقريب من ذلك ما نسبه الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي إلى قُدامة بن جعفر (ت ٣١٩) تحت عنوان ((نقد النثر)) ، وهو في الحقيقة جزء من كتاب ((البرهان في وجه البيان)) لأبي الحسين أحمد بن سليمان بن وهب (ت ٢٨٥) .[٣]

فإن لم تقدم لنا تلك الوسائل الداخلية في النص ضالتنا المنشودة ، من توثيق لاسم المؤلف ، استعنّا بمصادر التراجم وتعريف المؤلفين والمصنَّفات ، إذ قد يرد فيها نقول من الكتاب تصل بينه وبين صاحبه . خذ مثلاً ما في ((كشف الظنون)) من إيراد لآلاف النصوص مع العناوين المذكورة فيه ، وهي تقدم مادة وافرة للتوثيق ودفع كثير من الشبهات

(١) إنباه الرواة ٢ : ١١٧ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٨٦ وكشف الظنون ص ٨١١ .

(٢) انظر مقالة للدكتور مصطفى جواد في مجلة المجمع العلمي بدمشق ٢٢ : ١ ـ ٢ والتبيان عن مذاهب النحويين ص ٤٨ ـ ٤٩ . وقد زيد في عنوان هذا الأخير كما ذكرنا قبلُ : البصريين والكوفيين ، إقحامًا من الناشر ، وخلافًا لما جاء في الأصل المخطوط .

(٣) مناهج تحقيق التراث ص ٧٤ ـ ٧٦ .

والأوهام . فقد أرخ لحوالي ١٤٥٠٠ كتاب ، و٩٥٠٠ مؤلف ، و٣٠٠ عِلم ، في ترتيب ألفبائي تبعًا لاسم العِلم واسم الكتاب ، مع مقدمات في ماهية العلوم ومنزلتها ، وفي علوم الأمم عامة والتدوين والتأليف . . .

على أنه قد وقع في بعض الأوهام المضللة . فلا مفر من العودة في هذه المسألة أيضًا إلى ما في المصادر التراثية من اقتباسات ، تحدِّد الكتبُ المنقولة عنها أو المؤلفون الواضعون لها . وكذلك المصنفات التي شرحت النص نفسه أو اختصرته أو علقت عليه . فهي تسعف كثيرًا في حل هذه المشكلات . ومن هذا القبيل أن كتاب ((الأمثال)) لمؤرج السدوسي (ت ١٩٥) كان غير واضحة فيه النسبة إلى هذا العالم ، ولكن النصوص المنقولة عنه في كتب الأمثال المتأخرة ، وفي خزانة الأدب أيضًا ، جاء فيها ما يحقق النسبة ويوثقها.[١]

ثم إن أساليب القول في الكتاب ، وأصول البحث فيه وفي عصره وفنه ، تكون حكمًا مساعدًا عند من له خبرة بتاريخ البحث والتأليف والحضارة التراثية . ويضاف إلى هذا أن في العودة إلى المكتبات الخطية تلمسًا لكثير من الحقائق ، في مثل هذه الأمور ، إذ تجد بعض النسخ وفيها ضالتك المنشودة .

ومن قبيل هذا أن كتاب التصوف ((حل الرموز ومفاتيح الكنوز)) نسبه[٢] إسماعيل باشا البغدادي ، بهذا الاسم وباسم ((مفاتيح الكنوز)) ، إلى عز الدين عبد السلام بن أحمد المقدسي الشافعي (ت ٩٧٨) ، وكان من قبلُ قد سماه الحاجّ خليفة ((حل الرموز وكشف الكنوز)) ، ونسبه إلى العز نفسه على أنه عبد السلام بن محمد.[٣] ثم نُشر عام ١٨٩٩ منسوبًا[٤]

(١) مناهج تحقيق التراث ص ٧٤ـ٧٦ .

(٢) إيضاح المكنون ص ٤١٦ وهدية العارفين ١ : ٥٨٠ .

(٣) كشف الظنون ص ٦٨٦ .

(٤) معجم المطبوعات ص ١٦٥ .

إلى شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المصري الدمشقي الشافعي (ت ٦٦٠). والمرجّح في ذلك ما تراه في مكتبة جامعة إستانبول، إذ تجد ثلاث نسخ خطية تحقق النسبة إلى الأول. هذا بالإضافة إلى أساليب الكتابة والتأليف والتوجه المذهبي المشهورة عند شيخ الإسلام.[١]

وغالبًا ما يستطيع الباحث ، بتضافر الوسائل النقدية المختلفة التي ذكرناها ، أن يصل إلى تثبيت اسم المؤلف للكتاب المقصود . وبهذا يكون قد خطا الخطوة الأولى في التحقيق العملي، وأنجز مرحلة إيجابية من أصول علمنا الكريم. ولسوف نبسط لك عدة نماذج عملية، في الفصل القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ توضح أساليب التثبيت لأسماء المؤلفين ، والإنكار لما يرد من أوهام في ذلك ، لتكون على معرفة وتجربة وبيان.

* * *

وأخيرًا قد يقع الوهم في الأمرين معًا : عنوان النص واسم صاحبه . فهذا كتاب قيّم جدًّا ومجهول في التاريخ ، حققه ثلاثة زملاء كرام ونشر عام ١٩٨٧ ، تحت عنوان : ((دقائق التصريف)) ، ونسب إلى : القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب . وإذا رجعت إلى صورة الصفحة الأولى [٢] من النسخة الخطية رأيت فيها ما يلي : كتاب فيه علل التصريف ودقائقه ، حكاها عن الأئمة مصنّفها القاسم بن سعيد المؤدب . أعزه الله .

هذه هي عبارة التعريف للكتاب ومؤلفه ، كما جاءت بخط الناسخ للنص كله ، وفيها تحقيق للاسمين من دون إشكال . وقد أُقحم فوقها بخط آخر : ((كتاب دقائق التصريف)) . وهذا اختصار قام به أحد القراء أو العلماء ، لا يجوز أن يغير شيئاً من الحقيقة المقررة قبل . ثم ترى في صفحة واحدة ، مما كتبه المحققون الثلاثة ، أن اسم المؤلف يسجل بـ ((القاسم بن

(١) مقدمة التحقيق لكتاب العز بن عبد السلام ((شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال)) ص ٣٠ ومنهج تحقيق المخطوطات ص ٢٩ .

(٢) دقائق التصريف ص ٩ .

محمد)) و ((أبي القاسم بن محمد)) .[(١)] وإنما دخل الوهم في الثاني عليهم من عبارة الختام في النسخة ، إذ يبدو أن كاتبها سها فجعل التأليف لأبي القاسم .[(٢)] والأخوة الزملاء لم يتنبهوا إلى هذا التناقض ، ونقلوه بما فيه ولم ينبهوا عليه .

وإليك كتابًا آخر نُشر عام ١٩٥٨ باسم ((توجيه إعراب أبيات مُلغَزة الإعراب)) ، وجُعل مؤلفه هو علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤) ، تبعًا لما جاء في نسخة مهلهلة من المكتبة الوطنية بباريس ، ولما زعمه كارل بروكلمان من أوهام .[(٣)] ثم تبين بوجود نسختين أُخريين وجه الصواب في الأمر ، فصدر عام ١٩٧٤ باسم ((الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب)) ، لمؤلفه الحسن بن أسد الفارقي المتوفى سنة ٤٨٧ . وبذلك عاد الحق إلى نصابه .

وقريب من هذا ما كان عام ١٩٦٧ في نشر كتاب تحت عنوان ((إعراب القرآن)) ، إذ نُسب تصنيفه إلى إبراهيم بن السريّ الزجاج (ت ٣١١) . ولكن الناشر لم يكن على طمأنينة في عمله بعد أن أنجزه ، ولا إلى صحة نسبة التصنيف ، فأثار في نهاية ما نشر المشكلات التي تعترض ذلك ، وذهب إلى كون المؤلف من علماء المغرب في القرنين الرابع والخامس ، وهو مكي بن أبي طالب القيرواني (ت ٤٣٧) . وقد نشر الكتاب غير مرة على ذلك المنوال ، ثم ترجَّح أن يكون العنوان على غير ما ذكر ، ومؤلفه هو علي بن الحسين الباقولي المعروف بجامع العلوم (ت ٥٤٣).[(٤)]

وقد يكون عبث بعض المالكين للكتاب أو القارئين ، بالجهل أو التزوير ، صارفًا وجهه إلى الباطل عنوانًا ومؤلفًا . ففي مكتبة برلين تحت الرقم ٦٧٥٢ كتيّب ، موسوسم بأنه

(١) دقائق التصريف ص ٨ .

(٢) دقائق التصريف ص ١١ و ٥٤٩ .

(٣) الإفصاح في شرح أبيات مشكل الإعراب ص ٣٤ وتاريخ الأدب العربي ٢ : ١٨٩ .

(٤) إعراب القرآن ص ١٠٩٥ ـ ١١٠٣ ومجلة المجمع بدمشق ٤٨ : ١ و ٤٩ : ١ .

((الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية)) لابن هشام الأنصاري ، وأنه شرح على شواهد ((اللمع)) لابن جني . وكان هذا التعريف قد ضلل عدة باحثين معاصرين ، فذكروه كذلك.[١] ولكن من يتفحص واقع ما فيه ، من النصوص والعبارات ، يرى أنه يتضمن ما جاء في كتاب ((الاقتراح)) للسيوطي ، مزيدًا عليه في أوله بخط آخر ذلك التعريفُ المزيف ، مع نصوص أُخرى مقحمة تؤكد التزوير والبهتان .

قراءة التحقيق :

تختلف أساليب القراءة للنص بحسب الـمُهِـمّات التي يهدف إليها القارئ ، أو يكلَّف بها ، فيكون لدينا عدة مناهج أو مستويات ، نختار منها ما يناسب المقاصد والوظائف المطلوبة . ومن ثَـمّ يسير العمل بوعي ونجاح ، في إنجاز الـمُهِـمّـة المستهدفة .

وقد كنا [٢] عرضنا لهذه العملية الإنسانية المعقدة في أكثر من كتاب ، وزعمنا أنها تتوالى مستوياتها في حلقات متماسكة ، بحسب تسلسلها من البساطة إلى التعقيد ، ومن الخصوص إلى العموم ، وأن لكل منها منهجه الخاص الذي يحقق أغراضها ، ويمد ما بعده بكثير من المعلومات والنتائج والخبرات ، لِتـُبنى على ذلك مسيرة القراءات التالية ، إلى نهاية القمة . وإليك هذا التوزع المتسلسل مما ذكرت :

١ ـ مستوى الأداء .

٢ ـ مستوى الفهم .

٣ ـ مستوى الحفظ .

٤ ـ مستوى التقويم .

٥ ـ مستوى البحث .

---

(١) انظر تحقيق التراث ص ١٣١ ـ ١٤٣ .

(٢) انظر تحليل النص النحوي ص ٢٢ – ٢٣ وقراءة موجهة لنصوص التراث ص ١٧ ـ ٣٢ .

٦ ـ مستوى التحقيق .

٧ ـ مستوى التوجيه .

٨ ـ مستوى التحليل .

ونحن الآن في المستوى السادس أمام نص مخطوط ، له أساليبه في الكتابة والتنسيق والبيان ، يحتاج إلى معاملة خاصة تناسب تقاليد التسجيل اللغوي في عصره . ولهذا تكون القراءات متعددة متأنية ، على غرار ما كان في المستويات السابقة من التلبث والدقة والملاحظة، وتتوالى فاحصة مقومة ناقدة بدقة أظهر ، للوصول إلى الصور التعبيرية الحقيقية لصاحب النص نفسه .

وأول ذلك أن يتلمس المحقق مقاصد الدلالات والمضامين التعبيرية والتركيبية ، في مكامنها القريبة والبعيدة والدقيقة والواسعة الشاملة لأبعاد النص . وهذا يقتضي مراعاة القوالب الفردية والجماعية ، وما تتلبسه في السياق العام للمقال والمقام ، من أساليب الخبر والإنشاء ، لفهم المضمون العام ومستوى الأداء والتعبير الكتابي للمؤلف.

فلا بد من التفكير الواعي ، لتلمس المعاني والعلاقات النحوية والفنية والعلمية لعناصر الموضوع ، وارتباط بعضها ببعض . وغالبًا ما تكون هذه القراءة صامتة ، لترتفع حدة العمليات العقلية في تمثل عناصر التفكير والتعبير ، وفي احتفاظ الذاكرة بمعطيات ذلك ، لتوظيفها في متابعة البحث والاستيعاب . وهذا لايعفي من الفصاحة في أداء الحروف والأصوات والصيغ والتراكيب ، مع الإعراب اللازم الدقيق ، وتحقيق مقتضيات التنغيم السياقي ، والتوظيف العملي لعلامات الترقيم المتصوَّرة .

ويستحسن أن تحتفظ الذاكرة ببعض الأساليب والعبارات الجوهرية والمكررة ، ليستضاء بها في تفهم ما يلي من نظائرها . ثم يضاف إلى ذلك تفحص متحسس بتأن وعمق ودقة للظواهر والخفايا من عناصر التفكير والتصوير والإيحاءات الجمالية سلبًا وإيجابًا ، مع

الاعتماد على المقاييس النقدية في ميدان النص ومعايير العلوم عامة ، وفي إطار تاريخ العلم أو الفن الذي يتناوله التعبير . وبذلك يتكون لدى المحقق أحكام نقدية تمده بما سيحتاج إليه في الدراسة والبحث ، بين مطاوي المقدمة والخاتمة .

وفي خلال ذلك يتلمس المحقق أيضاً مادة البحث من النص ، في ميدانه الخاص وما يتفرع عنه من موضوعات علمية أو فنية . ومن ثَـمّ تتبين ظواهر التقليد والتوليد والتجديد ، ومصادر الاستدلال والاستشهاد والاحتجاج ، ومواطن الاقتباس والاستئناس والتوكيد ، والنجاح في تأدية المراد الصالح للاختبار والتقويم .

وهذا يقتضي الرجوع في القراءات المذكورة إلى أقرب الروايات من المؤلِّف وأصحها نسبة إليه . فإن تيسرت نسخة بخطه كانت منتهى ما يصبو إليه القارئ ، لأنها النص الحقيقي ناجزاً وثابتاً ، ولاسيما إذا كان آخر صورة أخرجها المؤلف من ذلك النتاج ، ومصححة بإتقان وكمال . وإلاّ فليُستعَن بالنسخ التي قرئت على المؤلف ، أو نقلت من نسخته أو من نسخ تلاميذه أو ممن قرؤوا عليه أو عليهم أو نسخوا عنهم . . . كما ذكرنا فيما مضى .

ويراعى في ذلك أن يكون مع النَّسخ أو القراءة معارضة بالأصل المعتمد في النَّسخ ، وتسجيل لما يحقق المعارضة والتصويب . وهذا يعني نقد الأسانيد في مضمون النص ، للتحقق أن ما جاء فيها سليم من الاصطناع والسهو والتلفيق . ويستعان على ذلك بما يقدمه تاريخ العلماء ، من تواصل وتلمذة واستفادة ، وصلات تاريخية بين الرواة والنُّسّاخ أيضاً .

فالنُّسخ القديمة الموثقة تحفظ النصوص في أقرب ما يكون إلى الصدق والصواب ، وتعين على التحقيق القويم . فإن فُقدت تلك الأصول اعتُمد على ما يكون بعدها ، في تسلسل زمني متتابع لاستخدام أقدم ما يمكن . وهنا أيضاً لابد من نقد الأسانيد والروايات، لاختيار ما هو صحيح النسب والانتساب إلى صنيع المؤلف . ثم يصار إلى نقد المتن بالقراءات المتعددة للنص في النسخ المختارة ، للمصير إلى تحقيق العبارات كما وضعها صاحب الكتاب ،

في أقرب النسخ إليه ، مع التعليق بما في غيرها من خلاف في المعلومات و التعبير والضبط .

وللوصول إلى ميادين الصواب في هذه القراءة المحقِّقة ، بين اختلاف النسخ المتأخرة ، يستعان بالمصادر التراثية لذلك النص ، وما هو شرح أو تفسير أو اختصار له أو اقتباس منه ، وبخصائص أسلوب المؤلف نفسه ومنهجه في التفكير والبحث والتوجه العلمي ، وبأصول العلم أو الفن بعينه ومصطلحاته ومفاهيمه ، وبمصادر اللغة والنحو والأدب والتاريخ والعلوم المختلفة التي تساعد على الترجيح أو التحقيق .

وفي خلال ذلك أيضًا يكون اهتمام خاص بالأساليب التي يستخدمها النُّسّاخ ، للتعبير عن الوصل والقطع ، وضبط المفردات ، وتمييز الفِقر والجمل والعبارات ، وإلحاق ما سقط سهوًا ، ومعالجة الزيادات والمكررات المقحمة ، وتصحيح الخطأ أو اللحن الحاصل في الكتابة ، وتسجيل الحواشي والطرر الملحقة بالنص تعقبًا أو نقدًا أو استدراكًا أو تفسيرًا أو تمثيلاً ، مع الرموز المستخدمة لنسبة تلك الملحقات إلى أصحابها من العلماء . وكذلك ما يتعلق بأسلوب المؤلف في استخدام التعابير والمصطلحات والرموز ، للاستدلال والاقتباس والتفسير والتعقب والاستدراك .

ومن هذا التطواف بين ضروب الوسائل الكتابية المختلفة ، يتكون في الذهن تمايز واضح بين مقاصد كل منها ، إذ ما كان مجهولاً أو غائم البيان في أوائل النص وأول قراءة تتضح دلالته أو تثبت وتتاكد ، في المراحل التالية ، وتتعاون الخطوات على إزالة الغموض والإبهام والاختلاط . ومن ثَمّ يستطيع القارئ أن يسجل قائمة بتفسير الظواهر الخطية المتميزة ، والرموز الفنية والمصطلحات الموضوعية ، ليسهل عليه بعدُ حل المشكلات المقبلة ، في مثل تلك المواقف التعبيرية المتكررة .

والمعروف أن هذه الظواهر الخطية والتعبيرية تكون ذات طابعين اثنين : الأول ما اصطلح عليه علماء الخط والنَّسخ والتأليف . وهو عامّ اهتمت به المصنفات التاريخية لكل

فن ، وفسرت مفاهيمه وطرق استخدامه . والثاني ما اصطلحه المؤلف للنص الخطي أو ناسخُه ، واستخدمه بشكل منهجي واع ، أو اضطرب في تناوله وتوظيفه . وقد أوجب رجال علم التحقيق ، على من يستخدم الطابع الثاني ، أن يبين في خاتمة الكتاب ونحوها ما اصطلحه من ذلك ، ليفهم المراد كل مطلع أو قارئ .(١)

فتسجيل تلك القائمة يحدد للعمل صورة منهجية ، تضيء سبيل الفهم الوافي الدقيق ، وتساعده على تحقيق العبارات والتصويب القويم ، وتيسر له السبيل لاكتشاف ما يحتاج إليه في اختيار العبارة المناسبة لمقصَد المؤلف ، ومضمون البحث نفسه ، وما سيكون متطلَّبًا بعدُ من تعديل أو تقويم وتسديد ، أو تعليق متمم لتحقيق ، يتضمن التفسير والشرح والتعريف للأعلام وتخريج النصوص والاقتباسات ، مع المصادر والمراجع المعينة على ذلك .

ولهذا فإن قراءة التحقيق تفتح أمام المرء سبل العودة إلى المكتبة العربية ، بما فيها من علوم وآداب وفنون ، في اللغة والنحو والبلاغة والعروض والقراءات والتفسير والفقه والرواية للحديث الشريف والجرح والتعديل للرجال والآثار والمستحاثات والأوابد ، والتاريخ والبلدان والفلك والرياضيات والطب والهندسة والصيدلة والنقد والتراجم والفلسفة ، والمذاهب والاتجاهات والمقولات الفردية ، والدواوين والمجموعات والاختيارات الشعرية والمصنفات الأدبية والاجتماعية . وهذه السبل المرجعية غالبًا ما تقدم المعلومات الموثقة والحقائق الموضوعية ، مؤكدة بالمصادر المقررة في تلك الميادين المعرفية .

فالنص المُعَدّ للتحقيق يثير مشكلات في اللفظ والتركيب والعبارة والفكرة والاستدلال والنتيجة والأخبار والأوصاف والمعلومات والرسوم والأشكال والجداول والمعادلات ، وتراجم الرجال وأعلام القبائل والأماكن والحيوان والسلاح والنبات ، والآيات القرآنية والقراءات والتفسير وأسباب النزول والفقه وأصول الدين ، والاقتباسات

---

(١) الدر النضيد ص ٣٣١ـ ٣٣٢ . وانظر النموذج ٣٠ .

شرح رموز الحروف الاربعة اللاتي في هذا الكتاب

ح الحوفي   ق الرقي

ع المعري   ج لابن جني

النموذج ٣٠ من تهذيب إصلاح المنطق : الرموز المستخدمة وأسماء أصحابها

النبوية والصحابية والمقولات التاريخية والأدبية والعلمية ، وما يكون من خرافات أسطورية وإسرائيلية ، وأحداث للتاريخ من وقائع ومعاهدات وهجرات وأحلاف ومؤامرات ، ومذاهب سياسية ودينية وطائفية وعلمية ولغوية وفنية وأدبية ، وأحكام في الشرع واللغة والأدب والفنون والعلوم ، وأقوال منسوبة أو أغفال ، وألفاظ مشتركة أو متضادة أو غائمة أو غريبة أو شاذة أو ملحونة ، وعبارات مستغلقة عسيرة المنال ، ومصطلحات وأساليب في الفقه وأصوله ومختلف المعارف والعلوم والثقافات ، ومفاهيم خاصة أو عامة في دوائر معينة من التاريخ والبلدان والمذاهب . . .

وكل واحدة من هذه المشكلات تستفز القارئ وتطالبه بالحلول العملية العاجلة . وإلاّ تراكمت وتفاقمت ، وخيمت عتَـمة بعضها على وجوه بعض ، فتعذر المسير في تلك الدروب الضبابية الغائمة . فقد تكدست في المسالك عراقيل ومتاريس وحجب متكاثفة ، تمنع كل بصيص من الوضوح والبيان والفهم . تلك سيول من المثيرات المتدفقة يدفع بعضها بعضاً ، ويعرقل مسيرته وعطاءه ، فتصبح المطالعة للنص شائكة المسالك مستغلقة الأبواب مبهمة المعالم ، لا تنطق حتى ينطق الحجر .

وهذا يحتم على القارئ أن يهيئ نفسه للوقوف ، خلال عملية التحقيق النهائي ، عند كل مسألة على حدة ، يكشف عنها الحجب ويزيل ما فيها من الغيوم ، ويتبين دلالاتِها الوضعية والاصطلاحية والفنية ، ليعيِّن المقصد الحقيقي لها في سياقها العام وعبارتها الخاصة ، فتساعد على تبديد الحجب مما حولها ، وتنير السبيل للهداية في متابعة المسير ، وتناول العقبات التالية .

وتنفيذاً لمثل هذه العمليات الإجرائية ، في ميادين العلوم المختلفة ، صنفنا كتابًا جمع التنظير والتطبيق ، ونشرناه منذ عام تحت عنوان : **قراءة موجَّهة لنصوص التراث في رحاب المكتبة العربية ـ مناهج ونماذج** .

ولأن عمليات التحقيق قد تقتضي بحثًا ، لمضمون النص وأساليبه ونتائجه وخصائص المنهج والفكر والتعبير والتصوير ، فإنه يترتب على القارئ أيضًا أن يتابع أحوال البنى السطحية والعميقة والأصلية والفرعية للنص ، ورصد المعاني الإيمائية الدقيقة تعزيزاً للأفكار الأساسية ، وتتبع ما للمفردات من المستويات الدلالية في المعجم والمجاز والاصطلاح والفن والاستعمال الخاص . ونتيجة لذلك تتيسر أمامك الإحاطة بامتداد النص وسبر أعماقه ، واكتشاف أبعاد التفكير والتعبير والتصوير ، وربط أجزائه بالبيئات اللغوية والاجتماعية والفكرية والعلمية والفلسفية والدينية والفنية والاقتصادية والسياسية .[١]

وبذلك تتمثل الظلال والأخيلة والحوادث والأفكار والانفعالات ، والآثار الموسيقية والنفسية والقيم الجمالية ، والتجارب والنتائج العلمية والعملية ، فتتفاعل وما يوحيه النص من عواطف وصور وجمال ، وتتكشف فاعلية الثقافات العامة والخاصة ، وتتميز الجهود الشخصية للمؤلف وأساليبه الفريدة في التقرير والاستدلال والتقويم ، وفي تخطيط تفكيره وتوزيع عناصره وتفرعاتها ، وارتباط الكليات بالجزئيات . ويصدر عن هذا وصف لطوابع التفكير والعطاء والتخييل والانفعال ، ولنهج التأليف والتنسيق وضروب الاستدلال الظاهرة والخفية ، وللأحكام والمقولات المقررة ، وللاستخدامات اللغوية والاصطلاحية والفنية ، وللسياقات التعبيرية البسيطة والمركبة .

والمفضل أن تكون قراءة النص في النسخة المخطوطة نفسها ، ما أمكن ذلك ، لأن المصوَّرة تغيب فيها معالم كثيرة ، مهما كان التصوير دقيقًا وافيًا . ومما يَضيع فيها على القارئ إدراكه بدقة وأمانة أيضًا ما كان من ألوان الخطوط المختلفة لتمييز الأصل الكتابي مما ألحق به أو أقحم ، وما أُثبت بأصباغ رقراقة فهّة لا تتضح صوره ، وما سجل في الحواشي وبين الأسطر بخطوط دقيقة متداخلة الأسطر والعبارات والرموز والمصطلحات . ويضاف إلى كل

(١) انظر قراءة موجهة ص ١٤٥-١٦٩ .

ذلك تدخل بعض المؤثرات ، من بريق ولمعان وانعكاسات وبقع ضوئية أو عارضة ، فتضلل القارئ وتضيع عليه كثيرًا من الفوائد المرجوة ، في مُهِمّته هذه .

قراءات مساعدة :

غالبًا ما يطرح النص مشكلات ، تعترض سبيل العمل ، بما يظهر من اختلال في نسق الأوراق ، واضطراب في عرض المعلومات ، ونقص أو زيادات تقتحم الفكر والتعبير والبيان، أو غموض يكتنف المقاصد والدلالات والمفاهيم . وهنا يكون أمام القارئ مسارات متعددة لتعديل نسق النسخة ، وتقويم الخلل والاضطراب والنقص والتزيد ، واستيضاح معالم ما غمض وابتعد .

ففي إصلاح الترتيب لأوراق المخطوطة ، يستعان بالتعقيبة والتصفيح ، وهما أحيانًا تردان ولاسيما الأولى منهما في الأصول التراثية الخطية . أما التعقيبة فهي إثبات الكلمة الأولى من الصفحة التالية في ذيل الصفحة الحالية . يعني أن الناسخ عندما ينتهي من كتابة صفحة يسجل في آخرها ما سيكون في أول ما بعدها . وقد يعبر اليوم عن هذا المصطلح الفني باسم الرقّاص أو الوصلة أو الواصلة أو الرابطة أو السائس .[١] وأما التصفيح فهو إثبات الكلمة الأخيرة من الصفحة الماضية في رأس الصفحة الحالية .[٢] يعني أن الناسخ يسجل قبل البدء بالصفحة التالية في رأسها آخر ما كان قبلها .

وهاتان االكلمتان تقدمان الحل الأمثل في ضبط التسلسل بين أوراق الكتاب . وقد استعاض بعض النُّسّاخ من ذلك بترقيم للأوراق أو الصفحات ، كما حصل منذ القرن الثامن في بعض مصنفات علم الحديث. أما ترقيم الكُرّاسات فقديم جدًا ، تراه كثير الورود في التراث عامة. ثم إنك واجد في شدّ الكتاب ، أي : خاتمته ، ما يساعد على ذلك الضبط ، بتعيينه آخر النص .

---

(١) فن فهرسة المخطوطات ص ٦٥ . وانظر النموذج ٣١ .

(٢) انظر خرائن الكتب ص ٣٦ .

ورضوان بكسر اوله وضمه لغتان اى رضى كثير من الله والله بصير عالم بالعباد فيجازى

كلا منهم بعمله الذين نعت او بدل من الذين قبله يقولون يا ربنا اننا امنا صدقنا

بك وبرسولك فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين على الطاعة وعن المعصية

نعت والصادقين فى الايمان والقانتين المطيعين لله والمنفقين المتصدقين والمستغفرين

الله بان يقولوا اللهم اغفر لنا بالاسحار اواخر الليل خصت بالذكر لانها وقت الغفلة

ولذة النوم شهد الله بين لخلقه بالدلائل والايات انه لا اله معبود بحق فى الوجود

الا هو وشهد بذلك الملائكة بالاقرار واولوا العلم من الانبيا والمؤمنين بالاعتقاد

واللفظ قائما بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد

بالقسط بالعدل لا اله الا هو كرره تاكيدا العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه ان الدين

المرضى عند الله هو الاسلام اى الشرع المبعوث به الرسل المبنى على التوحيد وفى قراة

بفتح ان بدل من انه الخ بدل اشتمال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى

فى الدين بان وحد بعض وكفر بعض الا من بعد ما جاءهم العلم بالتوحيد بغيا من الكافرين

ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اى المجازاة له فان حاجوك خاصمك الكفار

يا محمد فى الدين فقل لهم اسلمت وجهى لله انقدت له انا ومن اتبعن وخص الوجه بالذكر

لشرفه فغيره اولى وقل للذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى والاميين مشركى العرب

ءاسلمتم اى اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا من الضلال وان تولوا عن الاسلام فانما

عليك البلاغ التبليغ للرسالة والله بصير بالعباد فيجازيهم باعمالهم وهذا قبل الامر

بالقتال ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون وفى قراة ويقاتلون النبيين بغير حق

ويقتلون الذين يامرون بالقسط بالعدل من الناس وهم اليهود روى انهم قتلوا ثلاثة

واربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم فبشرهم اعلمهم

بعذاب اليم مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء فى خبر ان لشبه اسمها الموصول

بالشرط

النموذج ٣١ - أ من تفسير الجلالين : التعقيبة والتفسير الممزوج

بالشرط بطلت ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم

في الدنيا والآخرة فلا اعتداد بها لعدم شرطها وما لهم من ناصرين مانعين من العذاب ألم

ترى تنظر إلى الذين أوتوا نصيبا حظا من الكتاب التوراة يدعون حال إلى كتاب الله ليحكم بينهم

ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون عن قبول حكمه نزل في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا

إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا

ذلك التولي والإعراض بأنهم قالوا أي بسبب قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات

أربعين مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم وغرهم في دينهم متعلق بقوله ما كانوا يفترون

من قولهم ذلك فكيف حالهم إذا جمعناهم ليوم أي في يوم لا ريب شك فيه هو يوم القيامة

ووفيت كل نفس من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ما كسبت عملت من خير وشر وهم أي الناس

لا يظلمون بنقص حسنة أو زيادة سيئة ونزل لما وعد النبي صلى الله عليه وسلم أمته ملك

فارس والروم فقال المنافقون هيهات قل اللهم يا الله مالك الملك تؤتي تعطي الملك

من تشاء من خلقك وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء بإيتائه وتذل من تشاء بنزعه منه بيدك

بقدرتك الخير أي والشر إنك على كل شيء قدير تولج تدخل الليل في النهار وتولج النهار تدخله

في الليل فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر وتخرج الحي من الميت كالإنسان والطائر من النطفة

والبيضة وتخرج الميت كالنطفة والبيضة من الحي وترزق من تشاء بغير حساب أي رزقا

واسعا لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون أي غير المؤمنين ومن يفعل ذلك

أي يواليهم فليس من دين الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة مصدر تقيته أي تخافوا مخافة

فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري فيمن في بلد ليس قويا فيها

ويحذركم يخوفكم الله نفسه أن يغضب عليكم إن واليتموهم وإلى الله المصير المرجع فيجازيكم

قل لهم إن تخفوا ما في صدوركم قلوبكم من موالاتهم أو تبدوه تظهروه يعلمه الله وهو يعلم

ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ومنه تعذيب من والاهم اذكر يوم تجد

النموذج ٣١ - ب من تفسير الجلالين : التعقيبة والتفسير الممزوج

وربما كان في توزيع النص وتسلسله ما يكشف النسق القويم . تجد مثال هذا في مشكلة اختلاط كتابَيِ الأصمعيات بالمفضليات . فقد أثار الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون هذه الظاهرة ، وجعلا منها قضية معقدة مضطربة لا يمكن حلها ،[(١)] لأنهما وقفا على ١٩ مفضلية مقحمة في نصوص الأصمعيات . وذلك ما وجداه مكررًا في نسخة نقلها الشنقيطي بقلمه من أصل محفوظ بمكتبة كوبرلي بإستانبول . ولما كانت هذه القضية تشغل أفكار العلماء المعاصرين ، وتؤرقني معهم في ذلك ، رجعت في بحث لي إلى ذلك الأصل المذكور ، فكان فيه ما يحل المشكلة ويعيد كل شيء إلى نصابه .

لقد جمع هذا الأصلُ بين دفتيه قصائد : المفضليات ثم الأصمعيات ثم زيادات الكتابين . ولكنّ من قام بالتجليد نقل سهوًا ملزمة كاملة من الكتاب الأول إلى زيادات الكتابين ، فبقي انقطاع بين المفضليات ٩٩ و ١٢٠ ، وفيه ١٨ بيتًا من المفضلية ٩٩ ومجموع بقية ما بعد البيت ١٢ من المفضلية ١١٩ ، وانقطاع آخر في الزيادات قبل الملزمة المقحمة وبعدها . ولو أعيدت هذه الملزمة إلى موقعها من الأصل الخطي لاستقامت أحوال ما يتضمنه من المصنفات الثلاثة . ولكن أحدًا لم يتبه إلى ذلك فبقي الوضع على دخل واضطراب .

ثم نقل الأستاذ الشنقيطي نسخته من الأصل المذكور بعد ما اختلت ملازمه ، فنسخ الأصمعيات وزيادات الكتابين بما فيها من الإقحام ، دون أن يشير إلى ما صادفه من ذلك . بل إنه أسقط ما بقي في أول الملزمة المقحمه وفي آخرها من المفضليتين ٩٩ و ١١٩ ، فضاع بعمله هذا ما يمكن أن يرشد إلى شيء من الصواب ، وتَشبّت معالم التضليل لمن سينشر الأصمعيات وما معها .

ثم كان اطلاعي على الواقع الفعلي لما في الأصل ، واكتشافي حصول الخلل في نسق

(١) المضليات ص ١٤ ـ ٢٣ والأصمعيات ص ٤ ـ ٦ ومنهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦.

الملازم، قد حققا صحة النسق لقصائد المفضليات وزيادات الكتابين ، وأزالا كثيرًا من مزاعم التداخل والاختلاط في اخيارت المفضل والأصمعي.[١] غير أن جمهور الباحثين والدارسين والمحققين ما زال يسير في ركاب تلك المزاعم ، وكأنه لم يسمع صوت البشير النذير .

فإن فُقدت تلك النسخ الأصلية المحققة للمقصود لجأنا إلى النسخ الفرعية والمتممة والردائف ، نستعين ببعضها على بعض . ولا شك أن تعدد النسخ وتفرعها عن أُمّهات مختلفة يكون فيهما معالم للتنسيق الصحيح القويم . فالكل يستعين بالبعض ،[٢] والبعض يؤكد الآخر ويحدد مقاصده ، وتكون النتيجة إخراج تسلسل صحيح لتلك الأمشاج والأخلاط والتقطعات . وهذا أقرب عمليات التقويم لنسق موضوع النص .

ومن هذا القبيل ما حصل بين يديّ في ((ديوان سلامة بن جندل)) . فقد وقع اختلال كبير في نسخة آياصوفية منه ، فجاء ما نقله الشنقيطي عنها من قبل ونسخةُ بغداد كشك التي هي أُمّ لها ونسخةُ الإسكندرية ، بالتعيين الصحيح لترتيب الأوراق وتصحيح مسارها .[٣] وكذلك الشأن في ((تهذيب إصلاح المنطق)) ، إذ حصل[٤] في نسخة شرف الدين منه اختلال النسق الحقيقي ، فاستعنت على ذلك بما كان في نسخة القومساني التي جاءت منتظمة الوضع والتسلسل ، مع خرم فيها ، رممته النسخة المتقدمة الأولى . وهذا يعني أن كلتيهما تعاونتا في تصويب ما اضطرب من النص وترقيع ما انخرم .

وفي سبيل إصلاح ما اختل واستيضاح ما خفي ، من معلومات النص وتعبيره ، لنا

---

(١) منهج التبريزي ص ٣٠٨ ـ ٣١٠ .

(٢) لا مانع من دخول ((أل)) على كل و بعض ، خلافاً لما يزعمه بعض الأوصياء على العربية . انظر ٢: ٢: ٦٥-٦٦ من تهذيب الأسماء واللغات .

(٣) انظر ديوان سلامة ص ٢٩ ـ ٣٢ .

(٤) تهذيب إصلاح المنطق ص : و ـ ز .

منافذ متعددة تسعفنا في الوصول إلى المراد . وأول ما يذكر هنا هو ما يكون في التراث حول النص ، من شرح أو تفسير أو اختصار أو تهذيب أو اقتباس أو تأثر أو تأثير . ففي هذه الاستطالات التصنيفية معلومات كثيرة ، مستقاة من الإخراجة الصحيحة لموردها الأصيل ، وهي خير ما يقدم العون السديد لحل تلك المشكلات المعترضة في التحقيق .

وعلى هذا فقد كانت استفادات غفيرة ، لـ ((شرح الملوكي في التصريف)) من متنه الأصلي ((التصريف الملوكي)) ، ولـ ((شرح اختيارات المفضل)) من مصدرَيه ((شرحَي المفضليات)) للأنباري والمرزوقي ، ولـ ((شرح المعلقات العشر)) من مصدرَيه أيضًا ((شرح القصائد السبع الطوال)) لابن الأنباري و ((شرح القصائد التسع)) للنحاس . ثم كان تبادل الاستفادة بين إصلاح المنطق وتهذيبه من ناحية، وبين كتاب الألفاظ وتهذيبه من ناحية أُخرى إذ منح كلا الأصل والتهذيب من المجموعتين خدمة ، لتذليل كثير من الصعوبات الواقعية .

أضف إلى هذا أن التمرس المتواصل بالنسخ الخطية الحاضرة ، وبكتب المؤلف للنص نفسه ، وبالمصنفات المشاركة له في الموضوع والعصر والمنهج ، وبما صدر من التراث المحقق تحقيقاً علمياً ، ولا سيما إذا كان شبيهًا للنص في مضمونه وموضوعه ، ذاك التمرس يساعد المرء على تفهم المعلومات والأساليب ، وحل الكثير من المشكلات المعترضة ، واكتساب الخبرة للسير في العمل الإيجابي المحمود . وبذلك يمتلك الأدوات اللازمة للشروع في الخطوات العملية التالية .

* * *

ونتيجة تلك الجولات الاستطلاعية ، والقراءات المتفهمة المسترشدة ، يصير المحقق على بصيرة بالقيم العملية للنسخ التي بين يديه ، فيقوم بتحديد منازلها من مستويات الاعتماد في الإجراءات التنفيذية المقررة . وهنا نستعيد المواصفات التي تخصِّص تقدمة ما يكون أصلاً للنص ، وما هو متمم أو رديف معين ، لنحتكم إليها في إعطاء كل نسخة حقها من المراتب

التسلسلية، ورمزها الذي يميزها وييسر الاستعانة بها في التحقيق، والإشارة إليها في متمماته.

والحكم الأساسي ههنا يكون للأقدمية وقرب الصلة بالمؤلف ، كما ذكرنا في هذا الفصل . وأقرب ما في ذلك وأقدمه هو الذي جاءنا بخطه كاملاً ، من دون خرم أو طمس أو امّحاء . ويعززه أن يكون قرئ عليه أيضًا وصححه بيمينه ، وسجل عليه بعض تلك القراءات وما كان عنها من إجازات .

فمثل هذا النص هو قمة الأصالة والاعتماد ، يقدَّم على غيره بلا شك أو احتراس ، ولا سيما إذا عُلم أنه آخر إخراجات المؤلف للنص نفسه ، يضم نهاية آرائه وأحكامه ومذهبه وتفكيره وتعبيره . ويلي هذه القمة التي تتصدر سلم الاختيارمن نسخ التراث ما كان بعدها في الصلة بالمؤلف ، مكاناً أو زماناً ، بنقل مباشر وغير مباشر ، مع القراءة بالأسانيد المتصلة ، والمقابلة بالأصول المنقول عنها.

الفصل الثالث

أصول التحقيق العملي

أنجزنا إجراءات التحقيق النظري ، فاصطفينا الموضوع الاختصاصي ، واخترنا النسخ الخطية اللازمة في العمل ، ونسقناها في مخطط يمثل صلتها بالأصل واشتقاقها منه أو من فروعه الأمّهات ، ثم وثقنا عبارة العنوان وارتباط المضمون بصاحبه المؤلف له ، وأتبعنا ذلك بالقراءة المحقِّقة ، في مستوياتها المختلفة ، ثم كان الختام بالقراءات المساعدة . وقد آن لنا أن نستقبل التحقيق العملي ، بأصوله الأربعة التي كنا قد ميزناها في الفصل الأول .

نقل النص :

كانت الإنجازات الإجرائية الأخيرة ، في الفصل الماضي ، خاتمة التحقيق النظري . وهي ترسيخ للجسر المؤدي إلى مشارف التحقيق العملي ، حيث نشرع في نقلِ النص من النسخ إلى أوراقنا الخاصة ، وإعدادهِ لتثبيت ما يحتاج إليه من خدمة وتوجيه وتيسير . وهنا تغلب الإجراءات العملية بصور مختلفة من أساليب الكتابة ، إذ نعتمد النسخة المقدَّمة والمصطفاة على أنها أصح وأكمل وأوثق وأدق في العطاء والبيان ـ وهي النسخة الأم ، أو أساس المقارنة ـ ونجعل أوراقها وحدها ، من دون حاجة إلى ذكر وجه أو ظهر ، عمدة ندوِّن أرقامها في حواشي ما ننقل ، لتكون مرجعًا لنا وللآخرين في الأعمال المختلفة .

إننا نسجل عبارات النص بخط واسع مبسوط ، لا يشترط فيه الجمال أو الجودة ، بل أن يكون واضح الحروف ، في تميز أشكالها وخصائصها وإعجامها ، وفي فسحة من الصلات والانفصال . وهذا يقتضي أن تسجل الأسطر في ثلثَيِ الصفحة الواحدة على وجه التقريب ،

بإبعاد الوصل بين الحروف ، وفاصل واضح بين المفردات ، وفراغ سطر بعد كل سطر مسجل، وترك الصفحة المقابلة فارغة للاستخدام في المراحل القادمة من التحقيق ومتماته ، مع ترقيم متسلسل لهذه الصفحات .

وما يرد في النص من شعر يجعل كل بيت منه في سطر واحد ، مع الفصل الواسع بين الشطرين بلا نجوم أو نقاط . وكذلك شأن مسدَّس الرجز ، إذ يكون كل بيت منه مؤلفًا من ست تفعيلات في شطرين أيضًا . أما مشطوره فيكون كل شطر منه في سطر متميز . ولابد من إثبات ياء المنقوص في القافية ، وإغفال تضعيف حرف الروي الساكن . وأما ما يرد من رسوم أو جداول أو معادلات أو رموز أو أشكال علمية أو فنية ، فيحافظ عليه كما هو ويستحسن أن ينقل بالتصوير ما يتعذر تقليد رسمه والوانه .

وما نقف عليه من كلمات أو عبارات خفية غير واضحة اللفظ والدلالة ، ومشعرة بالقلق وعدم الانسجام مع السياق ، نسجلها في مواقعها بقلم الرصاص على ما هو ظاهرها ، ونتركها للتحرير والتحقيق فيما بعد ، إذ قد نقف على ما يحدد صورتها أو يعين على ذلك ، في مستقبل ما يصادفنا في النص والعمل من الأيام المقبلة.

١ ـ الضبط اللغوي :

أما الضبط فأمر تابع لمحتوى النص من العلوم والآداب والفنون ، وموافق لما في مجموعه من العبارات المتشابهة ، وللسياق الذي ترد فيه المفردات ، ولمستوى القرّاء المخاطبين به . والحكم العام في هذه الزاوية أن يكون ضبط الحروف قليلًا ما أمكن يلبي حاجة الفهم ، خلافًا لما ألفه المستشرقون بجهلهم ، لئلاّ تُثقَل العبارات بما هو فائض من الحركات والسكونات المجهدة للكاتب والطابع والقارئ ، من دون جدوى أو فائدة . فالحركة والسكون كل عنصر منهما يشبه الحرف ، فيما يقتضيه من الجهود المبذولة ، لدى كل هؤلاء الثلاثة معًا .

إن حضور العنصر الواحد مما ذكرتُ يتطلب من الكاتب بذل جهود متعددة ومعقدة : عصبية وحركية وعقلية وبصرية ، تضاف إلى ما يقتضيه الحرف الذي يضبط . وهذا يعني

ازدواج العمليات وتراكبها في إثبات الحرف مع الضبط ، فيكون النص الواحد ضعفه أو كالضعف ، من حيث استهلاك الطاقة النفسية والجسدية ، عدا التكاليف المادية المعروفة . والأمر نفسه يتكرر عند راصف حروف الطباعة والقارئ لها ، هذين المسكينين اللذين ابتُلِيا بتزيدات الناشرين أو أرباع المحققين . فكل من الراصف والقارئ يبذل طاقاته ويبذر قدراته، في تتبع تلك الصور الفائضة من الضبط غير اللازم ، ليدرك لفظها وما في دلالتها من فائدة .

وإلاّ فما جدوى تكرار السكونِ فوق الألفات مثلاً آلاف المرات ، والفتحةِ قبلها وقبل تاء التأنيث المربوطة في الاسم ، وإثباتِ فتحة الهمزة فوق الألف أيضًا وكسرتها تحتها ، ورسمِ همزة الوصل فوق الألف أيًا كانت حركتها ، وحشد الحركات في الأماكن المعروفة بداهة ، والسكوناتِ الكثيرةِ المعلومة لدى أبسط القرّاء ، ولا سيما إذا كانت فوق لام التعريف وفي أوساط الكلمات المألوفة ، من النصوص التراثية الثقيلة ؟ بل ما قيمة ضبط المفردات كلِّ المفردات ، في مثل هذه الأسطر والصفحات التي بين يديك الآن ؟ حسبنا في النص العسير أن نضبط ما يلزمه ذلك من الأحرف المُشكِلة والمفردات الغريبة ، ونترك الباقي عُطلاً من أثقال التقحمات المفتعلة ، والتزيدات المرهقة لكل من له صلة بالتراث . وهذا المطلوب بإلحاح هو ما تراه ماثلاً هنا في الأسطر والصفحات المتوالية .

ثم إن تلك التقحمات والتزيدات التعسفية ، لاختلاطها بأشكال الحروف مرة ومحاصرتها إياها غالبًا ، تكون مادة لأوهام الأطراف الثلاثة المذكورة قبل . فكل من هؤلاء ، إذا كان يخطئ بنسبة ٥ ٠ / ٠ مما يتناول ، تحصل عنده احتمال تضاعف النسبة في متابعة الضبط الكامل بالعناصر كلها . ذلك لأن تراكب الحروف والضبط يعقد العمليات اللازمة ويعرقل السير في سبيل وعر متعدد العثرات والمتاريس والمزالق والمنعطفات .

وهذا يعني أنه ستكون النسبة أكثر من ١٠ ٠ / ٠ على أقل تقدير ، فيتحصل عدد وافر من الخطأ والتصويب ، على حين أن التخفف من تلك الأثقال الفائضة يزيل تفاقم

الاحتمالات ويهوّن على الناس إنجاز الأعمال، بأحسن ما يكون من الدقة والسلامة والوفاء، مع إزالة الترهيب من التراث، وتوفير للتكلفة من إهدار الزمن والمال والقدرات الإنسانية.

إن إغراق النص بالضبط التام الكامل، كما هو ظاهر في كثير من الاستشراقيات والمنشورات التراثية، يحمل في ضمنه احتقارًا للقارئ واستخفافًا له. لكأنك تستصغره أن يكون على اقتدار لمعرفة ما هو مبتذل ميسور، فتضع له حركات وهمزات وسكونات عائمة، هو يستحضرها في قراءته، ويتقن ملاحظة مواضعها ووظائفها، على الرغم من غياب صورها الخطية.

ففي هذا، بالإضافة إلى الإرهاق وإزهاق القدرات، احتقار له وإشعار بأنه صغير جاهل عاجز عن السير بلا عكاكيز تحيطه بها في كل خطوة ونأمة ونفس. بل إن في ذلك أيضًا احتقار الناسخ لنفسه، إذ يبدي أنه جاهل بقدرات من يخاطب، وهو بعينه أيضًا يحتاج إلى تلك العكاكيز، فيظن في الناس ما هو فيه من قصور وعجز، أو هو غبي غافل عما يكفي من الضبط الإيجابي اليسير، ولا يحسن اختيار ما هو لازم فعلًا، فيلقي بالأثقال فوق الأثقال.

هذا حكم النصوص المعروفة في كلام العلماء والأدباء والفلاسفة. ثم يكون اهتمام خاص بضبط المفردات الغريبة، والأسماء الأعلام الـمُشكِلة، ونصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والشعر والنثر القديمين، لما قد يُتوقع من الوهم والسهو في قراءة ذلك وفهم مقاصده بدقة وكمال. فيحسن هنا أن يكون الضبط أظهر وأوفى، مع إغفال ما ذكرناه قبل، من الفتحات والكسرات والهمزات والسكونات التي هي بديهية حاضرة في ذهن أبسط القرّاء والعلماء والدارسين والباحثين والمحققين.

ولكننا نرى كثيرًا من كتب التفسير المنشورة إمّا أن تضبط الآيات الكريمة فيها بفائض من الأشكال والرموز، كما غُذِّي الكبتار، وإما أن يهمل فيها الضبط تمامًا، وتلقى أمام القُرّاء غُفلًا من كل عون أو بيان. وفي الأمرين إجحاف وخلاف لأصول النشر التراثي، كما ذكرنا منذ قليل. بل إن الإهمال الكامل للضبط يوقع القارئ في الأوهام، إذ يقرأ الآية

على ما حفظ ، أو على ما يقدمه النص المصحفي المرافق للتفسير ، مع أن المفسر قد يكون له قراءة تخالف ذلك .[١] وفي هذا الإغفال تضليل وإفساد وتشويه لحقائق الكتاب المنشور .

ولقد ضاق قارئ العربية بهذه المتاهات من الإهانة والاحتقار ، أو الإهمال والاعتباطية ، واستقر عنده أن اضطراب الناشرين في مستويات الضبط وأنماطه المختلفة أخلّ بمقاصد التوضيح والبيان ، وأفسد عليه ما كان يبتغيه من العون والتوجيه. ولذلك أعرض عن تتبع رموزه ودلالاتها ، واعتاد أن يقرأ النصوص بما تيسر له من الفهم ، ليخفف عن نفسه عناء التدقيق والتكهن والهداية المعمّاة . هذا ما اعترف به القرّاء أنفسهم ، فكان دليلاً على ردّ الإهانة إلى الناشرين ، وتضييع جهودهم الغبية سدى ، والعودة إلى النصوص صُمًّا بُكمًا عُميًا . ولكي نتجنب هذه المهازل الخطيرة ، فلا بد من مراعاة ما ذكرنا من الأصول في الرسم الإملائي ، لنعطي كل نص حقه من النقل والأداء .

وبذلك تُنقل النصوص للتحقيق ، في بساطةٍ ودقة واحترام للذات وتقديرٍ وعون للآخرين ، فيكون كل منها مشرق الوجه ودودًا محبَّبًا للنفس ، خالصًا من شوائب التعالم والتفاصح والإتاوات المفروضة على روّاد تراثنا الكريم . ولا شك أن النجاح ، في تلك العمليات الكتابية ، يقتضي الإلمام بكثير من العلوم العربية . ومن ذلك معرفة تامة بألفاظ المفردات ودلالاتها ، في الوضع والمجاز والفن والاصطلاح والتفرد والخصوص . وهذه المعرفة تجعل النَّسخ في طريق مأمون ، بعيد عن الشطط والتكهن والضلال ، إذ يُقرأ النص كما أراده له مؤلفه ، ويُنقل كما وضعه ناسخه الأمين.

٢ ـ الرسم الإملائي :

يضاف إلى هذا التمرسُ بأساليب الإملاء قديمًا وحديثًا ،[٢] ليسجَّل النص بالرسم المعاصر لنا ، وعلى قاعدة واحدة مما تختلف فيه بعض البلدان والأقطار . وهنا نتذكر ما يرد

(١) النموذج ٣٢ .

(٢) النموذج ٣٣ .

تنبيه*

«مراعاة لحقوق المؤلفَين، قد أثبتنا القرآن الكريم»
«مضبوطًا بالشكل الكامل على حسب رواية»
«الشيخَين المفسرَين، وإن كانت تخالف»
«رواية حفص. فليتنبه القارئ لذلك»

راجعه فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ المقارئ المصرية

* ورد هذا التنبيه في أول مطبوعة البابي الحلبي لتفسير الجلالين، وجاء في آخرها ما يلي:
بحمد الله وحسن توفيقه تم طبع تفسير الجلالين مصححًا بمعرفة لجنة من العلماء
برياسة الشيخ أحمد سعد علي

القاهرة في يوم الخميس { ٨ ربيع الأول ١٣٧٤هـ
٤ نوفمبر ١٩٥٤م }

مدير المطبعة	ملاحظة المطبعة
رستم مصطفى الحلبي	**محمد أمين عمران**

النموذج ٣٢ من تفسير الجلالين : مراعاة قراءة المفسرين

ثم إن المعارضتين المذكورتين لاترى لهما في الكتاب كله أكثر من عدة أصداء، أي: ص ٨ و٢٦٠ و٣١٠ و٣٨٥ و٣٩٧ و٤٣٩ و٤٩٥ و٥٧٦ و٦٦٧ و٧٥٧ و٧٥٨ و٧٩٥ و٨٠٠. وكثيرًا ما أشيرفي ذلك إلى «نسخة» غير معينة، وقليلًا إلى النسخ المطبوعة بدون تعيين، ونادرًا إلى بعض النسخ. وغالب ذلك منقول من حاشية الصاوي لا من نسخ خطية. فالإهمال للمعارضة عامّ للكتاب، ولا يحتاج إلى دليل.

ونص الجلالين جرى فيه تصرفات متعددة الوجوه، خرجت به عن أصالته وغاياته. فما كان في مستهل كل سورة لتعريفها غُيّرت عباراته بألفاظ وأرقام وزيادات ونقصان وتحريف وتصحيف، عدا مقدمة سورة الفاتحة فكان فيها تحريف واحد. والنص القرآني جعل غُفلًا من الضبط، فاستبهمت معاني الآيات، وضاع مراد الجلالين من القراءات التي اختاراها، وهي كثيرة جدًا. ونص التفسير أقحمت فيه عبارات غفيرة[1]، وحذف منه ما رُغب عنه تحرجًا أو استثقالًا أو ضيقًا بالمكان، نحو ما في الحديث ص ٦٧٤ وغيره[2]، ونال الباقيَ صور من التصحيف والتحريف والتصرف الشخصي بلا منهج أو بيان. والتصرف في حذف نون «فترجعوا» وأمثاله كثير جدًا لتوهم النصب، واستبدال «صلة» بـ «زائدة» أو «مزيدة» تحرجًا في مواضع وافرة جدًّا.

والرسم الإملائي مترجّح[3] بين المصحفي أو المعاصر وبين القراءات المختلفة أو الاعتباطي، مع أوهام كثيرة فيما لحقه ضبط. فالأحرف المتقطعة في أوائل بعض السور أكثرها لم يضبط بما هو مقررفي كتابة المصاحف. وكذلك ماتراه في الرسم عامة ومن الأوهام الظاهرة في ذلك[4]: هدىٰ، العفوُ، يُبشرِكِ، يَبشركِ (والخطاب لزكرياء)، كلّه مرفوع، ندخلُه، وإن

(١) نحو ما في آخر تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، وفي آخر مقدمة السيوطي، وما في تفسير الآيات: ٢٨٦ من البقرة و٣٧ و١٤٦ من آل عمران و١٩ من النساء و١١١ من المائدة و٨١ من الأعراف و١٧ من التوبة و١٠٩ من هود و١٠٦ من الكهف و١١٤ من المؤمنون و٣٣ من النور و٢٢٧ من الشعراء و١٥ من النمل و٣٧ من القصص و٥٠ من العنكبوت و٤٤ من غافر و٤٦ من السجدة و٤٦ من فصلت و٣ و١٤ و٢٩ من الفتح، وقبل تفسيرها أيضًا، و١١ و٣٥ من الطور و٢٦ من النجم و٣٦ من الواقعة و١٦ من التغابن و٣٠ من الملك و٧ و١٢ من الجن و٣ من الإنسان و٩ من الأعلى و٢٠ من الغاشية.

(٢) وفي تفسير الآيات: ٣١ من البقرة و٧٥ و١٢٠ من المائدة، والتعريف بسورة هود، و٣٧ من القصص و٥٥ من يس و٣٠ من ق و٢٦ من النجم و٢١ من الإنسان و٢٠ من الغاشية. . .

(٣) نحو: صراط، الكتاب، الصلاة، رزقناهم، غشاوة، يتلو، ءأنذرتهم، يستهزىء، فأتوا، بئسما، ما تتلوا، أينما تكونوا، رحمت، فأتوهن، هزوًا، في ما، ملاقوا، فأت، مرضات، فأذنوا، أولوا، أين ما ثقفوا، تبوىء، سيء، أنما نملي لهم خير، فمال هؤلاء، كل ما ردوا، وأتوا، نعمت، موطوءته، الزنا، الزنى، سوأة، فيما آتاكم، ألا تكون بالرفع، باسطوا، كلمت، فأتنا، أئنكم، اؤمر، وأمر بالعرف، سوآتهما، سوآتكم، ويحيى من، مرجون بالهمز، وطأ، الذي يمحوا، تبلوا، آلان، آلآن، أسوء الكذب، فأتوا، ما صنعواه، بادىء، بادىء، ملاقوا، ءألد، أصلاتك، غيابت، في خطإ، ليكونًا، لاتيئسوا، لا ييأس، استيأس، وأتوني، يمحوا، فأتونا، تفتؤا، لكي لا، إنما عند الله هو خير، ليسوؤوا، خطأً، ثلاث مائة، لثلثمائة، مال هذا، فأتياه، أأمنتم، وأمر، يسوؤهم، فأتوا به، ءأنت، معجزين، مثل ما، ءإنا، أرجعني، دري، فأذن، مال هذا، ءأنتم، ياءا، ، وثمود، فأتيا، فأت، أرجه، ءإن، تراء، وأتوني، ءأشكر، فأتنا أما يشركون، أمن جعل، أمن يجيب، أمن يهديهم، أمن يبدأ، ءإله، أئنا، قرت، ءإنكم، أنما. . . مودةُ، السوأى، فطرت، من ما، وأمر، ءإذا، ناكسوا، مما، سيء العذاب، نجزي بالياء، السيىء، السيء، سنت الأولين، ءأتخذ، ءإنا، لذائقوا، ءأنك، أئفكًا، إل ياسين، فأتوا، ضوؤها، أولوا، وآخر، توعدون بالغيبة، صالوا، فيمن، أنما تدعونني إليه ليس، ينشأ، تشتهيه، كاشفوا، فأتنا، وأسروهم، لا يلتكم بالهمز، ءإذا، العشائين، إنما توعدون لصادق، مثل ما أنكم، بنعمة، عن من، النشأة، ءألقي، مرسلوا، أيه الثقلان، آن، ءأنتم، النشاءة، أين ما كنتم، ءأشفقتم، البارىء، أسوة بكسر الهمزة، برءاء، واتمروا، مرضات، ءأمنتم، أمن هذا، أمن يمشي، ملك كيف تحكمون، طغا، اقرؤوا، فمال الذين، نسلكه بالياء، لن نؤمن لك، ضوؤه، ألن نجمع، تشاؤون، يحيىى، يومئذ شيء يغنيه، لصالوا، ولا يحيى، يؤثرون بالفوقانية، سجى.

(٤) مثل هذه الأوهام كثير في مطبوعات التفسير. ولو تيسر لأحد العلماء أن يتعقب ذلك، فيما صدر حتى الآن، لاجتمع لديه منه مجلد ضخم. فليتق الله رجال النشر ومدّعو الأمانة والتحقيق. هذه مطبوعة دمشقية وقفت عليها مصادفة، فيها من ذلك ما يخص الآيات: ١٠٨ و١٧٧ و١٨٧ و٢٠٤ و٢٤٠ و٢٥٩ و٢٨٣ من سورة البقرة و٧٣ من آل عمران و٣٣ و٥٢ و٨٦ و٩٢ من النساء و٣٠ و٨٧ و١٣٦ و١٥٦ من الأنعام و١٥١ و١٥٧ من الأعراف و٣٠ من التوبة و١٠٢ من يونس و٢٩ من يوسف و٣٤ من الإسراء و٧١ من الحج و١٦ من لقمان و٢ من الأحزاب و٤٨ من الزخرف و٢٥ من الجاثية و٢٧ من الفتح و١٠ من الحديد و٢ من المجادلة و٣ من الجمعة و٢٢ من الملك و٥٠ من ن و١٩ من الحاقة و٥٢ من المدثر و٢٠ من النازعات و٩ من القارعة. كل هذا مع إقحام سجدة قبالة الآية ٤٦ من سورة فصلت، وإسقاط علامتي «نصف الحزب ٤٧» ص ٤٦٧ و«سكتة لطيفة على هاء ماليه» ص ٥٦٧.

=

النموذج ٣٣ من المفصل في تفسير القرآن العظيم : بيان أوهام الرسم للآيات الكريمة

من أشكال موهمة مضللة في الكتابات الخطية المعروفة ، بالإضافة إلى ما يكون في الوثائق والرُّقم وأوراق البَرْدي والعاديّات ، مما يحتاج إلى تخصص متميز وممارسات ميدانية ، تباشر النصوص وتكتشف أساليبها بعيدًا عن تخرصات المستشرقين والمستغربين .

والرسم المعاصر واجب في جميع ما ينقل من التراث ، إلا ما كان من كتابة المصاحف والرسم العروضي وخطوط العاديّات والرُّقم . لقد ذكر العلماء قديمًا أن خطَّيِ المصاحف والعَروض توقيفيان لا يقاس عليهما . ونحن نضيف إليهما خطوط العاديّات أيضًا . فالخط المصحفي يحافظ فيه على الرسم العثماني ، فيما ينقل أو يطبع من المصاحف . أما ما ينقل من الآيات إلى النصوص التراثية ، في كتب للتفسير وغيرها ، فيكون رسمه بالإملاء المألوف بيننا، لتيسير القراءة السليمة بين جميع المطالعين والدارسين والمتعلمين .[1]

وكذلك شأن الكتابة العروضية التي تستخدم لبيان أوزان الشعر وبحوره وقوافيه ، نلتزمها في ميدانها الخاص لما تقدمه من وظيفة علمية مقصودة . والخطوط العاديّة في الآثار والوثائق ترسم بصورتها القديمة أيضًا ، مع مقابلتها بالعبارات الفصيحة والرسم العربي الحديث ، لإجراء الدراسات والبحوث المناسبة .

وفيما ذكرنا من التفصيلات هنا حفاظ على الأمانة ، وتيسير لكل قارئ ودارس وباحث ، والتزام للأصول العلمية المقررة في ميدان التحقيق . ولكنك مع هذا ترى بعض الناشرين لكتب التفسير يترجحون بين الإملاءين ، فيوردون الكثير الكثير من الآيات بالشكل العثماني المقرر ، ونثارًا منها بالشكل المعاصر ، بالإضافة إلى أوهام إملائية متكاثرة متنافرة ، من دون ضابط يجمع بين الأشباه والنظائر ويوحد النهج الواجب اتباعه . ثم تجدهم يضيفون إلى ذينك التناقض والاضطراب أشكالاً غفيرة من الرسم العجيب ، وكأن أيديًا

---

(١) النموذج (٣٤) .

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

١- ﴿انفِرُوا خِفافًا وثِقالًا﴾: نِشاطًا وغيرَ نِشاط - وقيل: أقوياءَ وضُعفاء، أو أغنياءَ وفُقراء. وهي منسوخة بآيةِ «لَيسَ على الضُّعَفاءِ» - ﴿وجاهِدُوا بِأموالِكُم وأنفُسِكُم في سَبِيلِ اللهِ. ذٰلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ٤١ أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلّفوا: ﴿لَو كانَ﴾ ما دعوتَهم إليه ﴿عَرَضًا﴾: متاعًا من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾: سهلَ المأخذ، ﴿وسَفَرًا قاصِدًا﴾: وسَطًا، ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ طلبًا للغنيمة، ﴿ولٰكِن بَعُدَت عَلَيهِمُ الشُّقَّةُ﴾: المسافة فتخلّفوا. ﴿وسَيَحلِفُونَ بِاللهِ﴾، إذا رجعتم إليهم، ﴿لَوِ استَطَعنا﴾ الخُروجَ ﴿لَخَرَجنا مَعَكُم، يُهلِكُونَ أنفُسَهُم﴾ بالحَلِف الكاذب، ﴿واللهُ يَعلَمُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ ٤٢ في قولهم ذلك.

٢- وكان - صلّى الله عليه وسلّم - أذِن لجماعة في التخلّف باجتهاد منه، فنزل عِتابًا له، وقدّم العفو تطمينًا لقلبه: ﴿عَفا اللهُ عَنكَ، لِمَ أذِنتَ لَهُم﴾ في التخلّف؟ وهلّا تركتهم ﴿حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العُذر، ﴿وتَعلَمَ الكاذِبِينَ﴾ ٤٣ فيه. ﴿لا يَستَأذِنُكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾، في التخلّف عن ﴿أن يُجاهِدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم. واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ﴾ ٤٤. ﴿إنَّما يَستَأذِنُكَ﴾ في التخلّف ﴿الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وارتابَت﴾: شكّت ﴿قُلُوبُهُم﴾ في الدِّين، ﴿فَهُم في رَيبِهِم يَتَرَدَّدُونَ﴾ ٤٥: يتحيّرون.

٣- ﴿ولَو أرادُوا الخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أهبةً من الآلة والزاد، ﴿ولٰكِن كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُم﴾ أي: لم يُرد خُروجَهم، ﴿فَثَبَّطَهُم﴾: كسّلهم، ﴿وقِيلَ﴾ لهم: ﴿اقعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ﴾ ٤٦ المرضَى والنِّساء والصِّبيان. أي: قدّر الله - تعالى - ذلك. ﴿لَو خَرَجُوا فِيكُم ما زادُوكُم إلّا خَبالًا﴾: فسادًا بتخذيل المؤمنين، ﴿ولَأوضَعُوا خِلالَكُم﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة، ﴿يَبغُونَكُمُ﴾: يطلبون لكم ﴿الفِتنَةَ﴾ بإلقاء العداوة، ﴿وفِيكُم سَمّاعُونَ لَهُم﴾ ما يقولون سماعَ قَبول. ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾ ٤٧. لَقَدِ ابتَغَوُا الفِتنَةَ﴾ لك ﴿مِن قَبلُ﴾: أوّلَ ما قدمتَ المدينة، ﴿وقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أي:

---

(١) انظر سبب النزول في المفصل. وانفروا: أسرعوا بالخروج لقتال العدو. والخفاف: جمع خفيف. وهو الذي يسهل عليه الجهاد. والثقال: جمع ثقيل. وهو الذي يشتد عليه ذلك. وآية: يعني الآية ٩١. وجاهدوا: ابذلوا أقصى الجهود. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من المتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وفي سبيل الله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. وخير: أنفع. وتعلم: تدرك. والعرَض: ما يحصل بيسر. وهو المتاع أو الزينة. واتبعوك: ساروا معك للقتال. وبعدت: صعب الوصول إليها. ويحلف: يُقسم الأيمان. واستطعنا: قدرنا بقوة أبدان وعدة. ويُهلك: يُتلف لعصيانه. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والكاذب: من يقول غير الحق.

(٢) الجماعة التي أذن لها هي من المنافقين، وذكرُ العتاب يعني أن العفو أُورد قبل العتاب على ترك الأفضل، ليبين أمرهم. فقد كان المعرقون في النفاق قالوا: نستأذنه ونتخلف، إن أذن لنا، وإن لم يأذن. والأصح أن افتتاح الآية بالعفو هنا يعني أنه لاحرج عليه فيما فعل. وهو استفتاح كلام بالدعاء جرت عادة العرب فيه، أن يكون تعظيمًا للمخاطب، كما تقول: أصلح الله الأمير، ورضي عنك وهداك وأكرمك. البحر ٥:٤٧. ولفظ «تطمين» صحيح فصيح. انظر تعليقنا على تفسير الآية ١٢٤ من سورة آل عمران. وعفا عنك أي: أكرمك الله وأحسن إليك. وأذنت: سمحت. ولم أذنت أي: كان الأولى ألّا تأذن، وإن كان لك مباحًا ما فعلت. ويتبين: يظهر بالفعل. وصدقوا: قالوا الحق. وتعلم: تعرف. والكاذب: من يقول بلسانه ما لا أصل له. ويستأذن: يطلب السماح. ويؤمنون: يصدقون قلبًا ولسانًا وعملًا. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. ويجاهدوا أي: يضحوا ويتبرعوا. والمعنى: ليس من عادة المؤمنين الاستئذان في ترك الجهاد دون عذر، لأنهم يبادرون إلى الطاعة دائمًا. واستئذان هؤلاء المنافقين يقتضي التأني في أمرهم لكشف نفاقهم. والأموال والأنفس: انظر الآية ٤١. والعليم: المحيط إحاطة كاملة. والمتقون: الذين يخافون الله فيتجنبون عصيانه ويلزمون طاعته ورضاه. وفي التخلف أي: بدون عذر شرعي. والقلوب: جمع قلب. والريب: الشك. وقد أصبح الاستئذان حينذاك دليل نفاق.

(٣) أرادوا: قصدوا وطلبوا. وأعدوا: هيؤوا وجهزوا. والعُدة: ما يُعَدّ للاستعمال وقت الحاجة. والزاد أي: والنية الخالصة للجهاد. وكره: أبغض. و«لم يرد» تأويل لمعنى: كره، لاتفسير للدلالة اللغوية. ولذلك قدّم له بـ «أي». واقعدوا أي: دعوا الجهاد والزموا التخلف. وذلك أي: قعودَهم مع القاعدين. فليس هناك قول بذلك، لأنه قدرٌ وقع بهم لِما هم عليه من النفاق، إذ ألهمهم الله أسباب الكسل والتخلف. وفيكم أي: معكم. وزادوكم: ضاعفوا ما يثيره ضعاف الإيمان منكم. والخلال: جمع خَلَل. وهو الفُرجة بين الشيئين. والفتنة: الشر والفساد. والسمّاع: الكثير الإنصات والتقبل. وسماع قبول أي: وطاعة وتنفيذ. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة. وانظر آخر الآية ٤٤. والظالم: الذي تجاوز الحق في نيته أو قوله أو عمله. والمراد أن الله محيط بدقائق أمورهم وخفيات صدورهم، فيجازيهم بما يستحقون. وابتغوا: طلبوا. والفتنة: الشر. وقبل أي: قبل هذه الغزوة، حين أثاروا الخصام بين الأوس والخزرج، وحرضوا المشركين واليهود، وانسحبوا في غزوة أحد، وغير ذلك. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن والرأي. وتقليب الأمور: تصريفها وتدبرها للمبالغة في المكر. ولك أي: لأجلك. وجاء: حصل وثبّت. والحق: الشيء الواقع حتمًا لابد منه. وعزّ أي: تغلب وانتصر. والكاره: المبغض المتألم.

النموذج ٣٤ من تفسير الجلالين الميسر : الرسم لقراءة المفسرين مع توزيع في فقر

وعقولاً مختلفة هي التي نقلت نص الآيات الكريمة في كتاب واحد .[١]

ثم إن الآيات الكريمة في المصاحف يجب أن ترسم بحسب القراءة التي اختارها المفسر فيما تلقاه وأدّاه بقصد ووفاء . ولا يجوز التدخل في ذلك بتغيير أو تبديل ، لأن للقراءات أصولها المعتبرة ، وهي نصوص توقيفية مقدسة . ولكننا على الرغم من ذلك نجد بعض الناشرين يجهلون واجبهم في النقل والضبط ، ويتحكمون في رسم الآيات ، لأنها تخالف ما ألفوه من قراءة معيّنة . وقد صرح واحد من أولئك بأنه تصرف في قراءة الجلالين ـ وعمودها على رواية أبي عمرو بن العلاء ـ ليثبتها على قراءة حفص .[٢]

ولقد أساء هذا الناشر مرتين : أولاهما حين أقحم نفسه في النص ، فأزال منه كثيرًا من القراءات التي أدّاها الجلالان ، وأدخل فيه ما ليس منه زورًا وبهتانًا . والثانية أنه جمع في التفسير بين القراءات وعبارات الشرح المخالفة لها . فقد بنى الجلالان تفسيرهما على ما أدّيا من لفظ قرآني خاص بما كان لديهما في التلقي والنقل ، فجاء هذا المتنطع ليقدم متناقضات متنافيات في كتاب له حرمته وقيمته في العلم والتاريخ .

ولو رجع هو وأمثاله إلى ما نُشر ، من ((تفسير الجلالين)) في مكتبة البابي الحلبي ،[٣] لوجدوا في مستهله نصًّا صريحًا بأن قراءة الشيخين تخالف ما جاء عن حفص . فقد وجب اتّباعها في الرسم أداء للأمانة ، وتمثيلاً للتوافق والانسجام بين الآيات وتفسيرها . ولكن غفل عن ذلك سائر الناشرين لهذا لكتاب الكريم ، فكان في كل طبعة مما قدموه للناس مئات

---

(١) انظر تفسير الجلالين الميسر ص (ف) من مقدمة التحقيق ، وخطبة المحقق للمفصل في تفسير القرآن العظيم ص ١٨ و ١٩ .

(٢) انظر تفسير الجلالين ص ٥ ـ ٦ من مطبوعة دار العلم للملايين و ص (ي و س) من مقدمة تفسير الجلالين الميسر والنموذج ٣٢ فيما مضى .

(٣) النموذج ٣٢ فيما مضى .

الأوهام والأخطاء والتصرفات الشخصية في إيراد الآيات الكريمة . ولذلك وتنفيذًا لأصول التحقيق ، ووجدتني ألتزم واجبات الأمانة والعلم فيما نشرت من : تفسير الجلالين الميسر ، والمفصل في تفسير القرآن العظيم .

وأدهى مما كان لدى أولئك المتحذلقين وأمرّ أن الكثيرين ، من الناشرين لكتب التفسير اليوم ، فتنهم ما غُذّيتْ به أجهزة الكِبتار ((الكمبيوتر)) من نص قرآني بالخط العثماني ، فاتخذوه عمدة فيما يُصدرون من التفاسير لتجنب الخطأ في الرسم ، معجبين بعملهم هذا ، وجاهلين أن لكل مفسر قراءة أو قراءات خاصة ، قد تخالف ما سُجّل هناك .

وبناء على ذلك راحوا يثبتون في متون تلك المصنفات رسم الآيات نقلاً من الأجهزة ، وفي كثير منها خلاف ما أدّاه المؤلفون وأثبتوه بأقلامهم . وبهذا خالف الناشرون أصول علم التحقيق في مئات المواقع من الكتاب الواحد ، وقدموا تفسيرًا لقراءات تباين مضمونه ومقاصده ، مما يُشعر القارئ بالتناقض والإحالة والاضطراب . فهم يفسدون الأعمال بعُجب وجهل ، ظانين أنهم يحسنون صنعًا .

ثم لا مفرّ عند نقل النص التراثي من الخبرة الكافية في علوم : القرآن والحديث والمعجمية والصرف والإعراب والبلاغة والعروض والأدب والتاريخ والتراجم والبلدان والفقه والحضارة عامة ، ولا سيما العلم الخاص بالنص نفسه ، مع ما فيه من مصطلحات ومفاهيم وأساليب وتوجهات.[1] فالإتقان لهذه وتلك يزيل أوهام القراءة للنسخ المخطوطة، ويتناول العبارات والمفردات والتراكيب بوفاء لما تحمله ، فينقلها بما فيها من مضامين وإشارات وظلال وأصداء . وإلاّ كان الرجم بالغيب ، والظنون المقحمة ، والضلال والأباطيل ، وتعمية المقاصد الفكرية والجمالية بأوهام وترّهات .

---

(١) النموذج ٣٥ .

أيُثْبَتُ ما زِدتُم ، وتُلقَى زِيادتي ؟ دَمِي ، إن أُسيغَتْ هذهِ ، لَكُمُ بَسلُ (١)

قال أبو الحَسنِ : ويُروى : « أُجِيزَتْ » (٢) و « أُحِلَّتْ » . أي : حَلالٌ . (٣)

= والكتاب : القرآن الكريم ، معطوف على لفظ الجلالة منصوب بالعطف ، وأل : عهدية ذهنية . والذي : اسم موصول مبني على السكون ، وهو وحده ، بدون الصلة خلافًا لما يزعمه بعض المعربين ، في محل نصب صفة للكتاب . وأل : زائدة لازمة للتزيين اللفظي ، أدغمت لامها في اللام الثانية إدغامًا صغيرًا واجبًا . وتتلو : تقرأ وترتل ، فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة ، وزنه : تَفْعُلُ ، وأصله « تَتْلُوُ » استثقلت الضمة على الواو فسكنت . والفاعل : ضمير مستتر وجوبًا تقديره : أنتَ . والضمير العائد على الاسم الموصول محذوف ، أي : تتلوه . والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .

(١) الهمزة : حرف استفهام معناه الإنكار التوبيخي ، للتبكيت والتعجب في الفعلين التاليين . ويثبت : يُقرّ ويُنفذ . وفيه حذف همزة الجعل والتعدية ، كما ذكرنا في : يُقويا . وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع ، عُبّر به عن الماضي لإنكار استمرار مضمونه . وفي الأضداد والأمالي : « أيُثْبَتُ » وما سجلناه أولى لموافقة الفعل التالي بعده . وما زدتم أي : ما أضفتموه إلى أنفسكم وإلى أصحابكم . وفي الفعل ما في « يثبت » من التعبير عن الماضي وإنكار الاستمرار أيضًا . وما : اسم موصول لغير العاقل مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل ، وحده من دون الصلة . والجملة استئنافية ضمن قول الشاعر . وزدتم وزنه : فِلْتم ، أصله « زَيَدَ » ولما اتصل بضمير رفع متحرك نقل من : فَعَلَ ، إلى : فَعِلَ ، فصار : زَيِدْتُم . نقلت حركة الياء إلى ما قبلها ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين . والجملة صلة الموصول حذف منها الضمير العائد أيضًا ، أي : زدتموه .

والواو : حرف عطف لمطلق الجمع . وتلقى : تطرح وتهمل ، فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة ، حذفت منه همزة الجعل أيضًا . وبين « يثبت وتلقى » طباق في المعنى . وزيادتي : نائب فاعل مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف . وبينها وبين « زدتم » جناس اشتقاقي . والجملة معطوفة على الجملة الاستئنافية قبل . والدم : سائل أحمر يجري في الشرايين والأوردة ، ماء للحياة حين يكون صافيًا . ووزن دم : فَعٌ ، أصله « دَمْيٌ » مصدر وزنه : فَعْلٌ ، بمعنى اسم الفاعل للمبالغة فعله : دَمِيَ ، أي : سالَ ، حذفت منه الياء نسيًا للتخفيف ، وعُبّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ودمي : مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة ومضاف . والخبر : بسل . والجملة استئنافية ختامًا للقول .

وإن : حرف شرط جازمٌ يفيد عدم التيقن في المستقبل . وأسيغ : أُجيز وأُبيح . وزنه : أُفْعِلَ ، وأصله « أُسْوِغَ » والهمزة مزيدة للجعل والتعدية ، أعل حملاً على المجرد ، فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها ، وقلبت الواو ياء لسكونها بعد كسر . وهو فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم بـ « إن » . والتاء : حرف تأنيث . وها : حرف زائد لتوكيد التنبيه ، حذفت ألفه في الرسم اصطلاحًا . وذه : اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع نائب فاعل . والجملة جملة الشرط غير الظرفي لا محل لها من الإعراب . وجواب الشرط محذوف لدلالة ما حوله عليه ، أي : فهو لكم بسلٌ . وفي هذا توكيد بتكرار الجملة مذكورة ومقدرة . والفاء : رابطة لجواب الشرط تفيد توكيد السببية والتعقيب والترتب . والجملة المقدرة في محل جزم جواب الشرط . والجملة الشرطية في محل نصب حال مقدمة عن الضمير المستتر في « بسلٌ » ، تفيد المبالغة في التوكيد لعاملها . واللام : للتعليل تتعلق بـ « بسل » .

(٢) جملة قال أبو الحسن : توكيد وبيان لنظيرتها من قبل . وأجيزت : مثل أسيغت .

(٣) هذا التفسير لأبي زيد ومن النوادر . وأحل وزنه : أُفْعِلَ ، والهمزة مزيدة فيه للجعل والتعدية . أصله « أُحْلِلَ » نقلت حركة اللام الأولى إلى الساكن قبلها ، وأدغمت اللام في الثانية . وهو إدغام كبير واجب . وحلال : تفسير لـ « بسل » في آخر بيت الشاعر . فهو بدل منه . ويروى أجيزت وأحلت : اعتراض بينهما . وحلال : مصدر بمعنى الصفة المشبهة لتوكيد المبالغة فعله : حَلَّ . وسقط « قال . . . أحلت » من ك وش .

قال عبدُ اللهِ بنُ هَمّامٍ :[١]

زِيادَتَنــا ، نُعمــانُ ، لا تَحـرِمَنَّنــا تَـقِ اللهَ فِينا ، والكِتابَ الَّذي تَتلُو[٢]

---

(١) شاعر إسلامي أموي ، سَلُولي من بني مُرّة بن صعصعة من قيس عيلان ، أدرك عهد سليمان بن عبد الملك ، وكان يقال له من حسن شعره : العَطّار . وهمام : مثل بسّام . والسلولي : المنسوب إلى سَلُول . وهي جدة من جداته بنت ذُهل بن شيبان ، غلبت على بني مرة في النسب . وهو مبالغة اسم الفاعل من مصدر : سَلٍّ ، عُبِّرَ به عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . وزعم ابن جني أنه اسم مرتجل لايعرف أصله . المبهج ص ١٢٩ و١٩١ وطبقات فحول الشعراء ص ٥٩٣ و٦٢٥ ـ ٦٣٧ والشعر والشعراء ص ٦٣٣ ـ ٦٣٤ والأغاني ١٤ : ١١٥ ـ ١١٦ والسمط ص ٦٨٣ والخزانة ٣ : ٦٣٨ ـ ٦٣٩ والأنساب ٣ : ٢٨٢ .

والبيتان من إنشاد القالي عن ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي زيد ، في الأمالي ٢ : ٢٧٩ . فهما من نوادر أبي زيد وإنشاده أيضًا ، ومن قصيدة يشكو فيها الشاعر إلى معاوية ظلم النعمان بن بشير والي الكوفة في دفع حقـوق أهل الديوان من الرواتب . انظر ص ٧٢ من ب والأغاني ١٤ : ١١٦ والإتباع ص ٥ وتهذيب إصلاح المنطق ص ٢٨ والخصائص ٢ : ٢٨٦ وسر الصناعة ص ١٩٨ وأضداد السجستاني ص ١٠٤ وابن الأنباري ص ٦٣ وأبي الطيب ص ٣٤ ـ ٣٧ والسمط ص ٩٢٣ وشرح الشافية ١ : ٢٠٥ وشرح شواهده ص ٢٩٦ والصحاح واللسان والتاج (بسل) و(وقي) .

(٢) البيتان من البحر الطويل ، والقافية من المتواتر مجردة مطلقة موصولة بمدّ هو الواو ، ورويها اللام . الوافي ص ٣٧ و١٩٨ وكتاب القوافي ص ١١ ـ ١٢ والقسطاس في علم العروض ص ٧٠ . والزيادة : عشرة دنانير كان معاوية أمر والي الكوفة النعمان بن بشير أن يضيفها إلى أُعطيات المستحقين من أهل الكوفة ، وكان النعمان عثمانيًّا يبغض بعضهم فلم يُنَفِّذها لهم ، وأنفذها للآخرين . ولما كلموه في ذلك زجرهم ، فشكوا أمرهم إلى معاوية على لسان الشاعر . والبيتان في محل نصب مفعول به لـ « قال » .

وزيادة : مفعول به ثان لفعل محذوف يفسره المذكور ، على سبيل الاشتغال ، لأن الفعل المؤكَّد لا يعمل فيما قبله . انظر الكتاب ١ : ٤٢ ـ ٤٧ والمقتضب ٢ : ٧٦ و٢٩٩ و٣ : ١٧٦ وشرح المفصل ٢ : ٣٧ والبسيط ص ٦١٦ ـ ٦٦٠ وشرح شواهد الشافية ص ٤٩٧ . أي : لاتحرمنّنا زيادتنا لاتحرمنّنا إياها . والجملة الأولى ابتدائية في القول ، والثانية تفسيرية لا محل لها من الإعراب تفيد التوكيد . والزيادة : مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله : زِيدَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ونعمان : منادًى مفرد علم بحرف هو « يا » محذوف للمبالغة في التنبيه والنداء للبعيد ، مبني على الضم في محل نصب . والجملة فعلية اعتراضية . ونعمان : صفة مشبهة تفيد المبالغة مشتقة من النعمة مصدر : نَعِمَ ، عُبِّرَ بها عن الاسم العلم لتوكيد المبالغة . انظر المقاييس ٥ : ٤٤٦ ـ ٤٤٧ والاشتقاق ص ١٣٧ .

ولا : طلبية للنهي حرف جازم . وتحرمنّ : تمنعنّ ، فعل مضارع ينصب مفعولين مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ، وفي محل جزم . والنون المشددة : حرف للمبالغة في التوكيد وإخراج مضمون الفعل عن الحال ، أدغمت نونه الأولى في الثانية . ونا : ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول . والثاني محذوف لدلالة ما قبله عليه . وهذا يعني أنه بين الجملتين احتباك . وتق الله أي : تجنب غضبه والزم طاعته . والفعل أمر مبني على حذف حرف العلة . ولفظ الجلالة : مفعول به منصوب ، وأل : زائدة لازمة للتزيين اللفظي والتعظيم . وهو على وزن : العالّ ، أصله « إلاه » على وزن : فعال ، بمعنى اسم المفعول للمبالغة من مصدر : أَلِهَ ، أي : عُبِدَ ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة . ثم حُلِّيَ بـ « أل » ، فأدغمت اللام الأولى في الثانية ، وبقيت اللام الأولى في الرسم اصطلاحًا ، للتعبير عن الاسم العلم المعظم ، وحذفت الألف منه في الرسم . ولامه الثانية تفخَّم في اللفظ أصلاً ، وترقّق إذا كان قبلها كسرة كما هنا ، إذ لا تجوز فيها الإمالة حفاظًا على القدسية والتعظيم ، وخلافًا لسائر الأسماء . وفينا أي : بسبب حقوقنا ، متعلقان بالفعل قبلهما .

٣ ـ التوزيع الفني :

ويضاف إلى هذا أن نقل النص المذكور يتطلب توزيعًا يناسب موضوعه مع مراعاة نهج صاحبه . فالواجب يحتم علينا احترام التقسيمات التي وضعها المؤلف لكتابه ، من أبواب[(١)] وفصول وفروع وأشكال ورسوم وجداول وحقول ورموز ومعادلات . . . ومعنى هذا ألاّ نتدخل في هيكلية النص ، مادام الأمر يسير بوضوح وبيان وانتظام ، وإذا حصل اقتضاء للتدخل كان خفيفًا يساهم في حركة الفكر ، ولا يعرقل مراحل المتابعة والاسترسال .

وخير ما نذكره هنا تلك الجهود الكريمة التي قدمها علماؤنا الأجلاّء ، لتدوين القرآن العظيم في مصاحف . فقد حافظوا على تنسيقه ، كما جاء في المصاحف العثمانية الشريفة ، ثم فصلوا بين السور بذكر اسم كل منها قبل بدئها ، ووضعوا أرقامًا لها متتابعة فكانت في ١١٤ سورة ، مع أرقام داخلية خاصة لعدد الآيات في كل منها . وأضافوا إلى ذلك تقسيم النص القرآني إلى أحزاب وأجزاء وأرباع وأعشار وأخماس ، بإشارات وعلامات في الهامش أو المتن،[(٢)] لا تخل بالنسق الرباني الكريم ، حتى إنه ليكاد لا يشعر بها القارئ .

وقد يَضطَرُّك النص إلى التدخل في التقسيم ، لتُقحم بعض عناوين أساسية أو فرعية داخلية ، تفصل الأقسام المتباينة الكبرى بعضها عن بعض . وهذا ما يقدمه لك أمثال كتاب ((الوافي في العروض والقوافي)) ، من فصل بعبارات عنونة بين كل من : العِلمين ، وعيوب الشعر ، وما تجب معرفته من صنعة الشعر ، وبين كل من : الدوائر العروضية ، وأبواب البحور ، وألقاب العروض .

وقد يتطلب توزيع النص وضع عناوين كثيرة أو قليلة تبين أقسامه و تفرعاته ، إذا كان المصنف قد أغفل ذلك ، وتدفقت موضوعاته كثيرة الصفحات متلاحقات الأجناس

---

(١) النموذج ٣٦ .

(٢) انظر المساعد على بحث التخرج ص ٧٨ ـ ٩٠ .

فهرست تهذيب اصلاح المنطق

١ فَعْل

٢ فِعْل

٣ فُعْل

٤ فَعَل

٥ فُعُل

٦ فِعَل

٧ فَعِل

٨ فَعُل

٩ فِعِل

١٠ فُعَل

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨ فِعلال وفُعلول

١٩ فِعال

٢٠ فُعال

٢١ الفَعال

٢٢ فَعال وفَعيل

٢٣ فَعيل وفُعال وفِعال

٢٤ فُعود فِعال فُعول فَعال

٢٥ فُعالة فُعولة

٢٦ فِعالة

٢٧ فَعالة

٢٨ فُعالة

٢٩ فَعلة

٣٠ فِعلة

٣١ فُعلة

٣٢ فَعَلة

٣٣ فُعُلة

٣٤ مَفعُلة

٣٥ مَفعِلة

٣٦ مَفعَلة

النموذج ٣٦ـأ من تهذيب إصلاح المنطق : فهرس أبواب الكتاب في النسخة المخطوطة

٣٧ مُفْعَل

٣٨ مُفْعَل

٣٩ ما يفتح ويكسر من حروف مختلفة

٤٠ فُعْل

٤١ ما يضم ويفتح من حروف مختلفة

٤٢ ما يضم ويكسر من حروف مختلفة

٤٣ ما يقال بالواو والياء من ذوات الثلاثة

٤٤ ما يقال بالواو والياء من بنات الاربع

٤٥ ما [illegible] فعلت وفاعلت

٤٦ ما يهمز [illegible]

٤٧ ما يهمز فيكون له معنى ولا يهمز فيكون له معنى آخر

٤٨ ما جاء من الاسماء بالفتح

٤٩ ما جاء مضموما

٥٠ ما يفتح اوله ويكسر ثانيه

٥١ ما يكسر اوله ويرفع ثانيه

٥٢ [illegible]

٥٣ ما يفتح اوله وثانيه [illegible] ثانيه

٥٤ ما يسكن [illegible] ما تحركه العامة [illegible]

٥٥ ما يشدد

٥٦ ما يخفف

٥٧ ما يتكلم فيه بالصاد [illegible] بالسين [illegible]

٥٨ ما يتكلم فيه [illegible] بالياء والواو [illegible]

٥٩ ما جاء على فعلت [illegible] ما تكسره العامة [illegible]

٦٠ [illegible]

٦١ ما جاء على فعلت

٦٢ ما جاء على فعال

٦٣ [illegible]

النموذج ٣٦ ـ ب من تهذيب إصلاح المنطق : فهرس أبواب الكتاب في النسخة المخطوطة



النموذج ٣٦ ـ ج من تهذيب إصلاح المنطق : فهرس أبواب الكتاب في النسخة المخطوطة

والأنواع والأصناف والتفرعات . وفي هذه الحال ، نضيف ما يفرضه علينا العمل من عبارات ، بين أقواس معقوفة تميزها من مضمون الكتاب . وهذا ما تراه في مثل كتاب ((الممتع الكبير)) ، من عناوين فرعية في ص ٥١ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٧١ و ٩٢ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٨ و ١١٢ و ١١٣ ، لأن موضوع هذه الصفحات وما حولها مديد جدًّا ، تتقطع أنفاس من يتابعه ، وتتعذر الإحاطة به دُفعة واحدة ، ولا بد من محطات ذهنية يلتقط فيها القارئ أنفاسه قبل المتابعة والاتصال .

على أن ذلك يقتضي أن تجعل للعناوين درجات ، في اختيار المواضع والحروف المناسبة لمكانتها من التوزيع الهيكلي للنص . وهذا يعني تدرجًا في صغر الحروف وكثافتها ، وفي توضع العبارات وتوزعها . فللرئيسية وسط الصفحة بحرف غليظ ، وللفرعية حرف أصغر في يمين الصفحات ، ولتفرعاتها ما هو أدق ، مع مراعاة أن يكون للنص نفسه حرف يناسب تلك الدرجات ويتميز عنها ، في نثره وشعره وآياته وأحاديثه واقتباساته أيضًا .

ولا يغب عن ذهنك أن كل نص أو مؤلَّف له ما يناسبه ، من التوزيع بين الصفحات، في فقر وسطور وعبارات . فالكتاب قد يكون ذا سور ونصوص قرآنية أو نبوية ، أو وجوه وجمل ، أو أبواب وفُصول ، أو قصائد ومقطعات ، أو تراجم ومعلومات ، أو أخبار وروايات، أو تعريف بالبلدان والأماكن والألفاظ والتراكيب ، أو موضوعات متسلسلة أو متفرقة في الفنون والعلوم والفلسفة . ولا مفر من مراعاة طبيعة هذه المواد التراثية المختلفة ، في توزيع التقسيمات والفقرات والعبارات .

أما كتاب التفسير فيوزع نصه تبعًا لسوره ، ثم يكون توزيع المضمون لكل سورة بحسب ارتباط آياتها في موضوعات فرعية متمايزة ، ليشعر القارئ بوحدة الجزئيات المكونة لكل موضوع منها ، وبتسلسل الفرعيات ضمن الموضوع العام الجامع لها . غير أنك إذا تصفحت ما نشره الزملاء الكرام ، من طبعات غفيرة لـ ((تفسير الجلالين)) مثلاً ، وقفت فيها على العجب العجاب . فالنص التفسيري لديهم يكون له ضربان من التقسيم :

إما أن يوزع مِـزَقًا متفرقة مع كل آية تفسيرها على حدة ، مع ختمه بنقطة ، كأن القرآن العظيم هو مجموعة آيات لا صلة بينها في النظم الكريم .[١] وإما أن تورد صفحات الكتاب كله في فقرة واحدة ،[٢] لا يفصل بينها إلا أسماء السور وما يلحق بها ، مع تقحمات من الأقواس المختلفة والتعليقات والحواشي المتقطعة التي لا صلة لها بعبارات المتن في الصفحات نفسها . وفي كلتا الحالين إجحاف واعتساف وتضليل .

ثم إن الكتاب الذي يقوم على أبواب ، وكل منها يسير في نسق تعبيري متميز متصل ، توزع أبوابه توزيعًا داخليًّا تحت أرقام تشمل الكتاب كله ، دون أن يخل ذلك بترابط أجزاء الكلام ، أو يجعله مِـزَقًا وأشلاء مبعثرة ، وعبارات متمايزة متباعدة . وإنك لترى خلاف ما يقرره النهج القويم كثير الشيوع في النصوص التراثية ، من أمثال مطبوعة ((الرسالة)) للإمام الشافعي بدار الفكر ، و ((طبقات فحول الشعراء)) لابن سلاّم .

وكذلك شأن الـمصنَّف على المجالس والأقسام والأبواب والفصول والقصائد والمقطعات والأبيات والتراجم ، يميز بعضها من بعض في النقل للتحقيق ، ويعطى كل منها أرقامًا متسلسلة تبين نسقها ومكانتها في سياق الكتاب . وهذا تلقى بعضه في نحو : كتاب الألفاظ ،[٣] والجمل في النحو ، والجنى الداني ، وإصلاح المنطق ، وشرح اختيارات المفضل ،[٤] وشعر الأخطل ، وشرح شعر زهير ، وشرح المعلقات العشر ، وشرح الملوكي في التصريف ، والإيضاح في شرح سقط الزند وضوئه .

ولنا أسوة حسنة فيما جاء عن أجدادنا العلماء ، إذ كان بعضهم يسجل أرقامًا قليلة

(١) النموذج ٣٧ .

(٢) النموذج ٣٨ .

(٣) النموذج ٣٩ .

(٤) النموذج ٤٠ .

٧٥ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ . ٧٦ ﴿متكئين﴾ أي: أزواجهن وإعرابه [حال] كما تقدم [في الآية « ٥٤ »، أي: يتنعمون متكئين] ﴿على رفرف خضر﴾ جمع « رفرفة » أي: بسط أو وسائد ﴿وعبقري حسان﴾ جمع « عبقرية » أي: طنافس، [و « عبقري » منسوب إلى « عبقر »، قرية في اليمن ينسج فيها بسط منقوشة]. ٧٧ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ . ٧٨ ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [للمؤمنين بأنعمه تعالى عليهم، كما] تقدم[1] ، ولفظ « اسم » زائد .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سورة الواقعة مكية وآياتها ست وتسعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَـٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ

﴿ سورة الواقعة ﴾

(مكية، إلا « أفبهذا الحديث » الآية، و « ثلة من الأولين » الآية
وهي: ست أو سبع أو تسع وتسعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة .

٢ ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ نفس تكذب، بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا .

٣ ﴿خافضة رافعة﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة .

٤ ﴿إذا رجت الأرض رجاً﴾ حركت حركة شديدة .

٥ ﴿وبست الجبال بساً﴾ فتتت .

٦ ﴿فكانت هباء﴾ غباراً ﴿منبثاً﴾ منتشراً، و « إذا » الثانية بدل من الأولى .

٧ ﴿وكنتم﴾ في القيامة ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿ثلاثة﴾ .

٨ ﴿فأصحاب الميمنة﴾ وهم الذين يؤتون [أي: يعطون] كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره [ما أصحاب الميمنة] تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة .

٩ ﴿وأصحاب المشأمة﴾ أي: الشمال، بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿ما أصحاب المشأمة﴾ تحقير لشأنهم بدخول النار .

١٠ ﴿والسابقون﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء [والسابقون إلى الإيمان من كل أمة]، مبتدأ .

---

[١] قوله: « تقدم »، أي: تقدم معنى هذه الآية في تفسير الآية « ٢٧ » من هذه السورة ص ٧١٠، أما « تبارك الله » فمعناه: ثبت ودام إنعامه .

النموذج ٣٧ من قرة العينين : تقطيع النص القرآني وإدماجه بدون وعي

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (٣) قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم (٤) بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (٥) ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦) وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧) وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩) لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠)

﴿ سورة الأنبياء ﴾

[مكية وهي مئة واثنتا عشرة آية

نزلت بعد سورة إبراهيم].

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿ اقترب ﴾ قرب ﴿ للناس ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿ حسابهم ﴾ يوم القيامة ﴿ وهم في غفلة ﴾ عنه ﴿ معرضون ﴾ عن التأهب له بالإيمان. [٢] ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ شيئاً فشيئاً أي لفظ قرآن ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يستهزئون. [٣] ﴿ لاهية ﴾ غافلة ﴿ قلوبهم ﴾ عن معناه ﴿ وأسروا النجوى ﴾ الكلام ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من واو (أسروا النجوى) ﴿ هل هذا ﴾ أي محمد ﴿ إلا بشر مثلكم ﴾ فما يأتي به سحر ﴿ أفتأتون السحر ﴾ تتبعونه ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ تعلمون أنه سحر. [٤] ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ ربي يعلم القول ﴾ كائناً ﴿ في السماء والأرض وهو السميع ﴾ لما أسروه ﴿ العليم ﴾ به. [٥] ﴿ بل ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿ قالوا ﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿ أضغاث أحلام ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿ بل افتراه ﴾ اختلقه ﴿ بل هو شاعر ﴾ فما أتى به شعر ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ كالناقة والعصا واليد، قال تعالى: [٦] ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية ﴾ أي أهلها ﴿ أهلكناها ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ لا. [٧] ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي ﴾ وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿ إليهم ﴾ لا ملائكة ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد. [٨] ﴿ وما جعلناهم ﴾ أي الرسل ﴿ جسدا ﴾ بمعنى أجساداً ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾ بل يأكلونه ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ في الدنيا. [٩] ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ بإنجائهم ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ المُصَدِّقين لهم ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾ المكذبين لهم. [١٠] ﴿ لقد أنزلنا إليكم ﴾ يا معشر قريش ﴿ كتابا فيه ذكركم ﴾ لأنه بلغتكم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتؤمنون به.

جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه وأبطأ رجال من المنافقين وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع ﴾ إلى قوله ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾.

أسباب نزول الآية ٦٣ قوله تعالى: ﴿ لا تجعلوا ﴾ الآية. أخرج أبو نعيم في «الدلائل» من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد! يا أبا القاسم! فأنزل الله: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ فقالوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله!.

﴿ سورة الفرقان ﴾

أسباب نزول الآية ١٠ قوله تعالى: ﴿ تبارك الذي إن شاء ﴾ الآية. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير وابن أبي حاتم عن خيثمة قال: قيل

النموذج ٣٨ من تفسير الجلالين: إدماج الآيات الكريمة بدون وعي

١٣٤

باب الغؤور في العين

١ يقال: غارتْ عينُه تَغورُ غُؤورًا[١]. قالَ العجّاجُ[٢]:

* كأنَّ عينَيهِ، مِنَ الغُؤورِ *

وقد قَدَّحتْ عيناه. ويقالُ: خيلٌ مُقدَّحةٌ، ممّا لم يُسمَّ فاعلُه، إذا كانت ضَوامرَ غَوائرَ العُيونِ. قالَ: كأنّها لَما ضَمَرتْ فُعِلَ بها ذلك[٣]. قالَ زُهيرٌ[٤]:

وعَزَّتْها كَواهِلُها، وكَلَّتْ
سَنابِكُها، وقُدِّحتِ العُيونُ

وقد حَجَلتْ عينُه وحَجَّلَتْ أيضًا[٥]، فهيَ حاجِلةٌ. وأنشدَ الأصمعيُّ[٦]:

فتُصبِحُ حاجِلةً عَينُهُ
لِحِنوِ استِهِ، وصَلاهُ، غُيُوبُ

وقد هَجَّجَتْ عيناهُ. قالَ العجّاجُ[١]:

* إذا حِجاجا مُقلتَيها هَجَّجا *

وقالَ الأصمعيُّ: قالَ الخُسُّ لابنتِهِ: بِمَ تَعرِفينَ مَخاضَ ناقتِكِ؟ قالتْ: أرَى العينَ هاجًّا، والسَّنامَ راجًّا، وأراها تَفاجُ ولا تَبولُ. وهوَ أن تُفَجِّجَ بينَ رِجلَيها.

٢٣٤ وقد دَنَّقَتْ عيناه. وحكَى لنا أبو عمرٍو: ونَقنَقتْ عيناه. وحكَى ابنُ الأعرابيِّ: تَقتَقَتْ عيناه[٢]، بالتّاءِ، والأوّلُ بالنّونِ وهوَ أصحُّ[٣].

ويقالُ: عينٌ غائرةٌ، وعينٌ خَوصاءُ[٤]. ويقالُ: بئرٌ خَوصاءُ[٤]، إذا غارَ ماؤها.

(١) في الأصل: غوورًا.
(٢) ديوانه ١: ٣٤٦ والتهذيب ص ٦٢٢. يصف بعيرًا. وفي الأصل: الغوور.
(٣) في الأصل: فعل ذلك بها.
(٤) ديوانه ص ١٥٦ والتهذيب ص ٦٢٣. يصف الخيل المجهدة. وعزتها: صارت أرفع شيء فيها. والكواهل: جمع كاهل. والسنابك: جمع سنبك. وهو مقدم الحافر.
(٥) سقط «وحجلت أيضًا» من خ.
(٦) لثعلبة بن عمرو. شرح اختيارات المفضل ص ١١٣٢ والتهذيب ص ٦٢٣. يصف فرسًا. والحنو: المنعطف. والاست: الدبر. والصلا: ما يكتنف أصل الذنب. والغيوب: جمع غيب. وهو الحفرة. خ: فيصبح.

(١) ديوانه ٢: ٤٩ والتهذيب ص ٦٢٤. يصف ناقة. والحجاج: العظم تحت الحاجب.
(٢) سقطت من خ.
(٣) سقط «وهو أصح» من خ.
(٤) خ: «حوصاء».

النموذج ٣٩ ـ أ من كتاب الألفاظ : توزيع الأبواب والفقرات والتعليقات

باب الدَّمع

يقال: دَمَعَتْ عينُه تدمَعُ دَمْعًا، وذَرَفَتْ[١] تَذرِفُ ذَرِيفًا، وبَكَتْ تَبكِي بُكاءً وبُكًى، ووَكَفَتْ تَكِفُ وَكِيفًا، وهَمَتْ تهمِي هَمْيًا، وهَمَعَتْ تهمَعُ [هَمْعًا]،[٢] وسَجَمَتْ تَسجُمُ سَجْمًا، واستَهلّتْ تَستَهِلُّ استهلالًا. قالَ أوسُ بنُ حَجَرٍ[٣]:

لا تَحزُنِينِي، بالفِراقِ، فإنَّنِي
لا تَستَهِلُّ، مِنَ الفِراقِ، شُؤُونِي

والشُّؤونُ: مَواصِلُ قبائلِ الرّأسِ[٤]. ومنها يَجيءُ الدّمعُ[٥]. قالَ الأصمعيُّ: وأصلُ الاستهلالِ: شِدّةُ وقعِ المطرِ. وقد سَحَّتْ تَسِحُّ سَحًّا. قالَ امرؤُ القيسِ[٦]:

فسَحَّتْ دُموعِي، في الرِّداءِ، كأنَّها
كُلًى، مِن شَعِيبٍ، ذاتُ سَحٍّ وتَهتانِ

وقد هَمَلَتْ عينُه تَهمُلُ هَمْلًا وهَمَلانًا، وانحَلَبَتْ تَنحلِبُ انحلابًا. قالَ العجّاجُ[١]:

يا صاحِ، هَل تَعرِفُ رَسمًا مُكْرَسا؟
قالَ: نَعَمْ، أعرِفُهُ، وأبلَسا
وانحَلَبَتْ عَيناهُ، مِن فَرطِ الأسَى[٢]

وارفَضَّتْ تَرفَضُّ ارفضاضًا. وهوَ تفرُّقُ الدّمعِ. قالَ الشّاعرُ[٣]:

* فارفَضَّ دَمعُكَ، فَوقَ ظَهرِ المِحمَلِ *

وأسبَلَتْ تُسبِلُ إسبالًا[٤]، وغَسَقَتْ تَغسِقُ غَسْقًا، وفاضَتْ تَفِيضُ فَيضًا، وأخضَلَتْ تُخضِلُ إخضالًا: إذا بَلّتْ بدمعِها. يقالُ: بَكَى حتّى أخضَلَ لِحيَتَه. قالَ الرّاجزُ[٥]:

* ولَيلةٍ، ذاتِ نَدًى مُخضِلِّ *

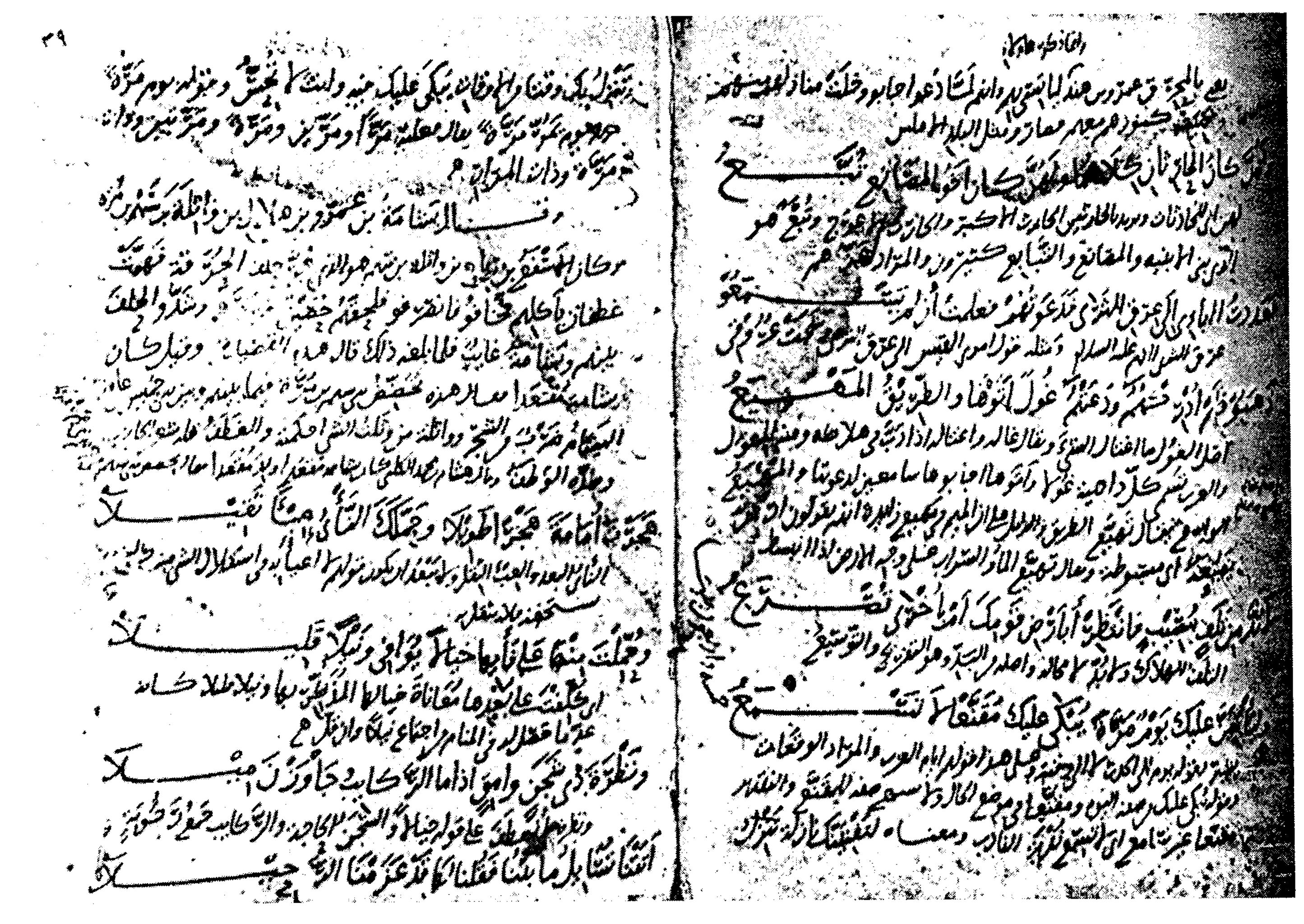
وقد سَرِبَتْ تَسرَبُ. ويقالُ هذا في المَزادةِ والقِربةِ والإداوةِ.

---

(١) ب: وذرفته.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) ديوانه ص ١٢٨ والتهذيب ص ٦٢٥.
(٤) قبائل الرأس: عظامه التي يتصل بعضها ببعض.
(٥) فوقها في الأصل: «ع» أي: عن أبي العباس. وفي الحاشية: «تجيء المدامع». وفوقها: «صح في الأصل». يعني نسخة البطليوسي التي يعارض بها الناسخ.
(٦) ديوانه ص ٩٠ والتهذيب ص ٦٢٥. والكلى: الرقع تكون في أصول عرا المزادة. والشعيب: المزادة يوضع فيها الماء. والتهتان: السيلان. خ: «ذاتِ». وفي الأصل بالرفع والجر معًا.

(١) ديوانه ١: ١٨٥ والتهذيب ص ٦٢٥. والرسم: آثار الديار. والمكرس: الذي عليه البول والبعر. وأبلس: تحير وانقطع عن الكلام.
(٢) فرط الأسى: زيادة الحزن. وفي الأصل: طول الأسى.
(٣) التهذيب ص ٦٢٥. وفي اللسان والتاج (حمل): «دَرَّتْ دُمُوعُكَ». ولعل هذا الشطر رواية لما في ديوان عنترة ص ٢٤٧.
(٤) سقطت من خ.
(٥) لعله مسعود بن وكيع. انظر ص٣٠٤ والتهذيب ص٦٢٦ واللسان (خضل) و(سقط).

النموذج ٣٩ ـ ب ـ من كتاب الألفاظ : توزيع الأبواب والفقرات والتعليقات



النموذج ٤٠ ـ أ من شرح اختيارات المفضل : تمييز القصائد وبيان عدد أبيات القصيدة

النموذج ٤٠ ـ ب من شرح اختيارات المفضل : تمييز المتن والشرح والحواشي واللحق

محدودة لضبط النصوص . فالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) مثلاً يحصي أبيات القصائد المفضليات في القرن الخامس ، ويثبت بقلمه في آخر أكثرها عداد أبياتها . فهذه خمسة وأربعون بيتًا ، وتي سبعة وثلاثون بيتًا ، وتيك أحد عشر بيتًا ، وتلك خمسة وتسعون بيتًا . ترى هذا في النسخة التي وصلت إلينا بخطه ، ثم انتقل ذلك إلى النسخ التي نقلت عنها أيضًا .

ولو رجعت إلى ((الأمالي الشجرية)) لرأيت صاحبها ابن الشجري هبة الله بن علي (ت ٥٤٢) قد وزعها على مجالس مرقّمة ، فيها : الأول والثاني والثالث والرابع والخامس... والموفي على العشرين .. والموفي على الثلاثين ... والتاسع والسبعون . وقد يكون في أول المجلس تعيين للتاريخ الذي كان فيه ، ومن ذلك : المجلس العاشر ، وهو مجلس يوم السبت الثاني والعشرين من جُمادى الأُولى سنة أربع وعشرين وخمسِمائَة . والمجلس السابع والعشرون ، وهو مجلس يوم الثلاثاء سابع رجب سنة ست وعشرين وخمسِمائَة .

وإذا تصفحت الأوراق الأخيرة من نسخة ((تهذيب إصلاح المنطق)) ، وعليها خط التبريزي نفسه، وجدت أبواب الكتاب متوالية في فهرس دقيق ، سُردت فيه عناوين الأبواب، وبجانب كل منها رقمه الذي يكون له في التسلسل المقرر .[(١)]

أما عبد القادر البغدادي فقد التزم ذلك الترقيم فيما صنف من شروح على الشواهد الشعرية لكتب النحو . فهو يضع لشواهد كل كتاب أرقامًا متسلسلة ، فيذكر قبل البيت رقمه، ثم إذا تكرر وروده بعدُ أحال عليه بذكر رقمه المخصص ، ليربط الكلام بعضه ببعض، ويصل ما بين أجزاء الكتاب أيضًا . تجد هذه العمليات الإحصائية في : خزانة الأدب ، وشرح شواهد شرح الشافية ، وشرح أبيات مغني اللبيب ... وقد تبلغ الأرقام هذه في الكتاب الواحد حوالي الألف عددًا .

ثم إن مراحل التوزيع والتقسيم قد تتفرع في الموضوع الواحد ، فيكون لدينا أنواع من

(١) النموذج ٣٦ فيما مضى .

الترقيم والتفريع . وأول ذلك يكون بالأرقام المعهودة : ١ و ٢ و ٣ و ٤ . . . ويلي ذلك ما كان داخل هذه الأقسام مفرَّعًا تعطى فروعه حروف الأبجدية : أ ، ب ، جـ ، د . . . فإن حصل تفريع ثالث ضمني أيضًا وزِّع تحت : أولاً و ثانيًا و ثالثًا . ولا بد من مراعاة التسلسل بين هذه التوزيعات ، حتى لا يختلط بعضها ببعض ، وتضيع معالم التفكير والتعبير .

ولكنك ترى، مع هذا ، أن المستشرق بروخ نشر سنة ١٨٥٩ كتاب ((المفصل)) للزمخشري ، كله في ٢٠٠ صفحة متلاحقة ، من دون تقسيم أو تفريع أو بيان ، إلاّ أرقامًا جانبية لمجموع الفصول والأبواب ، وفواصل ونجوم وفراغات بالمئات مبعثرة على غير وعي أو قصد ، مع تداخل النثر والشعر والآيات الكريمة ، بلا تميّز أو وضوح .[١]

يضاف إلى تلك الأساليب المنهجية ، في التوزيع والتنسيق والترقيم ، أن النص قد يحوي متنًا وشرحًا له معًا . وهذا غالبًا ما يتميزان فيه ، فينفصل كل منهما عن الآخر في التعبير والسياق ، وقد يستخدم في ذلك ((ص)) لنص المتن و ((ش)) للشرح ، أو ((قال الشيخ)) أو ((قال صاحب الكتاب)) و ((قال الشارح)) ، وما أشبه ذلك . وقد يكون المجموع ممزوجًا ، في تعبير واحد متساوق متصل .

وفي الحالين يحسن تمييز المتن بحرف أظهر من الشرح . نحو ما تراه في : المفصل في تفسير القرآن العظيم ، وكتاب الاختيارين ، وشعر زهير ، وشرح قواعد الإعراب .[٢] غير أنه قد يكون المزج شديدًا ، يُخفي المصنف فيه معالم الفصل بين المتن وشرحه ، فلا يتسنى لك التمييز بينهما في اختيار الحروف ، كالذي في : تهذيب إصلاح المنطق ، وتهذيب الألفاظ .

وإذا ضم الكتاب حاشية على المتن وجب جعلهما في حقلين أفقيين ، وقد يكون معهما شرح أيضًا . مثال ذلك تقف عليه في كتاب ((مَبرز القواعد الإعرابية من القصيدة المِجرادية))

---

(١) النموذج ٤١ .

(٢) النموذج ٤٢ .

به ما ذاك فاذا شعرتَ انّه انسانٌ قلتَ مَن هو وقد جاء سُبْحانَ ما سخّركنّ
١٨١ لنا وسبحانَ ما سبّح الرعْدُ بحَمْده ٠ فصـــــل ويُصيب الفها القَلْبُ
والحذفُ فالقلب فى الاستفهاميّة جاء فى حديثِ ابى ذُؤَيْبٍ قدمتُ المدينةَ
ولأهْلها ضجيجٌ بالبُكاء كضجيج الحَجيج أهلّوا بالإحرام فقلتُ مَهْ فقيل هَلَكَ
رسولُ الله والجزائيّةِ وذلك عند الخليل مَا المزيدةُ بآخِرها كقوله تعالى مَهْمَا ٥
تأتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ والحذف فى الاستفهاميّة عند ادخالِ حروفِ الجرّ عليها
١٨٢ وذلك قولك فِيمَ وبِمَ وعَمَّ ولِمَ وحَتّامَ وإلامَ وعَلامَ ٠ فصـــــل ومَنْ كمَا
فى أوجهها إلّا فى وقوعها غيرَ موصولةٍ ولا موصوفةٍ وهى تختصّ بأُولى العِلْم
وتوقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكّر والمؤنّث ولفظها مذكّرٌ والحَمْلُ عليه
هو الكثيرُ وقد تُحمَل على المعنى وقُرِئَ قوله تعالى وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّهِ ١٠
وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا بتذكيرِ الاوّلِ وتأنيثِ الثانى وقال وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ
١٨٣ إلَيْكَ وقال الفرزدق * نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ * ٠ فصـــــل
واذا استفهم بها الواقفُ عن نكرة قابَلَ حركتَه فى لفظِ الذاكر من حروفِ المدّ
بما يجانسها يقول اذا قال جاءنى رجلٌ مَنُو واذا قال رايتُ رجلا مَنَا واذا قال
مررت برجلٍ مَنِى وفى التثنية مَنانْ ومَنَيْنْ وفى الجمع مَنُونْ ومَنِينْ وفى المؤنّث ١٥
مَنَهْ ومَنْتانْ ومَنْتَيْنْ ومَناتْ والنونُ والتاء ساكنتان وامّا الواصلُ فيقول فى
هذا كلّه مَنْ يا فَتَى بغيرِ علامة وقد ارتكب مَن قال * أَتَوْا نارِى فقلتُ
مَنُونَ انتمْ * شذوذَيْن إلحاقَ العلامة فى الدرج وتحريكَ النون ومنهم مَن
لا يزيد اذا وَقَف على الاحرف الثلثة وَحَّدَ امر ثَنَّى امر أنَّثَ امر جَمَعَ وامّا
المعرفة فمذهبُ اهلِ الحجاز فيه اذا كان عَلَما ان يحكيَه المستفهمُ كما نُطِق به ٢٠
فيقولَ لمَن قال جاءنى زيدٌ مَن زيدٌ ولمَن قال رايتُ زيدا مَن زيدا ولمَن قال

النموذج ٤١ من كتاب المفصل : سرد النص بدون تقسيم مع كثرة الفواصل والنجوم

ههنا بمعنىَ الحال، في قوله تعالَى: ﴿وَلَمّا يأتِكُم **مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوا**﴾ أي: حال الّذين مضوا ﴿مِن قَبلِكُم﴾، الّتي هي مَثَل في الشّدّة، مسّتهم البأساء والضّرّاء.

لمّا: حرف من الحروف[405] الجازمة للفعل المضارع، ويأت: فعل مضارع مجزوم بها، وعلامة الجزم[406] سقوط الياء فيه، مفعوله[407]: كم، فاعله: مثل، الّذين: موصول، وخلوا: فعل مع فاعله صلته، والموصول وحده أو مع الصّلة[408] مجرور المحلّ، على أنّ «مثل» أضيف إليه.

وحين فرغ من الوجه الرّاجح عنده أشار إلى المرجوح، على ما هو دأبه، بقوله: **وقِيلَ**[409]: هذه الجملة **حالٌ مِن «الَّذِينَ»**[410] في قوله[411]: «مثل الّذين خلوا» أي: من المضاف إليه.

هذا محمول على المسامحة، إذ لا معنىَ لتقييد قوله: «ولمّا يأتكم» بهذه[412] الحال، ولا عامل يُعتبر سواه. بل إنّما هي حال[413] من ضمير الموصول ــ وهو الواو في «خلوا» ــ فتكون منصوبة[414] المحلّ على الحاليّة، بتقدير «قد» أي: قد مسّتهم. قال ابن مالك: تقدير «قد» في الفعل الماضي الواقع حالاً مجرّد دعوى، لم تقم[415] عليها حجّة، مع أنّ الأصل عدمه. ألا ترَى أنّ الحال قيد للعامل[416]؟ سواء كان

---

(٤٠٥) في النسخ: حروف.

(٤٠٦) ت جزمه.

(٤٠٧) ت: ومفعوله.

(٤٠٨) هـ: صلته.

(٤٠٩) إملاء ما من به الرحمن ١: ٩١ والمغني ص٤٤٧.

(٤١٠) م: «الذين خلوا». وزاد هنا في ع وح. انتهى.

(٤١١) زاد هنا في هـ: تعالى.

(٤١٢) في الأصل: «لهذه». ت هـ: هذه.

(٤١٣) سقطت من ت.

(٤١٤) ظ ت: فيكون منصوب.

(٤١٥) ظ: «لا يقوم». ت: لا تقوم.

(٤١٦) ظ: العامل.

ماضياً أو غيره. ثمّ إنّ الوجه الأوّل راجح على الثّاني قطعاً كرجحان الإصباح[٤١٧] على المصباح.

وقِيلَ: هذه الجملة **مُستأنفة**[٤١٨]. كأنّ قائلاً قال: كيف كان ذلك المَثَل؟ فقيل: مسّتهم البأساء والضّرّاء.

فإن قلتَ: إنّ الجواب كاشف للمعنَى المسؤول عنه، كما أنّ المفسِّرة كاشفة [لحقيقة ما تلته][٤١٩]. فلأيّ شيء جُعل الاستئناف، بمعنَى الواقع جواباً عن سؤال ١٤٣أ مقدّر، مقابلاً[٤٢٠] للجملة المفسِّرة؟ قلتُ: بناء على الاصطلاح. فلعلّ قوله «لحقيقة ما تليه»[٤٢١] احتراز[٤٢٢] عن أمثال هذا.

فإن قلتَ: من[٤٢٣] أيّ جملة، من الجمل الّتي ليس لها محلّ من الإعراب؟ قلتُ: الظّاهر أنّها من قبيل السابعة — وهي الجملة التّابعة لما لا موضع له — بناء على أنّ الجواب واقع على حسب السّؤال، وتابع له.

فإن قلتَ: ما معنَى قول الزّمخشريّ[٤٢٤]: ومسّتهم بيان للمَثَل، وهو استئناف؟ قلتُ: معناه البيان اللّغويّ[٤٢٥]، لا التّفسير الاصطلاحيّ الّذي قصده المصنّف ههنا. فلا مشاحّة فيه، بعد ما وقع عن نكتة. لكن ما ذهب إليه الزّمخشريّ أضبط وأحسن.

---

(٤١٧) في الأصل و هـ: الصباح.

(٤١٨) سقط «وقيل مستأنفه» من المطبوعات. وانظر الكشاف ١: ١٩٤.

(٤١٩) من ظ و ت. هـ: كما أن المفسر [كاشف] لحقيقة ما يليه.

(٤٢٠) هـ: مقابل.

(٤٢١) ظ ت: «ما تلته». هـ: ما يليه.

(٤٢٢) فيما عدا هـ: احترازاً.

(٤٢٣) سقطت من النسخ.

(٤٢٤) الكشاف ١: ١٩٤.

(٤٢٥) البيان اللغوي هو التوضيح لما كان مبهماً أو عاماً غير مخصص.

للرسموكي الجزولي (ت ١٠٤٩) ، إذ هو شرح لقصيدة ابن المجرادي (ت ٧٧٨) ، وعلق عليه العمراني الوزاني (ت ١٣٤٢) حاشية تفسر المتن والشرح معًا . ولذا كان للقصيدة وشرحها حقل ، وللحاشية آخر ، وللتعليق عليهما آخر أيضًا ، مع درجات متوالية في حجم الحروف المناسبة لكل منها ، وربط الحقول الثلاثة فيما بينها بتسلسل النصوص وتساوق المعاني وتعاونها للعطاء والبيان .[1]

والقاعدة الأصولية بشكل عام أنّ كل نص يقتضي ، في التنسيق والتوزيع ، صورة تناسب محتواه والعلوم والمعلومات التي يتضمنها ، مع الحفاظ على نهج المؤلف الذي أعطاه الشكل الأخير . ثم يتحكم نسق المضامين والتفكير والتعبير في تفصيل الفقرات والحقول والرسوم والأشكال والمعادلات والرموز ، واختيار الحروف شكلاً ونوعًا ولونًا .

٤ ـ الترقيم التعبيري :

وخلال هذه الإجراءات التحقيقية المختلفة ، ونحن نسجل النص ونراعي ما فيه من المقتضيات العامة والخاصة ، نُلحق به علامات الترقيم التعبيري المناسب بدقة وخفة ، تيسّران للقارئ متابعة تسلسله وما بين عباراته وجمله ومفرداته ، من علاقات دلالية ونحوية ومعنوية. وقد كان لأجدادنا القدماء أيادٍ ناصعة ورموز محددة في هذا الميدان ، يتجاهلها المستشرقون وتلاميذهم من العرب والمسلمين ،[2] ليزعموا أن ما نستعمله نحن اليوم هو من إنجازات الغرب ورجالات الاستشراق ، وأن أول من تنبه إلى ذلك هو أرسطوفان ، من علماء القسطنطينية في القرن الثاني قبل الميلاد .[3]

والحق أن كل متكلم واع يستخدم في عباراته اللفظية ما يعبر عن ذلك ، بشكل تلقائي

(١) النموذج ٤٣ .

(٢) انظر المساعد على بحث التخرج ص ٧٨ ـ ٩٠ .

(٣) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص ٤-٦ .

وفحكمُكَ: الفاءُ: رابطةٌ للجوابِ، وحكمُ: مبتدأ، والكافُ: مضافٌ إليه، وفيها: جارٌّ ومجرورٌ، متعلّقٌ بـ «حكمُ»، ومثلُ: خبرُ المبتدأ، وحكمِ: مضافٌ إليه، والكافُ: مضافٌ إليه «حكمِ»، وأوّلا: ظرفُ زمانٍ متعلّقٌ بـ «حكمِ». وجملةُ الجوابِ في محلِّ جزمٍ[1]، لاقترانِها بالفاءِ، وجملةُ الشّرطِ معَ الجوابِ معطوفةٌ على ما قَبلَها.

* * *

السّابعةُ:[2] التّابعةُ لِما لا محلَّ لها، منَ الإعرابِ. وهيَ المُشارُ إليها، بقولِه[3]:

٣٨ ـ وإنْ تَبِعَتْ ما لا مَحَلَّ لَهُ فحُكْـ
ـمُها مِثْلُهُ، والعَدُّ سَبعٌ، تَحصَّلا[4]

يريدُ أن الجملةَ إذا وردتْ تابعةً لجملةٍ، لا محلَّ لها مِنَ

بدلاً من «لليمينِ» على المحلِّ. وعليه فهوَ بدلُ اشتمالٍ. وانظرْ لَمَ لَمْ يجعلْه بدلاً على اللّفظِ، إذ لا روايةَ في النَّظمِ تُتّبعُ، ولا مانعَ من ذلكَ صناعةً ولا من جهةِ المعنى أيضاً؟ قالَه الزّيّاتيُّ.

---

(١) ت: الجزم.

(٢) زاد هنا في ح وف: الجملة.

(٣) سقط «من الإعراب... بقوله» من الأصل، وسقط «من الإعراب» من ح وف.

(٤) ت: «لها فحكمها مثلها». وفي حاشيتي م وط عن بعض النسخ: لها فمثلها.

الإعـرابِ، يكونُ حكمُهـا حكمَ متبوعِهـا[١]، نحوُ قـولِكَ[٢]: قـامَ زيدٌ وقعدَ عمرٌو ـ فجملةُ «قعدَ[٣] عمرٌو» لا محـلَّ لها، لأنّهـا معطوفـةٌ على جملةِ «قامَ زيدٌ»، وهي لا محلَّ لها لأنها مستأنفةٌ ـ وكقولِ القائلِ: قامَ زيـدٌ[٤] ولم يقمْ عمرٌو. فجملةُ «لم يقمْ عمـرٌو» لا محلَّ لهـا[٥]، لأنّها معطوفةٌ على جملةِ «قامَ زيدٌ»، وجملةُ «قامَ زيدٌ» لا محلَّ لها، وكـذلكَ ما عُطِفَ[٦] عليها.

هـذا إنْ[٧] قـدَّرتَ الـواوَ الـدّاخلةَ على «قعـدَ» عـاطفـةً لا واوَ الحـالِ. وإنْ قدَّرتهـا للحالِ كـانتْ «قد» مقـدَّرةً، والجملةُ بعـدَهـا[٨] محلُّهـا نصبٌ على الحالِ. وكـذلكَ[٩] الـواوُ في المثـالِ الثّـاني، إنْ قُدِّرتْ واوَ الحالِ كانتِ الجملةُ في محلِّ نصبٍ.

تنبيهٌ: ينبغي أنْ يُعلَمَ[١٠] أنَّ العطفَ بالواوِ، في الجمـلِ التي لا

(١) ح: متبوعتها.

(٢) في المطبوعات: كقولك.

(٣) في المطبوعات: وقعد.

(٤) سقط «وهي لا محل. . . . زيد» من الأصل، وبعضه من ح وف.

(٥) زاد هنا في ت: من الإعراب.

(٦) في الأصل: ما عطفت.

(٧) في الأصل: إذا.

(٨) سقط «الداخلة. . . بعدها» من الأصل، وسقطت «قد» من ت وف.

(٩) فيما عدا الأصل: وكذا.

(١٠) سقط «أن يعلم» من الأصل.

ملحوظ ودقيق مفهوم ،[١] من التباطؤ والتوقف والتلبث والمد والتفخيم والنبر والتنغيم ، للإشعار بها يريد من قطع واستئناف وتفصيل واعتراض وخبر وإنشاء . . .

فهو يصل ما يجب وصله ، ويتلبث قليلاً في موضع الفصل ، ويقف أكثر بعدما يتم لديه معنى في فكرة ما ، ثم يستأنف الكلام مشعرًا بابتداء فكرة جديدة لها صلة بها مضى . وإذا أقحم ما يعترض بين عباراته تلبث برهة في أوله وثانية في آخره ، وقد يعبر عن ذلك باللفظ قائلاً : ((بين قوسين)). وفي خلال ذلك كله يلوّن تعبيره بالمقاصد الخبرية والإنشائية ، هادئًا مسترسلاً فيما هو تقرير ووصف وتحليل ، ومنغّمًا العبارات بتوترات النداء والإنكار والزجر والتوبيخ والتهكم والاستبعاد والنهي والأمر والتعجب والاستفهام . . .

وكان في القديم بُزُرجُمهر يقول :[٢] ((إذا مدحتَ رجلاً وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلاً ، حتى يُعرف المدح من الهجاء ، كما تفعل في كتبك إذا استأنفت القول ، وأكملت ما سلف من اللفظ)). وفي هذا بيان لتمييز الفقرات بعضها من بعض . أما الحارث ابن أبي شمر الغساني فقد جاء عنه في القديم أيضًا وجوب تمييز العبارات أو الجمل بفاصلٍ مّا يكون فيه وضوح معبّر ، إذ كان يقول لكاتبه المرقِّش : ((إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء ، بمعنًى غيرِ ما أنت فيه ، فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ . فإنك إن مذقتَ ألفاظك بغير ما يحسن أن تُمذَق به نفـَّرتَ القلوب عن وعيها ، وملَّته الأسماع ، واستثقلَته الرواة)) . وروي عن أكثم بن صيفي أنه إذا كاتبَ ملوك الجاهلية يقول لكُتَّابه : افصلوا بين كل معنًى منقضٍ ، وصلوا الكلام معجونًا بعضه ببعض .

هذا قبل الإسلام . ثم ازداد الأمر وضوحًا بتعاليم الإيمان والتبليغ والدعوة والإصلاح ، وكثرة الاهتمام بالبيان في الخطابة والكتابة ، فظهرت تجارب جديدة تزيد القواعد

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٠ ـ ١٨٦ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠ .

تفصيلاً وتبيانًا . قالت السيدة عائشة أُمّ المؤمنين: [١] ((ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ، ولكنه كان يتكلم بكلام ، يُبينُه فصلٌ ، يحفظه مَن جلس إليه)) . وقال معاوية بن أبي سفيان لكاتبه الأشدق : ((ليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال . فإني شهدت رسول الله ﷺ أملى عل عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كتابًا ، وكان يتفقّد مقاطع الكلام كتفقُّد المُصرِم صريمتَه)). [٢] وأنت ترى في هذا اهتمامًا دقيقًا ، بفصول واضحة لتمييز التراكيب والعبارات ، وتمييزًا عامًّا يشمل جميع أشكال التعبير .

وكذلك كان الشأن في الخطاب . قال الأحنف بن قيس : ((ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ، ولا عرف حدوده ، إلاّ عمرَو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام . . . حتى كان يقف عند المقطع وقوفًا ، يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ)) . [٣] وقد أضافت هذه المقولة مراعاة حق المقام ، وما يكون فيه من أساليب الخطاب ، بألوان الخبر والإنشاء .

ولذا صار أمر الإتقان لأساليب التمييز بين التراكيب مقررًا بين الكتّاب ، يراعون شأنه وأصوله ، ويعطونها حقوقها في الثقافة المهنية . حتى إن عبد الحميد الكاتب كان يمتحن المرشح للعمل بين يديه ، فإذا كتب : ((خبرك ، وحالك وسلامتك)) ، ففصل بين هذه الكلمات ، يقول عما فعل : ((قد استكمل كلُّ حرف منه آلته ، ووقع الفصل عليه)). [٤] وقد ذكروا أيضًا ، من مظاهر الفصل الواجب ، ما كان بمثل : إنّ و حتَّى و بل و بلى وليس . . .

ونقلُ مثل هذه الأخبار ، في مصادر التراث ، يعني أنها حاضرة في الأذهان والألسنة

(١) سنن الترمذي ٩ : ٢٥٧ . وانظر صحيح البخاري ص ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ وصحيح مسلم ص ١٩٤٠ .

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٣٩ . والمصرم : من تلفتْ إبله فبقي عنده منها قطعة صغيرة .

(٣) كتاب الصناعتين ص ٤٣٨ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ .

والأقلام ، تقتضي المراعاة بما يناسب المقال والمقام . ولذلك فقد لاحظ علماء القرآن أهمية هذه الوسائل الدلالية ، وهم يستخدمونها في القراءات عمليًّا ، فوضعوا لها تقاليد معينة تساعد على الأداء ، ومصطلحات محددة لتمييز بعضها من بعض ، ورموزًا مخصوصة ضابطة ميسرة . وإليك ما كان لديهم من رموز تقابل المصطلح أو الحكم في القراءة :

الوقف الممنوع = لا

الوقف اللازم = مـ

الوقف الجائز = ج

الوقف الجائز والوصل أولى منه = صلى

الوقف الجائز وهو أولى من الوصل = قلى

تعانق الوقفين بحيث يوقف على أحدهما ويجب وصل الآخر = ∴ ∴

يضاف إلى ذلك ما يشار به إلى نهاية الآية بدائرة مرقومة ، تفيد الوقف أحيانًا . وفي مجموع هذا ، كما ترى ، بعض ما لا يعرفه الترقيم المعاصر ، وهو الوقف الممنوع وتعانق الوقفين ، وما كان فيه الوصل أو الوقف أولى . ثم ما كان من حروف ونقط وخطوط لأنواع الوقف على : السكون والروم والإشمام والتضعيف ، وما ميزوا فيه الإمالة والتفخيم والترقيق ، وكلًّا من : الاستثباتي والإنكاري والتذكري والترنمي .[(١)]

وللعلماء والقُرّاء أبحاث وإجراءات عملية ، تبين تحرّي الدلالات المعنوية ، في الوقف والوصل ، لبيان المقاصد والمراد ،[(٢)] مع التزام التنغيم المعبر عن أساليب القول والبيان .

---

(١) الترقيم وعلاماته ص ١٠ . وأغرب ذلك جعل الضمة مقلوبة للدلالة على الإشمام . إصلاح المنطق ص ٤٢٠ .

(٢) جمال القراء ص ٦٦٧ ـ ٧٣٠ والبرهان في علوم القرآن ١ : ٣٤٢ ـ ٣٧٥ والإتقان في علوم القرآن ١ : ١٨٠ـ ١٩٤ ، ومصنفات الوقف والابتداء والتجويد من نحو : القول المفيد في علم التجويد .

وكان عبد الله بن عمر قد أوضح ذلك قديمًا بنص مشهور ،[١] ذكر فيه أن الصحابة كانوا يتعلمون ما ينبغي أن يوقف عليه من النص القرآني ، وما يكون في ذلك من أمر و زجر . . . وهذا يعني ، بالإضافة إلى أحكام الوصل والوقف والابتداء ، وجوب مراعاة النبر والتفخيم والتلبث ، لبيان مقاصد الخطاب .

وفي عصرنا الحاضر شرع بعض الناشرين يوظف علامات للترقيم على غير نظام ، وكثر الخلاف والاضطراب في ذلك بينهم . فطلب ناظر المعارف المصرية من أحمد زكي باشا (ت ١٣٥٣) إحياء أساليب الترقيم العربية عند علماء القراءات ،[٢] فكان أن استنبط طريقة لوضع علامات تناسب العصر .

ثم عدّل ذلك بعض المتأخرين ، لضبط الكتابة والقراءة والفهم ، فتحصل أن وُضعتْ لتلك المقولات النظرية والعملية رموز تختصر الدلالة ، وتعبر عن المفهوم الاصطلاحي . ونحن ملزمون باستخدامها في التحقيق ، لتيسير الاستفادة من النص التراثي على كل قاصد أو قارئ . فهي توضح معالم النصوص وارتباط بعضها ببعض ، وتبيّن توزيع المعلومات الرئيسية والفرعية ، والتراكيب المتواصلة والمتمايزة ، ودلالات أساليب الخطاب ، وما هو من المؤلِّف أو منقول عن الغير ،[٣] وما سقط أو أقحم في التعبير . . .

ولكنك إذا تتبعت ما نشر من النصوص التراثية ، لترصد أنماط التوظيف لهذه الرموز ، أخذك العجب والدهشة والدُّوار ، لما تراه في تخبط واعتباطية واضطراب . ذلك لأنك لا ترى صفحتين من كتاب واحد لناشر مفرد ، تتفقان في توزع علامات الترقيم . بله أن تتصفح كتابين لهذا المفرد الكريم . فما قولك في النصوص ينشرها المتطفلون على التراث في الشرق والغرب ؟

(١) انظر الإتقان ١ : ١٨٠ و البرهان ١ : ٣٤٢ .

(٢) الترقيم وعلاماته ص ٦-٧ .

(٣) لا مانع من دخول ((أل)) على ((غير)) خلافاً لمن زعم المنع . انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٢ : ٦٥-٦٦ .

ولقد فُجع القرّاء لهذا التراث الكريم في آمالهم ومقاصدهم ، لكثرة ما اصطدموا به ، من الفوضى والعشوائية والتناقص في توضع علامات الترقيم . حتى إنهم ضاعت بين أعينهم وخبرتهم ومفاهيمهم ، بما لقوا من الاضطراب ، دلالات تلك الرموز ، وأصبحوا يتجاهلون وجودها بين التراكيب والمفردات ، يقرؤون النص على أنه مجرّد منها ، ولا علاقة له بها .

هذا ما اعترف لي بعض أصدقائي الكرام ، وهو أمر عجيب عجيب ، أن تفقد علامات الترقيم وظيفتها ، وتصبح ضربًا من الزخرفة الاعتباطية ، والزينة الشخصية ، يقحمها الكاتب والناشر وراصف الأحرف . ومن ثَمّ يعود القارئ المفجوع إلى التكهن والظن في فهم النصوص ، وهي كالأغفال من كل معلمة أو منارة .

ونحن هنا نعيد إلى الأذهان مفاهيم العلامات الدقيقة ، ونقدم إليك أشهر هذه الرموز الفنية في الكتابة العربية :

١ ـ البدء في كل فِقرة بفراغ مقدار كلمة ، قبل كتابة أولها ، إشعارًا بفكرة جديدة أو فرعية في الموضوع ، كالذي تراه في صفحات هذا الكتاب .

٢ ـ الفاصلة أو الفصلة أو الشَّولة (،) بين الجمل والتفريعات المتعاطفة ، والتراكيب الكبيرة في الجملة المديدة ، وبين المنادى وجواب النداء ، والقسم وجوابه . ولا يجوز أن تقع بين المتلازمين ، كالفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر ، والشرط وجوابه . إلا إذا طال ما بين العنصرين من هذه المتلازمات في التعبير وجبت إذ ذاك فاصلتان تميزان ما هو مطول ، ليعود اتصالهما في التعبير والتفكير .

٣ ـ النقطة (.) في ختام الكلام الذي يتم به المعنى ، وفي ختام الفقرة ، ولا تكون في الشعر أو في آخر البيت . إلاّ إذا كررت متوالية ، فتكون ثلاثًا للتعبير عن سقط أو نقص في البيت ، على غرار ما سيرد تحت الرقم ١٠ .

٤ ـ النقطتان (:) بعد قول أو ما يشبهه أو إجمال ، يليه المقول والمحكي والتفصيل والتفسير والتمثيل .

٥ ـ الشرطتان أي : خطا الاعتراض (ـ ـ) يحصر بهما الجملة الاعتراضية فقط. ويحسن ألاّ يكونا في الشعر .

٦ ـ الاستفهام (؟) يكون بعد تمام العبارة الاستفهامية فحسب .

٧ ـ التعجب (!) يقع في ختام العبارة التعجبية فقط .[1]

٨ ـ النجم (*) يكون إشارة للتهميش في عناوين الموضوعات ، ويقع بين اثنين منه الشطر المفرد في وسط السطر ، وتكون ثلاثة منه فاصلًا بين الموضوعات المتباينة ، ولا يجوز وضعه في وسط البيت الشعري .

٩ ـ القوسان المعقوفتان [ ] لما يزيده المحقق تكملة للعبارة ، أو نقلًا من النسخ المساعدة والردائف .

١٠ ـ النقاط الثلاث (...) للتعبير عن بياض أو خرم في النص .

١١ ـ الخط المائل (/) لتحديد بدء كل ورقة من ورقات الأصل . ويقع هذا أيضًا بين الأرقام التاريخية : تاريخ اليوم والشهر والسنة .

١٢ ـ الهلالان المزهَّران ﴿ ﴾ غير المصلَّبَين ، ويقال لهما : الهلالان العزيزيان أو القوسان العزيزيتان ، لحصر الآية الكريمة .

١٣ ـ الهلالان المزدوجان ، أي : الأهلة أو القويسات . وهي علامات الاقتباس والتنصيص (( )) ، للمحكي من العبارات وللكلام المنقول ، كالحديث الشريف وأقوال العلماء والأدباء عدا الأشعار والأمثال والعبارات المأثورة والحِكَم ، ولبعض أسماء الكتب إذا لم تكن كثيرة في مكان واحد .

---

(١) ما يذكر في هذا المقام من الانفعال هو رجم بالغيب ، وليس له علامة في الترقيم العربي .

١٤ ـ الهلالان ، أي : القوسان الكبيرتان ( ) ، ويحصر بهما ماهو محكي من المفردات والتركيب ، إذا وقع في نص ضمن الهلالين المزدوجين ، والموادُّ المعجمية التي يحال عليها في المتن أو الهامش .

١٥ ـ الخط الأفقي الصغير (ـ) يكون بعد الأرقام التي يكون فيها تعداد لعناصر فكرة واحدة ، وهو يفصل بين الرقم والكلام .

١٦ ـ الخطان الأفقيان الصغيران (=) يقعان مرتين متواليتين : في آخر الصفحة ، إذا لم تستوعب التعليقةَ الأخيرة ، ثم في أول هامش الصفحة التالية ، للدلالة على اتصال التعليقة في الصفحتين .

ولا تنس أن الإكثار من توزيع علامات الترقيم يسبب عرقلة التفكير والفهم ، ويشوه النصوص بزخرفات اعتباطية ، وأن توظيف هذه الرموز يتوقف عليه الاستيعاب الدقيق ، لما في النص من معلومات ومفاهيم وأحكام واحتجاج واستدلال ونتائج علمية أو فنية ، توحد بين ما يستفيده القراء الذين هم متساوون في الثقافة والمعرفة والخبرة والذكاء .

وقد بدا لي أنها تشبه ، في كثير من دلالاتها ،[1] إشارات المرور وما يرافقها ، في إنشاء

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٧ ـ ١٨٩ . ويستحسن عدم وقوع : الأقواس والأهلة في أول الفقرة ، والفاصلة والنقطة والنقطتان وعلامتا الاستفهام والتعجب في أول السطر ، و نقاط الحذف في آخر ما بين قوسين . ويجب إغفال الفاصلة المنقوطة بواحدة أو اثنتين ، والخط الصغير مع نقطتين عموديتين ، وكثرة النجوم في المتن ، وخط الاعتراض بين ركني الجملة المديدة وفي أوائل الفقرات ، والبدء بفقرة جديدة بعد الشعر فيما ليس بانقطاع ، والأشكال الهندسية من مثلث ومربع وأسهم وخطوط مائلة وشاقولية وأفقية وزوايا وبقاع سود ، والتفنن في توزيع العلامات على غير هدى ولا سيما علامة التعجب والفاصلة ، لكثرة الخلاف في ذلك بين التنظير والتطبيق . وكذلك ما يقترحه بعض الزملاء من أنواع الأقواس للأرقام وأسماء المصادر والمؤلفين ، والرموز الكثيرة المعقدة المبعثرة التي تزيغ الأبصار والبصائر .

أما بعض المستشرقين فيرون أن استخدام هذه الرموز غير مناسب في الكتب العربية، ويرون أنها غير معروفة =

المدن والشوارع والأرصفة وتوزيع مرافق الحياة ، واستخدامُها بنجاح كفيل بالعطاء الجزيل والخدمة الوفية لمقاصد المؤلفين والعلماء والأدباء .

فالنقطة مثلاً تعني عدة جُمَل : قف قليلاً ، وانتهت العبارة ، وسترد عبارة مستأنفة . أو قف طويلاً ، انتهت الفكرة والفقرة ، وسيأتي ما بعدهما ، أو لن يأتي شيء بعدُ لانتهاء الباب أو الفصل أو الكتاب . والعجيب حقًّا أن النقطة هذه تستطيع أداء تلك المقاصد الدلالية المختلفة ، وهي صورة وهمية لأنها في الحقيقة مكان التقاء خطين متقاطعين ، وليس لها طول ولا عرض ولا مِساحة إلاّ في الذهن والخيال .

وأعجب منها في الدلالة هذا الفراغ الذي خلفناه الآن هنا في أول السطر ، ويكون في كل فِقرة . إنه صورة سلبية صماء عجماء ، تقدم للقارئ بصمت معلومة واضحة دقيقة . وهي أن الفكرة التالية متميزة ، واردة في أول البحث أو الباب أو الفصل . وقد يكون قبلها تمام فكرة أيضًا ، أو اتصال جانبي بها .

فقد استطاعت هذه الصورة الرمزية الخفية أن تزود القارئ بمعان ، كما رأيتَ ، تحتاج للتعبير عنها إلى كلام حقيقي يستغرق سطرًا أو أكثر . ومع هذا كله فقد أصبح بعض المستغربين يتجاهلون تفرّغ ما هو أول الفقرة ، ليخلطوا الحابل بالنابل ، ويفسدوا على الناس التفكير الواعي المنتظم . فليس لك بعد هذا أن تستخف الأمر ، وتتخذ علامات الترقيم زخرفًا اعتباطيًّا ، لا ضابط له ولا مرام .

= الدلالة، ثم يقترحون أقواسًا مزوّاة لحصر الزيادات وترقيمات وتقطيعات متعددة أيضًا . ومنهم من نشر كتابًا كاملاً في ٢٠٠ صفحة ، من دون فِقر أو علامات عدا الفاصلة والنجم والفراغ ، كما ترى في النموذج ٣٨ .

انظر قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٠ ـ ٥٤ وقواعد نقد النصوص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ وقواعد تحقيق المخطوطات ص ٢٣ والترقيم وعلاماته في اللغة العربية مطبوعة ١٩١٢ وحروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها مطبوعة ١٩٣١ ومناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ص ١٩٧ ـ ٢١١ والمساعد على بحث الخرج ص ٨٣ ـ ٩٠ وكيف تكتب بحثًا ص ١٦١ ـ ١٦٦ ، والمفصل للزمخشري في المطبوعة الاستشراقية .

الرمزية وعلاج الخلل :

مرّ بنا من قبلُ ما كان عليه تاريخ الرمزية في حضارة العرب والمسلمين ، ورأينا منها نماذج غفيرة مثلتها عروبة اللسان منذ أقدم العصور . وعرفنا أيضًا أن تجارب العلماء التراثية ، في الإملاء والكتابة والنسخ ، رسّخت لديهم أساليب وتقاليد في النقل والضبط ، تحرص على توثيق النصوص وتحقيقها ، وتحفظ لها مصداقيتها كما أرادها المؤلف .

١ ـ الرمز الإملائي :

ومع هذا فلسوف ترى في التراث الخطي المتداول أنه كثيرًا ما يُغفَل رسم الهمزة ، ويعبَّر عنها بمد أو بما يناسب حركتها من الحروف أو بإدغام . فمن المد نحو : مآ ، ابتدآ ، التقآ ، علمآ ، اصطفآ ، استغنآ . ومن الحروف أمثال : راس ، ذيب ، ريم ، قايل ، بايع ، نايم ، متفايل ، بِيار ، تساول ، بوس ، لُوم . ومن الإدغام نظائر : هدوّ ، مروّة ، قروّ ، بريّ ، بذيّ ، خطيّة ، حطيّة ، شنوّة .

ذلك أن انتشار الخط بدأ في العهد الإسلامي من الحجاز ، بعد انتقاله في الجاهلية من اليمن فالحيرة ، والحجازيون يخففون همز القطع بصور كثيرة من الإبدال والحذف والإدغام والتسهيل . فكان أن غابت معالم رسمه قديمًا في الكتابة ، وانسحب ذلك على كثير من النصوص التراثية ، فاضطربت أشكال التعبير عنه في النسخ الخطية ، إهمالاً أو رسمًا بألف أو واو أو ياء ، رغم ما اصطلحه الخليل للتعبير عنه من رأس العين ((ء)) ، أو ما يسمى بـ ((القُطعة)) .(١)

والألف المتطرفة أو الوسطى قد لا تكون كما اصطلحنا في عصرنا هذا ، فترى مثل : فتا ، رما ، ألقا ، اصطفا ، دعى ، سمى ، صفى ، ضحى ، ذرى ، سليمن ، إسحق ، الحرث ، إبرهيم ، ملك ، هرون . بل ربما كان رسم المد على نحو : ألم ، تأازر ، ءاخذ ، ، يَلقيك ،

(١) انظر المحكم في نقط المصاحف ص ١٤٨ والإتقان ٢ : ١٧١ والمعرب ص ١٣ ومقدمة لسان العرب ١ : ١٤ واللسان والتاج (نبر) ومناهج تحقيق التراث ص ٨٤ ـ ٨٦ .

نَرضيه . وقد يغفل الناسخ زيادة الألف الفارقة في مكانها اللازم ، أو يضعها في غير موضعها نحو : حضرو، لم ينجحو ، اذهبو ، لاتسألو ، وطالبوا الحقِّ ، والمقيموا الصلاة . وأحيانًا ترسم تاء تأنيث الأسماء مبسوطة: حكمت ، رحمت ، عزت ، تبعًا لبعض اللهجات اليمنية المعروفة. أضف إلى هذا أن الخط المغربي يجعل للفاء نقطة في أسفله فقط ، وللقاف نقطة واحدة في أعلاه.(١)

والأحرف المعجمة بنقطة أو ثنتين أو ثلاث كثيرًا ما يُهمَل إثبات نقطها ، إذا كانت في كلمات واضحة الدلالة ، ولا سيما أحرف المضارعة ، من نون وتاء وياء . أما الحروف غير المعجمة فلها إشارات مختلفة بين الخطوط والنساخ . فقد يضعون تحت الحرف صورة منه أو من رأسه مصغرة ، أو فوقه خطًّا أفقيًّا صغيرًا ، أو نصف دائرة مفتوحة إلى أعلى ، أو زاوية إلى أعلى أيضًا . ثم يضاف إلى كل من الدال والراء والطاء نقطة في الأسفل إشارة إلى الإهمال ، وإلى السين ثلاث نقاط في الأسفل أيضًا أفقية متوالية أو على شكل مثلث ، وضمن اللام لام صغيرة في وسطها ، وضمن الكاف كاف صغيرة أيضًا أو خط صغير في رأس أعلاها ، وتحت الألف المتطرفة المقصورة الممالة نقطتين .(٢)

وإذا كان الحرف له وجهان صحيحان في الكلمة ضبط بالوجهين والإشارات اللازمه وإضافة ((معًا)) أو ((جميعًا)) فوقه تحقق ذلك . وإن احتمل ثلاثة أوجه عُبّر عنها بالإشارات مع كلمة ((جميعًا)) للتوكيد . وقد يعبر عن ذلك بكلمة ((مثلثة)) أو حرف : ث . ثم قد يضبط الحرف باللفظ البيّن ، كأن يقال : بالباء الموحدة ، وبالتاء المثناة من فوق ، أو بالياء المثناة من تحت ، أو بالثاء المثلثة ، أو بالحاء المهملة ، أو بالغين المعجمة ، أو بالدال المهملة ، أو بالصاد المعجمة ، أو بالتحتانية ، أو بالفوقانية . . .

وكذلك شأن ما هو ملتبس فيه التشديد والتخفيف أو المد والقصر ، إذ يرسم فوق الحرف ((شد)) للأول ، و ((خف)) أو ((خ)) للثاني ، و ((مد)) للثالث، و ((قصر)) للرابع.

---

(١) النموذج ٤٤ .

(٢) النموذج ٤٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى على نبيئنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال سلامة بن جندل

ابن عبيد بن عمرو بن عبيد بن الحرث بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة

ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ومقاعس هو الحرث بن عمرو وانما سمي مقاعسا لأنهم تقاعسوا عن حلف

اختلفوا فيه في وقعة من الوقعات

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب

أودى الشيء يودي إذا هلك وحميد يعني الشباب يقول ولى حميدا والشأو

الطلق والسبق والشباب لا يدرك إذا فات

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب

ولى حثيثا يعني الشباب وقوله لو كان يدركه ركض اليعاقيب قال أبو عمرو الشيباني

أو غيره اليعاقيب حجل عند يعقوب وهو ذكر القبج وسألت عمارة عن تفسيره

فقال اليعاقيب ذوات العقب والعقاب من الخيل

أودى الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ ولا لذات للشيب

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

قال عمارة التأويب من غدوة إلى الليل ويقال التأويب رجوع من قولك آب إلى القوم
أي

النموذج ٤٤ ـ أ من ديوان سلامة بن جندل : الرسم في الخط المغربي

أي رجعت اليهم ويقال التأويب من غدوة الى الليل أي ساعة نزلت منه شديدا
كان سيرك أو غير شديد ويقال أيضا التأويب الإمعان في السير الشديد وأنشد
لحقنا بحي أوبوا السير بعدما ... دفعنا شعاع الشمس وكاد يمصح . يمصح يذهب
وقوله يوم مقامات قال ابو عمرو المشهور يوم إقامة والأندية المجالس الواحد نادي

وكرنا خيلنا أدراجها رجعا ... كس السنابك من بدء وتعقيب

قال ابو عمرو أدراجها أي من حيث جاءت ذهبت ومن حيث ذهبت جاءت والأدراج
الطرق يقال رجع على أدراجه أي الموضع الذي جاء منه وقال الراعي
لبست ثوبي واستمررت أدراجي . وقوله كس السنابك أي قد تحاتت سنابكها
وذهبت لأكل الطريق لها ولطول السير عليها والسنبك مقدم الحافر وأصل الكسس
في الأسنان أن تحات وتقصر ويذهب ابتداؤها والتعقيب الرجوع والعطف

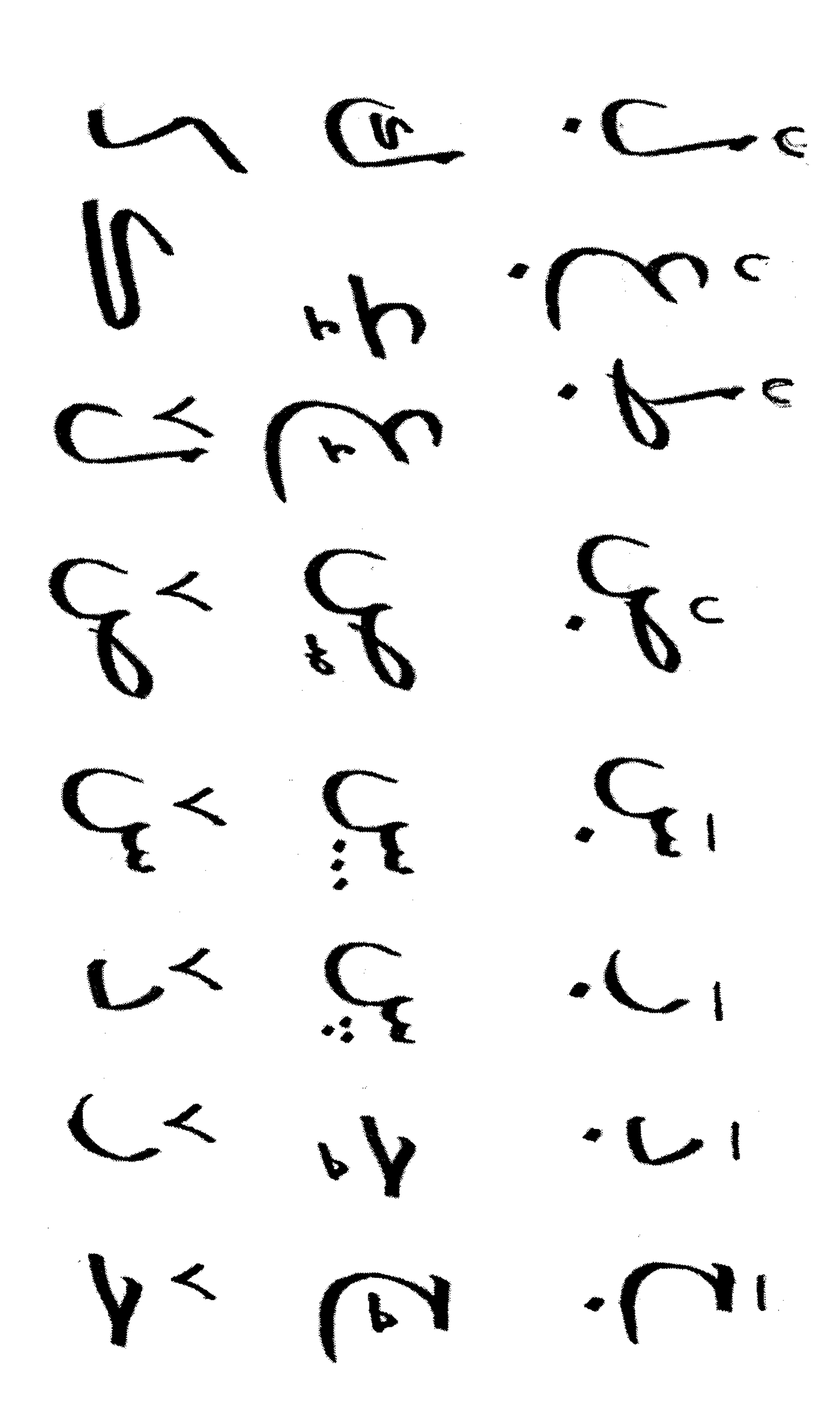
والعاديات أسابي الدماء بها ... كأن أعناقها أنصاب ترجيب

من كل حت إذا ما ابتل ملبده ... صافي الأديم أسيل الخد يعبوب

رواية
السبيب

يقال فرس حت وسكب وغمر وبحر وفيض إذا كان جواد الإيغار وملبده موضع
لبده ومحزمه موضع حزامه ومعذره موضع عذاره وصافي سابغ والصفو السبوغ
والفضل من كل شيء والسبيب شعر الناصية والذنب وأسيل سهل وينسب
ذلك منه ويعبوب كثير الجري ويقال كريم

النموذج ٤٤ ـ ب من ديوان سلامة بن جندل : الرسم في الخط المغربي



النموذج ٤٥ بيان الحروف غير المعجمة

وأحيانًا يُبيـَّن لفظ حركات الإعراب وما كان آخره ممدودًا أو مقصورًا ، بزيادة عبارة توضح اللفظ بوضوح ، من مثل : ياهذا ، يافتى ، يارجل ، كما تـرى . . . وكثير من المستشرقين وأدعياء التحقيق يظنون مثل هذه الرموز والعبارات جزءًا من تمام كلام النص ، فيسجلونه ضمن العبارة ، ويلحقون به في المعنى ما يفسد المراد .

وحركات الضبط والرموز التي تتبعها النصوص التراثية أيضًا قد تجد فيها ما هو غير مألوف . فالكسرة قد تكون تحت الحرف خطًّا مائلاً نحو اليمين ، والشدة قد تكون هي والفتحة والضمة تحتها فوق الحرف ، وهي والكسرة تحت الحرف . وهي في الخط المغربي قد تكون زاوية ضلعاها نحو الأعلى على شكل ((٧)) فوقها الفتحة وتحتها الكسرة والضمة ، أو زاوية فوق الحرف للفتحة ضلعاها للأعلى أيضًا ، وللضمة ضلعاها للأسفل على شكل ((٨)) ، وللكسرة تحت الحرف وضلعاها للأسفل كذلك . أضف إلى هذا أن ثمة أشكالًا مختلفة للخطوط العربية ، ولرسم بعض الأرقام ، ترى صورة لها فيما أثبتناه بعد .[١]

٢ ـ النقص والزيادة والخلل :

كثيرًا ما يقع في الكتابة خلل أو اضطراب . فما غفل عنه الكاتب أو الناسخ من الكلمات لـه أسلوب فني يسمى : اللَّحَق أو التخريج أو الإلحاق أو الإحالة . ويعرف في الاصطلاح بما سقط من أصل الكتاب ، فلحق بالحاشية أو بين السطور .[٢] ويعالج مثل هذا بإخراج خط منحن ⌒ ⌒ من موضع النقص موجه نحو الحاشية أو الفراغ بين السطرين، حيث يسجل ما كان مغفلاً ، وينهى بأول كلمة تليه في النص ، أو بالقول:[٣] صح ، أو رجع ، أو أصل . وإذا سجل في الحاشية وُجـِّه إلى أعلى الصفحة غالبًا ، ليسمح بإلحاق ما قد يقع بعد . وربما كان خلاف في توجيه رمز الإلحاق بين ما يحصل عن يمين الصفحة وعن

(١) النموذج ٤٦ .

(٢) التبصرة ٢ : ١٣٧ .

(٣) انظر تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٤١ .

في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي

نسخ — قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى (إجازة)

ثلث — قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

الرقعة — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي

النسخ — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي

الإجازة — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي

الثلث — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي

الفارسي — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي

الديواني — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والإسلامي

الجلي ديواني — انتشرت العلوم في أرجاء الوطن العربي والإسلامي

ثلث — العلوم الإنسانية

مغربي — الحمد لله تعالى وحده وصلى الله على ... وسلم تسليما

٦٥٤٣٢١   ٦٥٤٣٢١

٥٥٣٢

النموذج ٤٦ بعض الخطوط العربية والأرقام

يسارها . ومع هذا ، فإن اختيار اليمين أولى ما أمكن .[١]

هذا إذا كان النقص في بضع كلمات أو قليل من الأسطر . فإن تجاوز ذلك وتعذر إلحاقه بالحاشية أو الهامش سجلوه على ورقة خارجية ، تسمى الفرخة أو الطيّارة . ويكون لها إشارة اللَّحَق في النص تعيّن موضع إلحاقها ، ثم توضع في قبالة الصفحة التي تخصها ، ليُرجعَ إليها حين النسخ ، وتضمَّ إلى مكانها من سياق الكلام .[٢]

أما الزيادة التي تقع في الكتابة من إعجام أو ضبط ، بالخطأ أو التكرار أو انتقال البصر أو طغيان القلم ، فإن لم تُمح بالقشط أو الحك والسلخ ضُرب عليها بالقلم ، أي : أُبطل ما هو مقحم ، مع الاحتفاظ بما هو أحسن صورة وأبينها . وهذا أفضل من المحو ،[٣] لما قد يتبين بعدُ من صحة ما ظُنَّ فيه الزيادة. وإذا كانت الأولى من مكرر المفردات في آخر سطر فالضرب عليها ، وإن كانتا في أول سطر أو آخره فالضرب يكون على الترتيب للثانية فالأولى.

وقد تكون الزيادة أكثر من كلمة ، فيُضرب عليها بالقلم ، أو يشار إليها بقوس عادية أومعقوفة موجهة إليها تَحصر أولها وآخرها ، أو بنقاط أو ثلاث نقاط متصلة (٠٠٠) فوقها ، أو يكتب في أولها بخط دقيق حرف ((لا)) أو ((من)) أو كلمة ((زائدة)) ، وفي آخرها حرف ((إلى)) . وربما حصرت بين دائرتين صغيرتين [٥ ٥] ـ وهما تعنيان عند النساخ : صفرين ـ أو بين نصفي دائرة [( )]. أما علماء الحديث فيقدمون للزيادة بقولهم : يعني ، أو تعني.[٤]

ثم إذا تبين للناسخ أو القارئ أن ما أشير إليه بالتخطئة هو صواب ، في موقعه ، حصر

(١) منية المريد ص ١٧٥ . وانظر النموذج ٤٧ .

(٢) النموذج ٤٨ .

(٣) منية المريد ص ١٧٣ والإلماع ص ١٧١ . والضرب : إبطال ما يقع في الكتاب ، مما ليس منه .

(٤) علوم الحديث ص ١٩٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله

قال أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت

هذا باب فَعْل وفِعْل باختلاف المعنى

الحَمْل ما كان في بطن أو على رأس شجرة وجمعه أحمال . والحِمْل ما كان على ظهر أو على رأس قال الفراء ويقال هذه امرأة حامل وحاملة إذا كان في بطنها ولد وأنشد الأصمعي

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون إلا للمؤنث ومن قال حاملة بناه على حملت . قال فإذا حملت شيئا على ظهر أو على رأس فهي حاملة لا غير لأن هذا قد يكون للذكر . والوَقْر الثقل في الأذن يقال منه قد وقرت أذنه فهي موقورة ويقال اللهم قِرْ أذنه . ويقال أيضا قد وُقِرَت أذنه توقر وقرا . والوِقْر الثقل يحمل على ظهر أو على رأس يقال جاء يحمل وقره . قال الفراء ويقال هذه امرأة موقرة إذا حملت حملا ثقيلا . ويقال نخلة موقر وموقرة وموقرة . وحكى غيره موقر وهي على غير القياس . والرَّقّ ما يكتب فيه . والرِّقّ من الملك . والغَمْر الماء الكثير . ويقال رجل غمر الخلق إذا كان واسع الخلق . وهو غمر الرداء إذا كان كثير المعروف سخيا قال كثير

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

وفرس غمر إذا كان كثير الجري . والغِمْر الحقد ويقال قد غمر صدره علي . والشَّقّ الصدع في عود أو حائط . والشِّقّ نصف الشيء والشِّقّ أيضا المشقة قال الله عز وجل لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . والمَسْك الجلد . والمِسْك من الطيب . والدَّبْر النحل وجمعه دبور قال لبيد

النموذج ٤٧ - أ من إصلاح المنطق : تعليق الحواشي

وأنّى دبور شانه النحل عاسل

والدبر المال الكثير يقال مال دبر وما لان دبر وأموال دبر. والبين الفراق والبين القطعة من الأرض قدر مدّ البصر. قال ابن مقبل:

بسرو حمير أبوال البغال به أنّى تسدّيت وهنًا ذلك البينا

والشعب القبيلة العظيمة، والشعب أيضًا مصدر شعبت الشيء شعبًا إذا أصلحته وجمعت بينه وإذا فرّقته، والشعب الطريق في الجبل. والحبل حبل العاتق والحبل من الرمل المستطيل والحبل واحد الحبال والحبل الوصل والحبل الداهية وجمعها حبول. قال كثيّر:

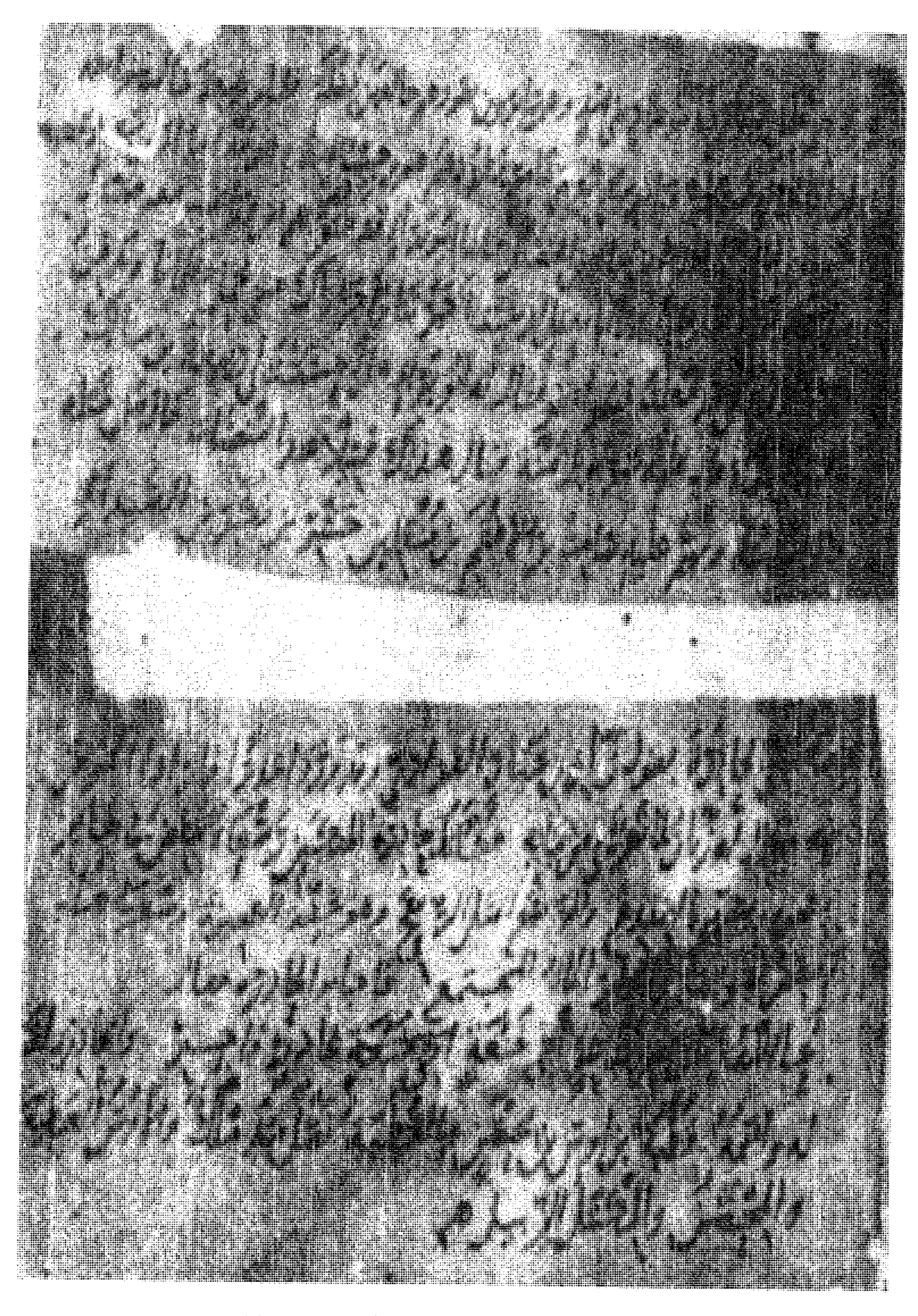
فلا تعجلي يا عزّ أن تتفهّمي بنصح أتى الواشون أم بحبول

والطلق مصدر طلقت المرأة تطلق طلقًا وهو وجع الولادة، ويقال رجل طلق الوجه وطليق الوجه، ويقال ليلة طلق وطلقة إذا لم يكن فيها حرّ ولا قرّ وكانت ساكنة طيبة، والطلق الحلال يقال هو لك طلقًا. والأزل الضيق والحبس يقال قد أزلوا ما لهم يأزلونه أزلًا إذا حبسوه عن المرعى من خوف، وحكى أبو عمرو وابن الأعرابي الأزل الكذب. والخلّ الطريق في الرمل، والخلّ خلّك الشيء بالخلال، والخلّ الذي يصطبغ به، والخلّ الخليل. والغرس غرسك الشجر، والغرس واحد الأغراس وهي جلدة رقيقة تخرج على الولد إذا خرج من بطن أمّه، وأنشد في الغرس:

يترك في كلّ مناخ أبس كلّ جنين مشعر في الغرس

الأبس الشديد الغليظ قاله ابن الأعرابي. والقبص مصدر قبصت وهو تناولك الشيء بأطراف أصابعك، والقبصة دون القبضة، والقبص العدد الكثير. والفرق مصدر فرقت الشعر، والفرق القطيع من الغنم. قال الراعي:

النموذج ٤٧ ـ ب من إصلاح المنطق : تعليق الحواشي



النموذج ٤٨ من شرح اختيارات المفضل : تثبيت اللحق

بين كلمتي ((صح)) صغيرتين .[١] وإذا كانت هذه الزيادة واردة في الأصل المنقـول منـه ، أو فيه وفي نسخة أُخرى ، أشير إليها في المتن ، ثم سجلت في الحاشية قبالتها تلك العبارة المزيـدة بين خطين عموديين متوازيين [| |] . وإن وردت فيمـا دون الأصل ، وهي مـمـا يقتضيه السياق ، وضعت بين الخطين مع إشارة مناسبة ، ثم سجل في الحاشية رمز النسـخة الحاصـلة منها . فإن كانت غير مناسبة للسياق أشير إليها أيضًا ، مع تعليقة في الحاشية تبين مصدرها .

وأما الخطأ فمن العلماء من يرى الإبقاء عليه ، مع إثبات الصواب في الحاشية ، حفاظًـا على الأمانة ، ومنهم من يرى تصحيحه .[٢] وفي كلتا الحالين أساليب للعلاج . فما تبين خطؤه يسجل فوقه بخط دقيق ((كذا)) أي : هكذا رأيته ـ ويسمى التكذيـة ـ وفي الحاشـية يُسـجل بنفس الخط ((صوابه . . .)) إن كان قد تحقق ذلك ، و ((لعله . . .)) إن كان ظـنٌّ لم يتحقـق . وقد يستخدم في مثل هذه الأحوال إشارة بالحرف ((ظ)) أو ((الظ)) في الحاشية ، يراد بها أن ما جاء في السطر هو ((الظاهر)) في الأصل ، أو بالحرف ((ك)) إشارة واختصارًا من : كذا .

فإذا أشكلت العبارة ولم يظهر لها وجه مقبول ، أو كان فيها فساد كـالنقص والضـعف والتصحيف والشذوذ ، سجلتْ فوقها ضبّـة التمريض ((صـــ)) موجهة إلى الحاشية يمينًا أو شمالاً ، إشارةً إلى التنبه والتنبيه على الخلل والاحتراس من الوهم وتجنب العبث في الكلام .

ثم إذا تبين بعد ذلك وجه الصواب فيها وُصلَـتِ الضبة بحرف الحاء ، لتصير ((صح))، أو سجل الصواب في الحاشية قبالة وجهة إشارتَـيِ التضبيب والتكذية . ويُسجل التصـحيح أيضًا ، أي : كلمة ((صح)) ، فوق ما يحتمل الشك وهو صواب لفظًا ومعنى ، لئلاّ يُتوهَّم فيه

(١) تذكرة السامع ص ٣٤٢ ومنية المريد ص ١٧٤ . وقد كان في كثير من المصنفات زيادات وافرة ، أقحمها بعض المؤلفين والشراح والمحشِّين ، فمنها ما تنبه إليه صاحب الكتاب فجرده ، كما فعل الأصمعي في كتابه ((النوادر)) ، ومنها ما بقي على زياداته . تهذيب اللغة ١ : ١٥ وشرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٦ .

(٢) علوم الحديث ص ١٧٥ وتدريب الراوي ٢ : ٨٢ والدر النضيد ص ٣٢١ .

غير ذلك ويكون موطنًا للعبث . ومثل هذا يعلّق عليه في التحقيق بالقول : مصحَّحًا عليه .

والأصل في التضبيب هو من الضَّبّة ، أي : الحديدة العريضة ، يُضبَّبُ بها الباب ليغلق . وقد استعملت في الاصطلاح للدلالة على أن الكلمة أو الجملة أو العبارة مقفلة بهذه العلامة ، لا تتجه لقراءة ، كما أن الباب المضبَّب مقفل لا يتيسر فتحه .[1]

وأما حصول التقديم والتأخير، في النقل سهوًا ، فعندما يتبين للناسخ يعبر عنه برموز ، تعيّن ما الذي وقع فيه ذلك . والمشهور أن تسجل بخط دقيق كلمة ((مقدم)) فوق الأول ، وكلمة ((مؤخر)) فوق الثاني. وقد يستعاض من ذلك بالحرف ((ق)) للأول، والحرف ((خ)) للثاني ، أو بخط صغير مكسور ، فوق كل منهما ، موجه إلى موضعه الصحيح من النص ، أو يحصر ذلك بين ألفينِ [ا ا] دلالة على أن كلًا مما قُربَ الألفين هو في موضع الآخر . وإذ وقع في الأصل نقص لا يعرف نصه ترك الناسخ مكانه فراغًا مناسبًا ، وأشار إلى ذلك بالحرف المختصر من بياض: ض .

٣ ـ الخطأ اللغوي :

وأما اللحن ، أي : الخطأ في الصيغة أو الصرف أو الإعراب ، فإذا ثبت أنه لا و جه له في جميع اللهجات أو مذاهب النحاة صُحِّح في المخطوطات التراثية ، على تلك الشاكلة الماضية ، ولا سيما إن كان في آية كريمة أو حديث شريف أو نص مشهور جدًّا ومتفق عليه ، أو بدا في سهو ظاهر من المؤلف بإسقاط حرف أو كلمة أو جملة ، أو زيادة شيء من ذلك .

والمعايير المعتمدة في القرآن العظيم هي القراءات الصحيحة والشاذة ، وفي النصوص النبوية هي كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمجاميع والطبقات ، وما كان له منزلة علمية في علوم الحديث ، وفي غير هذين النصين الكريمين يكون المعيار للفصاحة والبيان .

على أنه لابد من الإشارة إلى وجود مظنون من السهو أحيانًا ، وهو سليم صحيح

(١) انظر علوم الحديث ص ١٧٥ .

مقصود فيه التكرار أو الزيادة أو الحذف . فقد يكون ورود الكلمتين لتوكيد لفظي ، أوبيان صور من التركيب النحوي أو البلاغي . وذلك نحو قول عمر بن أبي ربيعة :

ألا حَبَّذا ، حَبَّذا ، حَبَّذا حَبِيبٌ ، تَحَمَّلتُ فيهِ الأذَى

وقول المأمون :

لَكَ اللهُ ، عَلَى ذاكَ لَكَ اللهُ ، لَكَ اللهُ

وقول الآخر :

* أتاكَ أتاكَ اللاحِقُونَ ، احبِسِ احبِسِ *

وربما كان الأمر عاديًا وبه يلتئم الكلام ، كقول الله تعالى : ﴿ إن أحسَنتُم أحسَنتُم لأنفُسِكُم ﴾ ، وقولك : استغرق البحث ألفَ ألفِ كلمة . وقول الشاعر :

أراني إذا ما بِتُّ بِتُّ علَى هوًى فثُمَّ إذا أصبَحتُ أصبَحتُ غادِيا

وقول الآخر :

رَفَوني ، وقالوا : يا خُوَيلِدُ ، لا تُرَعْ فقُلتُ ، وأنكَرتُ الوُجُوهَ : هُمُ هُمُ

وقول الراجز :

* أنا أبُو النَّجمِ ، وشِعرِي شِعرِي *

أو كان تكرار الكلمة في الحاشية تحقيقًا لبيان صورة ما انطمس بعضه في المتن . وكذلك النقص قد يكون حذفًا لحرف جر أو لفظ يصح حذفه ، أو إغفالًا لكلمة أو تركيب لا يخل بالتعبير .

وقد يكون في العبارة ما هو لغة عربية فصيحة ، تخالف ما تعارفه أنصاف المتثقفين ، فيجب بيان ذلك . إذ روي [1] أن في ((حيث)) سبع لغات ، وفي ((لدن)) أربع عشرة ، وفي ((رُبّ)) ست عشرة، وفي ((أُفّ)) سبعًا وأربعين ، وفي ((هيهات)) إحدى وخمسين .

---

(١) انظر الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد ص ٣٣ و ٣٨ و ٤٠ .

ومن ذلك ما هو معروف من نصب أخبار ((إنّ وكأنَّ وليت)) ، وجر اسم ((لعلّ)) ، ونصب تمييز ((كم)) الخبرية ، والنصب بـ ((لم)) ، والجزم بـ ((أن ولن)) ، ورفع خبر ((ليس)) بعد ((إلاّ)) ، وإعراب ((كلا وكلتا)) دائمًا إعراب المثنى على لغة كنانة ، وقصرهما دائمًا على لغة بلحارثِ ، وعدم اتصال ((عسى وأوشك واخلولق)) بالضمائر على لغة الحجازيين ، وصرف ما يُمنع من الصرف في النثر للتخفيف على ما حكاه الكسائي وغيره ، وزيادة ياء بعد ضمير المخاطبة في الماضي : أخبرتِيها ، أخذتِيه .[1]

وكذلك معاملة الأسماء الستة والمثنى معاملة المقصور :

إنّ أباها ، وأبا أباها قَدْ بلَغا ، في المَجدِ ، غايَتاها

* خالَطَ ، مِن سَلمَى ، خَياشيمَ وفا *

و ((مُكرَهٌ أخاكَ لا بطلٌ)) ، أو إعراب الكنية المشهورة ، مما فيه ((أبو)) ، على الحكاية في لغة القريش ، نحو قولهم : عليُّ بنُ أبو طالب ، و هذا الشعر لعمرَ بنِ أبو ربيعة ، ورحم الله أبو بكرٍ الصديق .

ثم ما كان من لغة ربيعة في الوقف على الاسم المنون المنصوب بصورة المرفوع والمجرور :[2] ((رأيت زيد ، واشتريت كتاب)) ، ومن جزم الفعل المضارع الناقص بحذف الضمة المقدرة :[3] ((لم يرضى ، ولا ترمي ، ولما يسمو)) ، أو إثبات ياء المنقوص من: ((معطي ، وباقي ، ومستكفي ، ومعاني)) ، وحذفها من : ((يدعُ الداعِ ، والمتعالِ)) . ثم ما كان من اختصار في : أيشٍ ؟ و أجَنَّكَ ، وإيوَ ، وعِمْ ، و نَ ، مما هو في الأصل : أيُّ شيءٍ ؟ ومن أجلِ أنّكَ ، وإي والله ، وانعِمْ ، وانْءَ .

(١) انظر رسالة الشافعي ص ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٥٨ .

(٢) رسالة الشافعي ص ٥٩ و ٤٤٢ و ٤٥٣ .

(٣) رسالة الشافعي ص ١٤٧ ٢٩٤ و ٣١١ و ٣٣٤ و ٣٢٧ و ٣٤٢ و ٣٩٥ و ٤١٧ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٥٥٢.

وليس من هذا القبيل الفصيحِ أو الصحيح ما جاء في مطبوعة ((الرسالة)) للإمام الشافعي ، مثل :[(١)] ((كانت لرسول الله في بُيوع سوى هذا سُننًا)) . إذ زعم الناشر احتمال زيادة ((من)) ، ثم افترض وجود لغة تنصب معمولي ((كان)) ، أو جعل الجار والمجرور اسمًا لها . وكذلك ما ذكره في : ((ما كان لهما وجهًا)) ،[(٢)] مع أنه يصح على تقدير اسم لـ ((كان)) ، أي : الاحتمال .

وقد تنبه بعض العلماء إلى هذه الزاوية الحادة في الواقع التراثي ، فندبوا إلى تقويم ما ثبت في مصنفاتهم من الخطأ الذي ذكرنا ، معتذرين وشاكرين . قال الحافظ ابن عساكر ، في مقدمة ((تاريخ مدينة دمشق)) : فمن وقف فيه على تقصير أو خلل ، أو عثر فيه على تغيير أو زلل ، فليَعذِر أخاه في ذلك متطوِّلاً ، وليُصلح منه ما احتاج إلى إصلاح متفضلاً . فالتقصير من الأوصاف البشرية ، وليست الإحاطة بالعلم إلّا لبارئ البرية .

٤ ـ رموز وأساليب فنية :

ثم إن ما يلحقه العلماء والنساخ بالنص ، تفسيرًا أو استدراكًا أو استطرادًا أو تعقبًا أو إغناء بالمعلومات والأدلة والملاحظات ، يعرف بالحاشية أو الطُّرّة . وكان مثل هذه المعلومات يلحق بمتن النص ، مع عنوان صغير يميزه مما حوله ، كقولهم : فائدة ، أو لطيفة ، أو إشارة ، أو مسألة ، أو مبحث ، أو بيان .

ثم صار بعدُ يفصل عن المتن ، ويجعل تعليقة تلحق بحواشي الصفحات وهوامشها ، مع إشارة فوق ما يعلق عليه تعيِّنُ مكانه ، وتساعد على ربط العبارات المسجلة به . وغالبًا ما تبدأ بكلمة ((حاشية)) أو ((طُرّة)) مع اسم من هي له أو رمز إليه ، وتختم بالحرف : هـ . وقد يكون معها لفظ ((المُحشِّي)) من دون ضبط ، فيتعثر المستشرقون وأمثالهم في فهمه ،

---

(١) رسالة الشافعي ص ١٧٤ . وانظر شوامخ المحققين س ٢١٨-٢٢٠ .

(٢) رسالة الشافعي ص ٣٤٢ . وانظر منه ص ١٥٨ و ١٧٤ .

ويذهب به وهمهم النهم الجشع إلى : المَحشِيّ .

فإن نُقلت الحاشية عن نسخة عبِّر ذلك بالحرف : خ أو خـــ أو ن . وإن كان من كتاب معروف سجل مِن اسمه ما يدل عليه . وإن كان للقارئ أو الناسخ سجَّل اسمه أو حرفًا منه ، نحو : ف ، ك ، س ، ت . . . وإذا حصل في الكتاب نقول كثيرة عن بعض العلماء أو المصادر العلمية كان لكل عند المؤلف رمز حرفيّ من اسمه يورده في النص ، وقد تسجل تلك الرموز في أول النسخة أو آخرها ، مع بيان الأسماء التي تقابلها من العلماء والمصادر.[1]

ثم تجد للنساخ اصطلاحات ورموزًا منهجية ، تتردد في التراث الخطي ، معبرة عما نعرفه اليوم بالتنسيق والتدقيق للنص وعلامات الترقيم . فالعناوين يكون لها الخط الأكبر وربما جُعل بلون أحمر . والمتن يسجل بحرف كبير ، وكذلك الشعر المستشهد به مع فصل بين الشطرين بفراغ أو دائرة صغيرة أو ثلاث نقاط مثلثية الشكل (∴) ، ثم يكون باقي النص بحرف أصغر ، والحواشي والتعليقات بخط دقيق ، تمييزًا له من النص الأصلي عامة .

وتكون نهاية الجملة في ذلك كله بثلاث النقاط المثلثية الشكل ، ونهاية الفقرة بالحرف : هـ ، أو بدائرة صغيرة فارغة○ كما هو شأن الفصل بين كل حديثين شريفين . فإذا قرئت النسخة، أو عورضت بالأصل المنقولة عنه ، وُضع داخل الدائرة نقطة ⊙ تعبر عن ذلك ، أو خط صغير يخرج من داخل الدائرة ، أو رسمت دائرة ثانية مماسةٍ للأولى ∞ أو داخلٍ بعضها في بعض تلك . ثم تجد أنه قد ظهرت في المخطوطات المتأخرة استخدامات للفاصلة والنقطتين أيضًا.[2]

ومن ثَمّ كانت تسجل عبارات المعارضة في ختام كل مرحلة بحاشية النسخة ، وعبارات القراءة على العلماء في ختام كل مجلس من مجالسها ، ثم في ختام الكتاب ، إشعارًا بما

(١) النموذج ٤٩ .

(٢) تدريب الراوي ص ١٥٢ ـ ١٥٣ والمخطوط العربي ص ١٥٨ ـ ١٦٠ وفهرسة المخطوط العربي ص ٣٧ .

وحُشوتُ الغيظَ في أضلاعِهِ فهو يمشي

حَظَلانًا كالنَّقِرْ

والنُّعَرَةُ ذبابٌ أخضرُ أزرقُ يدخلُ في أنوفِ
الإبلِ والدوابِّ فإذا دخلَ في أنفِ الحمارِ سمَا برأسِهِ
صُعُدًا فيقالُ حمارٌ نَعِرٌ . والنُّكَّةُ دُوَيْبَّةٌ
شبيهةٌ بالحِرباءةِ تبرُزُ في ... لها ذَنَبٌ طويلٌ مثلُ
ذَنَبِ الحِرباءةِ وفوا... خفيّةٌ . ويُرى به
وادٍ من أوديةِ اليمنِ . والنُّفَيلةُ الأرنبُ
الصغيرةُ التي قد أن تنفصلَ عن الخِرْنِقِ فارقت
أُمَّها . والقُبَّعةُ طويئرٌ أبقعُ مثلُ العصفورِ يكونُ
عندَ جِحَرةِ الجِرذانِ فإذا فزع أو رُمي انجحر
وهي القُنْبَرةُ لتنحرِهِ . والعُنْدُبةُ . والدُّرْعيَّةُ
طائرٌ شبيهٌ بالدُّرّاجةِ . والدُّرّجةُ طائرٌ أسودُ
باطنِ الجناحين وظاهرُهما أغبرُ وهي على خلقةِ
القَطاةِ إلا أنها ألطفُ . والقُصَعَةُ والنُّفَقةُ من جِحَرةِ
اليربوعِ . وزاد الأحمرُ الرُّهَطةَ والدَّمَمةَ وهي
الرّاهطةُ . وهي الدَّولةُ والتُّولةُ للداهيةِ يقال جاء
بدولاتِهِ وتولاتِهِ . وهي القُرْزَةُ لما يلصقُ في أسفلِ القِدرِ
والقُرارةُ . والخُرْزَةُ وجعٌ يأخذُ في الظَّهرِ . والنُّخْرةُ
من الفرسِ والحمارِ مقدَّمُ أنفِهِ . وخَرَزةٌ يقالُ
لها العُقْرةُ تشدُّها المرأةُ في حَقْوِها لئلا تحملَ
ويقالُ للخَرَزةِ الحُمْرةُ وقال ابنُ الأحمرِ

النموذج ٤٩ من إصلاح المنطق : ترميز الحواشي

كان للنص من عناية وتدقيق وتصويب .[١] وربما كان للنص قراءات متعددة في أسانيد تبلغ العشرات ، مع معارضات ومقبلات بنسخ الشيوخ والعلماء أو تلاميذهم والآخذين عنهم . ويتحصل من تلك الإجراءات المتكاثرة تعليقات وحواش وتصويبات واستدراكات لها أساليبها ورموزها المتمايزة . وفي ذلك توكيد للتوثيق والتحقيق .

وقد تكاثرت هذه الرموز الفنية بين أيدي العلماء والنُّسّاخ ، بحيث يتعذر إيرادها كلها . وحسبنا أن نذكر ههنا بعض ما جاء في النصوص التراثية من ذلك ، مع ما يقابله من المقصود . نحو :[٢]

ثنا : حدّثنا

ثني : حدثني

أنا : أنبأنا

أرنا : أخبرنا

المصـ : المصنِّف

ص : المصنَّف

الشـ : الشارح

أيض : أيضًا

م : معتمد أو معروف

---

(١) النموذجان ٥٠ و ٥١ .

(٢) يضاف إلى هذا بعض الرموز المستحدثة : ق . م : قبل الميلاد ، م : الميلادي ، هـ : الهجري ، ص : صفحة ، س: سطر ، جـ : جزء ، ت : تاريخ أو تاريخ الوفاة ، تر : ترجمة ، د : دكتور ، د . ت : بدون تاريخ ، ط : طبعة ، عم : عمود، مط : مطبعة ، ن : ناشر . هذا مع العلم أنه لايستخدم الميم والهاء إلا إذا كان في الكتاب ما له تاريخ هجري ، وآخر ميلادي. فإن خلا من ذلك وجب عدم الرمز بهما أصلاً .

بلغ

30

فصار كالمجهول على كلام السائل فردّه على معرفته بالألف واللام كأن السائل
قال قال أبو جعفر الشرف خواص رجال امر تبوا ان يكن الشرف جمهرة حي
إنما جمهرة الحي جمهرة به على كلامه يعرف ما تكلم به ومثل هذا يقع في الجواب

باب الأسماء الكناية

الأصمعي الجمهرة النفر الذين يمر بهم العشرة فما دونهم جمهرة قال ابن سلمى الجهنية

تردُ المياهَ حضيرةً ونفيضةً ... وِرْدَ القطاةِ إذا اسمألّ التُبَّعُ

اسمألّ تقلص وأصل ذلك اسميلال الظل والتبع الظل تريد انه يغزو وحده
في موضع الحضيرة وفي موضع النفيضة وقد انتصبا على الحال كأنه قال كافيًا
عن حضيرة ونفيضة ومثله قول امرأة من العرب

يا خالدًا يا خالدًا ... ألفًا ويُدعى واحدا

ويجوز ان يكون أرادت انه يغزو مع حضيرة
ومع نفيضة ثم حذفت مع وانتصابهما في هذا الوجه الثاني على المفعول به والنفيضة
الذين يتقدمون الجيش فينظرون الطريق ويعرفون ما فيه وقولها ورد القطاة
فيه حذف وتقدير الكلام ترد وِردًا مثل وِرد القطاة ومثله ضربته ضرب
الإبل أي ضربًا مثل ضرب الإبل فيه حذف المنعوت وإقامة النعت مكانه
وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تريد بذلك أخاها أسعد وكانت
بنو سليم قتلته وقال أبو شهاب الهذلي معقل

فلو أنهم لم ينكروا الحق لم يزل ... لهم مقعدٌ منا عزيزٌ وناصرُ
رجالُ حروبٍ يسعرون وحلقةٌ ... من الدار لا تمضي عليها الحضاجرُ

يقول لو أنهم اعترفوا بما فعلنا بهم من الجميل وشكروا لنا لكنا عزًا لهم
وملجأ يلجئون إليه ورجالُ حروبٍ رفعه من وجهين أحدهما أن تجعله خبر
ابتداء محذوف كأنه قال هم رجال حروب والثاني أن يكون بدلا من

النموذج ٥٠ من تهذيب الألفاظ : تسجيل المعارضة والقراءة

تراها تذود بغيرانها وتحميها بابرح ذو عجما

يعني القطية تذود بالسنتها لا تبصر من شدة الحر

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين

وكتب هبة الله بن محمد بن ابراهيم بن [illegible]

بمدينة السلام سنة تسع وثمانين واربع مائة

ابو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت كان من اكابر اهل اللغة والنحو والسكيت لقب ابيه

اسحق اخذ عن ابي عمرو الشيباني والفراء [illegible] ابو سعيد السكري وابو عكرمة الضبي [illegible]

ذكر [illegible]

[illegible]

النموذج ١١ من تهذيب الألفاظ : تسجيل المعارضة

إلخ : إلى آخره

رضي : رضي الله عنه

ج : جمع

جج : جمع الجمع

ح : حينئذ

مح : محال

تع : تعالى

ع م : عليه السلام

يخ : يخلو

نـم : نسلم

مع : معلول

س : سيبويه

ق : قال

اهـ : انتهى .[١]

ونحن علينا أن نتنبه إلى تلك الأساليب المنهجية ، حين نقل النص إلى أوراقنا الخاصة ، ونستفيد منها بدقة وعناية ، فنضع ما تتضمنه من التعبير في موقعه المناسب في المتن ، أو ننقله إلى الصفحة المقابلة لما نسجل ، بغية الاستعانة به في عمليات التحقيق ومتمماته .

(١) هذا ما نعبر عنه اليوم بأقواس الاقتباس ، وهو يعني أن النص المقتبس قد انتهى . وكثيرًا ما يرد بدلاً منه عبارات، نحو : انتهى ، آخر قول فلان ، إلى هنا قوله ، هذا آخر كلامه ، هذه ألفاظه ، هذا قوله ، قلتُ . . . انظر المساعد على بحث التخرج ص ٨١ وشرح قواعد الإعراب ص ١٨ .

المقابلة للنص :

بعد ما قمنا به من إثبات النص كله ، مراعين أحوال نَسخه والرموز الفنية المستخدمة فيه ، ننتقل إلى الخطوة التالية من إجراءات التحقيق . وهي مقابلة ما نسخناه نحن بالأصل المعتمد الذي نقلناه عنه للتصويب والإتمام ، ثم مقابلات بها في النسخ المتممة والردائف . وهذه المقابلات الأخيرة تساعدنا على تقويم النص وترميم نقصه ، وتسديد ما فيه من خلل أو اضطراب ، وتحقيق العبارة لتصير في اللفظ والمعنى إلى ما وضعها عليه المؤلف نفسه ، أو أقرب إلى ذلك ما أمكن.

١ ـ أُصول المقابلة :

وهذا الأصل من أصول التحقيق يقال له : المعارضة والمقارنة والعِراض . وقد كان له في الحضارة الإسلامية تنظير وتطبيق منذ عهد النبوة . فقد ذكرنا في الفصل الأول ما كان من الأمينَنِ النبي وجبريل ـ عليهما السلام ـ في معارضات رمضان للنص القرآني . ثم ما كان ما يفعله الصحابة من مراجعة للنبي ، فيما نقلوا عنه ، لتحقيق العبارة وتوثيق النص .[1] كذلك صار الشأن فيما يكتب من الحديث الشريف ونظائره ، من العلوم الإسلامية المختلفة .

وقال بشير بن نهيك : كنت أكتب عند أبي هريرة ما سمعته منه . فإذا أردت أن أفارقه جئت بالكتاب فقرأته عليه فقلت: أليس هذا ما سمعتُه؟ قال: نعم.[2] وقال يحيى بن مَعين: سمعت أبا مُسهِر ، وذكر أصحاب الزُّهري ، فقال : ((أحسنُ أهل الشام من عرضَ)) . وقال صالح بن محمد : سماع ابن جُريج عن الزُّهري كله عرضٌ ومناولة .

ولما رأى أبو موسى الأشعري ابنه أبا بُردة (ت ١٠٣) عامرًا يأخذ عنه الحديث ، بغير

---

(١) انظر تقييد العلم ص ٩٥-٩٦ والآداب الشرعية ٢: ١٢٥ .

(٢) جامع بيان العلم ١ : ٧٢ ـ ٧٤ ومعرفة النسخ ص ٢٦١ والمحدث الفاصل ص ٥٣٨ ودلائل التوثيق ص ٤٣٦ .

أصوله في التوثيق ، أراد أن يعلمه ما يجب عليه . قال أبو بُردة [(١)] : ((كنت إذا سمعت من أبي حديثًا كتبته . فقال : أي بُنَيّ ، كيف تصنع ؟ قلت : إني أكتب ما أسمع منك . قال : فائتني به . فقرأته عليه . فقال : نعم . هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ . ولكني أخاف أن يزيد أو ينقص)). فقد كان الابن يسجل ما يتلقاه ، ولا يوثّق ذلك بالعرض على أبيه ، فوجهه الوالد إلى الصواب ، وأجرى معه عملية المعارضة ، يبين له طريقة الضبط الكامل ، لما يأخذ من رواية الأحاديث .

وذكر عبد الله عن أبيه أحمد بن حنبل أن عبد الرحمن الطيب جاءه بجزأين وقال له : أجِزْه . فقال له : ضعه . تأتي غدًا . ثم أخذ الكتابين فعارض بهما كتابه وأصلح له خطه . فلما جاء بالغد قال : إن أحببت أن تروي عني هذا فافعل . وقال الربيع بن سليمان : فاتني من البيوع من كتاب الشافعي ثلاث ورقات ، فقلت له : أجِزْها لي . فقال : ((ما قُرئ عليّ كما قُرئ عليّ)) . وردّدها غير مرة ، حتى أذن الله في جلوسه فقُرئ عليه . [(٢)]

وقال عروة بن الزبير لابنه هشام : كتبتَ ؟ قال : نعم . فقال : عرضتَ كتابك ؟ قال : لا . فقال له : ((لم تكتب)). وروي عن الأخفش أنه قال : ((إذا نُسخ الكتاب ولم يعارَض ، ثم نُسخ ولم يعارَض ، خرج أعجميًا)) .

وقد بيّن القاضي عياض حكم هذه العملية الإجرائية ، بقوله : أما مقابلة النسخة بأصل السماع ومعارضتها به فمُتعيّنةٌ لا بد منها . ولايحل للمسلم تلقي الرواية ، ما لم يقابل بأصل شيخه أو نسخة تَحقّقَ ووثقَ بمقابلتها بالأصل . وتكون مقابلته لذلك مع الثقة بما في كتاب الشيخ .

---

(١) مجمع الزوائد ١ : ١٥١ .

(٢) انظر الكفاية ص ٣١٧ ـ ٣٥٢ وعلوم الحديث ص ١٣٤ ـ ١٥٧ وإرشاد طلاب الحقائق ص ١٢٨ ـ ١٤٠ ومعرفة علوم الحديث ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

ثم أوجب على المرء أن يُجري بنفسه تلك المقابلة ، ليعارض ما نسخ كلمة كلمة وحرفًا حرفًا بنسخة الشيخ ، ويكون على ثقة ويقين من المطابقة الدقيقة . فلا يجوز له الانخداع بما نسخه الثقات ، من دون مقابلة وتوثيق ، ولا على ما نسخه هو نفسه ، ما لم يقابله بيده ويصحح ذلك . فإن الفكر يذهب والقلب يسهو والنظر يزيغ والقلم يطغى ، وضابط الصواب هو المعارضة الدقيقة .[١]

وقد شرح العلماء طريقة المقابلة ، ومنازلها من الصواب والدقة ، في اختيار النص المعتمد ، وجعلوا الشرط في ذلك أن تكون المقابلة بأصل صحيح موثّق . فالدرجة الأولى بالأصل ، أي : بنسخة المؤلف نفسه ، أو بفرع مقابَل بها موثّوق به ، ثم بفرع قوبل بآخَر على الترتيب . والغرض المطلوب هو أن يكون الكتاب الحاصل لدينا مطابقًا لأصل المؤلف . وتجري تلك العملية بتثبيت النص على رواية مختصة ، ثم تلحق بها زيادات ، وتوضع علامات النقص في مواضعها ، وتسجل الخلافات في الحواشي ، ومع كل منها ما يبيّن صاحبها ، من اسم أو حرف أو رمز مناسب .[٢]

وإذا كان طالب العلم على ثقة ويقين ، من دقته وملاحظته ، فليس له الانخداع بصحة ما نسختْ يده ، ولابد له من المقابلة . وهو أولى بها ليراعي المطابقة حرفًا حرفًا . وإذا كان من عادته السهو وجب عليه أن يقوم بها معه الغير . وأيٌّ كان من ذلك فلابد أن يضع الطالب علامات الوقوف من الكتاب بلفظ : بلغ أو بلغتُ ، أو بلغ العرض . وتكون هذه العمليات قبل السماع من الشيخ أو القراءة عليه ، ليتيسر الضبط الكامل وتصحيح ما أشكل ، لأن القراءة بغتة يحصل فيها أغلاط وتصحيفات ، ويدخل فيها التدليس والكذب في دعوى القراءة . ثم ليُعلمْ أنه لو عورض الكتاب مِائَةَ مرة ما كاد يسلم من السهو أو الخطأ .[٣]

---

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) انظر الإلماع ص ١٨٩ وفتح المغيث ٢ : ١٦٧ .

(٣) انظر الاقتراح ص ٢٦٣ و جامع بيان العلم ١ : ٩٣ .

كانت هذه التفصيلات مقررة لدى العلماء ، يراعون تنفيذها في أعمالهم لتوثيق الرواية وتحقيق النصوص . وقد نشأت في أول أمرها على أيدي علماء الحديث الشريف ، وتوسعت جنباتها ، وتطاولت فروعها وجزئياتها . ثم تناولها رجالات العلوم الإسلامية ، فاعتمدوها في تلقي الروايات والكتب والمعارف ، وأضافوا إليها ما يتطلبه الاختصاص في ميادينه ، حتى أصبحت أصلاً علميًّا ، له حضوره المتمكن في الحضارة الإسلامية العربية .

ولذلك نشطت إجراءات المقابلة هذه ، في البيئات العلمية المختلفة ، وصار لها اختصاص يتميز به أصحابها العاملون في ميدانها . ومما يذكر ههنا أن ابن الفرات (ت ٣٨٤) أبا الحسن محمد بن العباس - وهو من حُفّاظ الحديث الثقات في بغداد - كان قد نسخ مِائَةَ تفسير ومِائَةَ تاريخ ، وكانت له جارية تعارض معه ما يكتب ، وخطه حجة في صحة النقل وجودة الضبط .(١)

٢ ـ المقابلة بالنسخ والآثار :

وأول هذه العمليات ، فيما بين أيدينا نحن من النص التراثي الذي نحققه ، يتصل بالنسخة الأم التي اتخذناها أصلاً للنص ، حيث نعارض ما نسخناه نحن بتلك النسخة كلمة كلمة ، وجملة جملة ، وعبارة عبارة ، حتى نستوفي الكتاب كله . ويحسن أن يكون معنا في هذا زميل آخر ، يتابع القراءة والضبط وسياق النص ، في جميع ثناياه وأقسامه . وبذلك نصحح ما كان من سهو أن نقص أو زيادات ، ليصبح بين أيدينا نص مطابق للأصل المعتمد .

ثم تكون عمليات مماثلة ، نعارض فيها هذا المصحَّح بالنسخ ، واحدة فواحدة ، وننقل إلى الصفحات الشاغرة أمامه أو إلى أوراق خاصة ما يرد من خلافات ، مع أرقام تبين موضع الخلاف ، ورموز تعين النسخ التي حصل فيها ذلك . ومجموع ما ننقله في تلك الصفحات والأوراق خلال العمليات المذكورة ، مع ما جاء في النص المسجل بيدنا قبل ،

(١) تاريخ بغداد ٣: ١٢٢-١٢٣ وطبقات علماء الحديث ٣: ٢٠٩-٢١١ واللباب ٢: ١٩٩ وسير أعلام النبلاء ١٦: ٤٩٥-٤٩٦ .

يمثل صورته كما نقله إلينا التاريخ التراثي . وهو المادة الكتابية التي تسعفنا في الوصول إلى التحقيق ، كما أراد المؤلف من لفظ ومعنى .

وما يرد من زيادات في حواشي الأصل والنسخ يجرَّد أيضًا ، ويسجل مع الخلافات في مواضعه المناسبة ، مع تلك الرموز والأرقام . وهو مادة ثانوية تساعد على تصويب النص ، أو فهمه وتوجيه مقاصده وحل بعض المشكلات ، أو توضيح جانب من الإشارات والمعلومات والأخبار والأدلة والنتائج . ومردود هذه المادة الجديدة قد ينعكس مباشرة على التصويب ، أو يكون له حضور في المراحل التالية .

وإذا كان للنص شروح أو اختصارات أو اقتباسات أو ترجمات فإن المعارضة تقتضي الرجوع إلى تلك المصنفات ، لمقابلة ما فيها بما في النص ، وتتبع ما يتضمنه من عبارات تحتاج إلى الترميم أو التقويم . ذلك لأن ما أُلِّف حوله غالبًا ما يَعتمد أصلاً علميًّا موثقًا ، فتكون عباراته أقرب إلى الدقة والبيان والصواب . ومُهِمّة المحقق أن يستفيد من كل مورد فيه مَظِنّةُ العطاء الإيجابي السديد .

ومن مجمل هذه المعارضات المتعددة ، قد يتبين أن في النص عبارات مقحمة بجهل من النُّسّاخ ، أو خرومًا بعوامل المؤثرات الطبيعية والشخصية ، فيُشار إلى ما هو إقحام بقلم الرصاص أو بقلم أحمر ، وإلى مواطن الخرم والقصور بفراغ بين الكلمات تشغله نقاط متقاربة أفقيًّا (. . .) . وهذا يعني أنها مواضع شُبهة وتحرٍّ ، يوقف عليها في حينها ، عند التحرير للعبارات وتثبيت صورها النهائية .

وأمثلة ذلك غفيرة في النصوص التراثية ، يسددها ويهذبها ويرمم ثُغُراتها ما تتضمنه المصنفات بما تحمله من تأثر أو تأثير في تاريخ العلوم . هذا ((كتاب الاختيارين)) يحمل فيما يحمل شروحًا لقصائد من المفضليات ، وفيما وصل إلينا من نسخه الخطية مواقع اضطراب وخلل وقصور ، لاتجد ما يقوّمها في النسختين الوحيدتين . وقد ساهم في حل بعض تلك

المشكلات شروح أُخرى للمفضليات ، لما بين العبارات من تشابه أو تطابق .

ومن ذلك ترميم النقص وتقويم الخلل وسِداد الثُّغُرات ، بالاعتماد على شرح الأنباري للمفضليات ـ وهو مطبوع ـ وشرح آخر في نسخة خطية من المتحف البريطاني . ويمكنك أن تتلمس ذلك الصنيع في نحو الصفحات ٣٤٠ و ٣٤٢ و ٣٤٨ و ٣٥٣ و ٤٠٤ ـ ٤٠٨ و ٤٦٠ و ٧٢١ من الكتاب المذكور . ففيها نماذج عملية من الترميم والتقويم . ومن هذا القبيل ما يقدمه كتابا عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، من خدمة لكتاب ((نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)) الذي صنفه الفخر الرازي اختصارًا لهما .

وقد يكون الاعتماد على ما هو أصل للنص وما هو فرع عنه أيضًا . فابن يعيش ، بعد أن شرح ((التصريف الملوكي)) لابن جني ، أنجز شرحه على ((المفصل)) للزمخشري ، وفيه موضوعات صرفية أيضًا ، كثير من عباراتها يشابه أو يماثل ما في كتابه الأول . فلا غرو أن يكون في الكتاب المذكور لابن جني وفي ((شرح المفصل)) عون على التحقيق والتوثيق .[1]

ومن هذا القبيل ما كان لشرح الرسموكي الجزولي على ((القصيدة المجرادية)) ، إذ وضع العمراني حاشية على هذا الشرح ، فكان كل من االقصيدة والحاشية يزوّدان الشرح بتسديد وتقويم . وكذلك ما تراه في ((الممتع الكبير)) لابن عصفور ، إذ اختصره أبو حيان في ((المبدع)) ، ثم نقل عنه مرارًا في كتابه ((ارتشاف الضرَب)) . وقد ساعدني ذلك وغيره من المصادر المعتمدة ، على ترميم ما اختل في بعض عبارات ابن عصفور .[2]

تثبيت النص وترميمه :

لقد جمعتْ لنا الإجراءات العملية المتقدمة مادة وافية لاختيار الصورة الحقيقية أو القريبة منها في النص . فقراءة التحقيق أعطتنا الوعي الدقيق للمضمون والتعبير والتفكير ،

---

(١) انظر شرح الملوكي في التصريف ص ١٤١ و ٤٥٧ .

(٢) انظر الممتع الكبير ص ١٨ و٦٥ و ٧٣ و ٤١٢ و ٤٢٢ و ٤٢٤ و ٤٢٥ .

والنقل للنص وضع بين أيدينا مادة بدائية قابلة للتصويب والتعديل ، ومفعمة بالتصحيف والتحريف والتصرفات الشخصية . ثم جاءت المقابلات المتعددة بالنسخ والآثار التراثية ، والمطالعات للنصوص المحققة والمدروسة علميًّا، لتمنحنا الوسائل العملية للنفوذ في النص، وإعطائه الشكلَ الحقيقي أو القريب منه كما وضعه عليه صاحبه ، بصياغة علمية موثقة .

وهذه الصياغة تعني أن نتتبع كل جزئية منه ، في إطار ما حولها من المعلومات والعبارات ، لنثبتها بما يوافق ذلك ، من خلال النسخ المتعددة : الأصل والمتممات والردائف ، مع ما استوفيناه من الآثار التراثية المساعدة . ومن مجموع تلك العمليات المتوالية المتعاونة ، نستطيع أن نحقق سياق النص كله ، فنزيل ما فيه من تصحيف وتحريف ، ونوحد شخيصته الموضوعية ، ونمنحه التكامل والصفاء والوضوح والبيان .

١ ـ التغيير والتبديل :

إن التصرفات الشخصية في التلقي والأداء يتعذر ضبطُ أشكالها وأبعادها ، ووضعُ أصول لتجاوزها وتصويبها ، لما في النفوس من تباين في القدرات والمقاصد والرغبات والتطلعات . أما التصحيف والتحريف فلهما دراسات وأساليب مقررة للضبط والتقويم . فالأول منهما أصله الخطأ في قراءة الصحيفة المسجلة ، أي : الكتاب ، ثم انتقل إلى الخطأ في كتابتها أيضًا ، وهو مستفاد مما كان يعرف عند العلماء بالصَّحَفيّ .

قال الخليل : ((إن الصَّحَفيَّ : الذي يروي الخطأ عن قراءة الصُّحف باشتباه الحروف)) .[١] وقال غيره : ((أصل هذا أن قومًا كانوا قد أخذوا العلم عن الصُّحف ، من غير أن يلقَوْا العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عنده : قد صحَّفوا [الكلام] ، أي : ردَّدوه عن الصحف . وهم مصحِّفون . والمصدر التصحيف)) .[٢]

(١) في الأصل وتحقيق النصوص ونشرها ص ٦٣ : بأشباه الحروف .

(٢) التصحيف والتحريف ص ١٣ . وانظر المزهر ٢ : ٣٥٣ ـ ٣٩٤ .

وبهذا صار المفهوم الاصطلاحي هو : تغيير الكلام لتشابه الحروف والتباس بعضها ببعض ، ويكون فيه تبديل اللفظ والمعنى . نحو : سمح وسمع ، ونبات وبنات ، وارتحال وارتجال ، وكان وكاد ، وتامر وتأمر ، والأحزم والأخرم ، ونيقور وتيقور ، وحب وجب ، والسيح والشيخ ، وفلفل وقلقل ، ونُقيلة ونُفيلة ، وقحمة وفحمة ، والسراة والشواة ، وكاسر وكاشر ، وقيس وفيش ، والحباء والخباء ، وتحش وتحس ، وعزة وغرة ، وحيوان وحيوات ، ومقتضب ومغتصب ، ومراجم ومزاحم ، ودجاجة وزجاجة ، وصواب وجواب ، وعترته وعنزته ، وسديد وشديد ، وجنان وحنان ، ولحم ولخم .

وأما التحريف فتغيير الكلام في النقل لتشابه المعاني وتقاربها ، أو لعدم فهم الناسخ ما ينقله من خط مخالف لمعارفه ، ويكون فيه تبديل اللفظ دون المعنى العام للعبارة . نحو : عمل وصنع ، ودفع ورفع ، وعلم وفهم ، واستعفاء واستغناء ، والتعامي والتغاضي ، ومرح وفرح ، وأكبر وأكثر ، وأفخم وأضخم ، وساكن وساكت ، وعاسل وعامل ، وشل وسل ، ورجع وعاد ، وطرد وشرد ، وسنّ وشنّ ، نفح ونضح ، وتجاهل وتعامى ، وحريق وغريق ، ويمامة وحمامة ، وطريح وضريح ، وضيف وطيف ، وإفراج وإخراج ، ولا تَقضِ ولا تُفتِ ، وخطّي وحفظي ، وحكيم وحليم .(١)

وذكر أيضًا في مثل هذا الميدان شيء من الوهم تحت اسم : التبديل . فقد سأل أبو زيد الأخفشَ : كيف تقول : يوم التروية ؟ أتهمز؟ قال : نعم . قال : ولِمَ ؟ قال : لأني أقول : روّأتُ في الأمر . قال : أخطأتَ . وإنما هو : تروَّيتُ من الماء . فقال العسكري : ((وهذا من التبديل ، لا من التصحيف)) .(٢) قلت : التبديل مفهوم عام يشمل كل تغيير ، وكون ما

(١) قيل : تغيير النقط تصحيف ، وتغيير الشكل تحريف ، وتغيير النحو واللغة خطأ ولحن . انظر كشاف اصطلاحات الفنون ١ : ٤٤٩ـ٤٥٠ والكليات ٢ : ٢٧ وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٣ وشرح نخبة الفكر ص٣٢.

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ٨٨ . وذكروا الغلط في التفسير تحت اسم التصحيف . المزهر ٢ : ٣٨١ـ٣٨٢ .

صدر هنا عن الأخفش لحنًا أولى .

أضف إلى هذا أنه ثمة تغيير آخر ، يحصل في النقل والنسخ ، يخالف التصحيف والتحريف ، فيكون منه تقديم وتأخير في ألفاظ الجملة أو نسق الأسطر والعبارات ، أو حذف لشيء منها ، أو زيادة لما ليس فيها ، كما ذكرنا من قبل . وبذلك قد يستحيل المعنى ويفسد التركيب ، أو يكون فيه خلل طفيف ، أو يبقى على مقاصده ودلالاته . لكنه لابد من تحقيقه ورده إلى ما كان عليه ، حين وضعه صاحبه .

فالكتاب الذي يتداوله النَّسخ ، كما ذكر الجاحظ ، تتراكب فيه الأوهام ويكثر فيه الاختلال ، إذ يصير بعد النقل الأول : ((نسخة لإنسان آخر، فيسير فيه الورّاق[١] الثاني سيرة الأول . ولا يزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطًا صِرفًا ، وكذبًا مُصمَتًا)) .[٢] هذا وارد ومشهور بين العلماء في القرن الثالث . فما ظنك بما انتهى إلينا في القرن الخامس عشر ؟

ثم هناك تغيير السماع ، إذ يكون إدراك المتلقي للكلام مختلاً ، فينقل إلى الناس خلاف الصواب . وهذا كثير في حياة النقلة الأغرار. ذكر الفراء أنه ليس كل أحد يحسن الأخذ عن الأعراب ، وأن عليًّا الأحمر قال يوماً: حمراءة وبيضاءة . فأنكر عليه الكسائي ذلك ، فقال سمعت أعرابيًّا ينشد في وصف السحاب :

كـأنَّ في رِيقـتـِهِ ، لـَمّـا ابتَسَمْ ﴿ بَـلـقـاءةً في الـخَيـلِ ، عَن طِـفـلٍ مـُتـِمْ

فقال له الكسائي : ويحك . إنما هو :

* بَـلـقـاءَ ، تَـنفِـي الـخَيـلَ عَـن طِـفـلٍ مـُتـِمْ *

(١) الوراق هو الناسخ .

(٢) الحيوان ١ : ٧٩ .

أي : تطردُ .[(١)]

وقد تضمنت طبيعة الخط العربي ، كسائر الخطوط اللغوية على ما جاء عن أرسطو في قديم الزمان ،[(٢)] بعض الظواهر المسببة للتصحيف والتحريف والتغيير . ومن ذلك ما تراه بين أفراد هذه الزمر من الاشتباه ، حين دخولها في الكلمات : الباء والتاء والثاء والياء والنون ، الدال والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، والطاء والظاء ، والعين والغين ، والفاء والقاف ، والكاف واللام ، والهمزة والألف اللينة والممدودة . وقد يكون الاشتباه بين أفراد زمر متعددة منها أيضًا .

وكثيرًا ما يهمل النُّسّاخ إعجام بعض الحروف ، للعجلة أو ليسر بيانها في السياق ، فيترتب على ذلك احتمال لوجوه متعددة من القراءة للعبارة الواحدة . ثم تتعقد المسألة بالنقول المختلفة بين النُّسّاخ ، بحسب تلك الاحتمالات ، فتجد التغيير الكثير المركب ، لما كان عليه القول حين أنشأه المؤلف أو الشاعر أو الكاتب . ولهذا كان بيت للأعشى مثلاً يحتمل ١٠ روايات ، وآخر للحطيئة فيه ٦ تصحيفات ، وكلمة واحدة تصحَّف على ٣٠ وجهًا ، وأُخرى يكون فيها ٢٠٠ وجه .[(٣)]

بل لقد حكى القاضي أحمد بن كامل ، قال : حضرتُ بعض مشايخ الحديث من المغفّلين ، فقال : ((عن رسول الله عن جبريل عن الله عن رجل)) . قال : فنظرت : من هذا الذي يَصلح أن يكون شيخ الله ؟ فإذا هو قد صحَّف ، وإذا هو : ((عزّ وجلّ)) .[(٤)] وثمة

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٧٦ .

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف ص ٢٧ . لكن المستشرقين يجعلون العربية شر اللغات في ذلك ، ظلمًا وبهتانًا . أصول نقد النصوص ص ١٧ ـ ١٨ و ٨٠ و ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٢١٤ ـ ٢١٦ و ١٠١ ـ ١٠٢ والتنبيه ص ٢٨ و ٢٩ ـ ٣٢ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٧ ـ ١٨ .

روايات عن تصحيف بعض رواة الحديث من الجهلة الأغرار .[١] وكان حماد الراوية قد حفظ القرآن الكريم من مصحَف ، دون أن يأخذ ذلك عن القـرّاء ، فوقع في تصحيفات تجاوزت الثلاثين ، و لو قرئ بها لكانت صوابًا .[٢]

أما الشعر فحدِّث عن التصحيف فيه ولا حرج [٣] فقد كان لأبي عبيدة معمر بن المثنى صاحب يقال له كَيسانُ ، عُرف بين الناس بالنقل العجيب في أوهامه المركبة . حتى قيل : إن العلم يُمسخ على لسان كَيسانَ ، يَكتب في ألواحه خلاف ما سمع ، وينقل من ألواحه إلى الدفتر خلاف ما في ألواحه ، ثم يقرأ في الدفتر خلاف ما فيه .[٤] قلت : ولعله كان يفهم أيضًا غير ما يقرأ ، ثم يروي غير ما فهم .

وقد تابع علماء الإسلام والعروبة هذه الظاهرة التاريخية بالدراسة والتفصيل ، وعرضوا النماذج وأساليب التقويم ، فكان لدينا مصنفات متعددة التوجهات . فمنها ما هو عام يمثل سائر المستويات اللغوية ، كالذي ألفه حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠) ، والحسن بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢) ، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٤) ، وعثمان بن سعيد البلطي (ت ٦٠٠) ، وشُميم الحلي علي بن الحسن بن عنتر (ت ٦٠١) ، وخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤) ، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١٣) .

ومنها ما كان في موضوعات خاصة كتصحيف العلماء لابن قتيبة (ت ٢٧٦) ، وما صحفه الكوفيون لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٥) ، أو ما كان في تصحيف الأسماء الأعلام ،

(١) إصلاح أغلاط المحدّثين ص ١٩ ـ ٧٤ . وانظر تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف .

(٢) المزهر ٢ : ٣٦٨ . وفي تحقيق التراث ص ١٥٧ آيتان مما كان فيهما تصحيف ، حصل فيهما تصحيفان آخران أيضًا من المؤلف .

(٣) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٣٤ـ١٧٦ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ١٢.

كالذي صدر عن محمد بن حبيب (ت ٢٤٥) ، والحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠) ، والحسن بن عمر الدارَقطني (ت٣٨٥) ، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ، وابن ماكولى الحسين بن علي (ت ٤٧٥) ، وابن القيسراني (٥٠٧)، ومحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨).[(١)]

٢ ـ تصحيف وتحريف :

ومما يذكر ههنا ، مثالاً للتصحيف الشنيع مع التحريف ، أن أحد المستشرقين قال في بحث له : ((يروى عن قبيلة كَبعَز أنها كانت تنطق سأق بدلاً من ساق)) .[(٢)] وأنت ترى أن في الكلام ما لا يُعرف له وجه ، وهو منقول بتصرف من مصدر مشهور بين الناس . فإذا رجعت إليه وجدت العبارة كما يلي : ((أما قراءة من قرأ ﴿ وكَشَفَتْ عَن سأقِها ﴾ فإنه همَزَ لمشابهة الألف الهمزةَ . وقيل : هي لغة كَبأزٍ)).[(٣)]

وما جاء في ختام النص هو مركب من الكاف و ((بأز)) التي هي مهموزة من ((باز)) على لغة لبعض العرب . وقد ظنها المأفون كلمة واحدة ، وليس لديه ما يلفظ به الهمزة ، فجعلها بلفظ قريب منها وغريب عنها وعنه ، وصاغ من الكلمتين اسمًا لقبيلة أسطورية .

ومن قبيل ذلك أن ذِكْر المبرد في الفهرست ورد فيه : ((وقد نظر في كتاب سيبويه في عصره جماعة لم يكن كتب عنه)) .[(٤)] كذا أول ما جاء في مطبوعتي ليبسغ الاستشراقية عام ١٨٧٢ والقاهرة ، وآخره في مطبوعة القاهرة . أما آخره في مطبوعة ليبسغ فهو: ((كتب هته)). وفي الصورتين تركيب لا معنى له .

---

(١) مفتاح السعادة ١ : ٢٧٦ ـ ٢٧٨ وكشف الظنون ص ٤١١ وإيضاح المكنون ص ٢٩٣ ومقدمة شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص : (ك ـ م) وتحقيق التراث ص١٥٦ ـ ١٥٧ ومناهج تحقيق التراث ص ١٤٣ ـ ١٤٨ .

(٢) انظر مجلة المورد ١ : ٣ و٤ : ٥٠ ـ ٥٤ .

(٣) المخصص ٢ : ٥٢ .

(٤) الفهرست ص ٦٥.

ولما كان قبل العبارة نفسها في الكتاب ((قال أبوسعيد رحمه الله)) تبين أنها من كتاب للسيرافي . والمعروف أن لهذا العالم مصنفًا عن نحاة البصرة ، وفيه ترجمة للمبرد . فإذا رجعت أنت إلى أواخر تلك الترجمة رأيت ما يلي : ((وقد كان من نظرائه في عصره ، ممن قرأ كتاب سيبويه على المازني ، جماعة لم يكن لهم كَنَبَاهتِه)) .[١] وهكذا يصح ما أراده السيرافي ، ويكون فيه فائدة تاريخية حقيقية .

وأوضح من هذا وذاك في الدلالة ما جاء في عبارة السيوطي ، عن مصادر جمع لغة العرب عند العلماء . وهو[٢] : ((فإنه لم يؤخذ من . . . ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس)) . وفيه هنا ما يوهم أن ((اليمن)) بجوار بلاد اليونان ، وأن بني بكر بن وائل هم مجاورون للأقباط .

وعندما تراجع هذه المقولة في كتاب آخر للسيوطي ،[٣] تجد أن ((اليمن)) صوابه ((النَّمِر)) أي : قبيلة النمر ، و ((القبط)) صوابه ((النبَط)) ، وهم قوم من العرب كانوا في شرقي بلاد الشام ، خالطوا الأعاجم . وبهذا يلتئم سياق النص ، وتتضح مقاصده في تاريخ العربية.

وقد كثرت أمثال هذه الأوهام فيما طُبع من التراث ، لضعف العاملين في ذلك وقلة خبرتهم بأصول التحقيق وعجزهم عن إدراك دقائق التعبير والتفكير . خذ معي مثلاً ما نُشر من ((تفسير الجلالين)) ـ وهو عشرات من الإصدارات المتلاحقة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، معروفة عند كثير من المسلمين وغيرهم ، وبعضها مما أشرف عليه علماء أو من

---

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٨٠ . وقد ضبطت أيضًا الكلمة الأخيرة خطأ في ص ٦٥ من مطبوعة الفهرست طهران سنة ١٩٧١ .

(٢) المزهر ١ : ٢١٢ .

(٣) الاقتراح ص ٥٦ . وانظر مناهج تحقيق التراث ص ٧ .

يدعي التحقيق ـ[١] تقف فيه على ألوان من التصحيف والتحريف ، لا تخفي على أبسط الناس ثقافة ومعرفة .

من ذلك مثلاً أن القراءة لقول الله تعالى :[٢] ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . . . عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ ترى من الإعراب في تفسير قراءةِ ﴿ عاليهم ﴾ ما يلي : ((مبتدأ وما بعده خبره ، والضمير المتصل به للمعطوف عليهم)) . ترى هذا في جمهور ما تصل إليه يدك من ذلك الكتاب ، وهو لا معنى له محصل .

ثم إذا رجعت إلى الأصول الخطية وجدت فيها آخر العبارة هو : ((للمَطوف عليهم)) أي : المذكورين في أول الآيات .[٣] وبهذا يلتئم الكلام وما قبله وما بعده ، ويتضح المعنى المراد ، ويبدو لك أن زيادة العين في الكلمة توهمٌ انساق إليه الناشرون ، لكثرة ما يحفظون من : العطف والمعطوف والمعطوف عليه .

هذا تصحيف مصدره الجهل والتوهم . وقد يكون لدوافع مذهبية ، يركبها المرء ليثبت ما يعتقده ويدفع مذهب الآخرين . فالخلاف مشهور بين العلماء في طبيعة رؤية النبي لله ـ تعالى ـ ليلة المعراج :[٤] أعِيانًا بالبصر كانت أم إدراكًا بالقلب والبصيرة ؟ وقد جاء في معرض هذا الخلاف قول الرسول ، عليه السلام :[٥] ((رأيتُهُ بِفُؤادِي ، ولَمْ أرَهُ بِعَيْنِي)) ، وسؤالُ بعض الصحابة إياه : ((هل رأيتَ ربَّكَ)) ؟ فقال مرة : ((رأيتُ

(١) انظر تفسير الجلالين الميسر ص (ط - ي) من مقدمة المحقق وص ١٧-١٩ من مقدمة التحقيق للمفصل في تفسير القرآن العظيم .

(٢) الآيات ١٩ ـ ٢١ من سورة الإنسان .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ٥٧٩ .

(٤) انظر فتح الباري ٨ : ٧٨٠ ـ ٧٨٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ٢ : ٧ ـ ١٦ .

(٥) الشفا بتغريف حقوق المصطفى ١ : ١٥٢ و ١٥٦ . وانظر تفسير الجلالين الميسر ص ٢٨٢ .

نُورًا))، وثانيةً بصيغة التعجب والإنكار :[1] ((نُورٌ . أنَّى أراهُ)) ؟ أي : أن النور منعني من الرؤية ، فما رأيتُ الله ، سبحانه وتعالى . يعني : محال رؤيته في الحياة الدنيا .

ولكن بعض المتأخرين [2] صحّف اللفظ ، فصارت العبارة على لسانه خبرًا : ((نُورٌ إنِّي أراهُ)) و ((نُورانِيٌّ أراهُ)) . وقد غفل هؤلاء المساكين عن ظهور الإحالة في صيغة ما زعموا ، لأن السؤال كان عن الماضي، والجواب صار هنا عن الحاضر أو الاستمرار والتجدد. وما كذلك كلام العرب .

وعن ابن عباس أن أحبار اليهود قالوا : ((يا محمد ، ما تَعلَمُ مع الله إلٰهًا غيرَه)) ؟ وأجابهم النبي ، عليه السلام : ((لا إلٰهَ إلاّ اللهُ . بذلك أُمرتُ)) . فنزلت الآية ١٩ من سورة الأنعام . وقد صُحف الفعل المضارع من قولهم في بعض المطبوعات ، وجعل بضمير المتكلمين : ((ما نَعلمُ))،[3] فأصبح الكلام بلا فائدة.

وعبارة: ((لا تعتذروا منه. قد كفرتم)) صار الجار والمجرور منها في المطبوعات وكثير من النسخ : ((عنه)).[4] وبهذا انعكس المعنى، لأن الاعتذار عن الشيء هو الامتناع عن فعله بسبب ، ومن الشيء هو بيان العذر له بعد فعله أو الاتهام به .

ومن نماذج التحريف أن السيوطي ينقل عن لسان السامري ما فعله بما كان ، من القطع المعدنية الثمينة مع بني إسرائيل ، قائلاً : ((ألقيتها في صورة العجل المصوغ)) . وكأن هذه الكلمة الأخيرة لم توافق ما يعرفه الناسخون والناشرون ، وظنوا فيها الخطأ ، فجعلوها :

---

(١) الأحاديث ٢٩٠ ـ ٢٩٢ في صحيح مسلم و٣٢٧٨ في سنن الترمذي .

(٢) انظر الشفا ١ : ١٥٦ والمفصل في تفسير القرآن العظيم ص ١٠٣٠ .

(٣) البحر المحيط ٤ : ٩٢ والمفصل في تفسير القرآن العظيم ص ٤٥٦ .

(٤) المفصل ص ٧٠٦ . وانظر منه تصحيفات غفيرة في ص ٧١١ و ٧٣٦ و ٧٤٨ و ٨٤٠ و ٨٤٥ و ٨٧٥ ـ ٨٧٦ و ٨٨٣ و ٩٦١ . . . و٢١٦٩ و ٢٢٢٨ .

((المُصاغ)) .[١] والحق أنهم هم المخطئون ، وما جاء به السيوطي هو الصواب ، لأن اسم المفعول من مصدر : صاغَ ، يكون المَصوغ ، كالمقول والمروم والمسود والملوم . وليس لدينا فعل : أصاغَ ، ليكون منه اسم المفعول : المُصاغ .

ثم ترى في كتب من التراث نماذج لا تحصى ، تمثل جهل الناشرين وتصرفهم بالمفردات على غير هدى . وهذه أمثلة ترافقها التصحيفات والتحريفات التي وُضعت لها :[٢]

الاستغناء : الاستئناء ، ترفعه : برفعه ، تنسق بها : فنسّق لها ، إلاّ أنه : لأنه ، بتُّ بها : بتُّ فيها ، فمَعنى كم رُبّ : بمعنى كم رُبَّ ، تُجريها : تُجريها ، إليها ، إليهما : إليها ، بأنه : فإنه ، سَوايا : سَيايا ، جَيئًى وسَوءًى : جَيئَى وسَوءَى ، لِما : لَمّا ، ذَوًى : ذَوًا ، جَيِدَ : صَيِدَ ، تضُمّ : تُسلم ، لك : له ، فلا يُقطَع : ولا تقطع ، العباوة : الغباوة ، ثنتان : ابنتان ، يَتنزَّل : فتنزل ، قطعاء : قطعى ، افعَعَّل : افعلّل ، التي : الذي ، فعايل : فعائل .

٣- معالجة الخطأ والوهم :

لقد أطال العلماء دراسة هذه الظواهر الكتابية المتسربة إلى التراث الخطي ، وصنفوا فيها عدة مؤلفات ، تبين أشكال الأوهام في التحريف والتصحيف ، وتعرض نماذج متعددة لما وقع فيه مختلِف المستويات من الناس ، وفي كثير من العلوم الشرعية واللغوية والأدبية . على أنني أرى أن كثيرًا مما روي في ذلك الميدان فيه تقوّلٌ ، أو تصنُّعٌ وتخطئة للصواب . وهو في حاجة إلى البحث المستفيض ، لبيانِ ما يستحق الاهتمام والتقدير والإثبات ، ونزعِ ما هو

(١) المفصل ص ١١٧٥ . وانظر منه ص ١٠٧٩ والفتوحات الإلٰهية ٣ : ١٠٩ .

(٢) انظر كتاب نصوص نحوية ص ١٦ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٣٠ و ٦٣ و ٧٠ و ٧٣ و ٨٧ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٦ و ٩٨ و ١٠٦ و ١١٤ و ١١٥ و و ١١٦ و ١١٧ و و ١١٩ و و ١٢٠ و ١٢٤ و و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٣١ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٩ و و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ . . . و ٤٢٠ وأبواب ومسائل ص ٢٢ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٢ و ٤١ و ٤٧ و ٦٣ و و ٧٥ و ٨٢ و ٩١ و ١٠٤ و ١٢١ و ١٢٤ و ١٢٨ و ١٣٣ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٦٨ و ١٧٣ و ١٧٤ .

مذهبٌ شخصي أو قبَلِي أو نحوي ، أو تعجُّلٌ في الحكم لعدم استيفاء المسالك المتعددة للغة وروايات الحديث الشريف وقراءات القرآن الكريم .

ثم وضع العلماء لهذه الإجراءات التحقيقية مصطلح ((الاعتبار)) . والمراد به النظر في الروايات والنقول المتشابهة ، لتحقيق الجرح والتعديل في المسألة أو النص . فكثيرًا ما يتحصل بين يدَيِ المحقق عدة أشكال للعبارة الواحدة ، قد تتفق في الدلالة أو تختلف . لكنها في كلتا الحالين تقتضي الخروج من مجموعها باصطفاء الصيغة الصالحة لموقعها من السياق والنص كله ، أي : تعديل ما هو حقيق بالإثبات ، وجرح ما فيه علة أو قوادح ، من خلال معطيات النسخ وأصول التفكير والتعبير ومقولات المصادر العلمية الموثقة .

والقيام بمثل هذه العمليات الاعتبارية يتطلب خبرة عالية ، وتلبثًا متأنيًا إزاء العبارات المختلفة ، لما يزرعه الزمن في النصوص من تصحيف وتحريف وتصرفات اعتباطية ، خلال النقول المتعددة والنَّسخ المكرر للقول الواحد . وتصحيح هذه الظواهر الكتابية يعني ردّها إلى الصورة التي يسمح بها رسم الكلمات وسياق المضمون ، في النسخ والمصادر المساعدة ، بما فيها من تأثر أوتأثير في النقل والاقتباس .

فأنت حينما تقف على شيء من العبارات أو الألفاظ القلقلة ، في مواقعها من السياق خلال النسخ والمقابلة ، تحتفظ بها للبحث عن وجه الصواب . فإذا انتهيت من التنقيب والمتابعة إلى غير بيان ، وعجزت عن التصويب المناسب ، كان عليك أن تستخدم التكذية . أعني أن تعلق على ذلك القلق بقولك : ((كذا)) ، إشارة إلى ما فيه وهم علمي أو تعبيري ، أو إلى ماشتبهتْ قراءته والتبستْ عليك . والمفهوم من ذلك أن العبارة قد وردت على هذا الشكل ، والكاف : حرف جر زائدٌ للتوكيد ، أي : هذا ما جاء في النسخ ، أو هو للاستعلاء المعنوي والمراد : على هذا وقعت العبارة في النسخ .

ثم ما تحققت أنه سهو ، لطغيان القلم أو انتقال البصر ، قوّمته كما يقتضي السياق

والتركيب اللغوي والمضمون المعنوي . وكذلك ما كان خطأ من النُّسّاخ صُراحًا ، بتكرار أو تقديم وتأخير ، مع الإشارة دائمًا في التعليقات إلى ما كان في النسخ ، وما أجريت من التقويم. أما التعبير الخاص أو العامي ، إذا كان من المؤلف مقصودًا استخدامه ، فلا يجوز التصرف فيه، ويبقى كما هو مع التعليق عليه بالتكذية في الهامش . وعلى مثل هذا يكون شأن الخطأ العلمي ، حين يثبت أنه لصاحب النص .

وليس لك أن تستظهر بالتخمين والظن ما أراده العالم أو الأديب ، إذا لم تتبين لك بالاعتبار الوافي حقيقة المراد . فالتخمين مسلك خطر يخرّب المعلومات التراثية ، وكذلك شأن التفاصح لتجويد التعبير أو تحسينه ، كل منهما يجعل النصوص عرضة للعبث والتقحم والغش والإضلال . والمعروف بيننا جميعًا في الشرع أن بعض الظن ، أي : كثيره ، إثم . وأخطر من هذا وذاك أن تقوم بالتلفيق بين العبارات المختلفة في النسخ ، لتضع عبارة بشكل افتراضي واهم . والأصل الثابت في التحقيق أن تعالج تلك الخلافات ، باختيار أصلحها لثبوت تميُّزه ، والتعليق بها في الروايات الباقية .

أما الآيات الكريمة فإذا ورد فيها لحن لغوي أو نحوي وجب تصحيحه .[1] وكذلك الحال إذا ورد فيها ما يخالف جميع القراءات : الصحيحة والمشهورة والمتواترة والأحادية والشاذة . وإنما وجب التدخل في تقويم النص هنا لأن القراءات القرآنية قد جمعت بالتوقيف، وضبطت بشكل كامل ودقيق ، ولا يجوز خلافها أيًا كانت الأسباب والظروف والموضوعات. وهذا يقتضي أن تصحَّح العبارات القرآنية كما هي في المشهور المعتبر ، ويسجَّل في التعليقات الهامشية ما كان في النص وما جرى من التصويب ، مع إيراد المصادر المؤيدة لذلك . ولا يخالَفُ هذا الأصل إلاّ إذا كان المؤلف يورد العبارة ، للدلالة على خطأ فيها أو تصرف منكر أو كان النقص هو الفاء أو الواو في أول الآية ، إذ يكون التعليق ببيان ذلك.

---

(١) انظر المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٣١ .

وأما النصوص النبوية المشرَّفة فيُتريث في أمرها، إذا لم يكن فيها لحن ظاهر، وتبقى كما وردت من دون تقحم أو تعديل، لأن الأحاديث لم يكن لها ما كان للقرآن العظيم، من كمال في الجمع والدقة والاستيعاب، إذ قد يكون للقول النبوي الوارد فيما نحقق من النصوص داعم أو مؤكد أو شفيع أومزكّ، فيما لم ينشر بعد من التراث الكريم: في مصادر السيرة أو التاريخ أو اللغة أو الأدب . . . وقد يكون في الروايات ما يخالف كتب الصحاح والمجاميع والسنن والمسانيد والمجموعات المشهورة المتداولة. فالنص يبقى كما هو، ويعلق على الغريب من ذلك بالتكذية، للإشعار بالتنبه وطلب التحرير من أهل الذكر وأولي الأمر.

وأما العبارة اللغوية للتمثيل، والأمثال القديمة والمتأخرة والحِكم، والشواهد الشعرية والنثرية، فلا يجوز التصرف فيها أيضًا، إذا كانت تضم ما يخالف الروايات التراثية الموثقة، ولا سيما حين يتوضع هذا الخلاف في التركيب الذي هو موطن الشاهد أو الاستدلال، على المسألة المعروضة حينذاك. فالرواية للعبارة الواحدة ليس لها، في غالب الأحيان، ضابط واحد أو شكل جازم. إذ قد يكون للّهجات المختلفة والمذاهب اللغوية والنحوية رواية ليست في غيرها، وكلتاهما صحيحتان، وليس لنا أن نفضل إحداهما لشهرتها أو مكانتها في المصادر التراثية.

ونضع في أذهاننا دائمًا أن ما يرد في النسخ الخطية من خلافٍ مصدرُه أمران: إما أن يكون المؤلف قد أملى كتابه أو أخرجه مرارًا، وكان في كل مرة يتصرف في التعبير والمضمون والسياق، وإما أن يكون بعض النساخ قد صدر عنه، بالسهو أو بالقصد، تغيير لشيء من العبارات أو المعلومات. وهذا الثاني شأنه يسير يعالجه ما ذكرنا من المقارنات والمطالعات والاعتبار، ومِساحاته محدودة ومعروفة التوزع والتشكل والحل في أصول التحقيق. أما الأول فهو الأكثر والأشيع، والمتطلّب للابتعاد عن التدخل، وللحيطة والدقة في الضبط والأداء والتعليق بما ينقل كامل الخلاف.

فقد رأينا في فصل ماض ما كان من تعدد النماذج للعنوان الواحد بين يدَي العالم ، وما رافق ذلك من خلاف في المستوى العلمي ، وفي أساليب الأداء والمعالجة والتصنيف . وحسبك أن تراجع ما ذكرناه عن الأصمعي وابن دريد والزجاجي وغلام ثعلب وابن عصفور . . . لترى ما يحقق زعمنا بأن للمؤلف النصيب الأوفى من التصرف والخلاف في النصوص التراثية . فلقد روي عن الإمام الشافعي أنه قرئ عليه كتابه « الرسالة » أربعين مرة ، وفي كل مرة يدخل عليه تعديلات مناسبة تنقله إلى ما هو أصوب ، ثم شعر باستحالة الكمال ، فقال عبارته المأثورة : أبى الله أن يَتم إلاّ كتابه .

وهذا مصنَّف « الموطأ » لمالك بن أنس (ت ١٧٩) قد كثر متلقوه عنه ، وتباعدت أزمنة تلقيهم ، فتعددت رواياتهم واختلفت ، حتى كان لدينا في التاريخ موطآت بلغت ٣٠ نسخة ، تتباين في ترتيب الكتب والأبواب ، وكثير من العبارات وعدد الأحاديث المسندة والمرفوعة والمرسلة والموقوفة .

وقد اشتَهر من بينها ١٤ رواية ، أعلاها وآخرها زمنًا ما جاء عن يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤) الذي أخذ الكتاب عن مؤلفة سنة ١٧٩ ، وكان معه حين وفاته . واشتهرت أيضًا رواية يحيى بن يحيى بن بكير (ت ٢٣١) ، لأنه سمع الكتاب من مالك نفسه ١٧ مرة ، فنقل كثيرًا من تلك الخلافات .[1]

تلك صور من التفاوت النصي ، تراها ماثلة في عدد من المصنفات المشهورة ، فتحقَّق لديك ما زعمناه من تصرف المصنفين أنفسهم فيما يصنفون . ولكي تصير على بينة من الأمر ، فارجع إلى ما تضعه أنت من المقالات أو القصائد أو الكتب ، لترى صور إخراج كل منها في مراحله المتعددة : كم أدخلتَ فيه من تعديلات بالزيادة والنقص والتبديل والتعديل والتقديم

(١) مقدمة موطأ محمد بن الحسن ص ١٣ ـ ١٩ والموطأ برواية أبي مصعب ١ : ٣٤ ورواية يحيى الليثي ص ١١ وتذكرة الحفاظ ٢ : ٤٨٣ وشرح الزرقاني ١ : ٥ .

والتأخير ؟ وهذه الطبعات المتعددة ، من كتاب لمؤلف يحترم نفسه وعلمه ، تتلمس فيها خلافات غفيرة جدًّا ، وخاصة ما كان بين أول النشرات وآخرها . وكل ذلك هو من صنيع المؤلف بلا شك ، إلاّ ما كان من تطبيعات لا دخل لها في التصنيف .

ويتصل بهذه المسألة ما تراه في الشعر القديم والحديث ، من خلاف في الرواية وزيادة ونقص وتقديم وتأخير في العبارة ونسق الأبيات . وقد أطال فيها أدعياء العلم والأدب من ربائب الاستشراق إطلاق المزاعم والترهات ، واتهام الرواة والنحاة واللغويين بالتصرف والتغيير والتبديل . والراجح أن أكثر ما تراه من ذلك هو تصرف وتعديل من عمل الشاعر نفسه ، تولد عن التنقيح والتحكيك وتباعد الأزمان والمواقف ، لروايات ما كان عنده من القصيدة الواحدة أو المقطوعة .

تقويم المخطوط :

للتقويم معنيان في الأعمال عامة والإجراءات التحقيقية خاصة : أحدهما [1] هو تقدير القيمة للشيء في ميدانه المعيَّن ، والآخر تثقيفه وتعديله ليصبح مستقيمًا على الصواب . وهو ما كان موضوع بحث وتفصيل في الصفحات المتقدمة . وقد يعبَّر عن هذا المفهوم الأخير

---

(١) يستخدم بعض المعاصرين كلمة ((التقييم)) ويشتقون منها أفعالاً وأسماء ، من مثل : قَيَّمَ ومُقَيَّم . وقد أقر ذلك الأعضاء الكرام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مع أن اللفظ الذي اعتمدوا عليه ـ وهو القِيمة ـ أصله بالواو ((القِومة)) ، وإنما قلبت واوه ياء لسكونها بعد كسر . والقياس أن تصاغ المفردات الصحيحة الفصيحة من أصل اللفظ، لا من صيغه المتصرف فيها لأسباب صوتية . فأنت تقول : روَّضه يروِّضه روِّضه ترويضًا ، وهما مروِّض ومروَّض ، من الرياضة . وكذلك ما يكون من العيادة والسيادة والنيابة والريادة والصيانة والسياقة والصيام . والتقويم هو الصواب ، والإقرار للفظ المولَّد يقتضي ألاّ يكون لمضمونه لفظ فصيح قياسي وشائع في الاستعمال . فالعامة في جميع بلاد العرب يقولون للخبير : قَوِّم لنا هذه البضاعة ، أو هذا المصنع ، أو هذه المؤسسة أو هذا البناء . ويستخدمون لفظ ((التقويم)) في كلامهم بيسر وطلاقة . وليس لنا أن نخرج على ذلك السبيل الميسر في الميدان اللغوي ، لنضع مفردات تخالف القياس . وانظر تحقيق التراث ص ١٥٢ .

بأنه : تحرير النص في شكل ، يجعله أقرب ما يكون إلى الصورة التي كتبها مؤلف الكتاب .[١] وبذلك فقد يلتبس مفهوم التحير بما عرفناه عن التحقيق ، وقد كنا فرّقنا بينهما من قبل .

وكنا أيضًا ذكرنا من قبل مرارًا بعض ما يتعلق بالعنصر الأول من التقويم ، حين بيّـنّا منازل النسخ التراثية ، والمعايير التي يحتكم إليها في ذلك ، والنماذج المتعددة الموضحة لتوظيف هذه ، والمقاييس في الحكم لتعيين القيمة التاريخية الخاصة بكل نص تراثي . ونضيف الآن ما يعزز ذلك من الحالات الواقعية ، في كتاب كامل أو نص من كتاب .

خذ مثلاً كتاب ((الجمل في النحو)) للخليل بن أحمد . فقد نشرتُه منذ ربع قرن ، وتلقاه الناس بالتقدير والإجلال والاستعانة به في البحث والدراسات العلمية ، وقابله بعض الزملاء الكرام بالنقد والتجريح ، منكرين نسبته إلى الخليل ، ثم نشره أحدهم تحت عنوان مقتبس من مقدمتي له ، ونسبه إلى مؤلف آخر ، و سطا على تحقيقاتي وتعليقاتي ، متجاهلاً واجبات الاقتباس والاعتماد على الآخرين .[٢]

لقد اعتمد أكثرهم ، في النقد والتقويم المذكورَين ، على أمور ثلاثة هي : المصطلحاتُ الكوفية أو الغريبة ، وذكرُ سيبويه فيه ، وإيراد الشواهد الشعرية الملغَزة . أما الاعتماد على تلك المصطلحات فمردود لأنهم تمسكوا بالتقسيمات النظرية المشهورة بين الكوفيين والبصريين ، وتجاهلوا تأثر البعض بالآخر ، وتنقل المصطلح الواحد بين أبناء الطرفين في تاريخ البحث النحوي قبل الاستقرار النسبي . وأما سيبويه فقد ذُكر مرة واحدة بأنه ((سيبويه النحوي)) . وهذا يعني أنه ، في حين ذكره ذاك ، لم يكن مشهورًا ليورَد اسمه مطلقًا ، فيكونَ كافيًا في الدلالة ومغنيًا عن وصفه بـ ((النحوي)) .

وأما الشواهد الملغَزة فقد احتجوا ، في اعتمادها ، بأن الإلغاز لم يكن له حضور في

---

(١) مجلة عالم الكتب ١ : ١٥٠ .

(٢) انظر الجمل في النحو ص ٥ ـ ٢٦ من المطبوعة الخامسة .

القرن الثاني ، وجاء تاريخه بعد ذلك . فوجوده في الكتاب ينفي النسبة إلى الخليل . والحق أن ظاهرة التعمية والإلغاز قديمة جدًّا ، كان لها تداول في الشعر بين امرئ القيس من ناحية والتوءم اليشكري وعبيد بن الأبرص من ناحية ثانية .[١] بل إن الخليل بن أحمد نفسه هو أول من صنف كتابًا ، يتضمن هذا الموضوع في التاريخ ، اسمه ((المعمَّى)) .[٢]

وهكذا يكون ما طرح من الاعتراض على القيمة التاريخية للكتاب قد طاح ، وذهبت مقولاته أدراج الرياح . وقد أكد ذلك أحد الزملاء الكرام ، في مصنَّف خاص بتقويم كتاب الخليل ، عرض خلاله المسائل النحوية والعناوين والمصطلحات والشواهد والتعريفات والعلل والأعلام ، وحقق ما في ذلك من آراء أوردتْها مصنفات : العين وكتاب سيبويه ومجاز القرآن ومعاني القرآن ، ومجموعة من الكتب التراثية المعتمدة .[٣]

والمثال المقابل لما نحن فيه هو نسخة خطية لـ ((تفسير الجلالين)) ، ذكرها زميل كريم من كلية الشريعة بجامعة دمشق ، دون أن يبيّن مكان وجودها من المكتبات الخطية ، وزعم أنه اعتمدها في المقابلة ، حين نشر التفسير المذكور .[٤] وأنت حين تنظر فيها صوّر من صفحتها الأخيرة تجد تاريخ نسخها هو سنة ٨٣١ ، فتعتقد أنه لا صلة لها بذلك الكتاب ، لأن جلال الدين المحلي أنهى نصيبه من تأليفه في مستهل سنة ٨٦٤ ، وتلميذه السيوطي شرع في إتمامه ثم أنجز تبييض عمله سنة ٨٧١ .[٥] فليس للنسخة في تاريخها المذكور أن تكون من هذا الكتاب، وقد سُجلتْ قبل بدء تأليفة بأكثر من ٣٠ سنة .

(١) بدائع البدائه ص ٦ وديوان امرئ القيس ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ وديوان عبيد ص ٧٢ ـ ٧٤ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٤٧ وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص ١٤٧ ـ ١٥٠ وشرح كنز من حاجى وعمى في الأحاجي والمعمى الورقة ٣ ـ ٤ .

(٣) كتاب الجمل في النحو المنسوب للخليل بن أحمد ـ دراسة وتحليل ، تأليف الدكتور إبراهيم عبادة .

(٤) انظر مقدمة تفسير الجلالين المطبوع في دمشق بنشر الدكتور مصطفى أديب بغا .

(٥) انظر تفسير الجلالين الميسر ص (ح) من المقدمة وتتمة ص ٢٩٣ .

وقد استوقفتني هذه النسخة بما فيها من التاريخ . فما تتضمنه من النص برمته هو التفسير المذكور ، وما في مقدمتها وخاتمتها يؤكد ذلك ويحققه . ثم تذكرت أن عندي منها صورة كاملة ، اعتمدتها مع نسخ أُخرى في تحقيق ((تفيسر الجلالين الميسر)) . ولما رجعت إلى ما لديّ تبين أن تلك النسخة هي من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق ، تحت الرقم ٧١٥٧، وأن تاريخ نسخها هو سنة ٩٣١ لا ٨٣١ . [١]

ولا شك أن يدًا خبيثة عبثت جهلاً وزورًا بهذا التاريخ ، لتُكسب النسخة قيمة علمية بالقدم ، ولم يعلم صاحبها أنه يفسد غايته بيده . فالنسخة حقًّا هي للتفسير المذكور ، والعبث بتاريخ نسخها لا يضيرها في صحة النسب .

ومن هذا القبيل تجد أمثلة غفيرة ، منها أن المستشرق اليهودي كارل بروكلمان نسب إلى الخطيب التبريزي شرحًا لديوان النابغة الذبياني ،[٢] وذكر أن في مكتبة فيض الله بإستانبول نسخة منه تحت الرقم ١٩٦٢ . والمعروف أن خطيبنا هذا ليس له صنيع تصنيفي على ديوان النابغة . ولذلك فإنني وقفت على تلك النسخة خلال زيارتي للمكتبات الخطية في تركية ، سنة ١٩٦٢ أيضًا ، وتبينتُ أنها مقروءة على الخطيب ، وليست من تأليفه . [٣]

وكذلك شأن ما نُسب إلى الخطيب من شرح لـ ((لُمَع)) ابن جني .[٤] وقد رجعت إلى النسخة المنسوبة إليه في دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ وهي تحت الرقم ٥٧٦ تيمورية ـ فتحقق لي أنها ليست من تأليفه قطعًا ، بأدلة علمية متظاهرة . وأوضح من هذا وذاك أن الحاجّ خليفة ذكر للخطيب أيضًا كتاب ((شرح نهاية الأصول إلى علم الأصول)) ، و ((نهاية

(١) تفسير الجلالين الميسر ص (م ـ ذ) من المقدمة .

(٢) تاريخ الأدب ١ : ٨٩ . وانظر البحث الأدبي ص ١٨٢ .

(٣) انظر منهج التبريزي في شروحه ص ١٤٧ .

(٤) منهج التبريزي في شروحه ص ٢٠٩ .

الأصول)) هذا هو لأحمد بن علي الساعاتي البغدادي (ت ٦٩٤) . فمحال أن يكون لخطيبنا شرح على كتاب صُنِّف بعده بقرنين تقريبًا ، ولعله لمحمد بن أمير التبريزي (ت ٨٧٩) .[١]

ولدينا الآن كتاب تحت عنوان ((أنساب الخيل)) ، نشر عام ١٩٤٦ على أنه لابن الكلبي (ت ٢٠٦) هشام بن محمد ، نقلاً من المطبوعة الأوربية في ليدن سنة ١٩٢٨ ومما جاء عن المستشرقين في ذلك .[٢] وأنت إذا تصفحت أول الكتاب وآخره تجد أنه لوالد من نُسب إليه . وهو محمد بن السائب (ت ١٤٦) . فالإسناد في أوله ينتهي بالقول : أخبرنا هشام ابن محمد بن السائب عن أبيه ، قال : هذا كتاب نسب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام .[٣]

ثم يرد في آخره أيضًا سماع بإسناد لرواية الكتاب : ((عن ابن النطاح عن هشام عن أبيه مصنِّفه)) .[٤] والعجيب أن الناشر – وهو يوصف بأنه أول محقق عربي ومن شوامخ المحققين –[٥] قد وقف على هذه العبارة ، ولكنه لانبهاره بصنيع الاستشراق وتوجّهات رجالاته لم يدرك مضمونها ، بل علق عليها مستنكرًا و لم يستفد منها تصويب نسبة الكتاب.

وهذا كتاب ((فحولة الشعراء)) تراه منسوبًا إلى الأصمعي ، بجهل الاستشراق وتلاميذه فيما نشر من المصادر التراثية . وإذا تفحصته تبيّن لك أن الذي ألفه هو أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠) ، جمعه من الروايات التي تلقاها عن الأصمعي .

وقد نشر في دمشق سنة ١٩٦١ كتاب اسمه ((شرح مقصورة ابن دريد)) ، ونسب إلى

(١) انظر كشف الظنون ص ١٩٩١ في المتن والحاشية و ص ١٨ من منهج التبريزي في شروحه .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣ : ٣٢ .

(٣) أنساب الخيل ص ٥ ـ ٦ . وفي هذا النص أيضًا ما يصحح عنوان الكتاب ، خلافًا لما وقع فيه المستشرقون والمستغربون . وانظر ص ١٠ و ١١ و ١٣ و ٢٠ .

(٤) أنساب الخيل ص ١٣٥ .

(٥) شوامخ المحققين ص ١٢٣-١٣١ .

الخطيب التبريزي ، تبعًا لما جاء في النسخة الخطية . وهو بما فيه من الأسانيد يكون لمؤلف متقدم على عصر التبريزي ، ويخالف كثيرًا في المضمون والرواية ما جاء مسندًا موثّقًا عن هذا العالم الشهير .[1] وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية لشرح الحماسة تحت الرقم ١١٩٥ ، قيل : إنها الشرح الصغير للتبريزي . وعندما اطلعت عليها تبين لي أنها ليست من تصنيفه ، لما فيها من منهج وأسلوب وتفسير .[2] ثم إن ما نشر من ((شروح سقط الزند)) منذ ٦٠ سنة ، بإشراف طه حسين على لجنة فيها من شوامخ المحققين ، قد اعتُمد فيه على نسخ للتبريزي أيضًا ، وكانت واحدة منها ليست من تأليفه ،[3] فأُقحمت نصوص كثيرة في شرحه ، تخالف منهجه وأساليب قوله ، وتجمع صور تكرار وتشابه في التعبير ، هو منها براء . وقد زاد الطين بِلّة أنهم جمعوا ثلاثة شروح في الكتاب ، فتكاثر التكرار والاضطراب في الرواية والتفسير . لقد حشروا ثلاثة أسياف في غمد ، فكان منها ما كان .

وهكذا ترى أن أساليب القول ومناهج البحث والتأليف تكون معيارًا فاصلًا ، في مثل هذه العمليات التحقيقية لتقويم النص . وربما تعاونت هذه المعايير والخصائص الموضوعية لتطور العلوم في تقدير القيمة التاريخية له ، كالذي تراه في كتاب ((المقصود في التصريف)) . فقد عرض له أحد المؤرخين للعلوم ، وذكر أنه كتاب مختصر مبارك لم يقف على اسم مصنفه.[4] ثم جاء بعده الحاجّ خليفة ، ليقول : ((وقد اختُلف في مؤلفه ، فقيل : للإمام الأعظم . وقيل لغيره . وجزم المولى محمد بن بير على المعروف ببير كلي ، في شرحه المسمى بإمعان النظر ، بالأول)).[5] وكذلك جزم عمر بن عبد المحسن الرزنجاني أن الإمام أبا حنيفة

(١) انظر شرح مقصورة ابن دريد مطبوعة بيروت ص ٥ ـ ٨ ومنهج التبريزي ص ١٤٨ .

(٢) منهج التبريزي ص ١٤٧ . وانظر تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٤ .

(٣) انظر الإيضاح في شرح سقط الزند ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٤) مفتاح السعادة ١ : ١١٩ .

(٥) كشف الظنون ص ١٨٠٦ .

(ت ١٥٠) هو صاحب هذا الكتاب ، وأن المعتزلة تتعصب عليه فتنكر ذلك.[(١)]

ونحن حين نتتبع مسيرة هذا الكتاب في التاريخ نجد أن الشروح التي وضعت عليه تنحصر بين القرنين الثامن والحادي عشر .[(٢)] والمعروف من مسيرة الشرح للمصنفات أن تبدأ في القرون القريبة منها ، وبين أبي حنيفة وتلك المصنفات على ((المقصود)) أكثر من خمسة قرون . فلو كان حقًّا من مؤلفات أبي حنيفة لتناوله الشُّرّاح المتقدمون ، في القرن الثالث فما بعده . وهذا يضعف قبول تلك النسبة ويضعها موضع الشك والتردد . ثم إذا تصفحت أنت ذلك الكتاب رأيت منهجه وأسلوبه بعيدين جدًّا عما عُرف في منتصف القرن الثاني ، من البحث والتأليف والعرض والاستدلال وسرد الأمثلة المقننة .[(٣)]

ومما يعتبر في تعيين القيمة التاريخية للنسخ الخطية : الورق والمداد والخط والتملكات والقراءات والإجازات وتعليقات العلماء والمحشِّين . فنوع الورقِ المستخدم ، والمدادِ المكتوب به ، والخطِّ أو الخطوط الواردة ، والتملكاتِ والقراءات والإجازات والحواشي المسجلة في أول النسخة وآخرها وعلى حواشيها وهوامشها ، يقرّب إلى المحقق الزمن النسبي لكتابة النص الذي بين يديه .[(٤)]

وهذا مع ما مضى قبلُ يفصّل لنا سبل التقويم التاريخي لنصوص التراث المتداولة بين المحققين عامة . أما نصوص الآثار والمستحاثات والعاديّات والأوابد ، في ورق البَرْدي والرُّقم والوثائق التاريخية المحجوبة في رفوف المتاحف وجاماتها ومستودعات الدول ، فهي غنية عن مثل هذه السبل ، لأنها مسجلة بأيدي أصحابها ، وليست نسخًا منقولة تتعاورها

---

(١) مفتاح السعادة ١ : ١١٩ .

(٢) كشف الظنون ص ١٨٠٧ .

(٣) انظر ابن عصفور والتصريف ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) تحقيق النصوص و نشرها ص ٣٨ .

الأقلام والأفهام والنيات المتباينة ، لتكون مسرحًا للأوهام والتدليس والتزوير . إنها أيسر تقويمًا من الكتب والمصنفات ، وهي صفحات مشرقة موثقة ، تتطلب قلوبًا مخلصة وعيونًا متعطشة وأنفاسًا طيبة وخبرات متخصصة ، لتظهرها إلى النور خالصة من شوائب الاستشراق والاستغراب والعولمات القديمة والمعاصرة .

توثيق المعلومات :

يتضمن النص التراثي إشارات أو عبارات ، تنقل للتاريخ معارف وعلومًا وتجارب إنسانية متكاثرة . والمحقق تستوقفه تلك المضامين الفكرية والفنية ، وتقتضي منه تحرير مقاصدها وفهم أبعادها وتحقيق الحدود التي تحيط بها ، اعتمادًا على التاريخين العلمي والفني ، وعلى التجارب المتوالية في جنبات العصور والبلدان والأمم . وهنا نفرق بين مستويين ، بعيد كل منهما عن الآخر :

أما الأول فهو المعلومات المبتذلة أو المسلَّم بها ، على أنها حقائق علمية مقررة . وهذه لا تحتاج إلى تتبع لتبيين صحة شياعها ، بل لا يجوز الوقوف عليها للبحث أو التنقيب أو التوكيد ، بما تحمله المصادر والمراجع التراثية والمعاصرة . فقد استقرت دعائمها في ميادينها الخاصة والميادين العامة ، بحيث أصبحت مألوفة ومقررة ومعتبرة بين صفوف الباحثين والعلماء والدارسين . ومعيب جدًّا أن يتابع المحقق تلك المقولات ، ليدعمها بالثبوت والاستقرار ، ويتبعها بعشرات العناوين والأرقام من الكتب المشهورة والغريبة بين الناس .

وأما الثاني فهو المعلومات المستجدة أو المبتكرة أو الجدلية والخلافية . وهذه تقتضي منا أن ندقق عباراتها أولًا ونحررها ، بشكل يقدم وجهها الصحيح ، كما أراده المؤلف نفسه . ثم نتابع حضورها في صفحات التاريخ ثانيًا ، لنرصد ما كان من أصل لها وتفرع ، وتجديد وابتكار وتوليد ، ونسجل بإيجاز مواردها التي أخذت عنها ، مع إيراد المصادر والمراجع التي تقدم توثيق المقولات ، وتوجه العلماء في جنباتها .

وفي هذه العمليات التوثيقية كثيرًا ما تتكشف حقائق كانت مغفلة ، فتقدم لنا تصحيح بعض الأوهام والعثرات التراثية في النسخ المخطوطة ، وللكتاب قيمًا علمية معتبرة.في الموضوع نفسه خاصة ، وتاريخ التراث عامة . فهي تسدد مقاصد النص وتوضح دقائقها وتفصيلاتها وتعيّن منزلتها من ناحية ، وتقيم ارتباطًا وثيقًا بين المصادر في تلك المعلومات ، وما صدر عنها من تأثر أو تأثير في الميادين العلمية والفنية واللغوية . ولذلك كان من الضروري أن يستعين المحقق بالمكتبة العربية والأجنبية ، ليجد ضالته في توثيق المعارف والتجارب ، وربطها بعجلة التاريخ للعلوم والفنون والآداب .

ومثل تلك الإجراءات يقتضي منا هنا عرض أنواع المصادر والمراجع التي يستعين بها محقق النصوص ، للوصول إلى التوثيق والتسديد والوصل التاريخي المنشود . وسوف يكون لنا ـ إن شاء الله ـ وقفة متأنية أمام هذا المقتضَى ، في فصل من الباب الثاني ، يقدم صورة مفصلة ومسعفة للعمل القويم .



البَابُ الثَّانِي

متممات التحقيق



الفصل الأول

المكتبة العربية أداة للمتممات

كنا قد أنجزنا المرحلتين الأساسيتين لأصول عمليات التحقيق ، أعني : النظرية والعملية . وهذا يصل بنا إلى الإجراءات المتممة التي تزود النص بما يفسره ويفهرسه ويقدم لـه ما ييسر على القارئ سبل الاستفادة التامة . وبذلك نخدم النص ونخدم القارئ ، ونعفيه من حاجة إلى مراجعة المصادر والمصنفات ، لإيجاد حل المشكلات والمسائل العارضة ، من تفسير للمفردات والمعاني ، وتعريف بالأعلام ، وتخريج للشواهد ، وبيان لما في النص من معلومات وتجارب وأساليب ، في البحث والاستدلال والاستنباط وإيراد الأحكام .

فالمحقق المتقن لعمله يخدم التراث خِدمات إضافية ، تضع كل مشكلة منه في إطارها من ميادين العلوم والفنون والآداب ، فيفسر مغلقها ويبين مراميها ، مستعيناً بما لديه من الخبرة والثقافة والمعارف ، وبما في المكتبة العربية من مؤلفات ورسائل وموسوعات ، وقوائم الكتب والمقالات ، ومصنفات تاريخ العلوم . ومن ثَم يضع الفهارس الفنية اللازمة ، والمقدّمة التي تعرِّف المؤلف والنص وموضوعه وأبعاده وقيمته العلمية والتاريخية ، والنسخ المعتمدة ، ومنهج التحقيق . وهكذا يكون قد أحاط عمله بالتفصيل والبيان .

ولما كنا قد عرضنا ما تضمه المكتبة ، في الفصل الثاني من الباب الأول ، وسردنا أشهر ما لدينا من أهم عناصر الموسوعات وما بعدها مفصلاً مبيَّناً ، فقد آن لنا أن نقف هنا بتلبث وسعة ، لنرى بقية مفردات المؤلفات في العلوم المختلفة ، لنرجع إليها في إتمام واجباتنا نحو نصوص التراث ، في علم التحقيق . وهذه أمام أعيننا زُمرًا من المراجع والمصادر :

موزعة على أصناف العلوم والمعارف العربية والإسلامية :[١]

مصنفات علوم القرآن :

الإتقان في علوم القرآن	السيوطي	القاهرة ١٣١٨
إتحاف فضلاء البشر	أحمد الدمياطي	القاهرة ١٣٠٦
أحكام القرآن	محمد بن إدريس الشافعي	القاهرة ١٣٧٠
أحكام القرآن	ابن العربي محمد بن عبد الله	بيروت د . ت
أسباب النزول	الواحدي	القاهرة ١٣٨٩
إعراب القرآن	جامع العلوم الباقولي	القاهرة ١٣٨٢
إعراب القرآن	أبو جعفر النحاس	بيروت ١٤٠٥
الإقناع في القراءات السبع	ابن الباذش	مكة المكرمة ١٤٠٣
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر البيضاوي	القاهرة ١٣٥٥
إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز	محمد بن خليل القباقبي	الجزائر ١٩٩٥
إيضاح الوقف والابتداء	محمد بن القاسم الأنباري	دمشق ١٣٩٠
الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه	مكي القيسي	جدة ١٤٠٦
البحر المحيط	أبو حيان النحوي	القاهرة ١٣٢٨
البرهان في علوم القرآن	محمد بن عبد الله الزركشي	القاهرة ١٣٧٦
تأويل مشكل القرآن	ابن قتيبة	القاهرة ١٣٨٣
التبصرة في القراءات	مكي القيسي	الكويت ١٤٠٥
تحبير التيسير في قراءات العشرة	ابن الجزري	بيروت ١٤٠٤

(١) انظر المساعد على بحث التخرج ص ١٨١ ـ ١٨٧ وقراءة موجهة لمصادر التراث ص ٤٥-٧٣ .

تفسير البغوي	الحسين بن مسعود البغوي	بيروت ١٤٠٦
تفسير ابن عباس	عبد الله بن عباس	بيروت ١٤١٤
تفسير الجلالين الميسر	المحلي والسيوطي	بيروت ١٤٢٣
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير	القاهرة ١٣٧١
التفسير الكبير	الفخر الرازي	بيروت ١٤١٥
التمهيد في علم التجويد	ابن الجزري	الرياض ١٤٠٥
التيسير في القراءات السبع	أبو عمرو الداني	إستنبول ١٩٣٠
جامع البيان عن تأويل القرآن	ابن جرير الطبري	القاهرة ١٩٥٤
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	القاهرة ١٩٣٥
جمال القُرّاء وكمال الإقراء	علي بن محمد الخاوي	دمشق ١٤١٨
الحجة في القراءات السبع	ابن خالويه	بيروت ١٩٧١
حجة القراءات	ابن زنجلة	بيروت ١٣٩٩
دراسات لأسلوب القرآن الكريم	محمد عبد الخالق عضيمة	القاهرة ١٩٧٢
الدر المصون	أحمد بن يوسف السمين الحلبي	دمشق ١٤٠٦
روح المعاني	شهاب الدين محمود الآلوسي	القاهرة ١٣٨٣
زاد المسير في علوم التفسير	ابن الجوزي	بيروت
السبعة في القراءات	ابن مجاهد	القاهرة ١٩٧٢
ضوء البيان في إيضاح القرآن	محمد الأمين الشنقيطي	على نفقة ابن لادن
طبقات المفسرين	الداودي	القاهرة ١٣٩٢
غاية النهاية في طبقات القراء	ابن الجزري	القاهرة ١٩٣٣
فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني	بيروت ١٣٨٦

في ظلال القرآن	سيد قطب	القاهرة ١٤١٣
القطع والائتناف	أبو جعفر النحاس	بغداد ١٣٩٨
الكشاف	الزمخشري	القاهرة ١٣٦٥
الكشف عن وجوه القراءات السبع	مكي القيسي	بيروت ١٤٠١
لباب التأويل في معاني التنزيل	علي بن الخازن	بيروت ١٣٩٩
لطائف الإشارات لفنون القراءات	شهاب الدين القسطلاني	القاهرة ١٩٧٢
المبسوط في القراءات العشر	أبو بكر الأصفهاني	دمشق
مجاز القرآن	أبو عبيدة	القاهرة ١٣٧٤
محاسن التأويل	محمد بن جمال الدين القاسمي	بيروت
المحتسب في شواذ القراءات	ابن جني	القاهرة ١٣٨٦
المحرر الوجيز	ابن عطية	المغرب ١٩٧٥
المحكم في نقط المصاحف	أبو عمرو الداني	دمشق
مشكل إعراب القرآن	مكي القيسي	دمشق ١٩٧٤
المصاحف	عبد الله بن أبي داود	القاهرة ١٣٥٥
معاني القرآن وإعرابه	الزجاج	بيروت ١٤٠٨
معاني القرآن	الفراء	القاهرة ١٣٧٤
معاني القرآن	الأخفش الأوسط	الكويت ١٤٠١
معجم القراءات القرآنية	عبد العال سالم وأحمد مختار	الكويت ١٤٠٢
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن	محمد فؤاد عبد الباقي	القاهرة ١٣٧٨
معرفة القرّاء الكبار	الذهبي	بيروت ١٤٠٤
المفسرون وآيات الصفات	محمد بن عبد الرحمن المغراوي	الرياض ١٤٠٥

المفصل في تفسير القرآن العظيم	المحلي والسيوطي	بيروت ١٤٢٤
المقنع في معرفة رسوم المصاحف	أبو عمرو الداني	دمشق ١٤٠٣
المكتفي في الوقف والابتداء	أبو عمرو الداني	بيروت ١٤٠٤
النشر في القراءات العشر	ابن الجزري	دمشق ١٣٤٥
الناسخ والمنسوخ	أبو جعفر النحاس	بيروت ١٤١٢
نواسخ القرآن	ابن الجوزي	القاهرة ١٣٧٢
هجاء مصاحف الأمصار	أحمد بن عمار المهدوي	القاهرة

مصنفات علوم الحديث :

الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية	المناوي	بيروت
إرشاد الساري لشرح البخاري	القسطلاني	بيروت
أصول الحديث علومه ومصطلحه	محمد عجاج الخطيب	دمشق ١٣٩٥
إعراب الحديث النبوي	العكبري	دمشق ١٣٩٧
أمثال الحديث	الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي	حيدر آباد الدكن
التاج الجامع للأصول	منصور علي ناصف	بيروت
تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة	بيروت ١٣٩٣
تحرير الرواية في تقرير الكفاية	أبو الطيب الفاسي	الرياض ١٤٠٣
تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية	عبد القادر البغدادي	الدمام ١٤١٦
تدريب الراوي	السيوطي	بيروت ١٣٩٩
تذكرة الحفاظ	الذهبي	حيدر آباد الدكن
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	ابن عبد البر	المغرب

تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة ابن عراق الكناني القاهرة ١٣٧٨

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ابن الديبع الشيباني القاهرة ١٣٤٦

تنوير الحوالك شرح موطأ مالك السيوطي بيروت ١٤٠٨

جامع الأحاديث السيوطي بيروت ١٩٨٠

جامع الأصول من أحاديث الرسول ابن الأثير الجزري دمشق ١٣٨٩

الجامع الصحيح مسلم بن الحاج القاهرة ١٩٥٥

الجامع الكبير السيوطي القاهرة

الجامع الصغير السيوطي القاهرة ١٣٧٣

الجرح والتعديل ابن أبي حاتم حيدر آباد الدكن

حجية السنة عبد الغني عبد الخالق المنصورة ١٤١٣

الحديث النبوي في النحو العربي الدكتور محمود فجال أبها ١٤٠٤

دلائل التوثيق المبكر للسنة الدكتور امتياز أحمد المنصورة ١٤١٠

الرواة الثقات المتكلم فيهم محمد بن أحمد الذهبي بيروت ١٤١٢

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة محمد ناصر الدين الألباني بيروت ١٤٠٥

سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي حمص

سنن الدارقطني علي بن عمر الدارقطني المدينة ١٣٨٦

سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي القاهرة

سنن أبي داود سليمان بن الأشعث القاهرة ١٣٦٩

سنن ابن ماجه محمد بن يزيد بن ماجه القاهرة ١٣٧٢

سنن النسائي عبد الرحمن بن شعيب النسائي القاهرة ١٣٨٣

صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري بيروت ١٤٢٢

الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ النشر
صحيح مسلم بشرح النووي	محيي الدين يحيى بن شرف النووي	القاهرة ١٤١٥
الصحيح المسند من أسباب النزول	مقبل بن هادي الوادعي	القاهرة ١٤٠٨
عمدة القاري شرح البخاري	بدر الدين العيني	القاهرة ١٣٩٢
غريب الحديث	القاسم بن سلام	حيدر آباد الدكن١٣٨٤
الفائق غي غريب الحديث	الزمخشري	القاهرة ١٩٧١
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	محمد بن علي الشوكاني	بيروت ١٣٩٢
كشف الخفاء عما اشتهر من الأحاديث	إسماعيل العجلوني	القاهرة ١٣٥١
الكفاية في علم الرواية	الخطيب البغدادي	القاهرة د . ت
كنز العمال	علي بن حسام الدين المتقي	بيروت ١٤٠٥
اللؤلؤ والمرجان	محمد فؤاد عبد الباقي	القاهرة ١٤٠٧
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	نور الدين الهيثمي	القاهرة ١٣٥٣
مجموعة الوثائق السياسية	الدكتور محمد حميد الله	بيروت ١٣٨٩
المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابوري	بيروت ١٩٩٠
مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل	بيروت ١٣٨٩
المسوى شرح الموطأ	وحيّ الله الدهلوي	بيروت ١٤٠٣
المصنوع في معرفة الحديث الموضوع	علي القاري	بيروت ١٣٩٨
المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية	ابن حجر العسقلاني	الكويت ١٣٩٢
المعجم الكبير	سليمان بن أحمد الطبراني	بغداد ١٩٨٣
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث	الدكتور ونسنك وصحبه	ليدن ١٩٣٦
مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح	عثمان بن عبد الرحمن	القاهرة ١٩٧٤

مكاتيب الرسول	علي بن حسين علي الأحمدي	بيروت
منهل الواردين شرح رياض الصالحين	محيي الدين يحيى بن شرف النووي	بيروت ١٩٧٧
الموطأ	مالك بن أنس	القاهرة ١٣٧٠
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير الجزري	القاهرة
نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار	محمد بن علي الشوكاني	القاهرة

مصنفات العقائد والأُصول :

الإحكام في أصول الأحكام	علي بن أحمد بن حزم	القاهرة ١٣٥٤
الإحكام في أصول الأحكام	علي بن محمد الآمدي	القاهرة ١٣٣٢
إحياء علوم الدين	محمد بن محمد الغزالي	بيروت
الإعلام بمناقب الإسلام	محمد بن يوسف العامري	القاهرة ١٩٦٧
الأُمّ	محمد بن إدريس الشافعي	دمشق ١٤١٦
الإيمان	ابن تيمية	بيروت
بدائع الفوائد	ابن قيم الجوزية	بيروت
بداية المجتهد	محمد بن أحمد بن رشد	القاهرة ١٣٧٠
تهافت الفلاسفة	محمد بن محمد الغزالي	القاهرة ١٩٥٥
التوحيد وإثبات الصفات	ابن خزيمة	القاهرة
درء تعارض العقل والنقل	ابن تيمية	الرياض
الرسالة	محمد بن إدريس الشافعي	القاهرة ١٩٦٩
زاد المعاد	ابن قيم الجوزية	القاهرة ١٣٧٠
الشامل في أُصول الدين	عبد الملك بن عبد الله الجويني	الإسكندرية ١٩٦٩
غاية المرام في علم الكلام	علي بن محمد الآمدي	القاهرة ١٣٩١

الفَرْق بين الفِرَق	عبد القادر بن طاهر البغدادي	القاهرة
قواعد الأحكام في مصالح الأنام	العز عبد العزيز بن عبد السلام	القاهرة
المبسوط	محمد بن أحمد السرخسي	القاهرة ١٣٢٤
المحلّى	علي بن أحمد بن حزم	القاهرة ١٣٤٧
الملل والنحل	محمد بن عبدالكريم الشهرستاني	القاهرة ١٣٨٧
المستصفى	محمد بن محمد الغزالي	القاهرة ١٣٥٦
الموافقات	إبراهيم بن موسى الشاطبي	القاهرة ١٩٧٠

مصنفات اللغة :

الإبدال	أبو الطيب اللغوي	دمشق
الإتباع والمزاوجة	أحمد بن فارس	القاهرة ١٩٤٧
أساس البلاغة	الزمخشري	القاهرة ١٣٧٢
الاشتقاق	ابن دريد	القاهرة ١٣٧٨
إصلاح المنطق	ابن السكيت	القاهرة ١٩٤٩
الأضداد	ابن الأنباري	القاهرة ١٣٢٥
الأضداد في كلام العرب	أبو الطيب اللغوي	دمشق ١٣٨٢
الإفصاح	حسين يوسف موسى والصعيدي	القاهرة ١٩٦٧
الألفاظ	ابن السكيت	بيروت ١٩٩٨
البارع في اللغة	أبو علي القالي	لندن ١٩٣٣
تاج العروس من جواهر القاموس	السيد مرتضى الزَّبيدي	القاهرة ١٣٠٧
تاج اللغة وصحاح العربية	إسماعيل بن حماد الجوهري	بيروت ١٣٧٦
تحرير التنبيه	محيي الدين النووي	دمشق ١٤١٠

التكملة والذيل والصلة للصحاح	الحسن بن محمد الصغاني	القاهرة ١٩٧٠
التلخيص في معرفة أاسماء الأشياء	أبو هلال العسكري	دمشق ١٣٨٩
تهذيب الأسماء واللغات	محيي الدين بن شرف النووي	بيروت
تهذيب إصلاح المنطق	الخطيب التبريزي	بيروت ١٩٩٩
تهذيب الألفاظ	الخطيب التبريزي	بيروت ١٤٢٤
تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري	القاهرة ١٣٨٤
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	محمد بن إسماعيل الثعالبي	القاهرة ١٣٨٤
الصحاح في اللغة والعلوم	نديم وأُسامة المرعشلي	بيروت ١٩٧٥
العين	الخليل بن أحمد الفراهيدي	بيروت ١٩٨٨
الفروق في اللغة	أبو هلال العسكري	بيروت ١٩٧٧
الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي	محمد سليمان الأشقر	بيروت ١٩٧٢
فقه اللغة وسر العربية	أبو منصور الثعالبي	بيروت ١٤١٣
القاموس المحيط	محمد بن يعقوب الفيروز آبادي	بيروت ١٩٨٧
كتاب الجيم	أبو عمرو الشيباني	القاهرة ١٩٧٤
لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور	القاهرة ١٣٠٨
لغة العرب	جورج عبد المسيح	بيروت ١٩٩٣
متن اللغة	أحمد رضا	بيروت ١٩٦٠
مجمل اللغة	أحمد بن فارس	الكويت ١٤٠٥
المحكم والمحيط الأعظم	علي بن إسماعيل بن سيده	القاهرة ١٩٥٨
محيط المحيط	بطرس البستاني	بيروت ١٩٨٧
مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي	بيروت ١٩٦٧

المخصَّص	علي بن إسماعيل بن سيده	القاهرة ١٣٢١
مدّ القاموس	أدور لين	بيروت ١٩٦٨
المعجم الكبير	مجمع اللغة العربية	القاهرة ١٩٧٠
المرصع في الآباء والأُمهات والذوات	ابن الأثير الجزري	بغداد ١٣٩١
المزهر في علوم اللغة وأنواعها	السيوطي	القاهرة
المصباح المنير	أحمد بن محمد الفيومي	بيروت ١٣٩٨
معجم البلدان	ياقوت الحموي	بيروت ١٣٩٧
المعجم العربي	الدكتور حسين نصار	القاهرة ١٩٥٦
معجم فصاح العامية	هشام النحاس	بيروت ١٩٧٧
معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة	بيروت ١٣٨٨
معجم ما استعجم في أسماء البلاد	أبو عبيد البكري	بيروت ١٩٨٣
معجم المذكر والمؤنث	الدكتور محمد أحمد قاسم	بيروت ١٩٨٩
معجم المعاجم	أحمد الشرقاوي إقبال	بيروت ١٤٠٧
المعجم في شواهد اللغة العربية	إميل بديع يعقوب	بيروت ١٤١٧
معجم مقاييس اللغة	أحمد بن فارس	القاهرة ١٣٦٦
المعجم الوسيط	الدكتور إبراهيم أنيس وصحبه	بيروت
المعرَّب	موهوب بن أحمد الجواليقي	القاهرة ١٣٨٩
المُغرب في ترتيب المُعرب	ناصر الدين المطرّزي	حلب ١٣٩٩
النوادر	أبو مسحل الأعرابي	دمشق ١٩٦١

مصنفات الاصطلاح :

اصطلاحات الصوفية	عبد الرزاق بن محمد الكاشي	كلكتة ١٨٤٥

التعريفات	علي بن محمد الجرجاني	بيروت ١٩٦٩
التوقيف على مهمات التعريف	محمد عبد الرؤوف المُناوي	دمشق ١٤١٠
جامع . . . اصطلاحات العلوم		
والفنون	عبد النبي بن عبد النبي نكري	حيدر آباد ١٣٢٩
الخليل معجم مصطلحات النحو		
العربي	جورج عبد المسيح وهاني تابري	بيروت ١٤١٠
الشامل . . علوم العربية ومصطلحاتها	محمد سعيد إسبر وجنيدي وبلال	بيروت ١٩٨١
العلامات والرموز عند المؤلفين		
العرب	حسين علي محفوظ	بغداد ١٩٦٤
قاموس المصطلحات الاجتماعية	وزارة الشؤون الاجتماعية	القاهرة ١٩٦٠
قاموس المصطلحات الصوفية	فؤاد كامل	بيروت ١٩٩٣
كشاف اصطلاحات الفنون	محمد بن علي التهانوي	بيروت ١٩٦٦
الكليات	أيوب بن يوسف الكفوي	دمشق ١٩٨١
المصطلح معجم العلوم الكمبيوترية	إيلي وديع حداد	بيروت
مصطلحات أصول الفقه عند		
المسلمين	الدكتور رفيق العجم	بيروت
مصطلحات علم التاريخ	الدكتور رفيق العجم	بيروت
مصطلحات علم الكلام الإسلامي	الدكتور سميح دغيم	بيروت ١٩٥٥
المصطلحات العلمية في اللغة العربية	مصطفى الشهابي	دمشق ١٩٦٥
مصطلحات العلوم الاجتماعية		
والسياسية	الدكتور سميح دغيم	بيروت

مصطلحات علم المنطق عند العرب	الدكتور فريد جبر وصحبه	بيروت
مصطلحات الفلسفة عند العرب	الدكتور جيرار جهامي	بيروت
المصطلح النقدي	عبد الواحد لؤلؤة	بيروت ١٩٧٩
المعجم الأدبي	عبد النور جبور	بيروت ١٩٧٩
معجم الألفاظ الفلسفية	الدكتور جميل صليبا	دمشق
المعجمات العربية	وجدي رزق غالي وحسين نصار	القاهرة ١٣٩١
معجم علم اللغة	محمد الخولي	بيروت
معجم الغزالي : مصطلحاته في آثاره	الأب فريد جبر	بيروت ١٩٧٠
المعجم الفلسفي	الدكتور جميل صليبا	بيروت ١٩٧١
معجم المصطلحات البلاغية وتطورها	الدكتور أحمد مطلوب	بيروت
معجم المصطلحات الجغرافية	يوسف توني	القاهرة ١٩٦٤
معجم المصطلحات الحديثية	الدكتور نور الدين العتر	دمشق ١٩٧٧
معجم المصطلحات الصوفية	الدكتور أنور فؤاد أبو خزام	بيروت
معجم المصطلحات الطبية	الدكتور هاشم الوتري ومعمر خالد	بغداد ١٩٤٠
معجم مصطلحات العروض	محمد الشوابكة	بيروت ١٩٩١
معجم المصطلحات العسكرية	محمود شيت خطاب	بيروت ١٩٦٦
معجم مصطلحات علم الاجتماع	الدكتور عزة حجازي وأحمد زكي	الجزائر ١٩٧٦
معجم المصطلحات العلمية العربية		دمشق ١٩٩٠
معجم مصطلحات العلوم عند العرب	الدكتور جيرار جهامي	بيروت
معجم المصطلحات الفلسفية	عبده الحلو	بيروت
معجم المصطلحات الفنية	نخبة من الأساتذة	دمشق ١٩٦٢

معجم المصطلحات في اللغة والأدب	مجدي وهبة وكامل المهندس	بيروت ١٩٨٤
معجم المصطلحات في النقد الحديث	حمادي صمودي	تونس ١٩٧٥
معجم المصطلحات لعلم اللغة العام	الدكتور محمد رشاد الحمزاوي	تونس ١٩٨٧
معجم المصطلحات النحوية والصرفية	الدكتور محمد سمير اللبدي	بيروت ١٤٠٦
معجم مصطلحات النحو . . والقافية	محمد إبراهيم عبادة	القاهرة
معجم مصطلحات النقد العربي القديم	الدكتور أحمد مطلوب	بيروت
معجم الموسيقى العربية	حسين علي محفوظ	بغداد ١٩٦٤
معجم النحو	عبد الغني الدقر	دمشق ١٣٩٥
مفاتيح العلوم	محمد بن أحمد الخوارزمي	بيروت ١٤٠٤
مفتاح العلوم	يوسف بن محمد السكاكي	بيروت ١٤٠٣

مصنفات النحو :

ارتشاف الضرب من لسان العرب	أبو حيان النحوي	١٩٨٤القاهرة
أسرار العربية	أبو البركات الأنباري	دمشق ١٩٥٧
الأشباه والنظائر	السيوطي	حيدر آباد ١٣٦٠
أصول النحو	ابن السراج	بيروت ١٩٨٥
إعراب الجمل وأشباه الجمل	فخر الدين قباوة	حلب ١٤٠٩
إعراب القرآن	أبو جعفر النحاس	بيروت ١٩٨٥
الاقتراح في أصول النحو وجدله	السيوطي	مطبعة الثغر ١٤٠٩
الإنصاف في مسائل الخلاف	أبو البركات الأنباري	القاهرة ١٩٦١
الإيضاح في علل النحو	أبو إسحاق الزجاجي	القاهرة ١٩٥٩

البسيط في شرح الجمل	ابن أبي الربيع	بيروت ١٩٨٦
البيان في في غريب إعراب القرآن	أبو البركات الأنباري	القاهرة ١٩٦٩
تاريخ النحو وأصوله	عبد الحميدالسيد طالب	القاهرة١٩٧٧
التبصرة والتذكرة	ابن إسحاق الصيمري	دمشق ١٩٨٢
التبيين عن مذاهب النحويين	العكبري	بيروت ١٩٨٦
التذييل والتكميل في شرح التسهيل	أبو حيان النحوي	دمشق ١٤١٨
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد	ابن مالك	القاهرة ١٩٨٦
التصريح على التوضيح	خالد الأزهري	القاهرة ١٩٥٤
تعليق الفرائد على تسهبل الفوائد	محمد بدر الدين الدمامبني	الرياض ١٤٠٣
التكملة	أبو علي الفارسي	الرياض ١٩٨١
جامع الدروس العربية	مصطفى الغلاييني	بيروت ١٣٧١
الجمل في النحو	الخليل بن أحمد الفراهيدي	دمشق ١٤١٦
الجمل في النحو	أبو إسحاق الزجاجي	بيروت ١٤٠٤
الجنى الداني	الحسن بن قاسم المرادي	بيروت ١٤١٣
جواهر الأدب معجم الحروف العربية	علاء الدين الإربلي	بيروت ١٤١٢
حاشية الخضري على ابن عقيل	محمد الخضري	القاهرة ١٩٢٤
حاشية الصبان على شرح الأُشموني	محمد بن علي الصبان	القاهرة
الحجة للقراء السبعة	أبو علي الفارسي	دمشق ١٤٠٤
الحدود في النحو	علي بن عيسى الرماني	بغداد ١٣٨٨
الخصائص	ابن جني	القاهرة ١٩٥٦
خزانة الأدب	عبد القادر البغدادي	القاهرة ١٣٨٧

الدرر اللوامع على همع الهوامع	أحمد بن الأمين الشنقيطي	بيروت ١٣٩٣
دقائق التصريف	أبو القاسم المؤدب	بغداد ١٩٨٧
الرد على النحاة	ابن مضاء الأندلسي	القاهرة ١٣٩٩
رصف المباني في شرح حروف المعاني	أبو جعفر المالَقي	دمشق ١٣٩٥
سر صناعة الإعراب	ابن جني	دمشق ١٩٨٥
شرح ألفية ابن مالك	بدر الدين بن الناظم	بيروت
شرح الألفية	الحسن بن قاسم المرادي	بيروت ٢٠٠٣
شرح التسهيل	ابن مالك وابنه	القاهرة ١٩٩٠
شرح جمل الزجاجي	ابن عصفور	بغداد ١٤٠٠
شرح الشافية	الرضي الأستراباذي	القاهرة
شرح الكافية	الرضي الأستراباذي	القاهرة ١٨٠٦
شرح الكافية الشافية	ابن مالك	دمشق١٩٨٢
شرح كتاب سيبويه	أبو سعيد السيرافي	القاهرة ١٩٨٦
شرح المفصل	ابن يعيش	القاهرة
شرح الملوكي في التصريف	ابن يعيش	بيروت ١٤٠٨
شرح المقدمة الجزولية الكبير	أبو علي الشَّلَوبين	بيروت ١٤١٤
شرح الوافية نظم الكافية	ابن الحاجب	النجف ١٩٨٠
شواهد التوضيح والتصحيح	ابن مالك	القاهرة ١٩٥٧
العوامل المائة النحوية	خالد الأزهري	القاهرة ١٩٨٨
الكتاب	سيبويه	القاهرة ١٩٦٦
كتاب الأُزهية في علم الحروف	علي بن محمد الهروي	دمشق ١٣٩١

الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ النشر
اللباب في علل البناء والإعراب	العكبري	دمشق ١٩٩٥
المدارس النحوية	الدكتور شوقي ضيف	القاهرة ١٩٦٨
المرتجل	ابن الخشاب	دمشق ١٩٧٢
المسائل البصريات	أبو علي الفارسي	القاهرة ١٤٠٥
المسائل العسكرية	أبو علي الفارسي	القاهرة ١٤٠٣
المسائل العضديات	أبو علي الفارسي	بيروت ١٤٠٥
المسائل المشكلة	أبو علي الفارسي	بغداد ١٩٨٣
معجم الشوارد النحوية	محمد محمد حسن شُرَّاب	دمشق ١٤١١
معجم شوارد النحو	رفيق فاخوري	حمص ١٩٧١
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب	ابن هشام	دمشق ١٩٦٤
المفصل في النحو	الزمخشري	كريستيانية ١٨٧٩
المقتصد في شرح الإيضاح	عبد القاهر الجرجاني	بغداد ١٩٨٢
المقتضب	محمد بن يزيد المبرد	القاهرة ١٣٨٥
الممتع الكبير في التصريف	ابن عصفور	بيروت ١٩٩٦
المنصف في شرح التصريف	ابن جني	القاهرة ١٣٧٣
نتائج الفكر في النحو	أبو القاسم السهيلي	بنغازي ١٣٩٨
النحو الوافي	عباس حسن	بيروت ١٩٨٠
موسوعة النحو والصرف والإعراب	الدكتور إميل بديع يعقوب	بيروت ١٩٨٨
نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة	محمد الطنطاوي	القاهرة ١٣٨٩
همع الهوامع في شرح جمع الجوامع	السيوطي	الكويت ١٣٩٤

مصنفات الأدب :

الإبانة في اللغة العربية	سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري	عمّان ١٤٢٠
أدب الكاتب	ابن قتيبة	القاهرة ١٣٨٢
الأمالي	أبو علي القالي	القاهرة ١٩٢٦
الأمالي الشجرية	ابن الشجري	بيروت
أمالي المرتضى	الشريف المرتضى	بيروت ١٣٨٧
الإمتاع والمؤانسة	أبو حيان التوحيدي	القاهرة ١٩٣٩
بدائع البدائه	علي بن ظافر الأزدي	القاهرة ١٩٧٠
البصائر والذخائر	أبو حيان التوحيدي	القاهرة ١٩٥٣
البيان والتبيين	عمرو بن بحر الجاحظ	القاهرة ١٩٦٨
بهجة المَجالس وأُنس المـَجالس	عبد الله بن عبد البر النمري	القاهرة ١٩٦٢
جمهرة الأمثال	أبو هلال العسكري	بيروت ١٤٠٨
الحيوان	عمرو بن بحر الجاحظ	القاهرة ١٩٣٨
رسائل الجاحظ	عمرو بن بحر الجاحظ	القاهرة ١٣٨٤
الزاهر في معاني كلمات الناس	محمد بن القاسم الأنباري	بغداد ١٣٩٩
زهر الآداب	إبراهيم بن علي الحصري	بيروت ١٩٧٢
زهر الأكم في الأمثال والحكم	الحسن اليوسي	الدار البيضاء ١٤٠١
صبح الأعشى	أحمد بن علي القلقشندي	القاهرة ١٩١٠
العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي	القاهرة ١٩٤٠
عيون الأخبار	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٤
الغيث المسجم في شرح لامية العجم	صلاح الدين الصفدي	بيروت ١٣٩٥

الكامل	محمد بن يزيد المبرد	القاهرة ١٩٥٦
الكشكول	محمد بن الحسين العاملي	القاهرة ١٣٨٠
مجمع الأمثال	أحمد بن محمد الميداني	القاهرة ١٣٧١
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	بيروت ١٩٦١
المخلاة	محمد بن الحسين العاملي	القاهرة ١٣٧٧
المستطرف في كل فن مستظرف	محمد بن أحمد الأبشيهي	القاهرة ١٩١١
المستقصى في أمثال العرب	الزمخشري	بيروت ١٣٩٧
المصون في الأدب	الحسن بن عبد الله العسكري	الكويت ١٩٦٠
المقابسات	أبو حيان التوحيدي	القاهرة ١٩٢٩
نفح الطيب	أحمد بن محمد المقّري	بيروت ١٩٦٨
نهاية الأرب في فنون الأدب	شهاب الدين النويري	القاهرة ١٩٢٣
النوادر	أبو زيد الأنصاري	بيروت ١٤٠١

مصنفات الشعر :

الدواوين وأشعار الشعراء . . .

الأشباه والنظائر حماسة الخالديين	محمد وسعيد الخالديان	القاهرة ١٩٥٨
الأصمعيات	أبو سعيد الأصمعي	القاهرة ١٩٥٥
الإماء الشواعر	جليل العطية	بيروت ١٤٠٤
الأنوار ومحاسن الأشعار	علي بن محمد العدوي	الكويت ١٣٩٧
التذكرة السعدية في الأشعار العربية	محمد بن عبد الرحمن العبيدي	بغداد ١٣٩١
جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشي	الرياض ١٤٠١
حماسة ابن الشجري	هبة الله بن علي الشجري	دمشق ١٩٧٠

حماسة أبي تمام	حبيب بن أوس أبو تمام	القاهرة ١٩٥٣
حماسة البحتري	الوليد بن عبيد البحتري	القاهرة ١٩٢٩
الحماسة البصرية	علي بن الفرج البصري	حيدر آباد الدكن ١٩٦٤
حماسة الظرفاء	عبد الله بن محمد الزوزني	بغداد ١٩٧٨
الحماسة المغربية	أبو العباس الجراوي	دمشق ١٤١١
دواوين الشعراء والمستدركات	الدكتور محمد جبار المعيد وصاحبه	القاهرة ١٤١٩
ديوان المعاني	أبو هلال العسكري	القاهرة
ديوان المفضليات	القاسم بن محمد الأنباري	بيروت ١٩٢٠
الزهرة	أبو بكر الأصفهاني	بيروت ١٣٥١
شرح اختيارات المفضل	الخطيب التبريزي	دمشق ١٤٢٢
شرح أشعار الهذليين	أبو سعيد السكري	القاهرة ١٩٦٤
شرح حماسة أبي تمام	الأعلم الشنتمري	دمشق١٤١٣
شرح ديوان الحماسة	أحمد بن محمد المرزوقي	القاهرة ١٣٨٧
شرح ديوان الحماسة	الخطيب التبريزي	القاهرة ١٣٥٧
شرح القصائد السبع الطوال	محمد بن القاسم الأنباري	القاهرة ١٩٩٦
شرح المعلقات العشر	الخطيب التبريزي	دمشق ١٩٩٧
شعراء أمويون	الدكتور نوري حمودي القيسي	بغداد ١٣٩٦
شعر تميم في العصر الجاهلي	الدكتور صلاح كزارة	إرلانجن ١٩٨٢
الفاضل في اللغة والأدب	محمد بن يزيد المبرد	القاهرة ١٣٧٥
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال	أبو عبيد البكري	بيروت ١٤٠٥
قصائد جاهلية نادرة	الدكتور يحيى الجبوري	بيروت ١٤٠٢

كتاب الاختيارين	الأخفش الصغير	دمشق ٢٠٠٠
كتاب الأمالي	محمد بن العباس اليزيدي	حيدر آباد الدكن
كتاب المعاني الكبير	ابن قتيبة	بيروت ١٣٩١
مجموعة المعاني	لم يعلم مؤلفه	القاهرة ١٣٠١
مختارات ابن الشجري	هبة الله بن علي الشجري	القاهرة ١٣٠٦
معجم شواهد العربية	عبد السلام هارون	القاهرة ١٣٩٢
معجم شواهد النحو الشعرية	حنا جميل حداد	الرياض ١٤٠٤
المعجم المفصل في شواهد النحو	الدكتور إميل بديع يعقوب	بيروت ١٩٩٢
منتهى الطلب من أشعار العرب	محمد بن المبارك	بغداد ١٩٨٠
نقائض جرير والأخطل	أبو تمام	بيروت ١٩٢٢
نقائض جرير والفرزدق	أبو عبيدة	ليدن ١٩٠٥
الوحشيات	أبو تمام	القاهرة ١٩٦٣

مصنفات البلاغة والنقد :

أحكام صنعة الكلام	محمد الكلاعي	بيروت ١٩٦٦
أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجاني	وجدة ١٤١٢
إعجاز القرآن	محمد الباقلاني	القاهرة ١٩٥٤
أنوار الربيع في أنواع البديع	علي بن معصوم	بغداد ١٩٦٨
الإيضاح في علوم البلاغة	الخطيب القزويني	القاهرة ١٩٣٥
البديع	ابن المعتز	بغداد ١٣٩٩
بديع القرآن	ابن أبي الإصبع	القاهرة ١٩٥٧
البلاغة تطور وتاريخ	الدكتور شوقي ضيف	القاهرة ١٩٦٥

البلاغة العربية في ثوبها الجديد	بكري الشيخ أمين	بيروت ١٩٨٧
تاريخ النقد الأدبي عند العرب	الدكتور إحسان عباس	بيروت ١٩٧١
التفكير النقدي عند العرب	الدكتور عيسى العاكوب	دمشق ١٤١٧
التلخيص في علوم البلاغة	الخطيب القزويني	القاهرة ١٩٦٥
جواهر البلاغة	أحمد الهاشمي	القاهرة ١٩٦٣
خزانة الأدب ونهاية الأرب	ابن حجة الحموي	القاهرة ١٢٧٣
سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجي	القاهرة ١٩٣٢
شرح التلخيص المطول	التفتازاني	إستنبول ١٣٣٠
الطراز	يحيى بن حمزة العلوي	بيروت ١٩٨٠
العمدة في محاسن الشعر وآدابه	ابن رشيق القيرواني	بيروت ١٤٠٨
عيار الشعر	ابن طبابا العلوي	القاهرة ١٩٥٦
كتاب الصناعتين	أبو هلال العسكري	بيروت ١٩٨١
معاهد التنصيص	عبد الرحيم العباسي	القاهرة ١٩٤٧
المثل السائر	ضياء الدين ين الأثير	القاهرة ١٣٨٠
مفتاح العلوم	السكاكي	بيروت ١٩٨٣
المفصل في علوم البلاغة العربية	الدكتور عيسى العاكوب	حلب ١٤٢١
المنصف في نقد الشعر	الحسن بن علي التنيسي	دمشق ١٤٠٢
منهج البلغاء وسراج الأدباء	حازم القرطاجني	تونس ١٩٦٦
الموازنة بين الطائيين	الآمدي	القاهرة ١٩٦٥
الموشح	المرزباني	القاهرة ١٩٦٥
نقد الشعر	قدامة بن جعفر	ليدن ١٩٥٦

نقد النثر	قدامة بن جعفر	القاهرة ١٩٣٣
نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز	الفخر الرازي	بيروت ١٩٨٥
الوساطة بين المتنبي وخصومه	علي بن عبد العزيز الجرجاني	القاهرة ١٩٦٦

مصنفات العروض والقافية :

إحياء العروض	عز الدين التنوخي	دمشق ١٩٤٦
الإرشاد الشافي على متن الكافي	محمد الدمنهوري	القاهرة ١٣٥٣
الإقناع في العروض وتخريج القوافي	الصاحب بن عباد	بغداد ١٣٧٩
أوزان الشعر وقوافيه	جميل سلطان	دمشق ١٩٣٧
تبسيط العروض	عمر يحيى وشوقي الكيلاني	دمشق ١٩٤٩
الرسالة الشافية	بكري رجب	حلب ١٣٧٨
سفينة الشعراء	محمود فاخوري	حلب ١٣٩٤
شرح تحفة الخليل	عبد الحميد الراضي	بغداد١٩٦٨
شرح القصيدة الخزرجية	زكريا الأنصاري	القاهرة ١٣٠٣
العروض الواضح	ممدوح حقي	بيروت ١٩٦٤
العروض والقافية	محمد العلمي	الدار البيضاء ١٤٠٤
العيون الغامزة على خبايا الرامزة	بدر الدين الدماميني	القاهرة ١٣٢٣
القسطاس في علم العروض	الزمخشري	حلب ١٩٧٧
القوافي	عبد الباقي التنوحي	بيروت ١٣٨٩
كتاب العروض	ابن جني	الكويت ١٤٠٧
كتاب القوافي	الأخفش الأوسط	بيروت ١٩٧٤
مرآة العروض	المحرزي	القاهرة ١٩١٧

معالم العروض	أحمد راتب النفاخ	دمشق ١٩٥٤
المعيار في أوزان الأشعار	ابن السراج الشنتريني	بيروت ١٣٨٨
ميزان الذهب	أحمد الهاشمي	القاهرة ١٩٦٦
الوافي في العروض والقوافي	الخطيب التبريزي	دمشق ١٣٩٠

مصنفات التاريخ :

أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين	الدكتور عبد السلام الترمانيني	دمشق ١٤٠٨
الأخبار الطوال	أبو حنيفة الـدِّينَـوَري أحمد بن داود	القاهرة ١٩٦٠
الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى	الناصري السلاوي	الدار البيضا ١٩٥٤
أطلس تاريخ الإسلام	الدكتور حسين مؤنس	القاهرة ١٤٠٧
الإكليل في أنساب حِمْيَر وأيام ملوكها	الحسن ين أحمد الهمداني	برلين ١٩٤٣
الأنساب	سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري	عُمان ١٤١٠
الأنساب	عبد الكريم بن محدد السمعاني	بيروت ١٤١٩
البداية والنهاية	إسماعيل بن عمر بن كثير	القاهرة ١٩٦٤
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	محمد شكري الآلوسي	القاهرة ١٣٤
البيان المغرب أخبار الأندلس والمغرب	محمد بن سعيد بن عذاري	بيروت ١٩٦٧
تاريخ الخلفاء	السيوطي	القاهرة ١٣٨٣
تاريخ الرسل والملوك	محمد بن جرير الطبري	القاهرة ١٩٦٠
تاريخ عُمان	سرحان بن سعيد الأزكوري	عمان ١٩٨٠
التيجان في ملوك حِمْـيَـر	وهب بن منبه	حيدر آباد الدكن ١٣٤٣

جمهرة أنساب العرب	ابن حزم علي بن أحمد	القاهرة ١٣٨٢
جمهرة النسب لابن الكلبي	ياقوت الحموي	دمشق ١٤٠٦
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة	السيوطي	القاهرة ١٣٨٧
السير والمغازي	محمد بن إسحاق	دمشق ١٣٩٨
سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام	القاهرة ١٩٣٧
السيرة النبوية	إسماعيل بن عمر بن كثير	بيروت ١٩٨٣
العبر وديوان المبتدأ والخبر . . الأكبر	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون	بيروت ١٩٤٧
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين	محمد بن أحمد الحسني المكي	القاهرة ١٣٨٨
الكامل في التاريخ	ابن الأثير الجزري	بيروت ١٩٦٥
مروج الذهب ومعادن الجوهر	علي بن الحسين المسعودي	القاهرة ١٩٥٨
المعجب في أخبار المغرب	عبد الواحد بن علي المراكشي	القاهرة ١٩٤٩
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة	زامباور	القاهرة ١٩٥١
مغازي رسول الله	محمد بن عمر الواقدي	القاهرة ١٩٦٤
الـ مُغرب في حُلَى المَغرب	أبو محمد الحجازي وصحبه	القاهرة ١٩٥٥
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام	الدكتور جواد علي	بيروت ١٩٦٨
المقتبس من أنباء أهل الأندلس	ابن حيان القرطبي	بيروت ١٩٦٣

مصنفات التراجم :

أخبار القضاة	وكيع محمد بن خلف	القاهرة ١٣٦٦
أخبار مكة	الأزرقي	مكة ١٣٥٢
أخبار النحويين البصريين	أبو سعيد السيرافي	القاهرة ١٤٠٥

أدباء حلب . . في القرن التاسع عشر	قسطاكي الحمصي	حلب ١٩٢٥
الاستيعاب في أسماء الأصحاب	ابن عبد البر	القاهرة ١٩٦٩
أسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الأثير الجزري	القاهرة ١٩٦٤
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر العسقلاني	بيروت ١٤١٢
الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة	زكي محمد مجاهد	القاهرة ١٣٦٨
إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء	محمد راغب الطباخ	حلب ١٣٤٢
أعلام النساء	عمر رضا كحالة	دمشق ١٣٥٢
أعيان الشيعة	محسن أمين	دمشق ١٣٥٣
الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني	دار الكتب المصرية
إنباه الرواة على أنباه النحاة	علي بن يوسف القفطي	القاهرة ١٩٥٠
البدر الطالع في أعيان من بعد القرن السابع	محمد بن علي الشوكاني	القاهرة ١٣٤٨
بغية الطلب في تاريخ حلب	ابن العديم عمر بن هبة الله	دمشق ١٩٨٨
بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس	أحمد بن يحيى الضبي	القاهرة ١٩٦٧
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة	السيوطي	القاهرة ١٩٦٤
البلغة في تاريخ أئمة اللغة	مجد الدين الفيروز آبادي	دمشق ١٣٩٢
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	القاهرة ١٣٤٩
تاريخ علماء الأندلس	عبد الله بن يوسف الأزدي	القاهرة ١٩٦٦
تاريخ دمشق	علي بن الحسن بن عساكر	دمشق
تتمة اليتيمة	أبو منصور الثعالبي	طهران ١٣٥٣

الكتاب	المؤلف	المكان والتاريخ
تذكرة الحفاظ	الذهبي	حيدر آباد الدكن
تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر	محمد جميل الشطي	دمشق ١٩٤٨
تراجم أعيان القرن الثالث عشر	أحمد تيمور	القاهرة ١٣٥٩
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	دهلي ١٢٩٠
التكملة لكتاب الصلة	ابن الأبار	القاهرة
تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني	حيدر آباد الدكن
الجرح والتعديل	عبد الرحمن بن محمد الرازي	حيدر أباد الدكن
الحلة السيراء	ابن الأبار محمد بن عبد الله	القاهرة ١٩٦٣
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نُعيم الأصفهاني	القاهرة ١٣٥١
حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر	عبد الرزاق البيطار	دمشق ١٩٦١
خريدة القصر وجريدة العصر	العماد الأصفهاني	القاهرة ١٩٥١
خلاصة الأثر في أعيان القرن ١١	محمد أمين المحبّي	القاهرة ١٢٨٤
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	ابن حجر العسقلاني	القاهرة ١٩٦٦
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور	زينب فواز	القاهرة ١٣١٢
دمية القصر وعصرة أهل العصر	علي بن الحسن الباخرزي	القاهرة
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	علي بن بسام	بيروت ١٩٧٨
الذيل والتكملة	ابن عبد الملك المراكشي	بيروت ١٩٦٥
ذيل طبقات الحفاظ	السيوطي	دمشق ١٣٤٧
روض البشر أعيان دمشق في القرن١٣	محمد جميل الشطي	دمشق ١٩٤٦

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا	شهاب الدين الخفاجي	القاهرة ١٩٦٦
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر	محمد خليل المرادي	القاهرة ١٣٠١
سمط اللآلي	أبو عبيد البكري	القاهرة ١٣٥٤
سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد الذهبي	بيروت ١٩٨١
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٦
الصلة في تاريخ علماء الأندلس	ابن بشكوال	القاهرة ١٩٦٦
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	محمد بن عبد الرحمن السخاوي	القاهرة ١٣٥٣
طبقات الأطباء والحكماء	سليمان بن حسان الأندلسي	القاهرة ١٩٥٥
طبقات الحفاظ	السيوطي	بيروت ١٤٠٤
طبقات الحنابلة	ابن أبي يعلى	القاهرة ١٣٧١
طبقات الشافعية الكبرى	تاج الدين السبكي	القاهرة ١٣٢٤
طبقات الشعراء	ابن المعتز	القاهرة ١٩٦٨
طبقات الصوفية	أبو عبد الرحمن السلمي	القاهرة ١٣٧٢
طبقات علماء إفريقية وتونس	أبو العرب محمد بن أحمد القيرواني	تونس ١٩٦٨
طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحي	القاهرة ١٩٧٥
طبقات الفقهاء	أبو إسحاق الشيرازي	بيروت ١٤٠١
طبقات الفقهاء الحنفية	طاش كبري زاده	الموصل ١٩٥٤
طبقات فقهاء اليمن	عمر بن علي الجعدي	القاهرة ١٩٥٧
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد البصري	القاهرة ١٩٦٩
طبقات المفسرين	السيوطي	بيروت ١٤٠٤
طبقات النحاة واللغويين	ابن قاضي شهبة	النجف ١٩٧٣

طبقات النحويين واللغويين	الـزُّبيدي	القاهرة ١٩٥٤
عيون الأنباء في طبقات الأطباء	ابن أبي أصيبعة	بيروت ١٩٦٥
الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة	علي بن موسى المدلجي	القاهرة ١٩٤٥
فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبي	بيروت ١٩٧٣
قصص الأنبياء	عبد الوهاب النجار	القاهرة ١٣٥١
كتاب الضعفاء الصغير	الإمام البخاري	الهند ١٣٢٥
كتاب الضعفاء والمتروكين	أحمد بن شعيب النسائي	الهند ١٣٢٤
كتاب الولاة وكتاب القضاة	محمد بن يوسف الكندي	بيروت ١٩٠٨
الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة	نجم الدين الغزي	بيروت ١٩٤٥
اللباب في تهذيب الأنساب	ابن الأثير الجزري	القاهرة ١٣٨٦
لسان الميزان	ابن حجر العسقلاني	حيدر آباد الدكن ١٣٣١
المحبّر	محمد بن حبيب	بيروت
المحمدون من الشعراء	علي بن يوسف القفطي	الرياض ١٣٩٠
مرآة الجنان	اليافعي	حيدر أباد الدكن ١٣٣٧
مراتب النحويين	أبو الطيب اللغوي	القاهرة ١٣٧٥
المستشرقون	نجيب العقيقي	القاهرة ١٩٤٧
المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر	محمود شكري الآلوسي	الرياض ١٤٠٢
المعارف	ابن قتيبة	القاهرة ١٩٦٩
معجم الأدباء	ياقوت الحموي	القاهرة ١٩٣٦

معجم الأطباء	أحمد عيسى	بيروت ١٩٨٢
معجم الشعراء	المرزباني	القاهرة ١٩٦١
معجم المؤلفين السوريين في القرن ٢٠	عبد القادر عياش	دمشق ١٤٠٥
معجم المؤلفين العراقيين القرنين التاسع عشر والعشرين	كوركيس عواد	بغداد ١٩٦٩
المقتطف من تاريخ اليمن	عبد الله الجرافي	القاهرة ١٣٧٠
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي	ابن تغري بردي	القاهرة ١٩٨٥
المؤتلف والمختلف	الآمدي	القاهرة ١٩٦١
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	محمد بن أحمد الذهبي	القاهرة
نزهة الألباء في طبقات الأدباء	أبو البركات الأنباري	القاهرة ١٩٦١
نشر المثاني لأهل القرن ١١ و ١٢	محمد بن الطيب القادري	فاس ١٣١٥
نهر الذهب في تاريخ حلب	كامل بن حسين الغزي	حلب ١٣٤٥
نفحة الريحانة ورشحة طُلا الحانة	محمد أمين المحبّي	القاهرة ١٩٦٧
نور القبس المختصر من المقتبس	يوسف بن أحمد اليغموري	فيسبادن ١٣٨٤
نيل الوطر من رجال اليمن في القرن الثالث عشر	محمد زبارة الحسني الصنعاني	القاهرة ١٣٤٨
هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن	أحمد فضل العبدلي	القاهرة ١٣٥١
هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين	إسماعيل باشا البغدادي	إستنبول ١٩٥١
الوافي بالوفيات	الصفدي	بيروت ١٩٦١
الوزراء والكتاب	الجهشياري	القاهرة ١٩٣٨

وفيات الأعيان	ابن خلكان	بيروت ١٩٧٢
الولاة والقضاة	محمد بن يوسف الكندي	بيروت ١٩٠٨
يتيمة الدهر	أبو منصور الثعالبي	القاهرة ١٩٥٣

❊ ❊ ❊

هذه نبذة مصغرة جدًّا، من ذخيرة المصادر والمراجع، في تاريخ المكتبة العربية الإسلامية، يستعين مبدئياً بها المحقق في عمله والباحث والدارس. وقد أوجزنا في عرضها واكتفينا بما هو ميسِّر للمقاصد، إذ هي بما عليه من الإيجاز عامة تسعف في أكثر العلوم الإنسانية والفنون والآداب، وتفتح السبل للاستفادة وتوجّه إلى تناولها من خزائن الكتب، وتناول ما يكون رديفًا لها أو مساعدًا. وثمة عوالم ضخمة من المصنفات المطبوعة والمخطوطة، يتعذر على الباحث متابعتها وعرضها في مثل هذه العجالة من العمل.

يضاف إلى هذا كله ما لم نذكره، من مصادر العلوم الأساسية والتطبيقية والكونية والفلسفة وبعض الفنون، وما في المتاحف ومكاتب رجال المستحاثات والعاديّات، من مصنفات عن الآثار والأوابد والرُّقم وأوراق البَردي والوثائق التاريخية والاجتماعية المختلفة. وتلك عناصر يتعذر علينا رصدها في هذا المجال، وكل محقق في هاتيك الميادين هو أدرى بمصادره ومراجعه، يعود إليها في المناسبات والأحوال المتجددة، ليحل مشكلات النصوص التراثية، ويقدمها للباحثين والدارسين ميسرة مزودة بالتفسير والبيان.

المصادر المُكَبتَرة:

لقد استفاد رجال العلوم والفنون والآداب من قدرات الأجهزة الكِبتاريّة [1]، وما

(١) الكبتار تعريب لما يعرف باسم «الكمبيوتر»، يصاغ منه المصدر «الكَبتَرة» ـ وهو لفظ ودود ولود ـ لاشتقاق الأفعال والأسماء اللازمة: كَبتَرَ يُكَبتِرُ فهو مُكَبتِرٌ، والموضوع مُكَبتَرٌ، والمادّة مُكَبتَرةٌ. وهذه =

تختزنه من المعلومات في أقراصها الممغنطة والمدمجة المختلفة الأنواع والمستويات ، وكان من ذلك ما دخل في ميدان المصادر التراثية ، إذ أمكن جمع آلاف الكتب في أحياز يسيرة من مراكز المعلومات ، وفي أعداد قليلة من الأقراص والأشرطة ، لتقدم الخِدمات السريعة في مجال البحث العلمي وتحقيق التراث .

ثم عُدِّلت تلك الوسائل الفنية المبرمجة ، بحيث تختزن الكميات العظيمة ، وتتسارع في تلبية الحاجات ، وتيسر الاستفادة منها ، بالفهرسة اللازمة والقدرة على تحليل المعلومات وتركيبها في أنماط علمية منهجية ، مع الارتباط بمراكز متعددة ومصادر جانبية أُخرى ، عَبر ما نسميه التواصل ويقال عنه : ((إنترنت)) .

وفي مجال العلوم الإسلامية والعربية ، تأسست مواقع معلوماتية ، لها اهتمام بنشر التراث ، منها ما سمي بـ ((موقع الوراق)) الذي يضم من المصادر كتب : علوم القرآن والحديث والعقيدة والتصوف ، والتراجم والأدب والتاريخ والجغرافية والرحلات ، والفلسفة والطب والفهرسة . . .

يضاف إلى ذلك ما انتشر من تخزين في الأقراص المدمجة ، كالذي صدر عن شركة العريس ببيروت ، من مكتبة الحديث الشريف ، وفيها بعض مصنفات التفاسير ، وكتب الصحاح والسنن والمصنفات والزوائد والمستدركات والمسانيد والمراسيل والمنتخبات ، وشروح الموطأ والبخاري والنسائي ، وأعاريب الحديث وغريبه ، وعلوم الحديث ، وتراجم الرجال والسيرة والتاريخ والبلدان ، والمعاجم اللغوية .

ثم هناك برامج في الأسواق ، تفيد في : علوم القرآن والأدب والشعر والفقه والنحو والمعاجم والنحو وأصول الفقه . . . وما زالت العلوم الأساسية والتطبيقية والكونية العربية

= الأسماء صالحة للتصغير والإضافة والجموع ، وتعبر عن حقيقة أعمال الجهاز المذكور ، بخلاف ما يُقترح من امثال : حاسب وحاسوب ومحساب . . . التي يتعذر فيها الاشتقاق الدقيق ، ولا تستغرق كل أعمال ما سمي بها .

في حاجة إلى دخول ظاهر في هذه الميادين ، ليكون لها أسوة بزميلاتها من مصادر الثقافة .

على ان كثيرًا من هذه المخزونات مؤوف يُعْوِزه الدقة والتمام والاستجابة الفنية السريعة ، إذ يتخلله النقص والقصور وبعض الأوهام في النقل والتخزين والبرمجة ، والتهيئة العملية المنجدة . وقد أضيف إلى هذا كله ما أدخلته السرقات وأشكال الجهل والتزوير ، من تشويه وإفساد لبعض المخزونات. فلا بد من التنبه إلى هذه الآفات ، قبل الاعتماد الكامل على ما تصدره الأسواق المحمومة .وإننا لنأمل من المسؤولين عن المخزونات أن يتقوا الله ، في اختيار النصوص الموثقة ، والخبراء العاملين في التخزين ، وأساليب الإخراج بالدقة والأمانة والوفاء.

الفَصْلُ الثَّاني

التعليقات الهامشية

كنا قد ذكرنا ، في خطوات التحقيق العملي ، تثبيتَ النص التراثي في قسم من الصفحات ، وتركَ الباقي منها للتعليقات التي يُحتاج إليها في بعض خطوات متممات التحقيق . وهذه الأجزاء الشاغرة من الصفحات تكون مجالاً لتوظيف ما يجده المحقق من معلومات تيسر المطالعة والاستفادة للدارسين والباحثين .

وهي في الوقت نفسه تمثل استيعابه لحقائق النص ، ومقدرته على التيسير والتقريب ، وثقافته الخاصة بالموضوع والعامة لكل جوانبه الحضارية والاصطلاحية ، وما يتردد فيه من مفاهيم ورموز وأساليب ورسوم وجداول ومعادلات وتجارب ونتائج . ثم يتبين ، من خلال عرضها والعبارات فيها ، مدى صلته بالمصادر والمراجع ، والاستفادة منها في التفسير والشرح والتخريج والتدقيق والتقويم والإحالة ، والتعبير عن المضامين والمقاصد والإشارات والاستدلال والاستنتاج ، وأساليب القول والتفكير والتصوير .

والمراد بالتعليق ههنا ما يسجَّل في هوامش المتن ، أي : في ذيل الصفحات ، من بيانٍ للفروق والخلافات بين النسخ في العبارة والضبط والمعلومة ، عدا ما كان في الرسم الإملائي ، وتنبيهٍ على ما يحتاج إلى بيان ، وشرح للمغلق أو الغريب ، وتعريف بالأعلام والأحداث والمعلومات التاريخية الدقيقة ، وتكميل لما هو قاصر عن الدلالة ، وتصحيح لما اختل من التركيب أو المضمون ، واستدراك لما فات من عناصر المعلومة ، ونقد لما خرج على أصول البحث أو الموضوع ، واستنباط لما أُغفل من نتائج داخلية لازمة ، وتخريج وتوثيق لما ورد من اقتباسات وأدلة نصية ، مع الإحالة على المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك كله .

ولاننس أننا ، في جميع هذه العمليات الفكرية التعبيرية ، نتجاوز ما هو مبتذل مسلَّم به ، ونتابع ما كان فيه خصوصية وعون لمحتويات الأثر الخطي . ولذلك نبه العلماء في هذه الزاوية على وجوب الاكتفاء في الحواشي بحل الإشكال ، والتنبيه على الخطأ ، والذكر لفائدة مهمة . . . ومعنى هذا الإقلالُ ما أمكن من التحشية والتعليقات ، لأن الإكثار منها يصير سببًا لظلم الكتاب وإفساد مقاصده . وهذا لا يكون من العلماء .[1]

إنه يرادف ما كان يعرف بالحاشية أو الطُّرّة ، كما رأيناها في الأصول الكتابية للمخطوطات ، ويطلق عليه لفظ ((التهميش)) في العصر الحاضر . وهو لفظ مولد مصوغ مما نعرفه باسم الهامش ، ويراد به التعليق على هذا الفراغ في أسفل الصفحات . فقد كانت الحواشي الخطية تَشغل ما فضل في الصفحة من فراغ حول النص ، وتُشغل بمثل ما ذكرنا من عناصر التعليق ، ولها أصول علمية يجب الأخذ بها في العمل التحقيقي المتقن .

والأصل في ذلك كله أن التعليق كان يعرف ، في قديم الحضارة العلمية العربية ، باسم ((التذكرة)) أي : تعليق المعلومات المستجدة والطريفة ، في العلم أو الفن الواحد ، يُحتفظ بها في صفحات أو كُنّاش ، للرجوع إليها وقت الحاجة . ثم صارت تعليقات ضمن النصوص ، تدرج في متونها مسبوقة بنحو : تنبيه أو فائدة أو مسألة أو تعليق أو تذنيب أو حاشية .

أما النُّسّاخ والعلماء المطلعون على النصوص فقد خصوا ذلك بحواش ، تسجل في جانبَيِ الصفحة الخطية القديمة ، ثم أصبحت تشمل ما حول النص من فراغ في المخطوطات المتأخرة . وأخيرًا توضعت بين أيدي المحققين في أسفل الصفحة ، هوامش لخدمة محتويات النص وتيسير تناوله . وهو ما نطلق عليه نحن : التعليقات الهامشية ، كجزء من متممات التحقيق .

---

(١) تذكرة السامع ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ والدر النضيد ص ٨٠ .

البيان والتفسير :

يضم هذا العنوان مجموعة من المقاصد التي سردناها ، في تعداد مضمون التعليقات . أعني بيان ما اختلفت فيه نسخ النص ، وشرح ما فيه من ألفاظ غريبة أو تركيب عسير البيان . أما الأول فأمره واحد في جمهور النصوص ، ويكاد يحكمه توجيه منفرد يوضح معالم تناوله . وإنه مع هذا كثير المادة متباين الأشكال ، بعضه من صنيع المؤلف ، والآخر من تدخل العلماء أو سهو النساخ أو تدخل من اقتنى النسخ وقرأ فيها . وإنما يسجَّل منه في هوامش التحقيق ما يكون له أثر في الدلالة أو المضمون أو الصياغة ،[١] ثم يغفَل الباقي على أمل أن يشار إليه بعبارات عامة في خطبة التحقيق .

ذلك لأن المراد من التعليق بالخلافات هو بيان المعاني والتراكيب المحتملة من النص ، ولا سيما التي صدرت عن المؤلف ، أو قصد العلماء توجيهها .[٢] فهذه المظاهر التعبيرية والدلالية ربما تفيد الدارس والباحث في تطور أساليب البحث والتفكير والتعبير ومضامين المعلومات والتجارب الإنسانية، وفي اكتشاف جوانب وظلال قد لا تبدو من النص المجرد ، فتكون عونًا له على استكمال الصورة التامة للمقاصد وأساليب البيان .

هذا في حين أن السقطات التي تندّ عن النساخ أو بعض المحشِّين ، وتتوزع في أشكال من المفردات والعبارات المتقطعة مع الركة واللحن والخلل والأوهام ، لا تقدم للنص إلاّ ثقلًا وتعكيرًا . وقد كان المستشرقون يستوفونها في هوامش أعمالهم لأسباب متفرقة : إما للتعالم وافتعال الدقة والأمانة ، وإما لأنهم يجهلون عدم فائدتها ويظنون أنها تقدم خدمة وتفهمًا ، وإما لإثقال التراث بالطلاسم والمعميات بغية حجبه عن جماهير الباحثين والدارسين والقرّاء.

ثم انتقلت إلى أيدينا فيما انصب علينا من المستوردات ومساحيق التجميل ومعجناته ، وتابعهم فيها من تتلمذ على أيديهم أو كتبهم ، من المستغربين ، فأصبح التراث المسكين غارقًا

(١) انظر منهج تحقيق المخطوطات ص ٦٧ .

(٢) النموذج ٥٢ .

والسامّةُ: الخاصّةُ. والحامّةُ: العامّةُ.

وقال: العربُ تقولُ: في أرضِ بني فلانٍ سَوادٌ من عَدَدٍ، وسَوادٌ من نَخلٍ.

ويقال: لُمَةٌ[1] منَ النّاسِ، بتخفيفِ الميمِ، وقِدّةٌ منَ النّاسِ، بتشديدِ الدّالِ. قال أبو الحسنِ: كذا قُرِئَ على أبي العبّاسِ، وقد سمعتُه[2]: لُمّةٌ، بتشديدِ الميمِ.

وعُثَجٌ منَ النّاسِ، عنِ الأصمعيّ. وقالَ غيرُه: عَثَجٌ. قالَ الرّاعي[3]:

بَناتُ لَبُونِها عَثَجٌ إليهِ
يَسُفْنَ اللّيتَ، مِنهُ، والقَذالا

١٨ ويقال: عَدَدٌ دِخاسٌ، أي: كثيرٌ.

ويقال: رَبَلَ القومُ يَربُلُونَ، إذا كثُرُوا. يونسُ: [يقال][4]: جاءتْنا جَبْهةٌ منَ النّاسِ. يعنونَ جماعةً.

والجُمّةُ: الجماعةُ يَسألونَ في الحَمالةِ[5]. قالَ الشّاعرُ[6]:

لَقَد كانَ في لَيلَى عَطاءٌ لِجُمّةٍ
أناخَتْ بِكُم، تَبغِي الفَرائضَ والرِّفْدا

الكسائيُّ[1]: البُرْكةُ: الحَمالةُ، ورِجالُها: الّذينَ يَسعَونَ فيها. ورُبّما سَمَّوا بها الرِّجالَ الّذينَ يَطلبونَ فيها.

ويقال: جاؤوا جَمًّا[2] غَفِيرًا، مُنوّنةً، أي: بجَماعتِهم.

أبو زيدٍ: يقالُ: قَذَتْ علَينا قاذِيةٌ من بَني فلانٍ، تَقذِي قَذْيًا. وهم أوّلُ مَن يَطرأ عليكَ منهم.

وأتَتْنا طَخْمةٌ منَ النّاسِ. وهم أكثرُ منَ القاذِيةِ.

قال: وقالَ القيسيّونَ: في الدّارِ كَثارٌ منَ النّاسِ، وغيرُهم: كُثارٌ[3]، إذا أخبرتَ عن كثرةِ عَدَدِهم، من قومٍ أو إبلٍ أو بقرٍ أو غنمٍ. وهيَ كَثرةُ الحيوانِ خاصّةً.

ويقال: قَدِمَ علَينا قُلَلٌ منَ النّاسِ. إذا كانوا من قبائلَ شتّى أو غيرِ شتّى مُتفرّقينَ فأولئكَ القُلَلُ. فإذا اجتمعوا جميعًا فهم قَلَلٌ، بفتحِ القافِ.

الكسائيُّ: الجَفّةُ[4] والضَّفّةُ والقَمّةُ[5]:

(١) في حاشيتي الأصل وخ: قال أبو علي: غلط أبو الحسن. ولِمّة الصحيح.

(٢) خ: وقد سمعت.

(٣) ديوانه ص ٢٤٦ والتهذيب ص ٣٩. واللبون: الناقة ذات اللبن. وعثج إليه أي: تأتي إلى الفحل قطعة قطعة. ويسوف: يشم. والليت: صفحة العنق. والقذال: مؤخر الرأس. خ: وقال الراعي.

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) الحمالة: الدية أو الغرامة يحملها قوم عن قوم.

(٦) التهذيب ص ٤٠ واللسان والتاج (جمم). وأناخت: نزلت. والفرائض: جمع فريضة. والرفد: العطاء.

(١) هو أبو الحسن علي بن حمزة، إمام كوفي في القراءة واللغة والنحو والرواية، توفي سنة ١٨٣. إنباه الرواة ٢: ٢٥٦.

(٢) خ: «جمّاء». وفي حاشيتي الأصل و خ: «جمّاء يقال بالمد، وبالقصر منوّنًا». وسقط «منونًا» من حاشية خ.

(٣) التهذيب: في الدار كُثار من الناس. وغيرهم يفتح الكاف.

(٤) التهذيب: الجُفّة.

(٥) في ب بفتح القاف وكسرها. وفي حاشيتي الأصل وخ: قال أبو علي: القِمّة في «المُصنّف». وهو حفظي.

النموذج ٥٢ من كتاب الألفاظ: تعليق خلاف النسخ والتخريج والتعريف

بالتعليقات المتطاولة ، تغمرها الرموز المصطنعة والألفاظ والعبارات الخفية ، البعيدة عن كل شيء من الدلالة أو الفائدة .

وما زالت هذه حال الزملاء الناشرين للنصوص الكريمة ، يرهقونها ويرهقون من اقتناها ، بصور مشوهة من التقطع والتباين والخلل . وقلما تخلَّص من ذلك إلاّ من رحمه الله ـ تعالى ـ وشعر بما أقحمته فيه العبودية لأساطين البغي والاستعلاء ، فنزع من عنقه ربقة الخزي والصغار ، ورجع إلى أساليب أجدادنا في التحشية ، والخدمة الواعية للعلم والعلماء ، بتعليقاتهم المنهجية المعروفة بين الناس .

وأما الثاني ، أي : عنصر التفسير، فيختلف أمره بين النصوص التراثية اختلافًا كبيرًا ، فيعطى كلٌّ منها ما يناسبه ويخدم تعبيره ومضامينه بالرجوع إلى معاجم : الألفاظ والمعاني والصيغ والأساليب والتقفية والفروق والبلدان وأسماء الأشياء . فالمفردات والتراكيب قد يكثر فيها الغريب أو الحُوشي ،[1] والاستعمالات العلمية او الفنية أو الخاصة المتميزة ، والمصطلحات والمفاهيم المغرقة في الدقة والخصوصية ، والإشارات الدينية والفقهية والتاريخية ، وذكر الأعلام والأحداث والوقائع الخفية ، وقد يقل فيها ذلك فتقتصر على بعض مطالب التفسير أو الشرح البسيط اليسير .

وهذا أمره عسير جدًّا على من لم يتقن التنبه والوعي والإحكام ، حتى ليضل فيه شوامخ صنعة التحقيق . ولذلك فإن المستشرقين يتجاهلون متابعته وإعطاءه حقه من العناية. فهم في جهل بدقائق الدلالات وعسير العبارات والمفاهيم ، يتركونها من دون شرح أو تفسير، ويشغلون بالتعليقات المتكاثرة من خلافات للنسخ مبتذلة ، مع الرموز اللاتينية والرومانية ، والتعبير بلغاتهم الأجنبية أو بكلمات وعبارات مبتورة مبعثرة مطلسمة ، ليبقى ما يقولونه في طيات الغيب والمجاهيل ، إلاّ على أصحابهم ومن تتلمذ عليهم .

---

(١) النموذج ٥٣ .

وأُسكوب.[1]

وعلى إفعِيل: ويكون أيضًا فيهما. فالاسم نحو: إخريط[2] وإكليل. والصفة نحو: إصليت[3] وإخليج.[4]

وعلى إفعَول: ويكون أيضًا فيهما. فالاسم نحو: إدرَون.[5] والصفة [نحو]: الإسحَوف[6] والإزمَول.[7]

وعلى مِفعال: ويكون فيهما. فالاسم نحو: مِنقار ومِصباح. والصفة نحو: مِفساد ومِصلاح.

وعلى مِفْعِيل: ويكون فيهما. فالاسم نحو: مِنديل ومِشريق.[8] والصفة نحو: مِسكِين ومِحضِير.[9]

وأمّا مَنديلٌ ومَسكِينٌ بفتح الميم فـ«مَفعِيلٌ».[10] إلّا أنه إنّما رواهما اللّحيانيّ[11] في «نوادره». قال أبو الفتح:[12] وكان إذا ذكرته لأبي عليّ قال: كُناسةٌ. وكان أبو بكر[13] بن دُريد يزعم أنّ كتاب اللّحيانيّ لا تصله به رواية.

وعلى مَفْعُول: نحو: مَضرُوب. ولم يجئ إلّا صفة.

وعلى مُفْعُول: وهو غريبٌ شاذّ، نحو: مُغرُود[14] ومُعلُوق.[15]

---

(١) الأسكوب: المسكوب.

(٢) الإخريط: نبات.

(٣) الإصليت: الشجاع الماضي في الحوائج.

(٤) الإخليج: السريع من الجياد.

(٥) الإدرون: المعلف.

(٦) الإسحوف: يقال ناقة إسحوف الأحاليل. وهي الكثيرة اللبن، يُسمع لصوت شخبها سحفة.

(٧) الإزمول: المصوت من الوعول وغيرها.

(٨) المشريق: موضع القعود في الشمس شتاء.

(٩) المحضير: الشديد الركض.

(١٠) وهو بناء غير أصلي، فتح أوله تخفيفًا، كما قالوا في بُرقُع: بُرقَع، وكما قالوا في جِورِيت: جَوريت. انظر ص٩١.

(١١) هو علي بن المبارك. أخذ عن البصريين والكوفيين، وكتابه النوادر مشهور. البغية ص٣٤٦.

(١٢) في الخصائص ٣: ٢٠٦: «وذاكرت يومًا أبا عليّ بنوادره فقال: كنّاش». كذا خلافًا لسائر النسخ. والكناش: أوراق تجعل كالدفتر.

(١٣) في معجم الأدباء ١٤: ١٠٨ أن أبا بكر هذا هو ابن مِقسم تلميذ ثعلب. وهو خطأ، لأن لثعلب رواية لنوادر اللحياني، ذكرها ابن خير في الفهرسة ص٣٧٩. أما ابن جني فقال: «وكان أبو بكر - رحمه الله - يقول: إن كتابه لا تصله به رواية. قدحًا فيه وغضًا منه». وابن دريد هو محمد بن الحسن الأزدي، لغوي مشهور توفي سنة ٣٢١. معجم الأدباء ١٨: ١٢٨.

(١٤) المغرود: ضرب من الكمأة. وفي حاشية ف بخط أبي حيان: «... [ذكر في باب] الميم أن مُغرودًا ميمه أصلية، وأن وزنه فُعلول، فناقض كلامه هنا». انظر ص١٦٦. وجاء بعد تعليق أبي حيان بخطه ما يلي: «وقال أبو القاسم السعديّ: وعلى مُفعول نحو مُعلوق للمعلاق، ومُغرود ومُغفور ومُغثور وهو صمغ، ومُنخور للمنخر، ومُنخول للمنخل. انتهى». وأبو القاسم هو ابن القطّاع.

(١٥) المعلوق: المعلاق.

ولذلك أيضًا ترى من مشهوري رجال هذه الصناعة الدقيقة زللًا في محاولات التفسير. وإليك مثالًا من هذا فيما جاء تعليقًا على عبارة الإمام الشافعي: [(١)] ((والعفو لايحتمل إلاّ معنيين: عفوٌ عن تقصير، أو توسعة. والتوسعة تُشبه أن يكون الفضل في غيرها، إذ لم يُؤمَر بترك ذلك الغير الذي وُسِّعَ في خلافها)) .

فقد اضطرب الناشر الكريم في توجيه آخر العبارة هذه، فراح يستعرض صور الكتابة في النسخ، ليخطئ ويصوب ويفسر ما يحتمله الكلام . ثم وقف عند الضمير في ((خلافها))، وأخذ يفترض تفسيرات وتعليلات وتقديرات، تعقّد المقاصد وتضيع المراد . ثم انتهى إلى أن نائب فاعل ((يؤمر)) هو الإنسان المكلَّف، أي ((الذي))، وأن الضمير في ((خلافها)) راجع إلى الأعمال التي تقابل التوسعة .

والظاهر اليسير أن الجارّ والمجرور ((بترك)) في محل رفع نائب الفاعل، والضميرَ المذكور عائد على التوسعة أضيف إليه إضافةَ المصدر إلى فاعله، أي : مخالفتها ما فيه الفضل، واسمَ الإشارة ((ذلك)) مشار به إلى ((غيرها))، و ((الذي)) هو صفة لـ ((الغير)) . وعلى هذا يصبح المعنى : لم يكن في الشرع أمر بترك ما وُسِّع فيه، أي: ترك ما تخالف التوسعةُ فيه أصل الحكم، يعني الحكم الذي فيه ((الفضل)) و ((رضوان الله)) المذكور قبل . وإنما جاء جواز الأصل والتوسعة معًا، وإن كان الأول أفضل .

ومن هذا القبيل أن المتابعين ((تفسير الجلالين)) بالشرح والنشر كان لهم أوهام كثيرة، تقتضي البيان . فقد وقف بعضهم إزاء قول فرعون ((ءَآمَنتُم))، مع ما علق عليه السيوطي من أنه يقرأ : ((بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا))، فزعموا أن المراد قراءة واحدة، أو أن الثانية للخبر بهمزة بعدها ألف . [(٢)] والصواب أن القراءة الثانية هي بهمزة بعدها مدّ

(١) الرسالة ص ٢٨٧ . وانظر منها ص ١٠٣.

(٢) الفتوحات الإلهية ٢ : ١٧٧ و٣ : ١٠١ و ٢٧٨ وحاشية الصاوي ٢ : ٩١ وقرة العينين على تفسير الجلالين ص٢١١ .

بمقدار ألفين ، لأن الهمزةَ مبدلة من همزتين : المزيدة على الفعل ، والتي هي فاؤه أصلاً .[1]

وعلى كل حال ، فإن عمليات البيان هذه يجب أن يُقتصر فيها على المعنى الدلالي للمفردات والعبارات ضمن سياقها ، دون التعرض لما تحتمله أو ما يحيط به المخزون اللغوي من ذلك . إن ما يراد تفسيره لابد أن يعيَّن لفظه ، ويحضر في التعبير ، ليتيسر الربط بين الكلمة أو العبارة ومعناها اللغوي . وإلاّ كان العمل فضفاضاً بسرد للكلام من دون فائدة .

ثم إن التفسير يكون ببيان الدلالة الحقيقية المقصودة في النص نفسه فقط ، لا بحشد المعاني الوضعية والمجازية والفنية والاصطلاحية المتعددة التي ترافق الكلمة في المعاجم العامة ، ولا بسرد أقوال العلماء والشعراء والمفسرين والمذاهب والتوجهات المختلفة في مثلها، مع الشواهد والشروح والأدلة المتكاثرة ، ومع حشد المعلومات والمعارف القريبة والبعيدة تمتد إلى صفحة تالية أو أكثر ،[2] كما يفعل اليوم أغبياء الناشرين للتراث وأغرار الدارسين له، في كثير من الجامعات والمؤسسات العلمية .[3]

لكأنهم يظنون أنهم يقلدون علماء العربية الذين شرحوا بعض الدواوين ومجموعات الشعر والمصنفات الأدبية والعلمية ، في القرون الأولى ، كالأصمعي والسكري والنحاس والأنباري وابنه والفارسي وابن جني . . . والحق أن هذا ظن وهمي فيه قياس مع الفارق . ذلك لأن أولئك الشُّرّاح القدماء كانوا علماء لغة وأدب يعلّمون الناس صور البيان والدلالات المختلفة ، في بيئات لا يملك طلابها المعاجم والمصادر اللغوية اللازمة ، وهم

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ١٦٥ .

(٢) النموذج ٥٤ .

(٣) انظر تحقيق النصوص ونشرها ص ٧٥ وقواعد تحقيق النصوص ص ١٥ والبحث الأدبي ص ٢٦٧ ، والنماذج المطولة جدًّا في : كتاب الآداب لابن المعتز مطبوعة بغداد ، وتفسير أرجوزة أبي نواس ، وما نشره معهد المخطوطات العربية بالقاهرة من دواوين : الحادرة والمتلمس الضُّبعي والمثقب العبدي وعمرو بن قميئة .

٧ لَعَمْرِي[١] لَنِعْمَ الْمَرْءُ تَدْعُو بِحَبْلِهِ[٢]

إِذَا مَا الْمُنَادِي فِي الْمَقَامَةِ[٣] نَدَّدَا[٤]

---

(١) لعمرى ، ولعمرك (فى البيت ٤) : مبتدأ محذوف خبره . فكأنه قال : لعمرى أو لعمرك ما أقسم به ، ولا يستعمل فى اليمين إلا بفتح العين ، وإن كان ضم العين لغة فيه . والعَمْر والعُمْر : الحياة .

(٢) الحبل : العهد والذمة والأمان وهو مثل الجوار . و « تدعو بحبله » أى تدخل فى جواره . وكان من عادة العرب أن يخيف بعضهم بعضاً فى الجاهلية ، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد كل قبيلة فيأمن به ما دام فى تلك القبيلة حتى ينتهى إلى الأخرى فيأخذ مثل ذلك أيضاً يريد به الأمان ، فهذا حبل الجوار ، أى ما دام مجاوراً أرضه ، أو هو من الإجارة : الأمان والنصرة .

الأغانى « تدعو بخلّة » — الاختيارين « يدعو بحبله » وجاء فى شرحه فيها : « يدعى بحبله أى يدخل فى جواره . والمقامة : المجلس . والتنديد : رفع الصوت » — صفوة الشعر « يدعى بحبله » .

(٣) المقامة (بالفتح) : المجلس والجماعة من الناس ، قاله ابن منظور فى « اللسان » (١٥ : ٣٩٩ « قوم ») ثم قال بعد ذلك (١٥ : ٤٠٩) : « والمقام والمقامة : المجلس . ومقامات الناس : مجالسهم . قال العباس بن مرداس ، أنشده ابن برّى [والبيت فى شرح المفضليات ٢٢٧ منسوباً] :

فَأَيِّي مَا وَأَيُّكَ كَانَ شَرًّا فَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

ويقال للجماعة يجتمعون فى مجلس : مقامة . ومنه قول لبيد [الديوان ٢٩٠ وروايته « لدى طرف الحصير »] :

وَمَقَامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامُ

الحصير : الملك ههنا . والجمع : مقامات . أنشد ابن برّى لزهير [ديوانه ١١٣] :

النموذج ٥٤ ـ أ من ديوان عمرو بن قميئة : استطراد وتكثر في التعليق

= وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُمْ   وأنْديةٌ يَنْتابُها ٱلقَوْلُ وٱلفِعْلُ

[رواية الديوان : « وجوهها »]. ومقامات الناس : مجالسهم أيضاً . والمقامة والمقام : الموضع الذى تقوم فيه . والمقامة : السادة . وقال ثعلب فى شرح بيت زهير : « المقامات : المجالس ، وإنما سميت المقامات ، لأن الرجل كان يقوم فى المجلس فيحض على الخير ويصلح بين الناس » ثم قال : « ويقال : هو مقامة قومه إذا كان يقوم فيتكلم فى الحض على المعروف » .

ووردت « المقامات » فى شعر سلامة بن جندل فى المفضلية ٢٢ [٢٢٦ بيروت ، ١٢٠ مصر] . وانظره فى القصيدة رقم ١ بديوانه بتحقيقنا :

يَوْمانِ : يَوْمُ مقَاماتٍ وأنْدِيَةٍ   ويَوْمُ سَيْرٍ إلَى ٱلأَعْداءِ تَأْوِيبِ

[التأويب : سير اليوم إلى الليل] :

ووردت « المقامة » فى قول مالك بن حَريم الهمدانى فى الأصمعية ١٥[٥٧] :

وأَقْبَلَ إخْوَانُ الصفَاءِ فَأَوْضَعُوا   إلَى كُلِّ أَحْوَىٰ فى المَقَامَةِ أَفْرَعَا

[أوضعوا : أسرعوا . الأحوى : الأسود ، أراد به الشعر . الأفرع : التام الشعر] .

(٤) التنديد : رفع الصوت : قال طرَفة بن العبد [ديوانه ٢٦ قازان ، ٤٢ مصر] :

وَصادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ فى السُّرَىٰ   لِجَرْسٍ خَفِىٍّ أو لِصَوْتٍ مُنَدَّدِ

وقال تميم بن أُبَىّ بن مقبل [ديوانه ٦٩] :

وَأَجْدَرُ مِنَّا أَنْ تَبِيتَ نِسَاؤُهُمْ   نِيَاماً إذَا دَاعِى ٱلمَخَافَةِ نَدَّدَا

والصوت المندَّد : المبالغ فى النداء . وندّد بالرجل : أسمعه القبيح وصرّح بعيوبه وشهّرها . رواية البيت فى الأغانى (ترجمة الحصين) :

وإنِّى أُحَامِى مِنْ وَرَاءِ حَرِيمِهِمْ   إذَا مَا المُنَادِى بِالمُغِيرَةِ نَدَّدَا

وطلابهم قادرون على تمييز المعنى السياقي للنص من المعاني الدلالية الأُخرى ، فلا تختلط لديهم العناصر الفرعية بالمقاصد الأصلية لمعاني النص ، في مفرداته وتركيبه .

أما معاصرونا ممن ذكرتُ فهم في مقام آخر بعيد جدًّا عن أولئك . إنهم ليسوا من العلماء أولاً ، والمخاطبون بالتراث والدراسات الآن قريبة منهم المصادر اللغوية اللازمة ثانياً، وهم في غنى عن نقلها إليهم في حواشي النصوص ثالثاً . ثم قلّ من هؤلاء وأولئك رابعاً من يستطيع تعيين المعنى السياقي ، ليستبعد المعاني الباقية والأقوال والمذاهب المعرقلة المخرّبة .

لذا يكون فهمهم للمراد غائماً موزعاً ، يقيم علاقات مشتتة بين المفردات في النص وبين دلالات مختلطة متداخلة ، ويكون تفسير هؤلاء الناشرين والدارسين سبباً في إفساد العقول ، والتطفل على النصوص بالتعالم والتكثر والاستطراد واستعراض العضلات . هذا إذا لم يكونوا هم أنفسهم على جهل وقصور ، بحيث لا يستطيعون تمييز المعنى السياقي ، فتراهم يركبون مطايا التشتت والضياع ، والتهويم على غير قصد أو بيان ، ثم يرمون الطلاب في مجاهل من المقاصد والدلالات والتفكير .

ولكي يكون العمل في مثل هذه الجوانب ناجحًا ومفيدًا ، يرجع المحقق إلى المصادر النوعية التي تناسب ما بين يديه من التعبير والتفكير والتصوير . فالآيات الكريمة يستفاد بيانها من كتب التفسير التراثية المعتبرة ، والأحاديث الشريفة تُعتمد فيها مصنفات الشرح للسُّنّة المشرفة ، والأقوال المأثورة والحكم والأمثال تُستمد مقاصدها من مصنفاتها الخاصة، وأبيات الشعر تُستقى معانيها من الدواوين والاختيارات والمجموعات المفسرة ، والعبارات والمصطلحات العلمية والفنية يستعان عليها بما في مصنفات اللغة والاصطلاح ، علمًا بأن للمصطلح الواحد مفاهيم متعددة في العلم الواحد أو في العلوم المختلفة ، وعلى المحقق أن يختار الدلالة النوعية الدقيقة المناسبة لسياق النص وأساليب صاحبه .

والتفسير الصحيح الوافي يتطلب الخبرة في التناول والصياغة والتعبير . فالمفردة التي

في النص تنقل بلفظها إلى الهامش ، وتفسر بما تتضمنه هي نفسها ، لا أخواتها في الاسمية أو الفعلية أو الصيغة أو الاشتقاق . ومعنى هذا أن الفعل الماضي يكون تفسيره بمثله ، وكذلك شأن المضارع وفعل الأمر والاسم المفرد. وكل من المثنى والجمع يُردُّ إلى مفرده ثم يكون تفسير المفرد بمثله، وكلا المذكر والمؤنث يشرح بمثله المقابل له في اللغة من دون انحراف ، والعبارة المركبة يليها الشرح بنفس صيغتها التركيبية أيضًا . وتكون عبارات الشرح مختصرة مكثفة ، ويفصل بين شروح الفردات الواردة في عبارة واحدة بالنقط تحدد نهاية كل منها ، مع الضبط اللازم لما أشكل و تجنبه لما كان واضحًا في المتن .

على أنه لابد من الإشارة هنا إلى خصوصيات العلوم البحتة ، كالحساب و الهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والطب والصيدلة والنبات والزراعة وعلم الأرض والحيل ، إذ يرد فيها معلومات وتجارب ورسوم ومصطلحات ومفاهيم ورموز دقيقة جدًّا ، وبعيدة عن المحصلات الثقافية المعاصرة .

فهي تتطلب تخصصات عالية وقدرات شخصية متميزة وخبرة بالتراث لفهم محتوياتها ومدلولاتها ، و لمعرفة المصادر المساعدة عليها ، ومن ثَمّ التمكن من تفسيرها بالصحة والوفاء . ذلك لأن معاجم اللغة : اللفظية والمعنوية والشكلية والأسلوبية ، قلما تتناول مثل هذه الموضوعات ، فلا تحاول تفسيرها فيما تقدمه من الخدمات . بل ربما كان فيها ما هو تفسيرات بعيدة جدًّا عن المقاصد العلمية المتخصصة ، فيكون ما يلتقطه الباحث مخالفًا للمراد، يفسد عليه عمله ويضع الدلالات في غير مرامي المؤلفين للنصوص .

ولقد طالما أسقط الناشرون لتلك المصادر التراثية العلمية معارفَهم المعاصرة على ما بين أيديهم من المفاهيم ، فانحرفوا بها عن مساراتها ومضامينها الدقيقة ، وحمّلوها أوزار التاريخ المديد . نعم لا بأس أن يُستأنس بما هو شائع الآن لتحديد المدلول ، ولكن بعد أن يكون التفسير قد أخذ حقه من المصداقية للموضوع ، في عصره وعلمه وأساليب

رجاله ، والدلالات السياقية ضمن العبارة الخاصة به والتعبير العام في الكتاب .

ثم يحسن أن يُقرن ذلك التفسير بما يقابله في الحاضر من مصطلح أو عبارة أو مفهوم ، للتقريب وتيسر الفهم ، لا للتعيين وفرض الدلالة القاصرة. وكذلك شأن الرسوم والأشكال التوضيحية والرموز والمعادلات ، في تلك العلوم ، هي في حاجة إلى الملاحظة الواعية والتفهم الكامل ، ليُستطاع تفسير ما تحمله من معان وحركات وأعمال .

وفي كل هذا وما قبله يكون الاعتماد على معاجم الاصطلاح التخصصية ، ومصادر التراث العلمية المناظرة المحقَّقة ، ثم يكون الاستئناس بالمعاجم اللغوية ، لزيادة في التوضيح والبيان . ولا يجوز الرجوع إلى المطبوعات التجارية والمصنفات المعجمية المعاصرة ، التي وُضعت لصغار الطلبة وأنصاف المثقفين . فهذه تتناول جوانب سطحية من الدلالة ، وتعبر عنها بأساليب تقريبية مبسطة ، أو بعيدة عن المرامي الدقيقة الأصيلة ، ولا تصلح لتفسير الصيغ والمفردات والتراكيب التراثية النوعية ، ولاسيما العلمية الدقيقة التخصص . بل ربما سببت تشويهًا لها ، وحملت القارئ على الضلال في الفهم والتوجه .

ثم إنما يَتطلب التفسيرَ والبيان ما هو غريب حقًّا أو مشكل وعسير . أما اليسير الواضح بنفسه فالتدخل بشرحه جهل وتنطع وتعسف وتقحم ، وإرهاق للنص وناشره ومقتنيه وقارئه ، واستهانة بالناس واستصغار لشأنهم في المعرفة والخبرة والفهم . وهذا يعني أن يَعرف المحقق مقتضيات النص التراثي الذي بين يديه ، ومستويات المخاطبين والقارئين له ، والعصر أو الحيِّز الذي يطرح فيه مقولاته وتعليقاته ، إذ كل بيئة بثقافتها وقدراتها تتطلب ما يناسبها من البيان ، وقد تخالف غيرها في ذلك أشد الخلاف .

فالنصوص في مضامينها وتراكيبها وأساليبها مختلفة جدًّا ، والدارسون والباحثون على درجات متفاوتة ، والعصور والبيئات تولّد أجيالاً متباينة المعارف والخبرات والثقافة . ولكل داء دواء عن عالمه ، حتى إننا قد أظهرنا خلافًا كبيرًا بين نشرتين لكتاب واحد ، لِـما جدّ من

تضعضع في الثقافة العامة لدى أجيالنا الآن . ويمكنك أن تلحظ نموذجًا لذلك فيما كان من تفسير لشعر الأخطل ، في سنتي ١٩٧١ و ١٩٩٦ ، إذ تحصل بين المثقفين في ربع قرن من الزمان ألوان من الضعف والسطحية والفهاهة ، تقتضي المراعاة في البيان والخطاب .

هذا هو معيار ما يحتاجه النص من الشرح ، على حين أن القصير النظر والخبرة والأداة يرى جميع النصوص والمستويات والعصور زمرة واحدة ، فيعاملها بأسلوب المعلم المتعالي ، أو الفهِّ العييّ ، ويخاطبها بما هو بعيد عن الفائدة والبيان ، ويحملها جرائر شططه وجهله وعجزه واستهتاره وتعالمه .

التقويم والتسديد :

في هذين الميدانين من التعليقات الهامشية ، تلتقي عناصر متقاربة ، هي إتمام ما نقص وتصويب مااختل واستدراك ما غاب ونقد ما ضعف ، من التعبير والتفكير والتصوير والبيان. وهذا يكون بحذر ولطف ودقة ، لئلّا يكون تدخل فيما هو سليم معافًى ، أو مذهب علمي صحيح له مسوغاته وأدلته ، أو مقصد واف لا يحتاج إلى زيادات متكلفة .

فالمفردات والتراكيب قد يكون في صياغتها خلل لغوي ظاهر ، يحتاج إلى بيانه وذكر وجه الصواب فيه ، مع الاستدلال بالضوابط اللغوية والصرفية والإعرابية . وبذلك تقدم للقارئ وسيلة الصلاح ، وتبعده عن تقبل اللحن أو الركة والصفاقة والعامية والعجمة ، وتأخذ بيده نحو السلامة والفصاحة والبيان الأصيل . غير أنه لا بد من مراعاة ما تحمله اللهجات العربية المختلفة ، والمذاهب النحوية المتباينة، وأساليب التجديد والتوليد والصياغة القياسية المقررة ، ومقتضيات البحث والتأليف ، والتعبير عن المستجدات من المعارف والتجارب والأخيلة والعواطف والظلال ، في حدود الضوابط العلمية المعتبرة .

فقد ابتلينا بكثير من المتعالمين نصبوا أنفسهم أوصياء على العربية والعروبة ، وشرعوا يتحكمون في الألسنة والسلائق والأفهام والأقلام، من أيام عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي

(ت ١١٧) إلى عهدنا هذا ، مرورًا بما أُطلق عليه : لحن العامة ولحن المحدّثين ولحن الفقهاء، وإصلاح المنطق ، وقل ولا تقل وأخطاء الأقلام والأفهام وأغلاط . . . يطرحها في عقولنا وألسنتنا من شُغل بوجه معين من التعبير ، أو مذهب خاص من التفكير ، أو بضيق أفق مع جهل لما عرفته العربية ، من أساليب القول والاشتقاق والتعبير والسماع والقياس .

فكان أن صدرت أقاويل وتوصيات وزواجر ونواه ، كثير منها منحدر عن تلك الآفاق الضيقة المحدودة ، تسفه صواب التعبير ، وتخطئ مستقيم التفكير ، وتهزّئ رفيع التصوير ، لأنه يخالف محفوظات الأوصياء ومعلوماتهم القاصرة الهزيلة . وقد حمل أنصاف المثقفين هذه المقولات ، يلوحون بها في وجوه المتكلمين والكتاب والعلماء والأدباء ، ويعيبون عليهم ما هو من جيد الكلام ورائق البيان ، ويقترحون ما هو وجه آخر من الصواب أو الخطأ، لا ينتقص غيره ، ولا يحل محله في السياقات المخصوصة بالتعبير .

والمحقق الخبير المتقن لواجباته وأدواته يتعالى عن تلك الترهات ، ويحترم كل ما صدر عن قريحة سليمة ، وسليقة قويمة متفتحة في تربة عربية ، وروح مبدعة ومجددة في إطار الفصاحة ومقاييسها المقررة . وقديمًا قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : ((ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم)) . فهو يعلّم جميع أجيال العروبة أن يحترم كلَّ غيره في هذه الحدود ، ويعرف وجه الأقوال من الصواب ، ثم يقف على ما هو منحرف حقًّا ، لفقده مقومات الصحة والسلامة ، وبُعده عن كل وجه من مذاهب العروبة في التعبير والصياغة والتركيب ، وأساليب الخطاب والمواصلة البيانية .

ما انحرف في ذلك فقط هو الذي يقتضي من المحققين التلبث إزاءه، لبيان موطن الخطأ أو الضعف أو الهلهلة . ومن ثَم يُقترح ما يقابله من الصواب المناسب ، للسياق والمضمون والمستويات الفكرية والتعبيرية والعلمية ، بأدب واحترام وتقدير للظروف والعوامل المختلفة في الحياة . ويكون مع الاقتراح المعروض ذكر بإيجاز ، للأسباب الموجبة والأدلة المسوّغة ،

والضوابط العلمية المقررة بين جمهور المختصين ، والمتجردين من عصبيات القبيلة والمذهب والزمان والمكان .

وعلى غرار ذلك أمر توجهات الفكر في المصادر التراثية ، يجب احترام ما فيها من خلاف أو خصوصيات للعصر والقوم والثقافة والمكان . وإنما ينقد بحقٍّ الخطأُ العلمي المحض ، بعيدًا عن المذاهب الدينية والسياسية والقومية والإقليمية . وإلاّ كان التراث عرضة للأهواء والمِلل والنِّحل ، يتحكم فيه كل عصر وكل قطر وكل إنسان بما عنده من التمذهب والعصبيات ، ويفرض عليه مقاييسه ومعاييره الفكرية وآراءه الشخصية ، وقد يجرؤ على حذف ما خالفه في ذلك فتكون الطامات الكبرى والضياع والتشرد .

فقد ترى من يعترض على المتصوِّفة مثلًا ، وينتقد ما عندهم من المفاهيم والرموز المجردة والمجسدة ، والتقاليد المذهبية المغرقة في الإيهام ، والتقسيمات الطبقية للبشر في الروحانية ، وتقديس العظماء وزيارة القبور ، والعبارات الموحية بالتطرف أو شيء من الانحراف ، والتحقيق لمقاصد البغي والاستعلاء والاستبداد. ثم تجد من يتهجم على المعتزلة، ويستهجن ما لديهم من أصول مذهبية ، في الصفات الربانية وتوظيف المجاز ، ومعايير خاصة في تفسير القرآن الكريم والسُّنّة المشرّفة وأحكام العقيدة والشريعة .

ثم تقف على من يستهجن المتوهِّبة لما يتحكمون فيه من مفهوم التوحيد والصفات والبدع ، ومن إسباغ صفات الشرك والكفر واالفسوق على غيرهم ، ومن ارتباطات سياسية مشبوهة . ويستوقفك من ينتقص المقدسين لآل البيت ، والناظرين إلى الخلافة والإمامة والسُّنّة المطهرة نظرة خاصة مقيدة بالمذهبية الخالصة . . . هذا بالإضافة إلى العصبيات الدينية عند آخرين ، والسياسية والإقليمية والاقتصادية وأنظمة الحكم والسيادة والعولمة والاستعمار.

ولقد رأينا في ((التمهيد)) ما كان ، من صنيع المستشرق الأب لويس شيخو اليسوعي، في كتاب ((تهذيب الألفاظ)) إذ راح يعبث بالعبارات والمفردات ، ليحرّف ويغيّر

ويسقط ويضيف ما يحقق رغبته وتطلعاته. فكان أن أزال من الكتاب مئات النصوص وحرّف المئات أيضاً، ليحقق نزعاته التبشيرية . وبذلك فرض على نصوص التراث صبواته المتطرفة ، وحاول رَهبَنتها بخِصاء ما فيها من التعبير عن الزواج والنكاح والعلاقات الجنسية المشروعة ، وما يحيط بذاك من الغزل ، فأخذ على نفسه نزع معالم ذلك أو الاستبدال بها ما يغيّر مجراها ، بحجة أنه يخل بالآداب العامة .

وقريب من هذا ما فعله بعض الناشرين المتحذلقين ، حين أصدروا كتاب « ألف ليلة وليلة » ،[1] مخلخلاً مهلهلاً ، لأنهم حذفوا منه ما لم يرُقهم من الحكايات والعبارات ، ثم ما حصل في « أخبار أبي نواس » أيضًا من حذف لأشعار وأخبار ، وما جرى في « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ، إذ نشره المستشرق الإنكليزي مرجليوث ، فأسقط منه كثيرًا من النصوص ، وأخل بمحتواه ونسق تصنيفه وشخصيته العلمية الأدبية . وقد استُدرك بعض ذلك عليه ، وألحق بالطبعات التالية .

وأغرب مما مضى أن يعبث الناشرون بكتب التفسير ، ويتصرفوا فيها كأنها من تصنيفهم أو أملاكهم الخاصة . وقد ابتلي « تفسير الجلالين » بكثير من التعنت والتعالم والتقحم ، لما هو عليه من شيوعة بين الناس وكثرة من الطبعات .

هذا أحد المتحذلقين أيضًا ، يفاخر بأنه تلافى ما فيه من أخبار إسرائيلية ، وما فيه من قراءات تخالف رواية حفص عن عاصم، وما رأى أنه يجب تغييره من العبارات والمعلومات. فإذا بالكتاب يصبح في اضطراب وقلق ، بما ظهر بين أسطره من تفسير لغير قراءة المؤلف ، وتقطع بإقحام ما ليس منه .[2]

---

(١) مما له صلة بذلك الكتاب أيضًا تصرف بعض الناشرين ، في العبارات الركيكة والمفردات العامية من قصصه ، لجعلها فصيحة . وفي هذا إخلال بشخصية النص وإضاعة لأصالته .

(٢) انظر تفسير الجلالين الميسر ص «ي» من مقدمة التحقيق وتفسير الجلالين ص ٥ ـ ٧ من مطبوعة دار العلم للملايين والنموذج ٥٥ .

٦٩ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب جمع مزنة ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾.

٧٠ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاّ ﴿تَشْكُرُونَ﴾

٧١ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر.

٧٢ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ كالمرخ والعفار والكلخ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ﴾.

٧٣ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَاعاً﴾ بلغة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين من أقوى القوم أي صاروا بالقوا بالقصر والمد بالقواء أي القفر وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء.

٧٤ ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِٱسْمِ﴾ زائد ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي الله.

٧٥ ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها لغروبها.

أسباب نزول الآية ٧٥: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة وضعها الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآيات ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ حتى بلغ ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبيّ ﷺ. فأمطر الله علينا السماء، فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.

٧٦ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

٧٧ ﴿إِنَّهُ﴾ أي المتلو عليكم ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.

٧٨ ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكتوب ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مصون وهو المصحف.

٧٩ ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أي الذين طهروا أنفسهم من الأحداث.

٨٠ ﴿تَنزِيلٌ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾.

٨١ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون مكذبون.

٨٢ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر أي شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا.

النموذج ٥٥ من تفسير الجلالين: تقطيع النص وإقحام فيه

وقد آلمَ زملاءنا الناشرين أن يروا في ((تفسير الجلالين)) اعتراض الجلال المحلي على القول بكروية الأرض ، وحز في نفوسهم أن ينشروا مثل هذا الموقف ، وكأنه يعيب التاريخ والأمة أن يصدر ذلك عن بعض الأفراد . ومن ثَـمّ سوّلت لهم أنفسهم حذف العبارة التي تتضمنه ، من دون بيان أو تبيين ،[١] تجاهلاً لأصول علم التحقيق ، وخرقًا لواجبات المحقِّق ، ولم يجدوا حرجًا في الإخلال بالأمانة العلمية ، والعبث بنصوص التراث .

وقد أشكلت أيضًا عبارات على الناشرين لهذا الكتاب الكريم ، وحاروا في فهمها أو قبولها أو توجيهها ، فكان أن أسقطوها جهلاً وتحكمًا . كالذي علقه السيوطي على قول الله تعالى: ﴿ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ إذ قال: ((وخصَّ العقلُ ذاتَه فليس عليها بقادر)). لقد ضاق هؤلاء بما في العبارة التفسيرية من فجاجة ، وعجزوا عن توضيح معناها ،[٢] فأسقطوها من دون إشارة أو عبارة . ونظير هذا كثير ، كالذي جاء في تفسير الآية ٧٥ من سورة المائدة ، إذ حذفت العبارة المشكلة ، أو أُبدل بها غيرها لتجنب ظاهر الإشكال .[٣]

وقد يأخذ التقويم الاعتباطي صورة الحداثة أو التحديث ، كالذي تراه فيما نشر تحت عنوان ((موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم)) . فقد أُقحم في أول عنوانه ما ليس منه : ((موسوعة)) ، ليكون له طابع الجدّة والحداثة ، ثم صمِّمت له بعض الأزياء والمساحيق الأجنبية، فألحقت فيه بجانب من المصطلحات والمفاهيم العلمية ألفاظ أوربية متعددة الجنسيات ، دون ما يُشعر بالإقحام والتزيد ، وكان حقها أن توضع بين أقواس معقوفة أو بين التعليقات في الهوامش. وأقحمت أيضًا ترجمات للنصوص الفارسية في متونه، بعد أن نزعت تلك الفارسيات وهُبط بها إلى الهامشية . ولكي تصبغه الحداثة من مفرقه إلى

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ٥٩٢ . و انظر المفصل ص ٢١١٣ .

(٢) تفسير الجلالين الميسر ص ١٢٧ وتفسير الجلالين ص ١٢٧ من مطبوعة حلب .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ١٢٠ .

أخمص قدميه ، نُثرت مواده من ضمن مداخلها اللغوية المنتظمة ، ورصفت تبعًا للمعاجم الأوربية بحسب ألفاظها الحاضرة ،[١] فضاعت منه الصورة العربية الأصيلة .

وإذا أضفت إلى هذا كله كثرة الأخطاء التعبيرية في مقدمة صانعيه ، والأوهام في الضبط وتوزيع الفقر والمعلومات ، إذ تجد أقزامها المقتضبة إلى جانب عماليقها المتشعبة ، إذا أضفت ما سردناه هنا ومن قبلُ مع نثر علامات الترقيم وصور الضبط على غير هدى ، واستحضرته في مخيلتك وخبرتك التراثية ، تبدّى لك ذلك الكشاف المسعِف كتابًا عَرَرُبِّيَّ[٢] الزِّيَ ، غريب الوجه واليد واللسان .

وأخيرًا هذا ((تفسير الطبري)) يعبث به مدع للعلم ، والإصلاح والتقويم التراثي . فقد زعم أن فيه ذكرًا لخلافات كثيرة جدًّا ، من التفسير والقراءات والدقائق النحوية واللغوية، والأحاديث الضعيفة ، مما أضاع على الناس إدراك المراد بها ، ومعرفة المعاني والدلالات والآراء ، فكان في ذلك خطر كبير على تكوين العقل المسلم .

وإنقاذًا لهذا العقل السليم ، وتشذيبًا لذلك الكتاب الضخم الذي يعجز عن قراءته كثير المثقفين ، كما قال ، جرَّد تفسير الطبري وحده [كذا] ، فحذف التفاسير التي نقلها ، والقراءات المختلفة ، ومعظم الشواهد الشعرية واللغوية ، والخلافات الفرعية في دقائق اللغة والمعاني والتفسير والنحو ، والاستدلالات المسوقة لإثبات صحة قراءة عاصم ، ومعظم ما استَند إليه من الأحاديث والآثار لعدم ارتقائها إلى مراتب الصحة القاطعة ، وما أورده من أقوال المفسرين بغير إسناد[٣] . . .

وهكذا أصبح كتاب الإمامِ في التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، إمامِ المجتهدين

(١) انظر مقدمة الناشرين لكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم مطبوعة مكتبة لبنان لعام ١٩٩٦ .

(٢) هذا نحت من كلمتي : عرب وأوربة . وهو مانحن عليه اليوم في دُوّامة العولمة أي : التبويش .

(٣) تفيسر الطبري ١ : ١٨ ـ ٢٠ من مطبوعة مؤسسة الرسالة لعام ١٤٢٢ .

والثقةِ في نقله وتاريخه ، أصبح كتابه الذي استوعب معظم تفاسير المتقدمين ، والأحاديث والآثار الصحيحة والحسنة والضعيفة في التفسير ، وكتب معاني القرآن واختلاف القرَأة والنحويين وكثير الشعر الجاهلي والإسلامي ، أصبح في يد الناشر الذي عدّد تلك الأوصاف في حاجة إلى التشذيب والتهذيب . لقد تخيله كتابًا مستقلاً وذيولاً مقحمة فيه ، وعليه هو أن يسقط تلك الذيول بوصايته على العلم والعرفان ، وذكائه الفذ وقدرته الفائقة ، خلافًا لمن سبقه وأساء في الاختصار ، كما قال .

ولست أدري : كيف يجعل هذه التصرفات الصبيانية عملاً علميًّا ، أو نشرًا لكتاب عظيم ، ثم يسميه ((تفسير الطبري)) ، بعد أن أفقده المنهج الأصيل والأساليب المتنوعة والمعلومات المتساوقة ، والقراءات المختلفة ، والأبحاث المتقنة ، والأقوال المتعددة ، والشواهد المستخدمة ، والأدلة المتعاونة ، والآثار العلمية التي يذخر بها المصنف العظيم ؟

فما ذا بقي من الشخصية العلمية المتكاملة لإمام المجتهدين والفقهاء والمحدِّثين والمؤرخين ، بعد أن نُزعتْ تلك المعالم الفكرية والمنهجية والأسلوبية من أطرافه وحناياه ؟ وماذا بقي من المصنَّف المتسع الآفاق والمتعدد الخصائص والميادين والمعارف ، بعد أن قُلِّمت فروعه وأغصانه وثماره وجذور تطلعاته ؟

لو أن أخانا الكريم أطلق على هذه الشظايا من جهود الطبري اسم : الاختيار أو التشذيب أو الاختصار أو الإيجاز . . . كما فعل غيره في تصرفاته المنهجية ، وعاب عليه هو صنيعه ، لما كان لنا أن نقول هنا ما قلناه . ولكنها عقليةُ الاستعلاء والعجرفية موروثة عن اساطين الاستشراق تسيطر على أوصياء التراث ، وأساليبُ التقحم والتطفل والتخريب ، ونفوسُ العاجزين عن البحث والتأليف ، تسطو على ذاكرة الأمة والبشرية ، وتتحكم فيها باسم التحذلق والعنجهية .

وإذا سمحنا لهذه الأيدي العابثة ، ولغيرها من أصحاب المشارب المختلفة ، أن تمارس

نقدها لنصوص التراث ، وأجرت مشارطها بالحذف والتقليم والتغيير والتقحم ، صار عندنا منه جزازات وإقطاعات خالية من كل نـفَـس حقيقي .

نعم لو سمحنا لكل مِشرط أن يتدخل في تقويم النص ، عند تحقيقه وإخراجه من رفوف المكتبات وصناديق الخزائن وجامات المتاحف ، وأجرت أقلام الناشرين عملياتها التجميلية المزعومة ، وبلغت آخر مداها في التعسف ، لو كان ذلك لأصبح مجموع التراث هُراء فارغًا من الأصالة والمعارف والتجارب والتاريخ ، ولصرنا مثل الأقوام المستوردة إلى بعض البلدان ، بالتهريب والتزوير والارتزاق ، لإبادة المواطنين الأصليين أو تقليمهم ، وابتزاز الأرض والخيرات . إذًا لكنا نظير أولئك الغزاة ، بلا مُثُـل ولا ماض ولا مصير ، نتبلغ ونملأ نفوسنا بالعدوان والجرائم ، والتخريب والتسلط والسمسرة بالأوطان والشعوب والقيم .

ولذا كان على المحقق أن يكتفي بالنقد والتوجيه ، لما وقع من أوهام علمية خالصة ، أو أقوال فيها استطراد وضعف ، يبين مواطن الضعف والوهم ، ويوضح سبيل الصواب والسلامة فيما يقابلها من الحق والصفاء ، مع إيراد الأدلة الموجبة والنتائج المبنية عليها . كل ذلك يصاغ في التعليقات الهامشية بنَصفة وتجرد ، وعبارات علمية موضوعية موجزة بعيدة عن المهاترات والنزاع والاستعلاء .

فمن الخطأ العلمي مثلاً أن المحلي [1] يذكر في الإعداد لفتح مكة أن النبي ورَّى بالعزم على غزوة خيبر . وهذا سهو ، لأن تلك الغزوة كانت قد انتهت قبل الفتح ، والصواب أنه ورَّى ((بحنين)) . فلا بد من تصويب العبارة ، وقد تحقق الوهم فيها . ومثل هذا الوهم العلمي يكون التصويب فيه ، مع الإشارة إلى ذلك في التعليقات ، خيرًا من إبقائه في النص والتعليق عليه بعد . أما تصور الأوهام والتدخل التعسفي فأمر لا يقدم عليه المحققون .

فاقتران الفعل المضارع بالفاء بعد خبر ((لعل)) لا يقتضي النصب بـ ((أن)) مضمرة ،

---

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ٥٤٩ .

لعدم وروده بعد طلب ، فيبقى الفعل على حالة الرفع . هذا هو الأصل النحوي عند الجمهور، غير أن الفرّاء ألحق ذلك بالتمني فكان مذهبه النصب ، وظاهره ابن مالك [١] فشاع عنه وكأنه واجب لا مفر منه . ولما كان أنصاف المثقفين لا يعرفون إلا هذا القول المشهور صاروا يوجبونه في النصوص التراثية . ولما وقف بعضهم ، على: ((لعلهم يتضرعون: يتذللون فيؤمنون)) من عبارة تفسير السيوطي ، توهموا فيها الخطأ ، فحذفوا نون الفعل الأخير ، وزادوا ألفًا بعد الواو : ((فيؤمنوا)) .[٢]

بل إن ما اقترن بالفاء بعد طلب لا يجب نصبه دائمًا إذ لا تكون للسببية مع تقدير ((أن)) ، فيجوز حمله على الاستئنافِ ، أو انصبابِ العطف على الفعلين معًا ، من دون تقدير جواب يقتضي النصب.[٣] وفي مثل هذه المواقع يظن أولئك بمحدودية معارفهم أنه لا بد من النصب ، فإذا وقفوا على خلافه أجروا مشرطهم فيه ليجعلوه كما يتوهمون ، نحو : ((أفلا تتذكرون هذا فتؤمنون)) ؟ إذ أقحموا أنفسهم في العبارة ، فحذفوا وزادوا ما لا يجوز لهم فعله .[٤] وقد كان منهم ذلك عشرات المرات في كتاب تفسيري موجز جدًّا .[٥]

وهذا ناشر آخر يحمل في نفسه بعض مقولات الأوصياء على العربية ، من دون فهم أو تدبر ، وعندما يعترضه خطاب السيوطي أيضًا لمشركين ، مستدلاً بخلق للكائنات على تحقق البعث : ((أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء ـ وهو أعظم منكم ـ قادر على إعادتكم)) ؟ يستفزه ورود ((تعتبرون)) ويظنه جاء على غير الصواب ، فيعلق عليه بقوله :

(١) التصريح على التوضيح ٢ : ٢٤٣ وحاشية الصبان ٣ : ٣١٢ .

(٢) المفصل في تفسير القرآن العظيم ص ٤٦٨ .

(٣) المغني ص ١٨١ ـ ١٨٢ والتصريح على التوضبح ٢ : ٢٣٩ ـ ٢٤١ .

(٤) المفصل في تفسير القرآن العظيم ص ٤٩٠ .

(٥) انظر المفصل ص ٢٢ و ١٥٠ و ٥٠٦ و ٥٥٠ و ٥٦٨ . . . و ١٩٣٩ و ٢٢٤٢ ـ ٢٢٤٣ .

((لو قال : تعدُّون ، لكان أفصح ، لأن الاعتبار الاتعاظ)) .[١] والسيوطي هنا لا يريد الاتعاظ ، وإنما يريد بـ ((تعتبرون)) : تتدبرون وتدركون . ولكن المصلح المسكين أبى عليه أن يريد ما أراد ، وحمّله أوزار ما يحمل هو في نفسه .

ومن قبيل هذا التعسف أن التعبير عن المثنى بالجمع ، في ذكر إبراهيم وعمران : ((بمعنى أنفسهما)) ، يرى فيه البعض ترك ما هو أولى ، إذ كان يجب أن يقال : ((نفسيهما ، أي : نفس إبراهيم ونفس عمران)) .[٢] والمشهور في كلام العرب وأساليب تعبيرهم جواز الوجهين ، ولا فرق بينهما في الفصاحة .

وقد يتطاول بعض هؤلاء على القراءات القرآنية ، ويظنون في إيرادها خطأ من بعض المفسرين . ومثل هذا الأمر لا يجوز ركوبه إلّا بعد تدقيق واستيعاب ، لما جاء به التوقيف عن عِلم القُرّاء الأثبات . فقد ذكر المحلي أن في الآية الكريمة : ﴿ أ أعجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ ﴾ ؟ قراءات ، منها إبدال الهمزة الثانية ألفًا مع مدّ مشبع قبلها .[٣] ولكن صاحب الفتوحات الإلٰهية وتلميذه الصاوي زعما أن ذكر هذه القراءة سبق قلم من المحلي ، لأنها غير صحيحة.[٤] والحق أنها من القراءات الصحيحة . ومثل هذا يقال في : ((أئمّة)) القراءةِ الثابتة بلا شك ، إذ تعقبها صاحب الفتوحات غير مرة واهمًا أيضًا .[٥]

والذين لفقوا في القراءات حين نشروا بعض كتب التفسير كان لهم أوهام وأوهام . فمنهم من يلتزم القراءة المشهورة في وطنه ، ويقحمها في النص مع خلافها لسياق المصنِّف

(١) تفسير الجلالين مطبوعة حلب ص ٥ .

(٢) قرة العينين على تفسير الجلالين ص ٦٨ . وانظر الآية ٤ من سورة التحريم و الكتاب ١ : ٢٤٧ والمفصل ص ٢٢ و ١٧٨ و ١٨٠ و ٢٢١ و ٦٥٥ . . . و ٢٢٢٨ ، وفيه كثرة من سرد نماذج تخطئة الصواب .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ٤٨١ .

(٤) الفتوحات ٤ : ٤٦ وحاشية الصاوي ٤ : ٢٨ . وانظر المفصل ص ١٧٠٠ و ١٣٦٤ .

(٥) تفسير الجلالين الميسر ٤١٧ .

الذي بين يديه . هؤلاء ثلاثة جاء في كتبهم عن الآية ٥٣ من سورة ص أنها قرئت :[١] ((ما تُوعَدُونَ بالغَيبة)) . والتنافي ظاهر في قولهم ، إذ القراءة التي أثبتوا هي بالخطاب ، وهم زعموا أنها بالغيبة . ولو كانت كذلك لجاءت بالياء في موضع التاء .

إن تلك التقحمات تعسف في تناول الآيات الكريمة ونصوص التراث المعتبرة ، وتطاول في التعليق والتوجيه والتقويم . أضف إلى هذا أنه قد يكون ما ظهر لنا من الوهم العلمي سببه قصور في تعبير المؤلف ، لا مقصد واضح منه . فأحيانًا يعجز الكاتب عن توضيح مقاصده ، لدقة فحواها وضيق مجراها ، فتأتي العبارات غائمة أو مختلة ملحونة تبدي غير ما حُمِّلته ، وتخفي ما أُريد لها أن تؤديه . ومن ثَم يضيع بعض الحقائق والمعلومات أو النتائج والفوائد ، ويأتي تهميش المحقق لإتمام ما فات وإيراد تلك النقائص المغفلات .

ولكي تتضح معالم هذه التوجيهات النظرية ، نسوق بعض الأمثلة مما كان لنا في حقل التعقب والتقويم . فالسيوطي يعرض لحال الأنبياء يوم القيامة ، بما يكونون عليه من الفزع ، ويتبع ذلك بقوله : ((ثم يشهدون على أممهم لَـمّا يسكنون)) .[٢] وأنت تراه قد أدخل ((لما)) الحينية على الفعل المضارع ، ثم إنه كرر ذلك غير مرة ، مع أنها مختصة بالماضي قولاً واحدًا.[٣]

وعندما وقف على الآية الكريمة : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ في أموالِكُم ﴾ ، وأراد أن يبين ما في تركيب الفعل مع واو الجماعة ونونَيِ التوكيد من عمليات تجميلية للفظ ، قال : ((حُذف منه نون الرفع لتوالي النونات ، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين)) .[٤] وفي هذا وهم لا بد

(١) انظر تفسير الجلالين الميسر ص ٤٥٦ .

(٢) تفسير الجلالين الميسر ص ١٢٦ . وانظر منه أيضًا ص ٧٨ ـ ٧٩ و ١٠١ و ١٠٣ و ١١٧ و ١٢٧ و ١٩١ و ٢٥٩ . . . ٦٢٩ .

(٣) انظر حاشية الدسوقي على المغني ١ : ٢٨٤ .

(٤) تفسير الجلالين الميسر ص ٧٤ .

من تعقبه وبيان وجه الصواب ، وهو أن واو الجماعة لم تحذف هنا ، وإنما المحذوف لام الفعل التي هي ألف مقلوبة عن ياء منقلبة عن واو في : تُبلَى . وقد نقل السيوطي توجيهه ذلك من تفسير ((تلخيص التبصرة والتذكرة)) لأحمد بن يوسف الكواشي (ت ٦٨٠) ، دون أن يلحظ ما فيه من غلط ، وتابع السيوطيَّ في ذلك أيضًا من نشروا تفسيره، فوقعوا فيما كان منه. بل إن أستاذًا معاصرًا لنا ، وناقدًا للنحو والنحاة على مدى عقود بالتسفيه والتجهيل ، نقل ذلك الغلط في آخر كتاب له فيما نعلم ، ولم يتنبه إلى ما فيه ووجوب بيان الصواب .[١]

وابن جنِّي تراه يعرض لصحة عين نحو : اجتَوَروا واهتَوَشوا واعتَوَنوا ، بأن العرب حملوا ذلك على ما يشاركه في المعنى ، نحو : تجاوروا وتهاوشوا وتعاونوا . فلما وجب صحة العين في هذا ، لوقوع الواو بعد ألف ، حملوا ذلك عليه بلزوم عدم الإعلال . ثم قال : ((قد جاء حرف واحد من الياء ، فلم يأت إلاّ مُعَلًّا . وهو قولهم : استافُوا ، في معنى : تَسايَفُوا . ولم يقولوا : استَيَفُوا)) .[٢] وأنت حين تراجع المعاجم ترى أن ما أنكره ابن جنّي معروف في اللغة ومستعمل . قال الليث صاحب الخليل : ((قد استَيَفَ القومُ)).[٣] ومثل هذا لا بد من الإشارة إليه في عمليات التحقيق .

وقد يكون في عبارة المؤلف ما رأينا من الخلل والاضطراب عند السيوطي ، كالذي تجده عند الأنباري[٤] من كثرة حذف الفاء في جواب ((أمّا)) ، وإقحام ((وذلك)) أو ((وإلاّ)) أو ((إلاّ أنه)) أو ((ذلك)) في التعبير ، وإدخال الواو على ((بل)) . أو يكون في أحكامه أوهام تقتضي التعقب والبيان ، كما في نفيه التعويض بالهاء طرفًا مما حذفت لامه ،

---

(١) إشكاليات في البحث والنقد النحويين .

(٢) الخصائص ١ : ١٢٤ و ١١٢ و ١٥١ .

(٣) القاموس المحيط وتاج العروس (سيف) وأبواب ومسائل ص ٦٩ .

(٤) انظر أبواب ومسائل ص ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١١٣ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٦٦ و ١٧٠ .

وتعميمه الحكم على الكوفيين أحينًا ، وإيراده ما يفيد أن القراءة القرآنية تكون بالرأي ، وجعله زيادة الميم خاصة بالأسماء ، و زعمه سكون الواو في ((هَرائوُ و أدائوُ)) ، و تكلمه[1] على أصل ((حَشائي)) .

والجلال المحلي يتعرض في تفسيره الآية الكريمة :[2] ﴿ وقَد خابَ مَن دَسّاها ﴾ ، لِما في ((دسّاها)) من التصريف ، فيقول: ((أصله : دَسَّسَها ، أُبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا)). والظاهر أن السين الثانية لم تبدل ، وإنما أدغمت فيها السين الأولى . أما التي أبدلت فهي الثالثة على غير الصورة التي ذكر . إذ أصل الفعل ((دَسْسَسَ)) أدغمت السين الأولى في الثانية ، وأبدلت الثالثة ياء للتخفيف ، ثم قلبت الياء ألفًا لتحركها بعد فتح . وانظر أيضًا ما قيل عن ((قِيَمًا)) من أنه غير مُعَلّ .

والواقع أن أوهام الجلالين المحلي والسيوطي في تفسيرهما كثيرة جدًّا ، عقدنا لها ولأمثالها عنوانًا في آخره ،[3] وأشرنا إليها تحته بذكر نوعها وأرقام الصفحات التي وقعت فيها . نقتطف منها بعض النماذج ، وأنت تتابع ما شئت من الباقي في موطنه . ففي تفسير الأيام الستة لخلق السماوات والأرض ، تجد مرارًا أن تحديد أولها يكون يوم السبت تبعًا للمزاعم الإسرائيلية،[4] والثابت في الأحاديث الصحيحة أنه يوم الأحد .

وكذلك ما جاء من زعم بناء الملائكة للكعبة المشرفة ، وإقحامه في نص حديث الصحيحين ، وما جاء من الأوصاف الأسطورية لقوم عاد ، **وتسليط الشياطين على عقول** المخلصين من المؤمنين ، والتصرفات في النصوص **المنقولة عن الغير بما يفسد المراد والإعراب**

(١) أبواب ومسائل ص ٩٩ و ١٤٨ و ١٦٧ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٥١ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الشمس . وانظر تفسير الجلالين الميسر **ص ٥٩٥ والمفصل .**

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ٦٢٤ ـ ٦٣١ والمفصل **في تفسير القرآن العظيم ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤٩ .**

(٤) تفسير الجلالين ص ٢٢٢ و ٤١٥ و ٤٧٧ ـ ٤٧٨ و **٥٢٠ و ٥٣٨ .**

أو يعكس المعنى ، وتخصيص الحكم العامّ وتعميم الحكم الخاصّ ، وخطأ أو تناقض في التحليل النحوي والتفسير ، والتوهم في تعيين المخاطَبين أو المقصودين بالذم والتحقير ، والأخطاء في الإعراب والتقدير والتعبير ، ونسبة الأحاديث إلى الصحيحين أو المستدرك وهي منقولة عن غيرها ، ونسبة القراءات إلى غير من قرأها ، وجعل الآيات المكية مدنية والعكس ، مع النص قبلُ أو بعد بخلاف ذلك . هذا سرد من دون بيان لتعذر تفصيله . وإليك ما يقدم صورة عنه ، في عملهما وعمل آخرين من المفسرين :

فلفظ الآية : ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ يجعل : ((إن الله لا يحب الظالمين)) .[١] و ((مُبَيِّنَة)) يعلَّق عليها: ((بكسر الباء)).[٢] و ((تَذَّكَّرُونَ)) يقال إنها قرئت بالسكون أي : سكون الذال .[٣] وهذا ما لم يرد فيه نص . وفي تفسير : ((تَجرِي تَحتَها الأنهارُ)) يرد ما يلي : ((وفي قراءة بزيادة : مِن)) ،[٤] فيوهم الإقحامَ والتزيد في النص الكريم. والمراد هوما قاله البيضاوي : ((وقرأ ابن كثير : من تحتِها الأشجارُ . وهي ثابتة في مصاحف مكة)) .

وفي ((أهؤلاءِ إيّاكُم)) يذكر المحلي قراءة بإبدال همزة آخر ((هؤلاء)) ياء ،[٥] وليس لها أصل . بل إنه ليتوهم في الآية ٥٩ من سورة النمل قراءتين لا أصل لهما أيضًا ،[٦] وتراه بعبارته يلفق في التفسير بين قراءتين .[٧] وكذلك تجد السيوطي يختصر العبارة ، فيكون لديه

(١) تفسير الجلالين ص ٤٨٧ . وانظر منه ص ٦٢٩ .

(٢) تفسير الجلالين الميسر ص ٣٢١ . وانظر منه ص ٦٢٩ .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ١٤٨ ـ ١٤٩ . وانظر منه ص ٦٢٩ .

(٤) تفسير الجلالين الميسر ص ٢٠٣ .

(٥) تفسير الجلالين الميسر ص ٤٣٣ .

(٦) تفسير الجلالين الميسر ص ٣٨٢ .

(٧) تفسير الجلالين الميسر ص ٣٧٤ .

تلفيق في الرواية بين حديثين شريفين .[١]

ثم تنتشر أوهام في تفسير الآيات الكريمة ، كأن يزعم المحلي أن بين نفختَيِ الصور ٤٠ سنة ،[٢] والثابت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ ذكر العدد ٤٠ ، وأبى أن يعين المعدود. وعندما يقف السيوطي على الآيات ١٨٩ ـ ١٩٨ من سورة الأعراف يورد حديثًا منكرًا من دسائس الإسرائيليات ، مفاده أن آدم وحواء أشركا بالله خوفًا على ابن لهما ، مع أن سياق النظم الكريم يتعرض لواقع العرب المخاطَبين .[٣] وكذلك ما كان من المحلي من انسياق خلف الإسرائيليات بحديث ضعيف في تفسيره ، إذ زعم أن الناس كلهم من نسل أولاد ثلاثة لنوح،[٤] وهو خلاف ما جاء في الآية ٤٠ من سورة هود .

وانفلاق البحر لبني إسرائيل اثني عشر فِرقًا يفسره ، تبعًا للخرافات الإسرائيلية وجمهور المفسرين ، بما يفيد أنها قطع عالية من الماء بينها طرق يابسة ،[٥] ولم يتنبه هو ومن كان قبله أو بعده إلى الوهم في هذا التفسير . فالقبول لما ذكروه يعني أن الطرق بين مرتفعات المياه ستكون ١١ لا ١٢ . وهذا يعني تعذر مرور الأسباط الاثني عشر ، إذ كل منها يريد طريقًا مخصصًا له .

ثم إن بني إسرائيل كانوا حينذاك في ضعف من الإيمان ، جعلهم يعبدون العجل ويطلبون وثنًا كما لغيرهم من الوثنيين ، وهذا يقتضي استحالة عبورهم بين مرتفعات من المياه ، والطرق أقل من عدد أسباطهم ، ويحتم استحالة ذلك من فرعون ، وهو مؤمن بمعجزات موسى عليه السلام . إذ لا يأمن المرور في مثل هذه المخاطر . فكون الأفاريق

---

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ٢٩٣ .

(٢) تفسير الجلالين الميسر ص ٤٤٣ و ٥٨٤ .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٤) تفسير الجلالين الميسر ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(٥) تفسير الجلالين الميسر ص ٣٧٠ .

مرتفعات من باطن البحر بين منخفضات المياه هو الذي يصحح الحدث العظيم .

ومن هذا القبيل زعم أن ((قبضة من أثر الرسول)) هي من تراب حافر فرس جبريل، قبضها السامري وألقاها في فم العجل الذي عبده بنو إسرائيل .[١] وجبريل ـ عليه السلام ـ مخلوق نوراني ليس في حاجة عند زيارته الأنبياء إلى فرس يكون له حافر وتحت حافره يكون التراب . ثم إن بني إسرائيل يكرهون جبريل ، لأنهم يعتقدون أنه يأتيهم بالعذاب والبلاء . فكيف يؤمنون بخير من تراب حافر فرس مزعوم له ؟ فالرسول المذكور هو موسى ، والقبضة من إثره . هذا هو يفهم به النص العظيم في سياقه ا لكريم .

ومناداة الله لموسى بجانب الطور يوضحها المحلي [٢] بأن ((خذ الكتاب بقوة)) ، فيوهم القارئ أن ما في هذه الآية كان خطابًا لموسى حينذاك . والحق أنه كان موجَّهًا بعدُ إلى يحيى ـ عليه السلام ـ كما جاء في الآية ١٢ من سورة مريم . وإنما وقع المحلي في هذا الوهم ، لأنه نقل عبارته من ((تلخيص)) الكواشي ، دون أن يتنبه إلى ما فيها من تدليس .

وعندما فسر ((ألـقِيا)) في الآية ٢٣ من سورة ق ، ذكر أن الألف بدل من نون التوكيد ، ثم وقف على ((ألـقِيـاهُ)) وزعم أن القول فيه كما تقدم .[٣] يعني ما ذكر في ((ألقيا)) . وقد غفل هنا عن وجود الهاء بعد الألف ، الأمر الذي لا يُجيز ذلك الإبدال الذي يكون في الوقف ، ولا يكون وقف قبل الهاء .

أما السيوطي فيذكر في تفسير قول يعقوب : ((إني لأجد ريح يوسف)) أن الصَّبا نقل ذلك إليه من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر .[٤] وقد غفل عما يعرفه العرب عن الصَّبا ،

---

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ١٦٨ و ٣١٧ـ٣١٨ .

(٢) تفسير الجلالين الميسر ص ٣٩١ .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ٥١٩ .

(٤) تفسير الجلالين الميسر ص ٢٤٦ .

لأنهم يعتقدون أنها تأتي من المشرق ، وما وصل إلى يعقوب ـ عليه السلام ـ كان من جهة المغرب . ورياحها غير محمودة عند أهل الشام . فلا حاجة إلى التمحل واصطناع التفسير .

وفي تفسير ((سُطِحَتْ)) من الآية ٢٠ من سورة الغاشية ، يقول المحلي:[١] ((أي : بُسِطَتْ . . . وظاهر في أن الأرض سطح ، لا كرة كما قاله أهل الهيئة ، وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع)) . فهو يتأثر مذهب بعض القدماء ، ويتجاهل ما قاله جمهور العلماء ، من أن البسط يعني التمهيد للسير والاستقرار وصلاحية أمور الخلق ، ولم تكن الأرض محدبة مقعرة أو هلامية رجراجة أو سديمية هفهافة . فهي تبدو للنظر القريب مسطحة ، ولكنها في النظر البعيد من الفضاء كالكرة . وهذا ما أثبته علماء الفلك والجغرافية من المسلمين .[٢]

والسيوطي يهم مرارًا في تفسير ((فتيلاً)) بأنه قشر النواة .[٣] والفتيل هو الخيط الدقيق في شَق النواة ، وقشرة النواة هي القِطمير . ثم تراه يهم في التعبير ، كما ذكرنا من قبل . وفي تفسير العدل بين الزوجات ، يذكر النهي عن ظلم المرأة بألاّ تُترَك الـمُمَالُ عنها كالمعلَّقة التي لا هي أيّمٌ ، ولا هي ذات بعل .[٤] والإشكال في ((الممال عنها)) إذ جاء في بعض النسخ ((الممال عليها)) . وهو غير صواب أيضًا ، لأن الفعل المجرد : مِيلَ ، يكون اسم المفعول من مصدره هو المَميل . والـمُمال مشتق من مصدر المزيد في أوله همزة : أُمِيلَ ، وليس له في المعنى ما يناسب الكلام هنا .

هذا خطأ في صياغة المفرد . وثمة أخطاء في صياغة التراكيب ، منها أنه يقول عن الطير التي قطعها إبراهيم ـ عليه السلام ـ ووزع أجزاءها على جبال متباعدة ، ثم دعاها فأقبلت

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ٥٩٢ .

(٢) انظر المفصل ص ٢١١٣ .

(٣) تفسير الجلالين الميسر ص ٨٦ و ٩٠ و ٢٨٩ .

(٤) تفسير الجلالين الميسر ص ٩٩ .

الأجزاء متواصلة لتعود كما كانت قبل التقطيع ، يقول السيوطي:[١] ((فتطايَرَتِ الأجزاء إلى بعضها ، حتى تكاملتْ)) .

وإنني لأتساءل معك: كيف تتطاير الأجزاء كلها إلى بعضها؟ ثم إذا تطايرت كلها فأين بقي بعضها حتى تصير إليه ؟ الحق أن مثل هذا التعبير لا يتحصل له معنى، وهو شائع بين كثير من العلماء والمتأدبين ، وإنما صوابه أن يقال : ((فتطايَرَتِ الأجزاء بعضُها إلى بعض)) . ومن هذا الوادي في التعبير قول السيوطي في موضع آخر : يقول الذين آمنوا لبعضهم .[٢]

وإذا تصفحت النسخ الخطية لـ((كتاب الجمل في النحو)) وقفت بينها على أغلاط كثيرة جدًّا في إيراد الآيات الكريمة . ومن ذلك أن قول الله تعالى:[٣] ﴿ ونَذَرُهُم في طُغيانِهِم ﴾ تجدهُ مرتين في بحث الجزم بالجواب ، وهو بلفظ ((فذَرْهم)) .

وبهذا اللفظ أيضًا تجد قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ذَرْهُم في خَوضِهِم يَلعَبُونَ ﴾،[٤] ثلاث مرات في مواضع متفرقة . ثم ترى الآيتين ٢٤ و ٣٠ من سورة النحل ، وقد دخل بعض الأولى في الثانية ،[٥] والآية الأولى من سورة الممتحنة بلفظ ((تُخرِجون)) ، والآية ٩٧ من سورة الشعراء في خلاف كثير بين النسخ . . .

فمثل هذه الأغلاط والأوهام العلمية واللغوية لا بد من تعقبها في التحقيق ، بالتعليق عليها وبيان وجه الصواب ، لئلاّ تدخل الأوهام على القارئين ، وتصبح جزءًا من معلوماتهم وأساليبهم في الكلام . فقد طالما شكونا مما يحمله أكثر المثقفين ، في ذاكراتهم وألسنتهم ، من

(١) تفسير الجلالين الميسر ص ٤٤ .

(٢) تفسير الجلالين الميسر ص ١١٧ .

(٣) الآية ١٨٦ من سورة الأعراف . وانظر الجمل ص ٢١٣ و ٢١٤ .

(٤) الآية ٩١ من سورة الأنعام . وانظر الجمل ص ١٦٦ و ٢١٣ و ٢١٨ .

(٥) الجمل ص ١٨١ . وانظر ص ٢٣٠ و ٢٧٢ .

ضروب الأخطاء والخرافات والدسائس الإسرائيلية وسقطات العلماء .

وبذلك الذي سردناه ، من التعقبات المفصلة بالأدلة والأمثلة ، يكون قد اجتمع لـدينا في التعليقات الهامشية تقويم وتسديد ، لما تضمنه النص من خلل أو قصور أو هَنات علمية ، يخدمان التراث بما يوجه مقاصده ، ويتممان الفائدة منه بين أيدي الدارسين والباحثين ، ويزيلان عنه سمات القصور والخلل والاضطراب . ثم يصبح الكتاب بمتنه وحواشيه وحدة علمية ، تخدم مسيرة الحضارة الإنسانية في كل زمان ومكان .

التخريج والتوثيق :

في مصنفات التراث المختلفة ، والوثائق والآثار والمستحاثات والأوابد الكتابية المخطوطة ، كثير من النصوص ترد للاستدلال أو التفسير أو التوكيد أو الاستئناس أو التزكية. وكثيرًا ما يفاجئ النص محققه بالمسائل ، تستفزه وتطالبه بالتوثيق والتحقيق والتوضيح . وإلاّ تراكمت وتفاقمت ، وخيمت عتَمَة بعضها على وجوه بعض ، فتعذر المسير في تلك الدروب الضبابية الغائمة ، إذ تكدست في المسالك عراقيل ومتاريس وحجب متكاثفة ، تمنع كل بصيص من الوضوح والبيان والفهم .

وهذه المشكلات تتوالى ، في موضوعات اللغة والمعجمية ، والصرف والإعراب والبلاغة وموسيقى الشعر من عروض وقافية ، وميادين الأدب والرواية والنقد ، والقراءات والتفسير وأسباب النزول والفقه وأصول الدين والفلسفة ، والعلوم المختلفة من نظرية وأساسية وتطبيقية وكونية ، وتراجم الرجال وأعلام القبائل والأماكن والحيوان والسلاح والنبات، وأقوال من اقتباسات نبوية وصحابية أو من الأدباء والحكماء والفلاسفة والخرافات الأسطورية والإسرائيلية ، وأحداث للتاريخ من وقائع ومعاهدات وهجرات وأحلاف ومؤامرات ، ومذاهب سياسية ودينية وطائفية وعلمية ولغوية وفنية وأدبية ، وأحكام في الشرع واللغة والأدب والفنون والعلوم ، وأقوال منسوبة أو أغفال ، وألفاظ مشتركة أو

غائمة أو غريبة أو شاذة أو ملحونة ، وعبارات مستغلقة عسيرة المنال ، ومصطلحات في الفقه وأصوله ومختلف المعارف والثقافات والعلوم ، ومفاهيم خاصة أو عامة في دوائر معينة من التاريخ والبلدان والمذاهب . . .

وأكثر هذه العناصر المتناثرة هو مقتبسات علمية ، وُظِّفتْ لخدمة المعلومة والخبرة والتجربة ، وجاءت في سياقها تعبيرًا عن مستوى التفكير والبحث عند المؤلف الذي صاغ الكتاب أو الرسالة أو الوثيقة . ومُهِمّة المحقق إزاء هذه الظواهر النصية أن يقوم بتخريجها وتوثيق مصداقيتها ، في بطون المعارف والعلوم والمصادر النوعية الوافية .

و تلك السيول من المثيرات المتدفقة يدفع بعضها بعضًا ، ويعرقل مسيرته وعطاءه ، فتصبح المطالعة للنص شائكة المسالك مستغلقة الأبواب مبهمة المعالم ، لا تنطق حتى ينطقَ الحجر . وحينذاك يتعين على المحقق أن يقف عند كل منها على حدة ، يكشف عنها الحجب ويزيل ما فيها من الغيوم ، ويحّدد قيمتها العلمية في بطون التاريخ ، ويتبين دلالاتِها الوضعية والاصطلاحية والفنية ، ليعيِّن المقصَد الحقيقي لها في سياقها العام وعبارتها الخاصة ، فتساعد على تبديد الحجب مما حولها ، وتنير السبيل للهداية في متابعة المسير ، وتناول العقبات التالية .

ومثل هذه العمليات في متممات التحقيق يحتاج إلى مصادر علمية موثقة متعددة المناحي ، تقدم الحلول الموضوعية المناسبة لكل مسألة أو مشكلة أو معضلة . أعني أن نوعية الإشكاليات هي التي تفرض جانبًا معينًا من مخزون المكتبة - وقد ذكرنا ما يفيدنا من ذلك في الفصل المتقدم - للمطالعة في مصنفاته وأسفاره ، ابتغاء وضع اليد على مفتاح التخريج والبيان والتفسير . وعندئذ يختار المحقق أيسر المفاتيح المستقاة وأدقها وأخصرها ، ليعلق مضمونه في الحاشية مع الرقم المناسب للمسألة ضمن السياق ، ثم يتبعه بالإحالة على المصدر المعتمد ، والمصادر والمراجع المساعدة في ذلك .

أما التخريج فيعني تعيين موطن النص المقتبس ، وتحقيق مرجعيته التاريخية ، وتعيين نسبة ما أغفل من ذلك . فهو إذًا : تحديد المواطن الأصلية في بطون التاريخ للنقول النصية ، ونسبة ما لم ينسب منها إلى مصادره وأصحابه .[١] وأصل هذا المفهوم متحصل في علوم الحديث الشريف ، ويراد به عزو النص إلى مصادره الأمهات من الرجال وكتب الحديث ، تمهيدًا للحكم عليه قبولًا أو ردًّا .[٢]

وينسحب هذا على كل اقتباس ورد في المتن ، ليعزى إلى مصدره الأصلي ، وتعرف قيمته العلمية ، وما يقدمه من خدمة للاستدلال والحقائق والمعارف والتجارب . وإذا كان الشاهد مبتورًا ، يحتاج إلى ما يتمم دلالته ، أُلحق بالتعليقة الخاصة به ما يلزم من ذلك فيه ، كالشطر الثاني للبيت ، والعبارة المتممة لبعض الآية أو الحديث أو المثل أو القول المأثور أو الاقتباس العلمي أو الفني .

فالآيات الكريمة ، وقد وضعت بين أهلّة مزهّرة عزيزية ، نقف عند كل منها لتنبين نصها الحقيقي ، بدون إقحام ((تعالى)) أو نحوه إن لم يرد ، ثم نعلق عليها بذكر رقمها واسم السورة التي هي منها .[٣] وإذا كانت قد تكررت في عديد من النص القرآني ذكر تلك الأرقام والسور أيضًا ، وربما اكتفي ببعضها . وإذا وردت في بعضها قراءة تخالف ما هو مشهور في المصاحف أحيل على بعض المصادر التي تنص عليها وتبين القارئين لها . ويتبع ذلك ما يرد في المتن من اقتباسات لأقوال بعض المفسرين ، إذ يجب إحالتها إلى مصادرها الأولى ، إن كانت منشورة . وإلاّ كانت الإحالة على أقرب مصدر إليها .

---

(١) انظر مجلة عالم الكتب ١ : ٦٥٠ .

(٢) معجم مصطلحات أصول الفقه ص ١٢٥ .

(٣) أسس تحقيق التراث العربي ص ٢٠ والنموذج ٥٦ . وكثيرًا ما يستعمل بعض الناشرين أرقامًا للسور أيضًا ، فيختلط على القارئ ما قصد بها وبما قبلها .

الكُميتِ» وهو جمع فَلُوّ، مثل عدوّ وأعداء. ويقال في جمع الفَلُوّ: أفلاءٌ وفُلِيّ وفِلِيّ وفِلاء. والفَلُوّ: ولدُ الفرسِ.

وأنجَتِ السَّحابةُ: إذا وَلَّتْ. ونَجا من كذا وكذا يَنجُو نَجاءً ونَجاةً، ونَجًا مقصور.

وأنسَلَت الناقةُ وبرَها: ألقَتْه. ونَسَلَتْ بوَلَدٍ كثيرٍ تَنسُلُ. ونَسَلَ الوبرُ يَنسِلُ ويَنسُلُ: إذا سقط. ويقال لِما سَقَطَ منه: النَّسِيلُ والنُّسالُ. ونَسَلَ في العَدْوِ يَنسِلُ نَسَلانًا. قال الله جلّ ثناؤه[1]: ﴿إلى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

وأعَقَّتِ الفَرسُ فهي عَقُوق. ولا يقال: مُعِقٌّ. وهي فَرسٌ عَقوق: إذا انفتقَ بطنُها واتسعَ للولد. فكلُّ انشقاقٍ: انعقاقٌ. وكلُّ خَرقٍ وشَقّ: عَقٌّ. ومنه قيل للبَرْقةِ إذا انشَقتْ: عَقيقةٌ. وعَقَّ عن ولده يَعُقُّ عَقًّا: إذا ذَبحَ له يومَ أسبوعه. وعَقَّ أباه يَعُقُّه عُقوقًا.

وأَحْسَبَهُ: إذا أكثرَ له. قال الشاعر، وهو الأحمر بن جندل[2]:

ونُقْفِي وَلِيدَ الحَيِّ، إنْ كانَ جائعًا
ونُحْسِبُهُ، إنْ كانَ لَيسَ بِجائعِ

أي: نُكثر له ونُعطيه حتّى يقول: حَسْبُ. ومنه قوله عزّ وجلّ[3] ﴿عَطاءً حِسابًا﴾ أي: كثيرًا. ونُقفي[4]: من القَفِيّة. وهو المدَّخَرُ في البيت من المأكول، يُدّخَرُ للصِّبيان والضِّيفان. ويروى: «إنْ جاءَ جائعًا». وقد حَسَبْتُ الشيءَ أحسُبُه حِسابًا وحِسابةً وحِسبةً وحُسْبانًا. قال اللهُ عزّ وجلّ[5]: ﴿الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾ أي: بحسابٍ. وأنشد لمنظور بن مَرثد الأسديّ[6]:

يا جُمْلُ، أَسْقاكِ، بِلا حِسابَهْ
سُقْيا مَليكٍ، حَسَنِ الرِّبابَهْ
قَتَلْتِني، بالدَّلِّ، والخِلابَهْ[7]

ويروى: «تَيَّمْتِني». الرِّبابة[8]: القِيامُ على الشيء وإصلاحُه والتربيةُ له. رَبَبْتُ الصبيَّ أرُبُّه رَبًّا ورِبابةً، ورَبَبْتُ القومَ إذا سُسْتَهم. ورَبَّ المَلِكُ رعيّتَه يَرُبُّهم: إذا أصلحَ شأنَهم ونظرَ في أمرهم. قال عَلقمة[9]:

وأنتَ امرُؤٌ، أفضَتْ إلَيكَ رِبابَتِي
وقَبلَكَ رَبَّتْني، فضِعْتُ، رُبُوبُ

وقال النابغة الذّبيانيّ[10]:

فكَمّلَتْ مائةً، فِيها حَمامَتُها
وأسرَعَتْ حِسْبَةً، في ذلِكَ العَدَدِ

فكمّلتْ[11]، يعني الزّرقاءَ، زرقاءَ اليمامةِ، وكان اسمها اليمامةَ فسُمّيتْ حَجْرُ اليمامةِ باسم المرأة. ويقال: إن اسمها كان عَنْزًا.

(١) الآية ٥١ من سورة يس. ج: عز وجل.
(٢) اللسان والتاج (حسب). وسقطت نسبة البيت من ج.
(٣) الآية ٣٦ من سورة النبأ.
(٤) بقية الشرح من ابن السيرافي.
(٥) الآية ٥ من سورة الرحمن. وفي الأصل: والشمس.
(٦) اللسان والتاج (حسب). والبيت الثالث من ابن السيرافي.
(٧) ج: «قتلتني». وفي الأصل: والخلاية.
(٨) الشرح مع بيت علقمة من ابن السيرافي.
(٩) شرح اختيارات المفضل ص ١٥٩٠.
(١٠) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٤. والشطر الأول هو من ابن السيرافي.
(١١) الشرح من ابن السيرافي.

والأحاديث الشريفة يخرَّج الواحد منها ، دون إقحام الصلاة والسلام إن لم يردا ، بالرجوع إلى كتب الجوامع و الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات ، وما ألحق بها من مستدركات ومتتمات ومجاميع وزوائد وتخريجات وأطراف ، وكتب التخريج والمراسيل والمشتهرة والأحاديث الموضوعة والمسلسلة والمُعَلّة ، مع تعيين رقمَي الجزء والصفحة ،[١] ولا بأس أن يلحق بذلك رقم الحديث في نفس المصدر ، أو اسما الكتاب والباب في المصدر أيضًا . أما الاكتفاء بهذا الأخير ، كما اعتاد الباحثون المستغربون تبعًا لرجال الاستشراق في معجمهم المشهور ، فهو أسلوب غير مجد لما فيه من تعمية وافتقاد للدقة والفائدة التامة .

ومن ثَم يكون بيان ما جاء لفظه موافقًا لنص الحديث المعنيّ ، فيحال على المصدر الذي يرويه بلفظه كاملًا . وإلّا أحيل إلى ما يتضمن أكثر ألفاظه ونُصّ في التعليقة على أنه جاء بلفظ آخر .[٢] وإذا فقد نص الحديث ، في تلك المصادر العلمية الموثقة ، كالذي يحصل في مصنفات النحو واللغة والأدب والتاريخ والأخبار والقصص والتصوف مثلًا ، فإنه يخرج في أمهات الكتب من نوع الكتاب المحقق نفسه .

وبين يديّ الآن كتاب صنفه عبد القادر البغدادي ، وعقد له العنوان التالي : ((تخريج الأحاديث والآثار التي في شرح الكافية)) . وإنك لترى فيه تنفيذ الأصول العلمية لمتمات التحقيق بشكل مفصل مطول جدًّا ، إذ تقف على تعيين نص الشاهد في عشرات ، من عناوين كتب الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع واالسيرة والتاريخ والشروح اللغوية أيضًا ، وتحديد موقعه في كل منها ، مصاحبًا الأسانيد التي وردت له ، وأسماء المؤلفين للكتب التي هي فيها ، مع إيراد الروايات المختلفة بينها ، والتفسير للغريب والمعاني المشكلة ، وتعيين موطن الشاهد من النص ، وإعراب ما كان فيه من إشكال .

---

(١) النموذج ٥٧ .

(٢) النموذج ٥٨ .

عَميدُ القومِ : سَيِّدُهم . وعِمادُهم : سَنَدُهم . والطَّغامُ : الجُهّالُ . وقد مرَّ تفسيرُه[١] .

٧١ ـ بأنَّ عَلِيّاً كُلُّ مَن فازَ ، بالغِنى ، ... فَقِيرٌ ، إذا لَم يَدَّخِرْ ، مِن كَلامِهِ[٢]

قوله « كُلُّ مَن فازَ بالغِنى فقيرٌ » جملةٌ في موضعِ رفعٍ ، لأنَّه خبرُ « أنَّ » .

٧٢ ـ سَنَنتُ ، لأربابِ القَريضِ ، امتِداحَهُ ... كما سَنَّ إبراهِيمُ حَجَّ مَقامِهِ[٣]

يقال : سَنَّ فُلانٌ سُنَّةً حَسَنةً أو سَيِّئةً ، واستَنَّ فُلانٌ بسُنَّةِ فُلانٍ أي : ائتمَّ به . ومنه الحديثُ[٤] : « مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنةً فلهُ أجرُها ، وأجرُ مَن عَمِلَ بها ، إلى يومِ القِيامةِ . ومَن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فلهُ[٥] وِزرُها[٦] ، ووِزرُ مَن عَمِلَ بها ، إلى يومِ القِيامةِ » .

٧٣ ـ فيُثني عَليهِ ضَيغَمٌ ، بِزَئيرِهِ ، ... ويُثني عليهِ شادِنٌ ، ببُغامِهِ[٧]

الضَّيغَمُ : الأسَدُ . وزئيرُه : صوتُه . وقالَ النابغةُ :[٨] / [٥٤]

أُنبئتُ أنَّ أبا قابُوسَ أوعَدَني ، ... ولا قَرارَ على زأرٍ ، مِنَ الأسَدِ

---

(١) في شرح البيت ١٢ من القصيدة العاشرة .

(٢) الجار والمجرور « بأن علياً » متعلقان بـ « نصيحة » في البيت ٦٩ . وقيل : هما بدل من « بها » في البيت ٧٠ . وفاز : ظفر وحظي . ويدخر : يجمع ويقتني . والكلام : الشعر والبيان . وإذا : ظرف لفقير . وجاز الإخبار عن « علي » بجملة « كل من فاز بالغنى فقير » وليس فيها ضمير عائد إليه ، لتعلق الظرف بـ « فقير » ، وهو مضاف إلى جملة وارد فيها الضمير العائد .

(٣) الأرباب : الأصحاب . مفردها رب . والقريض : الشعر . والامتداح : المديح . وإبراهيم : ابن آزر . وهو النبي ، عليه السلام . والحج : القصد للنسك . ومقامه : موضع قدميه قرب الكعبة .

(٤) صحيح مسلم ص ٧٠٥ و٢٠٥٩ وسنن ابن ماجه ص ٧٤ وسنن الترمذي ٧ : ٣١٨ ومسند أحمد ٤ : ٣٦٢ . ط : وفي الحديث .

(٥) كذا في الأصل . والرواية : « فعليه » كما في ط .

(٦) الوزر : الذنب والإثم .

(٧) العطف على « سننت » . وقد عطف المضارع على الماضي لتقرير التجدد والاستمرار . ويثني عليه : يمدحه ويذكر مفاخره . واستعار الضيغم للمتمكن من الشعراء ، والشادن للمبتدىء منهم . وفي ذكر الزئير مع الضيغم ، والبغام مع الشادن إيهامان .

(٨) ديوانه ص ٢٦ والعيني ١ : ٥٥٣ . وأبو قابوس هو النعمان بن المنذر . والقرار : الطمأنينة والاستقرار . ط : قال النابغة .

النموذج ٥٧ من الإيضاح في شرح سقط الزند : تخريج الحديث وشرح وإعراب

﴿لَدُنكَ﴾: من عندك ﴿رَحْمَةً﴾: تثبيتًا - ﴿إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾ ٨ -[٢٤] يا ﴿رَبَّنا، إِنَّكَ جامِعُ النّاسِ﴾: تجمعهم ﴿لِيَومٍ﴾ أي: في يوم ﴿لا رَيبَ﴾: شكّ ﴿فِيهِ﴾. هو يوم القيامة. فتُجازيهم بأعمالهم[٢٥] كما وعدتَ بذلك. ﴿إِنَّ اللهَ لا يُخلِفُ المِيعادَ﴾ ٩: موعدَه بالبعث. فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى. والغرض من الدعاءِ بذلك بيان أنّ همَّهم أمر الآخرة. ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها.[١]

روى الشيخان عن عائشةَ قالت: «تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هذه الآيةَ: هُوَ الَّذِي أنزَلَ عليكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ، إلى آخِرِها، وقالَ: فإذا رأيتِ[٢] الَّذِينَ يتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ فأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ. فاحذَرُوهُمْ».[٣] وروى الطبرانيّ في «الكبير» عن أبي مالك الأشعريّ أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: «ما أخافُ على أُمّتي إلّا ثلاثَ خِلالٍ»، وذكر منها «أن يُفتَحَ لهُمُ الكِتابُ فيأخُذَهُ المُؤمِنُ يَبتَغِي تأوِيلَهُ، ولَيسَ يَعلَمُ تأوِيلَهُ إلّا اللهُ. والرّاسِخُونَ في العِلمِ يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ إلّا أُولُو الألبابِ» الحديث.[٤]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنهُم أَموالُهُم ولا أَولادُهُم مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه ﴿شَيئًا﴾[٥] ﴿وأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النّارِ﴾ ١٠، بفتح

لـ «لاتزغ» منصوب ومضاف إلى «إذ». فإذ: اسمية زمانية، اسم مبني على السكون في محل جر مضاف إليه يفيد التوكيد. وهومضاف إلى جملة: هديتنا. والمراد: بعد وقتِ هدايتك إيانا.

(٢٤) هب لنا أي: تفضل علينا وأحسن إلينا. وهب: فعل أمر معناه الدعاء مبني على السكون. والجملة معطوفة على جواب النداء. والرحمة: العطف بالإحسان والتوفيق. وتأويلها بالتثبيت من التلخيص، وهو بيان لما يكون عن الرحمة لا تفسير لها. واللام: للتمليك تتعلق بـ «هب». ومن: لابتداء الغاية المكانية المعنوية حرف جر. ولدن: مبني على السكون في محل جر ومضاف. والجار والمجرور متعلقان بحال مقدمة محذوفة عن: رحمة. والكاف: في محل جر مضاف إليه. وأنت: ضمير فصل وتوكيد لا محل له من الإعراب. والوهاب: الكثير النعم والدائم العطاء، خبر «إنّ» مرفوع. وأل: جنسية للمبالغة والكمال. والجملة اعتراضية تفيد الحصر والسببية لسؤال العطاء. ووزن وهاب: فَعّال، مبالغة اسم الفاعل من مصدر: وهبَ، وأصله «وَهْهابٌ» أدغمت الهاء الأولى في الثانية.

(٢٥) في هذا إقرار بالإيمان، وإشارة إلى مايطلبون، أي: فجازنا أحسن الجزاء بفضلك. والناس: البشر. وأل: جنسية للاستغراق الحقيقي. وتجمعهم أي: بالبعث قهرًا بعد تفرقهم في القبور والبقاع المتباينة. واليوم: الوقت والحين. وفيه أي: في مجيئه ووقوعه. وجامع: خبر مرفوع لـ «إنّ»، اسم فاعل مضاف إلى مفعوله في المعنى. والإضافة لفظية والتنوين مَنْوِيّ، أي: جامعٌ الناسَ. واللام: للظرفية الزمانية بمعنى: في، تتعلق بـ «جامع». ولا: للتنصيص على نفي وجود الجنس، حرف مشبه بالفعل. وريب: مبني على الفتح في محل نصب اسم «لا». وفي: للظرفية المكانية تتعلق بالخبر المحذوف. والجملة في محل جر صفة لـ «يوم». ونفي الريب يعني إثبات الطمأنينة مؤكدة، أي: هو مطمأنٌ إلى وقوعه حقًا.

(١) يفسر الوجه الأول، وهو أن الجملة من دعاء الراسخين في العلم. ولا يخلف أي: يفي وينجز من دون إخلال أونقص أو تأخير. والميعاد: الوعد، مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول للمبالغة فعله: وُعِدَ، عُبِّرَ به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وهو وزنه: مِفعالٌ، وأصله «مِوْعادٌ» قلبت الواو ياء لسكونها بعد كسر. وأل: نائبة عن ضمير المخاطب. وقول السيوطي «التفات» أي: إلى الغَيبة بذكر لفظ الجلالة، لإبراز كمال التعظيم والإجلال، بعد ذكر اليوم الرهيب. ث: «من كلامه تعالى أيضًا». وقوله «الدعاءِ» أي: دعائهم. وبذلك أي: بما في الآية. ولا: نافية للحال اللازمة. ونفي الإخلاف يعني إثبات الوفاء مؤكدًا، أي: تُنجز ميعادَك حقًّا. والجملة في محل رفع خبر «إنّ». والجملة الكبرى استئنافية ختامًا للقول تفيد السببية.

(٢) الشيخان: البخاري ومسلم. والحديث تحت الرقم ٤٢٧٣ في البخاري والرقم ٢٦٦٥ في مسلم. ورواية مسلم: «فإذا رأيتم». وكذلك جاءت في المنحة وبعض المطبوعات. وفيما عدا الأصل وخ: «عن عائشة رضي الله عنها». وتلا: قرأ. ث: قال رسول الله عليه السلام.

(٣) أي: احترزوا من أقوالهم وتجنبوهم. والخطاب بضمير الجمع تعظيم للمخاطَبة. ط: «فاحذرهم». وسمَّى الله أي: عيّنهم بما في قلوبهم من الزيغ.

(٤) قوله «الكبير» يعني المعجم الكبير. وأبو مالك اختلف في اسمه، والمشهور أنه كعب بن مالك، له صحبة ورواية. الاستيعاب ص ١٧٤٥. وفيما عدا الأصل والنسخ: «أبو موسى الأشعري». وانظر تفسير ابن كثير ١: ٣٢٧ والدر المنثور ٢: ٥. ورواية الحديث فيهما: «لا أخاف... وما يعلم تأويله». والخلال: جمع خَلّة. وهي الخَصلة والعادة. في إحدى النسخ: «خصال». الفتوحات ١: ٢٤٥ والصاوي ١: ١٤٠.

(٥) كفر: كذّبَ اللهَ ورسولَه. والمراد بالذين كفروا: جميع الذين كذّبوا، ويكذّبون من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم. والأموال: جمع قلة للمال يراد به الكثرة. والمال: ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع قلة أيضًا للولد. وهم الذرية من البنين والبنات. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والمعنى: لن تدفع عنهم عذابَ الله أيّما دفع!

والذين: اسم موصول في محل نصب اسم «إنّ». وجملة

ثم جاءت تقحمات الناشر في المتن وتعليقاته في الهامش، مقطعة موصّلة ممطّطة مزخرفة بالأقواس المنوعة المتداخلة والبقع السود والنجوم والفواصل، وكثرة الضبط وعلامات الترقيم والأرقام والهوامش والعبارات المصطنعة، فسوّدت وجه العمل الكريم.[١]

أما الشواهد الشعرية فيُرجع فيها إلى دواوين الشعراء أنفسهم في الطبعات المحققة. فإن لم يكن للشاعر ديوان منشور كانت الإحالة على المجموعات والاختيارات الشعرية الموثقة، أو كتب اللغة والنحو والبلاغة والأمالي والأدب والنقد والتاريخ والبلدان، لتوثيق صحة الشاهد ونسبته إلى الشاعر. فإن لم يذكر في النص اسم الشاعر حاول المحقق معرفة ذلك وبيانه، وإن تعذرت عليه اكتفى بما وصل إليه، ولم ينصّ على جهله بما لا يفيد. ثم يضاف إلى ذلك تفسير المفردات الغريبة والمعاني الشائكة،[٢] مع التنبيهِ على ما كان في البيت الخنثى، من تلفيق بين صدرٍ وعجز من بيتين، وعدمِ ذكر الروايات المختلفة.

هذا في مواقع الاستشهاد. فإذا كان الشعر واردًا في تحقيق لديوان أو مجموع من النصوص فلا بد من إيراد الروايات في المصادر، لوضع صور النص المتعددة بين أيدي الدارسين والباحثين، مع تفسير تلك الروايات وتوضيح ما بينها من فروق. وفي سرد المصادر والروايات والتفسير توثيق آخر، وتيسير لمن أراد مراجعة مسألة من المسائل العارضة له في بحث علمي أو تحقيق للنصوص.

وإذا كان الكتاب ديوانًا، أو مجموعة شعرية لبعض الشعراء، وجب في آخر الكتاب تخريج تلك النصوص قصائد ومقطعات كل منها على حدة، مع تفصيل مصادر ورودها، وتعيين صفحات ما كانت فيه تلك الأبيات، وإيراد الروايات المختلفة في المفردات والتراكيب وتنسيق الأبيات.[٣] وفي هذا أيضًا ضروب من التوثيق، وبيان لما يحتمله الشعر من سعة في

---

(١) النموذج ٥٩.

(٢) النموذج ٦٠.

(٣) البحث الأدبي ص ١٨٥.

الاســـــتثناء

• وأورد[1] فيه[2]: «كلُّ شيء/ مَهَهٌ إلاَّ حديثَ النساءِ[3]». قال[4] [٢٣]
«ابنُ الأثير[5]»:

المَهَهُ[6]، والمَهَاهُ: الشيء الحقيرُ اليسيرُ، والهاء فيه أصلية.

وقيل: المَهَاهُ: النَّضَارَةُ، والحُسْنُ، أراد[7] على الأول أنَّ كلَّ شيءٍ يَهُونُ ويُطْرَحُ إلاَّ ذِكْرَ النِّساءِ. أي: أنَّ الرَّجُلَ يَحْتَمِلُ كلَّ شيءٍ إلاَّ ذِكْرَ حُرَمِهِ.

وعلى الثاني يكون الأمر بعَكْسِه، أي: أنَّ كُلَّ ذِكْرٍ وحديثٍ حَسَنٌ إلاَّ ذِكْرَ النِّساءِ، وهذه الهاءُ لا تنقلب في الوصل تاءً[8]. انتهى.

---

(١) في «شرح الكافية» (١: ٢٣٠) والشاهد نصب «حديثَ» بـ«عدا» مقدرة.

(٢) هكذا في ر، و(أورد في باب الاستثناء) في م.

(٣) من الأمثال. انظر «مجمع الأمثال» (٣: ٥)، و«المستقصى» (٢: ٢٢٧)، و«تاج العروس» (٩: ٤١٢).

(٤) هكذا في م، و(أورده) في ر.

(٥) (في النهاية) في ر (٤: ٣٧٦).

(٦) (وقال: المهه بفتحتين) في ر.

(٧) (أورد) بدل (أراد) في ر، وهو تصحيف.

(٨) هذه الهاءُ إذا اتصلت بالكلام لم تَصِرْ تاء، وإنما تصيرُ إذا اردت بالمَهَاةِ البقر. وفي المثل: «كل شيء مَهَهٌ ما النساءَ وذِكْرَهُنَّ».

[وفي «التهذيب[1]» لـ «الأزهري»: قال «أبو عبيد» عن «الأحمر» و «الفراء»: «كل شيء مَهَةٌ ومَهَاةٌ ما النساءَ وذكرَهُنَّ»، معناهما حَسَنٌ يَسيرٌ إلاَّ النساءَ، فنصب على هذا[2]].

* * *

● وأورد[3] فيه أيضاً[4] حديث: «لا فتى إلا علي، ولا سيفَ إلاَّ ذو الفقار».

[قال «السخاويُّ[5]»: جاء في سند واهٍ[6]]، أخرجه «ابن عرفة[7]» في جزئه الشهير، قال: حدثني «عمار بن محمد»، عن «سعد ابن طريف الحنظلي[8]» عن «أبي جعفر، محمد بن علي الباقر» أنه قال:

---

(١) (٥ : ٣٨٥).

(٢) ما بين الحاصرتين لم يذكر في م.

(٣) في «شرح الكافية» (١ : ٢٣٩).

(٤) هكذا في ر، و (وأورد في الاستثناء أيضاً) في م.

(٥) في «المقاصد الحسنة» (ص : ٤٦٦).

(٦) ما بين الحاصرتين لم يذكر في م.

(٧) وفي «الرسالة المستطرفة» (ص : ٦٥) يقول - في صدد ذكره الأجزاء الحديثيَّة -: (وجزء «أبي علي، الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي» البغدادي، المعمَّر، المتوفَّى سنة ٢٥٧ هـ، وقد جاوز المئة).

(٨) كوفي، متروك، رماه «ابن حبان» بالوضع، وكان رافضياً. «تقريب التهذيب» (١ :٢٨٧)، و «ميزان الاعتدال» (٢ :١٢٢ - ١٢٤). و «سعيدُ بن محمد الحنظلي» بدل «سعد بن طَرِيف الحنظلي» في «البداية».

ولا يُفصَلُ بينَ المُضافِ والمُضافِ إليه ، لأنّه[1] لا يقالُ :[2] جاءَ غُلامُ ، اليومَ ، زيدٍ . ولكن تقولُ :[3] جاءَ غُلامُ زيدٍ اليومَ ، وجاءَ[4] اليومَ غُلامُ زيدٍ . وقد[5] جاءَ في الشِّعرِ مُنفصلاً .[6] قالَ عَمرُو بنُ قَميئةَ :[7]

لَمّا رأتْ ساتيدَما استَعبَرَتْ ... للهِ دَرُّ ، اليَومَ ، مَن لامَها !

أي :[8] للهِ[9] دَرُّ مَن لامَها اليومَ .[10] ففصَلَ .

وقالَ آخرُ :[11]

كَما خُطَّ الكِتابُ بِكَفِّ ، يَوماً ، ... يَهُودِيٍّ ، يُقارِبُ ، أو يُعِيدُ

أي : بكفِّ يهوديٍّ .[12] قالَ[13] اللهُ ، تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِكَثيرٍ مِنَ المُشرِكِينَ قَتلُ ، أولادَهُم ، شُرَكائِهِم ﴾[14] . فَرَقَ بينَ المُضافِ والمُضافِ إليه .

---

(١) سقطت من ق و ش . (٢) م : لأنك تقول . (٣) سقطت مما عدا ب و م . (٤) سقط « ولكن .. و » من ق وش . (٥) سقطت من ق . (٦) في الأصل وق وم : « مفصّلاً » . ش : مفصولاً . (٧) ديوان عمرو بن قميئة ص ١٨٢ والكتاب ١ : ٩١ وشرح أبياته ١ : ٢٦٧ واللامات ص ١٠٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٣٢ والمقتضب ٤ : ٣٧٧ ومجالس ثعلب ص ١٥٢ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٣٠٩ والإنصاف ص ٤٣٢ وشرح المفصل ٢ : ٤٦ و٣ : ١٩ و٧٧ و٨ : ٦٦ ومعجم البلدان (ساتيدما) والخزانة ٢ : ٢٤٧ . وفي الأصل وب وش وم : « قال الشاعر » . وساتيدما : اسم جبل . واستعبرت : بكت . لاالدر : العمل . والمراد : عمله عجيب أمره لله ! (٨) سقطت بقية هذا النصب من م . ب ش : معناه . (٩) ليست في النسختين . (١٠) سقطت مما عدا ش ، وسقط منها « ففصل » . (١١) أبو حية النميري . الكتاب ١ : ٩١ والمقتضب ١ : ٢٢٧ و٤ : ٣٧٧ والإنصاف ص ٤٣٢ وأوضح المسالك ٣ : ١٨٩ والتصريح ٢ : ٥٩ وشرح العمدة ص ٤٩٥ والخصائص ٢ : ٤٠٥ ورصف المباني ص ٦٥ وشرح المفصل ١ : ١٠٣ و٢ : ٢٥٠ والهمع ٢ : ٥٢ والدرر ٢ : ٦٦ والأشموني ٢ : ٢٧٨ واللسان (عجم) والعيني ٣ : ٤٧٠ . والمحفوظ : « أو يُزيلُ » . وهو في حاشية ب . وانظر الإفصاح ص ١١٥ . قلت : ولعل صواب رواية كتابنا : « أو يُقيلُ » . ويزيل ويقيل : يباعد . وهو مناسب ليقارب أي : بين ما يكتب . أو يقارب : يحاول مماثلة ما طمس من الكلمات . ويعيد أي : يعيد كتابة ما امحى . وانظر ديوان لبيد ص ١٣٨ . (١٢) زاد في ب : يقارب أو يعيد أي بكف يهودي . (١٣) سقطت بقية الفقرة من النسختين ، وحق « أصوات أواخر الميس » من ش . (١٤) الآية ١٣٧ من الأنعام . وفي الأصل : « أولادهم شركاؤهم » . وهي قراءة الجمهور . البحر ٤ : ٢٢٩ .

الرواية والمضامين والتعبير والتصوير .

وتفسير المفردات والعبارات يختار لـه ما يناسـب السياق ومقاصـد القـائلين فقـط ، ويصاغ بعبارات موجزة مكثفة تساعد على البيان والفهم ، في جمل تامة متلاحقة متعاطفة تمثل فقرة كاملة ، ويفصل بعض التفسيرات عن بعض نقاط وفواصل مناسبة . ولا حاجة هنـا إلى ذكر المصادر اللغوية المعتمدة كما أشرنا قبل ، إلاّ إذا انفرد بذلك عالم أو كتاب مخالفاً غـيره أو متميزًا بدقة واستيعاب . ومثل هذا وارد أيضاً في تفسير الأحكام الشرعيـة والألفـاظ الفنيـة والعلمية والمفاهيم والمصطلحات المتخصصة .

وأما الشواهد اللغوية الواردة في النص فقد تتضمن الأمثال والحكم ، ولهـا مصـنفات خاصة تجمع جمهورها ، وتساعد على التوثيق والتحقيـق ، بـما لهـا في المطبوعـات مـن أجـزاء وترقيم للصفحات . فإن فـقـدت الشواهد في تلك الـمصادر أحـيلت نصوصها على المعاجم والـمصنفـات اللغوية . وكذلك شأن العبارات المأثورة ، مـن أقـوال الجـاهليين والصـحابة والتابعين ومن بعدهم ، أكثرهـا مجموعـة في مصـنفات متخصصـة ، وتـرد منثـورة في كتـب اللغة وما أشبهها.

وفي أقوال العلماء والأدباء نعود إلى مصنفاتهم وما روي عنهم ، وفي تفسـير المفـردات إلى المعاجم القديمة ومصنفات الاصطلاح المتخصصة ، وفي تحديد الأمكنة نرجـع إلى كتـب البلدان ، وفي التعريف بالعلماء نتتبع مصادر التراجم والرجال والطبقات ، لكـل علـم وفـن واختصاص ، وفي تبيان الأحكام والمفاهيم والمعلومـات الفنيـة نسـتعين بالمؤلفـات العلميـة المتخصصة في ذلك ، مع الاكتفاء بما هو واف في الدلالة والعطاء .

والقضايا والمسائل النحوية مرجعيتها إلى كتب النحو القديمة المحققـة ، مـن إعـراب وتصريف وصوتيات وأعاريب ، والمشـكلات والنصـوص العلميـة الأساسـية والتجريبيـة والتطبيقية تـُلتمس في الـمصنفـات المتخصصة ، والكتب والرسائل المحققـة ، والأحـداث

والأعلام التاريخية يصار فيها إلى مصادر التاريخ الموثوق بها . فكل مسألة أو اقتباس يعرض للمحقق له المرجعية المناسبة ، تساعد على توثيق نسبته وتوضيح أبعاده في ميدانه التخصصي .

أما تراجم العلماء والشعراء فتكون لغير المشهورين المعروفين جدًّا بين الناس ، فيترك ذلك فيمن هو مشهور في ميدانه ، ويُختار للباقي تعريف يسير موجز فيما يقرب من السطر الواحد ، يعيِّن الاسم والنسب والعصر والموطن والفنون أو العلوم التي تميز بها المترجَم ، مع ذكر تاريخ الولادة وتاريخ الوفاة ما أمكن ذلك .

وتكون الصياغة مكثفة أيضًا ، في عبارة واحدة وفقرة متميزة ، يتبعها إثبات أخص المصادر بذكر أسمائها وأرقام الأجزاء والصفحات وأسماء مؤلفيها ، إن كان ثمة لبس أو اشتراك في ذلك . ولا حاجة إلى بيان أسماء المحققين والناشرين وتاريخ النشر وموطنه ، كما تفرض أساليب المستشرقين والمستغربين وأنواع العولمات ، لأن ذلك كله سيرد في فهرس المصادر والمراجع بالتفصيل ، وحرام أن تستهلك الجهود مع عشرات الأسطر والصفحات فيما سيكون تكراره بعد بنسق منهجي واف .

والأمانة العلمية ، في أصول التحقيق ، تقتضي نسبة النقول والاقتباسات والتفسيرات الأساسية الخاصة إلى أصحابها ، وهذا من واجبات الشكر للعلم والعلماء . فقد ذكر أبو عبيد أن قولك فيما خفي عليك : ((أفادني فلان فيه كذا وكذا)) هو من شكر العلم. وكان كثير من العلماء يعزُون ما لديهم إلى الشيوخ والرواة ، كما ترى في قول السيوطي : ((لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفًا إلاّ معزوًّا إلى قائله من العلماء ، مبيِّنًا كتابه الذي ذكره فيه)) .[1]

أسلوب التعليق :

تلك المعلومات المكوّنة للتوثيق والتحقيق والتفسير والتقويم تأخذ أحيازها في هامش

---

(١) المزهر ٢ : ٣١٩ . وانظر طبقات المفسرين للداودي ٢ : ٥ .

النص ، أي : في ذيول الصفحات المتضمنة لما هي تعليق عليه ، فِقَراً متمايزة دقيقة متتابعة تناسب السياق والمقام ، وتصاغ بعبارات موجزة مكثفة تساعد على البيان والفهم ، في جمل تامة متلاحقة متعاطفة تمثل كل منها فقرة ، لا مفردات وعبارات متقطعة بفواصل ونقاط غير مناسبة وأسطر وأنواع من الأقواس والنجوم والخطوط المائلة والعمودية والأفقية ، من دون ارتباط بحروف العطف ، على غرار التراكيب الأجنبية والعبارات العامية والنثر المشعَّر .

وتكون الصياغة موجزة مقتضبة في عبارة واحدة وفقرة متميزة تامة ، يتبعها إثبات أخص المصادر بذكر أسمائها وأرقام الأجزاء والصفحات والأعمدة ، كما ترى في أسفل صفحات هذا الكتاب . وتُذكر أسماء المؤلفين[١] إن كان ثمة لبس أو اشتراك ، مع تقديم المصدر الذي استقيت منه المعلومة الأساسية ، ويليه في ذلك ترتيب تاريخي لغيره .

أما إذا كان المصدر من الدوريات أو المصنفات الضخمة جدًّا ، وله مجلدات أو أعوام ثم أجزاء ، فإنه يذكر رقم المجلد ثم الجزء ثم الصفحة ، ورقم العام يكون آخر شيء . مثال الأول نحو ٧ : ١١ : ٣٥ ـ ٤٥ . ومثال الثاني نحو ٢ : ٣١٦ ـ ٣٢٠ لعام ١٩٧٥ . ويجب أن تثبت الأرقام المشرقية ، لأن الأُخرى صارت رمز العولمة والتسلط .

والإحالة إلى مصادر الأمكنة يعبر عنها بوضع اسم المكان ، أو ما يقال له الرسم ، بين هلالين كبيرين . وكذلك الإحالة على المعاجم تكون بوضع المادة المَعنيّة أو الترجمة بين ذينك الهلالين . فإن كانت المادة المذكورة طويلة وجب أن يكون بعد الهلالين ذكر لرقمَي الجزء والصفحة أيضًا .[٢] ويستحسن أن يكون حرف التعليقات أصغر من حرف المتن ، للتمييز بينهما بيسر ووضوح .

وقد يتكرر كثيرًا ذكر بعض المصادر الأساسية ، فيجوز اختصار التعبير عنها بلفظ

---

(١) المزهر ٢ : ٣١٩ .

(٢) مناهج تحقيق التراث ص ١٧٢ .

متميز من أسمائها ، كما كان علماؤنا الأكارم يفعلون في كثير من مصنفاتهم المطولة.[١] ويرى تلامذة الاستشراق أنه إذا تكرر المصدر الواحد ، في صفحة ما بشكل متصل ، أُغفل اسمه في المرات التالية للأولى ، فكان في المكررات تعبير عنها كما يلي : المصدر المتقدم ، المصدر السابق ، نفس المصدر ، المصدر نفسه . ويحسن أن يستبعد هذا الرأي ، الذي هو انسياق نائم خلف مصطلحات العولمة ، لما يكون في تنفيذه من إبهام في دلالة التعليقة ، يستدعي مراجعة ما مضى قبلها ، فتكون القراءة لتعليقتين أو أكثر بغية إدراك المراد .[٢]

ثم إننا هنا أيضًا لسنا في حاجة إلى سرد أسماء المحققين والمراجعين والناشرين وتاريخ النشر وموطنه ، كما تفرض أساليب المستشرقين والمستغربين ، لأن ذلك كله سيرد بشكل مختصر ومنسق وأيسر في فهرس المصادر والمراجع . ومن الظلم أيضًا أن تستهلك عشرات الأسطر والصفحات فيما سيكون تكراره مفصلاً بعدُ بنسق منهجي مفيد .

ومن الواجب ههنا أن نذكر ما يفرض على الباحثين في بلاد العرب ، من أساليب أعجمية ملتوية معكوسة السياق لبيان مصدر المعلومات . وذلك بتقديم اللقب على الاسم وبسط عبارات متطاولة فضفاضة مستعجمة متقطعة ، ومذيلة بخطوط وإشارات ورموز وطلاسم سحرية ، كالنجوم والأقواس والنقاط والفواصل وعلامة الجمع وعلامة الضرب والمثلث والمربع ، والأرقام الشرقية والمغربية والرومانية والأبجدية والجمّلية . فيكون لكل كتاب مثل هذا البيان في أول مرة من وروده ، ثم يعاد بصورة مطولة في فهرس المصادر .[٣]

إنه تعقيد غير لائق بالبحث العلمي وأصول التحقيق ، يستغرق مجالات واسعة تُستهلك بدون فائدة ، وتعوّد الباحث على أمشاج من التعبير . ثم هو أمر ينكره العمل

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٧٤ ـ ١٧٦ .

(٢) مناهج تحقيق التراث ص ١٦٦ .

(٣) انظر المساعد على بحث التخرج ص ١٦٣ ـ ١٧٠ وكيف تكتب بحثًا ص ٦٧ ـ ٧٠ .

المنهجي في الأوساط العلمية العربية ، لأنه يمثل الثقافة الأجنبية المستبدة ، والانقياد للاستعلاء الغربي والعولمة المفروضة بالقوة والنفوذ والغطرسة ، والعبودية لما يرسمه الفرَنجة من مناهج وأساليب ، وهي بعيدة كل البعد عن أوضاع تراثنا وأصحابه من العلماء والأدباء .

فنحن لدينا من المؤلفين من له عشرات أو مئات من المصنفات ، ومن العناوين ما يشترك في أكثر من كتاب ، ومن الأساليب والصياغات العربية ما يأنف التقطع والتمزق في التعبير ، وفي تاريخ التراث تقاليد منهجية سار عليها القدماء والمتأخرون ، هي أهل للاقتداء والوفاء . ولسنا في حاجة إلى التعبد بمهازل المستشرقين والمستغربين ، وقد كفانا الله ـ عز وجل ـ مؤونة التطفل والاستجداء ، حين كرمنا برحمته وبهذه العربية الغالية ، وبهذا التاريخ العلمي العريق، وبهؤلاء الأفذاذ من العلماء والأدباء والفلاسفة الأعلام ، وبهذه المناهج الموضوعية المتبعة ، وبهذا التراث الذي يضاهي عُشرُه تراث العالم كله ، بل يفوقه في الكمية والسعة والعمق والدقة والكيفية والاستيعاب والتفنن ، وتعدد الميادين المطروقة والعلوم والفنون المبسوطة على مدى التاريخ ، وسعة المواطن والأحقاب .

وقد طالما ناشدنا المسؤولين عن البحث العلمي ، في المجالس المختصة ، أن يعفى الطلاب الباحثون من هذه الترهات والأباطيل ، وأن تعاد إليهم أصالتهم العربية في بيان المصادر والمراجع والإحالات . وذلك بأن يُكتفى في الحواشي بذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه وأرقام الأجزاء والصفحات ، ثم يكون البيان الموجز في الفهرس بزيادة ما يوضح مكان الطباعة وتاريخها فحسب . ولكن إجابة المسؤولين كانت الرفض المطلق ، والإصرار على التبعية لسبل الاستعلاء والالتواء،(١) لأن أكثرهم من إفراز الثقافة الأوربية، أو عشاق

(١) نظير هذا ما يلقاه طلاب الدراسة العليا ، من فرض للغات الأجنبية في دورات واختبارات عسيرة معقدة ، تكلفهم الأشهر والسنوات أحياناً ، فيما لا يكون له صلة بأعمالهم في البحث أو التحقيق . وقد أُلزم جميع هؤلاء ذلك ، مع اختلاف تخصصاتهم ، ليكونوا مثل المتخصصين في اللغات الأجنبية نفسها . ولا شك أن أكثر طلاب الدراسات =

مناهجها وأساليبها، ولو كانت من باطل الأباطيل . إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وقد استطاع زملاؤنا الكرام في مصر أن يزيلوا هذه العثرات العولمية من أساليب الباحثين والمحققين ، بفضل توجيهاتهم وأعمالهم المباركة .[١] أما نحن فما زلنا في الجامعات السورية الرائدة في التعريب نرسف بتلك القيود ، ونحاول التخلص منها بشق الأنفس ، مع أن المعروف حقًّا في الأوساط العلمية أن سورية أنصع وجهًا في العروبة والاستقلال والتصدي من جميع البلاد العربية .

ومن الواجب أيضاً ، بعد ما فصّلنا من أمر التعليقات ، أن ما هو منها خاص بنص قصير محدد يجمع في فقرة واحدة متتابعة الجمل والعبارات ، وإن كانت من ميادين مختلفة في التعريف والتفسير والبيان وخلاف الروايات وتحقيق الإحالات ومصادر التخريج والتوثيق وربط أجزاء النص بعضه ببعض ، من دون إقحام لرمز الفاصلة بين الأسماء والعبارات ، أو إكثار اختصار لأسماء المصادر أو مؤلفيها ، كما يفعل بعض المتنطعين من أدعياء التحقيق .[٢]

وبذلك تتصل المعلومات بعضها ببعض ، ويقل عدد التعليقات الهامشية في الصفحة الواحدة ، فيسهل على القارئ مواصلة التفهم والاستيعاب . وإلاّ كانت أرقام كثيرة في المتن والهامش ، وفي موقع واحد من النص عدة أرقام محشورة حشرًا ،[٣] والعبارات في الهامش مزق وأمشاج تتوزع الأسطر ، كما هو الحال في كثير من النصوص المنشورة ، وكأنها من النثر المُشعَّر الذي يدعى بالشعر المنثور أو القصيدة النثرية ، أو ما أدري وما لست أدري .

= اللغوية والأدبية والشرعية مثلاً لن يكونوا في حاجة إلى ما يكلّفونه ، وتكون جهودهم وسنواتهم سدى وحسرة . ولكنه التعنت القاهر والتبعية التعيسة على غير هدى .

(١) انظر مناهج تحقيق التراث ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢) انظر مناهج تحقيق التراث ص ١٦٨ ـ ١٦٨ .

(٣) النموذج ٦١ .

متحركات ، فإن ذلك غير موجود في شيء من الشعر البتة][44] .

بيت الخبن [فعلاتن][46] :

ومتىٰ مـا يَـعِ مـنـك كـلامـاً   يتكلمْ[47] فَيُجِبْكَ بعَقْلِ[48][49][50]

بيت الكف [فاعلاتُ][51] :

لَـنْ يـزالَ قَـوْمُـنـا آمـنـيـنَ   مُخصبين[52] ما اتَّقوا واسْتَقامُوا[53][54]

بيت الشكل [فعلات][55] :

لِـمَـنِ الـديـارُ غـيَّـرَهُـنَّ   كلُّ جَوْنِ المزْنِ داني[56] الربابِ[57][58][59]

---

(46) زيادة في (ب) .

(47) في (ب) ° (تتكلم) .

(48) في (ف) : (بفهم) .

(49) (الوافي ٥٤) (المعيار ٣٤) (العقدة ٥ / ٤٧٨) (الإقناع ١٤) (القسطاس ١٠٨) (المفتاح ٥٣٢) .

(50) وهذا أيضاً شاهد على المعاقبة، ووزنه فعلاتن فعلن فعلاتن (مكرره مرتين) ، ونلاحظ أن نون (فاعلاتن) لم يصبها الكف فثبتت ، بينما حذفت ألف (فاعلن) إذ أصابها الخبن ، ولا يجوز الجمع بين الكف والخبن في التفعيلتين المتجاورتين هنا ، علماً بينه يجوز أن تأتيا سالمتين .

(51) زيادة في (ب) و (ف) .

(52) في (ب) و (ف) : (مخصبين صالحين) .

(53) (الوافي ٥٥) (الإقناع ١٥) (المعيار ٣٥) (القسطاس ١٠٨) (العقد ٥ / ٤٧٨) روايته : مخصبين صالحين) (المفتاح ٥٣٢ ، روايته : إن يزال قومنا مخصبين صالحين . .)

(54) وزنه : (فاعلات فاعلن فاعلات   فاعلات فاعلن فاعلاتن) .

(55) زيادة في (ب) و (ف) .

(56) في (ح) : (دان) .

(57) في (ب) : (الربابي) .

(58) (الوافي ٥٥) (الاقناع ١٥) (المعيار ٣٥) (العقد ٥ / ٤٧٨) (القسطاس ١٠٩ ، روايته : داني الديار) (المفتاح ٥٣٢ ، روايته : كل داني المزن جون الرباب) .

(59) وزنه : (فعلات فاعلن فعلات   فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) .

النموذج ٦١ من كتاب العروض : تكديس أرقام التعليقات وكثرة الأقواس

فالمعلومات التي تخص آية كريمة ، أو حديثاً شريفاً أو مقولة علميـة أو بيتـاً شـعرياً أو مقطوعة شعرية ، أو عبارات مقتبسة ، أو دليلاً معرفيًّا للتأصيل أو التقريب ، أو فقرة موحدة الفكرة والتعبير ، تجمع كلها تحت رقم واحد في نسق علمي مترابط ، وتعرض بتتابع متسلسل يؤدي بعضه إلى بعض ، ويمثل شخصية بيانية متكاملة ، بتعبير يسير واضح في فقرة تامـة أو أكثر يحددها المضمون ومقتضيات المقام .

وإذا اضطُررنا إلى اقتباس كلام خلال ذلك وجب أن يكون موجزًا جدًّا ، يقتصر على ما هو كاف للدلالة . فإذا كان محتواه الدال طويـل التعبـير ، في توزيـع وتفصيـل واسـتدلال وتعليل واستنتاج ، لـُخص بعبارات مناسبة ، تتضمن ما له صلة بالمسألة الـمَعـنـيـّة .

وربما جاز أن توزع التعليقات على فقر الـنص ، بحيـث يكـون مجمـوع مـا في الفقـرة الواحدة مستوفى ومنسقاً في تعليقة واحدة ، كالذي تراه في ((تفسير الجلالين الميسر)) .[١] ثم يجب أن تعطى تلك التعليقات أرقامًا متسلسلة في كل صفحة على حدة ، يقع كل منها في نهاية العبارة الـمَقصودة أو في أولها ، ويقابله في الهامش نظير له ، يحوي التعليقة اللازمة .

أما ربط معلومات النص المتباعدة وعباراته بعضها ببعض فيقتضي خبرة عالية ، ودقـة واستيعابًا وعمقًا في فهم الكتاب كله ، حتى ليكاد المحقق يستحضره عـن ظهـر قلـب لفظًـا ومعنى . وإلاّ كانت منه سقطات ، تشعر بالضعف والتعجل والاستهتار .

ولعلك واجد نظائر ذلك في التعليق على قول الشـافعي:[٢] ((بعـض مـا وصـفتُ في كتاب السنة مع القرآن)) ، إذ حار الناشر فيه ، أهو كتاب آخر للإمام ؟ أو يراد بـه بعـض مـا جاء في الرسالة وغيرها ؟ وأنت ترى الأمر يسيرًا جدًّا ، إذا رجعـت إلى مـا جـاء في الكتـاب نفسه ص ٢٨ ـ ٣٣ . ففيه بيان و تفصيل لذلك واضحان .

---

(١) النموذج ٦٢ .

(٢) الرسالة ص ٢٢٣ .

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

١- ﴿**قُلْ**﴾ لأهل مكة: ﴿**أرأيتم**﴾: أخبروني – ﴿**إن أخذَ اللهُ سمعَكُم**﴾: أصمّكم ﴿**وأبصارَكُم**﴾: أعماكم، ﴿**وختَمَ**﴾: طبع ﴿**على قُلوبِكُم**﴾ فلا تعرفون شيئًا – ﴿**مَن إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُم بهِ**﴾: بما أخذه منكم، بزعمكم؟ ﴿**انظُرْ**﴾: كيفَ نُصرِّفُ﴾: نُبيّن ﴿**الآياتِ**﴾: الدلالات على وحدانيّتنا، ﴿**ثُمَّ هُم يَصدِفُونَ**﴾ ٤٦: يُعرِضون عنها، فلا يؤمنون؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أرأيتكُم – إن أتاكُم عذابُ اللهِ بَغتةً أو جَهرةً**﴾: ليلًا أو نهارًا – ﴿**هَل يُهلَكُ إلّا القومُ الظّالِمُونَ**﴾ ٤٧ الكافرون؟ أي: ما يُهلَك إلّا هم.

٢- ﴿**وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلّا مُبَشِّرينَ**﴾ من آمن بالجنّة، ﴿**ومُنذِرينَ**﴾ من كفر بالنار. ﴿**فمَن آمَنَ**﴾ بهم ﴿**وأصلَحَ**﴾ عمله ﴿**فلا خوفٌ عليهِم، ولا هُم يحزَنُونَ**﴾ ٤٨ في الآخرة. ﴿**والّذينَ كذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ العذابُ، بما كانُوا يَفسُقُونَ**﴾ ٤٩: يخرجون عن الطاعة.

٣- ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لا أقولُ لكُم: عِندي خزائنُ اللهِ**﴾ التي منها يرزق، ﴿**ولا**﴾ أنّي ﴿**أعلَمُ الغيبَ**﴾: ما غاب عنّي ولم يُوحَ إليّ، ﴿**ولا أقولُ لكُم: إنّي مَلَكٌ**﴾ من الملائكة. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أتّبعُ إلّا ما يُوحَى إليّ. قُلْ: هَل يستَوِي الأعمى**﴾: الكافر ﴿**والبصيرُ**﴾: المؤمن؟ لا. ﴿**أفلا تتفكَّرُونَ**﴾ ٥٠ في ذلك فتؤمنون؟ ﴿**وأنذِرْ**﴾: خوِّف ﴿**بِهِ**﴾: بالقرآن ﴿**الّذينَ يخافُونَ أن يُحشَرُوا إلى ربِّهِم، ليسَ لهُم من دُونِهِ**﴾ أي: غيره ﴿**وليٌّ**﴾ ينصرهم، ﴿**ولا شَفِيعٌ**﴾ يشفع لهم – وجُملة النفي: حال من ضمير «يُحشروا»، وهي محلّ الخوف. والمُراد بهم المُؤمنون العاصون – ﴿**لعلَّهُم يتَّقُونَ**﴾ ٥١ الله بإقلاعهم عمّا هم فيه، وعملِ الطاعات.

٤- ﴿**ولا تَطرُدِ الّذينَ يدعُونَ ربَّهُم بالغداةِ والعشيِّ، يُريدُونَ**﴾ بعبادتهم ﴿**وجهَهُ**﴾ – تعالى – لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفُقراء، وكان المُشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليُجالسوه، وأراد النبيّ ذلك طمعًا في إسلامهم. ﴿**ما عليكَ مِن حِسابِهِم مِن**﴾ – زائدةٌ – ﴿**شيءٍ**﴾ إن كان باطنهم غير مَرضيّ، ﴿**وما مِن حِسابِكَ عليهِم من شيءٍ، فتَطرُدَهُم**﴾: جواب النفي، ﴿**فتكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ**﴾ ٥٢ إن فعلت ذلك. ﴿**وكذلكَ فتَنّا**﴾: ابتلينا ﴿**بعضَهُم ببعضٍ**﴾ أي: الشريف بالوضيع والغنيّ بالفقير، بأن قدّمناه بالسبق إلى الإيمان، ﴿**ليقُولُوا**﴾ أي: الشُّرفاءُ والأغنياءُ منكِرين: ﴿**أهؤُلاءِ**﴾ الفقراء ﴿**مَنَّ اللهُ عليهِم من بينِنا**﴾ بالهداية؟ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه. قال تعالى: ﴿**أليسَ اللهُ بأعلَمَ بالشّاكِرينَ**﴾ ٥٣ له فيهديهم؟ بلى.

---

(١) انظر أول الآية ٤٠. وأخذه: أفناه. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر. والقلوب: جمع قلب. وختم عليها: عطّل بصائركم وعقولكم، وسدّ عليها منافذ التدبر. وانظر: تفكر وتدبر. وأرأيتكم: انظر الآية ٤٠ أيضًا. والبغتة: الفُجاءة. والجهرة: تكون مع سبق علامات دالة. ويُهلك: يُدمّر ويُفنى سخطًا. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. والكفر أقبح ذلك. (٢) نرسل: نبعث للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والمرسل: الرسول. والمبشر: المخبر بما يَسُرّ. وبالجنة: متعلقان بـ«مبشرين». والمنذر: المهدد بالنقمة والعذاب. وبالنار: متعلقان بـ«منذرين». وآمن بهم أي: صدّقهم واستجاب لهم. وأصلحه: جعله صالحًا كما أمر الله. والخوف: الفزع مما يأتي. ويحزن: يغتم لما كان. وكذبوا بآياتنا: أنكروا الدلالات على الوحدانية وجحدوها. ويمسهم أي: ينزل بهم. وجُعل العذاب ماسًّا كأنه ذو حياة، يفعل بهم ما شاء من الآلام. (٣) انظر سبب النزول في المفصل. وعندي أي: في حوزتي وتصرفي. والخزائن: جمع خزانة، وهي مكان الحفظ للممتلكات. وأعلمه: أعرفه وأحيط به. والملَك: مخلوق نوراني ليس فيه حاجات البشر من طعام وغيره، أي: لا أدعي أني ملَك، فأخالف البشر في أحوالهم وتصرفاتهم. وأتبعه: أعمل به. ويوحى: يُنزل على لسان جبريل، ويُيسّر لي تعلمه وحفظه وتبليغه واتباعه. ويستويان: يكونان متساويين في الحكم والعمل والجزاء. وتتفكرون: تُعملون عقولكم فيما ترون وتسمعون، من الآيات والأدلة على صدق الرسالة. ويخاف: يخشى ويتهيب. ويحشروا: يجمعوا من قبورهم بالبعث يوم القيامة. وإلى ربهم أي: إلى موقف حسابه وجزائه. والولي: الذي يتولى أمور الآخرين ويحميهم. والشفيع: الذي يطلب التجاوز عن الذنوب. ومحل الخوف يعني: أن الخوف لا يراد به الحشر نفسه، وإنما يراد به أن يُحشروا غير منصورين ولا مشفوعًا لهم. ويتقونه: يخافونه فيلتزمون طاعته. (٤) تطرد: تبعد عنك. ويدعون ربهم: يعبدونه ويلجؤون إليه ويخصونه بالدعاء. والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. والعشي: من منتصف النهار إلى المغرب. والمراد بهما جميع الأوقات للصلوات والدعاء. ويريدونه أي: يطلبونه مخلصين. والأعراض: جمع عَرَض، وهو المتاع يزول سريعًا. والحساب: المحاسبة على الأعمال وجزاؤها. وزائدة أي: للتنصيص على عموم النفي. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والنفي أي: انتفاء حساب كل من الطرفين عن الآخر. والمعنى: ما يُسأل أحدكم عن أعمال غيره في الآخرة، ليكون ذلك سببًا لتجنبهم فأنت لا تبعدهم عنك. وتكون: تصير. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها، فيتجاوز الحق ويظلم نفسه وغيره. والإشارة بـ«ذلك» إلى ابتلاء مشركي مكة بإسلام الفقراء. و«بمكة» سقط مما عدا الأصل، وهو يشير إلى سبب نزول الآية، أي: ما كان يقوله زعماء قريش. ومنّ: تفضل بالنعم العظيمة. وأعلم: الأكثر إحاطة مما سواه. والشاكر: من يستحضر النعم في نفسه، ويثني على المنعم بالقلب واللسان والعمل.

النموذج ٦٢ من تفسير الجلالين الميسر : تنسيق التعليقات المجموعة

وكذلك ما جاء في عبارة الإمام:[1] ((وقد كتبنا هذا بالاختلاف فيه ، ونبيّـن الحجـة ، في : كتاب الصلاة)) . فقد زعم الناشر أن المراد بـه مـا في كتـب ((الأم)) مـن كتـاب صـلاة الخوف ، ثم رجّح أن يكون للإمام كتاب آخر بهذا العنوان . ولكنك واجـد مرجـع الإحالـة هذه بالتفصيل في ص ١٨٠ ـ ١٨٥ من نفس الكتاب ، إذ ترى الأحاديث والأحكام المتعلقة بصلاة الخوف متوالية ، وكافيـة في الدلالـة الشرعيـة والمنهجيـة ، للإحالـة وبيـان علاقـات النصوص بعضها ببعض .

وعلى كل حال ، فإن التعليقات للصفحة الواحـدة تـرد في هامشـها مرقمـة بالأرقـام المطابقة لما تقابله في المتن كـما ذكرنـا قبـلُ ، عـلى ترتيـب ١ و ٢ و ٣ و ٤ . . . ولكـل صـفحة أرقامها الخاصة غير متصلة بما قبلها أو ما بعدها .

فإذا كثرت التعليقات في صفحة ما ، لأسباب اضطرارية قاهرة ، واستطالت الأخـيرة منها ولم تستوعبها سعة الهوامش المحددة ، فلا بأس أن ينهى ما استوعبتـْه بخطـين متـوازيين أفقيين صغيرين (=) ، ثم تبدأ هوامش الصفحة التالية بخطين أيضًا ، وتدوّر التعليقة فيتم تسجيلها في هذه الصفحة . وبمثل هذه الإجراءات المنسقة ، يقل عدد التعليقـات ، وتسـهل على الباحث والقارئ متابعة ما فيها من دون تشتت أو عناء .

ولكن بعض المستشرقين وأنصارهم عقـّدوا الأمور ، في هذا المجال العلمي الـدقيق ، فوزعوا التعليقات المقطعة المبعثرة في حقلين أو ثلاثـة أو أربعـة مـن الصـفحة الواحـدة ، أو جعلوا بعضها في هوامش الصفحات ، ونقلوا باقيها إلى آخـر الكتـاب ،[2] أو جعلـوا أرقـام التعليقات متوالية في الكتاب كله ، أو في كل فصل أو باب على حدة .

وبعضهم يجعل للتعليقات في الصفحة الواحدة حقلين أو ثلاثـة ، ويضـع لكـل منهـا

(١) الرسالة ص ٢٤٥ .

(٢) قواعد تحقيق المخطوطات ص ٢٤ .

نوعًا من المعلومات وشكلًا من الترقيم : أرقام عربية فأوربية فرومانية فجُمّلية .[١] وفي هذا إجهاد للنص وقارئه ، وتكثير وتعقيد في الترقيم والتوزيع ، وتوزيع للنشاط الفكري يضيع الجهود ويفقد الفوائد أهميتها ، بل يمنع القارئ المتابعةَ المجدية .

ثم إن أنظمة الكبتار وبرامجه قاصرة عن التزام الدقة والصواب ، في سرد الهوامش المرقمة المتسلسلة ، إذ تقحم الترقيم في غير مواضعه غالبًا . وإذ نقلت الفهارس من جهاز إلى آخر اضطربت التعليقات في سياقاتها وتقطعت. وتداخلت الأرقام والأقواس وعلامات الترقيم، وقد يتبدل شكلها ومكانها . وهذا يتطلب جهدًا وذكاء وخبرة ، لإعادة كل شيء إلى نصابه .

القراءة النهائية :

وبنهاية تلك الإجراءات في التحقيق وكثير من متمماته ، يجب علينا أن نراجع النص كله مع التعليقات الهامشية في سياق واحد ، لتبيُّن ارتباط بعض ذلك ببعض ، وملاحظة وفاء المتممات بحاجات النص لفظًا وتركيبًا ومعنى ومفهومًا واصطلاحًا . وتكون هذه المراجعة دقيقة تستوعب ما يتوزع بين الصفحات والأسطر متنًا وحاشية ، بغية التوحيد بين تلك المعلومات المتناثرة في مواطن مفرقة ، والمتفاوتة أو المتناقضة أو المتقاربة أو المتماثلة ، في المضمون والسياق والتعبير .

فمجمل العمل في ضبط النص وتوزيعه وتحقيق عباراته ، والتعليق عليها بما يوثق صياغتها ومضامينها ، ينشر صورًا يعوزها التوجيه والتسديد ، لتمثل نصًّا تراثيًّا موحد التوجه والتفكير والتعبير . ولذلك تربط هذه المعلومات الموصوفة قبل ، بعضها ببعض في التماثل والتقارب والتناقض ، ليكون بين يدي القارئ تعاون علمي في تأدية المعارف والتجارب ، وما لها من أدلة وشواهد وجزئيات ونتائج وتطبيقات ، ولا يعيش كل منها في حيزه الخاص

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص ٨٩ والتراث العلمي العربي مناهج تحقيقه وإشكالات نشره ص ٨٧ .

بعيدًا عن توحيد الفكر والأداء .

وكذلك شأن التعليقات المتممة للتحقيق ، تكتسب بالقراءة النهائية هذه صبغة التوحيد في الأساليب والرموز والمصطلحات ، وفيما بينها منفردة من ناحية ، كمعلومات خادمة للنص ، وفيما بينها وبين المتن أيضًا ، لتكون ذات فائدة إيجابية منتجة . ومن خلال القراءة المذكورة يكتشف المحقق أن في بعض المعلومات تكرارًا أو تماثلاً، يحتاج إلى الحذف والتعديل، أو تناقضًا يتطلب التوفيق والتقريب، أو تعابير عن مسألة واحدة تتفاوت في الدلالة ويعوزها التنسيق والتوحيد والتوجيه القويم.

أضف إلى هذا أن في تلك القراءة اكتشافًا جديدًا لمواطن ضعف أو قصور ، فيُستدرك تصويبها وتعديل مضامينها وتعبيرها ، ولمعلومات وفيرة تخدم ما يكون في الفصل التالي ، من إعداد الفهارس وكتابة المقدمة . ومن مجموع ما ذكرت تتبين أهمية القراءة النهائية ، ووجوب إعطائها حق الإنجاز الكامل الوافي المتقن .

الفصل الثالث

الفهارس والمقدمة

كما ذيلنا النص المحقق بمتمات هامشية ، يتوجب علينا أن نختمه بمتمات أُخرى ، تيسر تناوله والاستفادة منه بأخصر سبيل . وهنا نضع بين أيدي الباحثين والدارسين مفاتيح النص ، ليلجوا أبوابه مفتَّحة ، من خلال ما نضعه في عناصر الفهرسة والتقدمة ، بإضاءات ومعلومات وتنسيق لمفردات المتن ومعلوماته المتجانسة ، ضمن قنوات وجسور متخصصة متمايزة ، تأخذ يد القارئ وتصله بما يبتغيه من المعارف المنشَّرة بين الأسطر والصفحات .

الفهارس الفنية :

الفَهرَسة هي مصدر للفعل : فَهرَسَ يُفَهرِسُ . والمراد بها وضع فِهرِس للبحث أو الكتاب ، أي : جدول أو كشّاف بقوائم ألفبائية في الغالب للعناصر المشتركة في موضوع واحد ، مع أرقام صفحات النص للمفردات الواردة منها فيه .

وتقوم هذه العملية على مبدأ الجمع لما تفرق من المعارف والمعلومات ، جمعه في أحياز فنية نوعية ، كل منها يضم ضربًا واحدًا من تلك المتفرقات . وبذلك يصبح لدينا أثباتٌ منفصلٌ بعضها عن بعض ، لكل منها عنوان يدل على ما تحته في الحقول المسرودة ، وهي مفاتيح منظمة منسقة متسلسلة ، تقدم للقارئ أيسر الوسائل وأسرعها ، للاستفادة من مضامين النص وأساليبه وحقائقه ، إذ تغنيه عن تصفحه برُمّته ، كلما احتاج إلى استيفاء ما فيه عن معلومة واحدة من مقولات .

١ ـ أنواع الفهارس وتنسيقها :

والأصل المنهجي في هذا أن مضمون النص هو الذي يحدد أنواع الفهارس التي

تناسبه، من الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، والأقوال المأثورة ، والأمثال والحكم ، وقوافي الشعر ، والأعلام الشخصية ، والمواد اللغوية ، وتفسير المفردات ، والإشارات الحضارية ، ومسائل العربية أو العلوم ، والمصطلحات الفنية ، وأسماء الكتب الواردة في المتن، والرموز المستخدمة في الكتاب متنًا وهامشًا ، والمصادر والمراجع ، ومحتوى الكتاب .

ثم يضاف إلى هذا ما يقتضيه النص التراثي ، من مقتضيات العلوم الأساسية والتجريبية والتطبيقية والكونية ، إذ يتطلب فهارس نوعية خاصة من مثل : الأدوات الطبية ، والأدوية والحشائش والنباتات ، والأمراض ، والمعادن ، والأغذية ، والحيوان ، والمستشفيات ، والرسوم ، والخرائط ، والمصورات ، والخرائط ، والأشكال ، والنماذج ، والمعادلات ، والرموز والمعلومات المبتكرة . . .

وقد كان في تاريخ الحضارة الإسلامية استخدام [(١)] لبعض هذه الأساليب الفنية أحيانًا ، ويعبر عنها باسم : الـثَّبَت اقتبسها المستشرقون وفرعوا فيها ، خلافًا لما زعمه بعض شوامخ المحققين العرب . [(٢)] ومن ذلك ما ذكره أبو الحسن علي بن محمد الكوفي (ت ٣٤٨)، عن كتاب ((الصفات)) للنضر بن شميل (ت ٢٠٣)، في ثَبَت له يتضمن ما يلي:

الجزء الأول : يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء .

الجزء الثاني : يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة .

الجزء الثالث : يحتوي على الإبل فقط .

الجزء الرابع : يحتوي على الغنم ، [(٣)] الطير ، الشمس ، القمر ، الليل ، النهار ، الألبان ، الكمأة ، الآبار ، الحياض ، الأرشية ، الدلاء ، صفة الخمر .

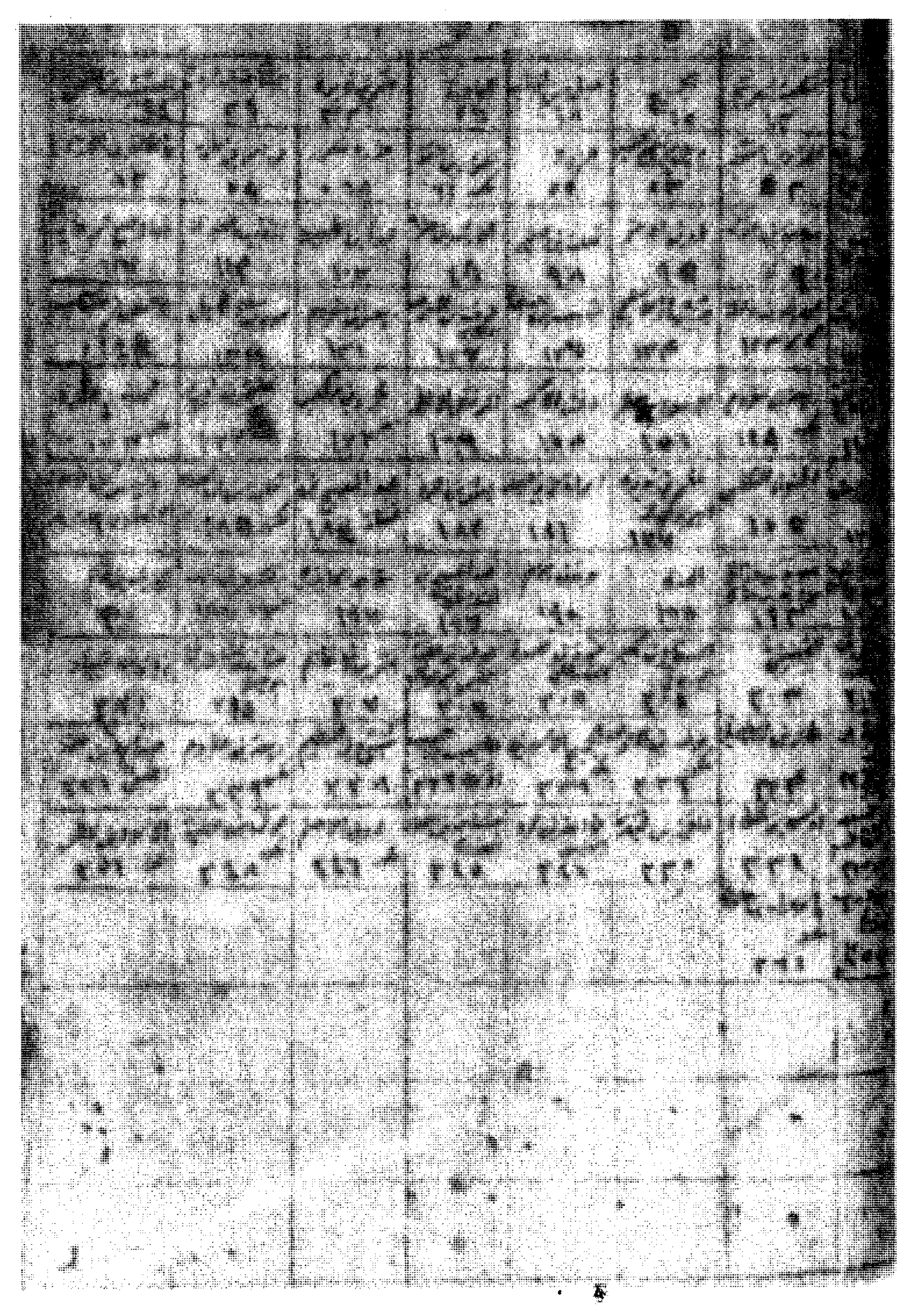
الجزء الخامس : يحتوي على الزرع ، الكرم ، العنب ، أسماء البقول ، الأشجار ، الرياح، السحاب ، الأمطار .

---

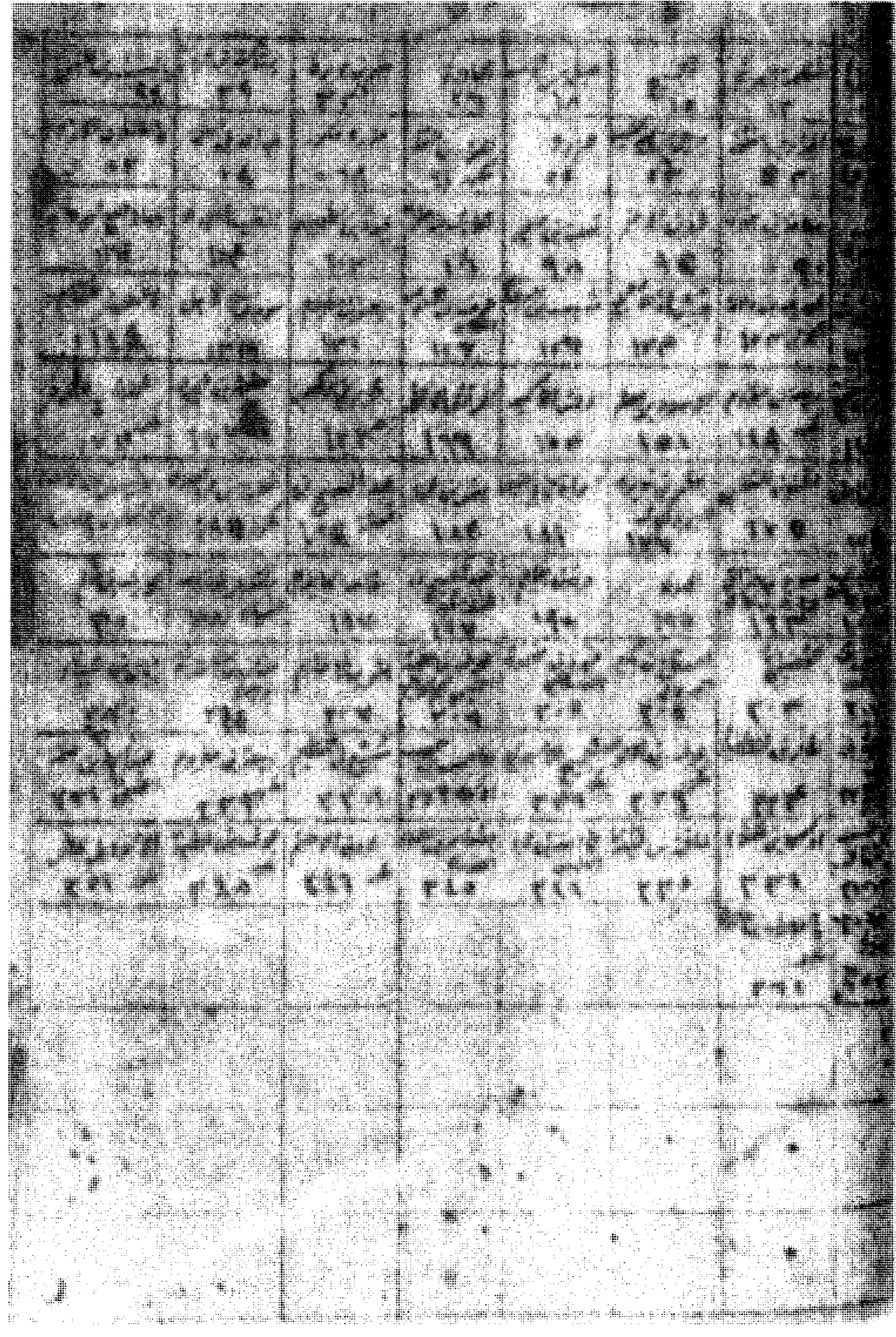
(١) النموذجان ٦٣ و ٦٤ .

(٢) شوامخ المحققين ص ١٨٤ وتصحيح الكتب وصنع الفهارس ص ٤٢ .

(٣) الفهرست ص ٥٧ ـ ٥٨ . وفي المطبوعة : ((الغيم)). وانظر مصطلحات البحث والتأليف ص ٢٣٦ .



النموذج ٦٣ ـ أ من شرح اختيارات المفضل : فهرس القصائد



النموذج ٦٣ ـ ب

النموذج ٦٤ من تفسير الجلالين : فهرس السور

وقد كنا بسطنا، في الفصل الثالث من الباب الأول، صورة مصغرة عما يحمله كتاب ((تهذيب إصلاح المنطق)) للخطيب التبريزي، من فهرسة للأبواب التي تجاوزت المِائَة عددًا، وما كان من ترقيم مسلسل يصحبها، لتمييز موطن كل منها في معرض التصنيف.

ثم نقول: إن ما عُرِف عن أمثال ابن سيده (ت ٤٥٨) في مصنفاته المعجمية، والسيوطي (ت ٩١٣) في كتبه النَّصّيّة الموسوعية الجامعة، وعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣) في شروحه للشواهد النحوية، لدليل قاطع على أنه كان لديهم ضروب من الفهارس الفنية المنتظمة، يستعينون بها في سرد عشرات الألوف من النصوص بألفاظها في كتاب، مع أسماء المصادر المنقولة منها وأسماء المؤلفين، وتعيين مواقعها من تلك المصادر أحيانًا.

والحق أن أنواع الفهارس تختلف بحسب طبيعة النصوص التراثية، فبعضها يتطلب ما لا يكون في غيره من الكتب، ولا يُعَدُّ فيه لازمًا لوضع مفاتيح النص بين أيدي الدارسين والباحثين. ثم إن تواليها يخضع للأهمية في موضوع النص نفسه، إذ كل من نصوص التراث له اعتبارات خاصة تقتضي تقديم بعض على آخر.

غير أن هناك زمرة من تلك الأنواع هي واجبة في جميع التحقيقات، وإن كان المستشرقون يضيّقون هذه السبل، ويكتفون بالقليل اليسير الذي يهمهم في دراساتهم العدوانية، ويناسب تراثهم المحدود الآفاق وثقافاتهم الأوربية الموجهة إلى التحكم والاستعلاء. ولعل أبرز ما يذكر هنا هو إهمالهم لفهرسة الآيات الكريمة والحديث الشريف والأثر، والإشارات الحضارية.[1]

ولتنفيذ أصول هذه المتمات للتحقيق، تنسق كل قناة في ثَبَتٍ من الحقول يناسب مضمونها، وأمام كل معلومة منه رقم الصفحة أو الصفحات التي ورد فيها خلال النص كله، على أن يكون بين الأرقام فواصل ثم تلحق هذه الأثبات بآخر الكتاب، ويأخذ كل منها

(١) انظر قواعد نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١٦ ـ ١٢١.

مكانه بين أقرانه تبعًا لأهميته في نوعية موضوع النص ،[١] كما ذكرنا . والمشهور في التداول أن يطلق على المجموعة من هذه الحقول اسم : الفِـهـرِس . ويليه اسم : الـمَسرد ، أو الثَّبَـت .

ويتحصل العمل لإنجاز هذه الفهارس بجمع مفردات كل منها ، في بطاقات أو دفـتر مفهـرَس الأجزاء ، ليُثبَـت فيها مبدئيًا مجموع الألفاظ المختصة بفن مما ذكرنا . وبعد تـدوين هذا المجموع من الفن الواحد ـ وغالبًا مـا يكـون في مسَـوّدات مضـطربة التنسـيق ـ ينقـل مضمونه مبيَّـضًا إلى صفحات جديدة ، وتسرد مفرداته منسوقة بما يناسب تكوينها . والأصل في سرد المفردات أن تتوضع متسلسـلة بحسـب الترتيـب الألفبـائي ، مـن أوائلهـا فـالثواني فالثوالث . إلاّ القوافي فإن توضـعها يعتمـد حـرف الـروي ، مـع مراعـاة مـا سـنذكره بعـد قليل من قيود خاصة .[٢]

وهذا يعني أن تُسرد الفهارس موجزة التعبير مكثفة الدلالة . وقد يكون بينها مـا هـو كشاف موسع ، لكـل عَـلَـم أو معلومـة تفصـيل لمـا يشـمل كامـل الأوضـاع والصـفات والخصائص في صفحات المتن . ومع اعتبـار هـذه التفصـيلات ، فثمـة خلافـات أساسـية يقتضيها عنوان الفهرس المخصوص .

والجدير بالذكر ، وهـو الحـق الـذي لاشـك فيـه ، أن أنظمـة الفهرسـة في الأجهـزة الكِبتارية ما زالت عاجزة عن استيعاب هذه التفصيلات في التنسيق والسرد والتوزيع ، لأننا ولا سيما إذا نقل الفهرس بـين الأجهـزة بـما فيـه مـن أرقـام ومعلومـات نعتمـد في وضـعها وتنسيقها على الأنفاس والأيدي الغازية المعادية . فلا بد أن يكون القصور والنقص والغـش مع كل مستورد من ديارهم ، ليبقى تطفلنا على الموائد ، ونعيش أسواقًا للبضـائع والمنتجـات المستنفَـدة ، وحقل تجارب لما يلفظون من وسائل الدمار ومستهـلَـك الآليات ، وعبيدًا للغزو

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص ٩٢ وقواعد تحقيق النصوص ص ٢٦ .

(٢) انظر التعليقة المتقدمة .

والتسلط والاستعلاء . ومحال أن يُخلصوا في عمل لنا أو عون أو صلاحية فيما يصدِّرون لشعوبنا المنكوبة ، إلا ما يريدون من عدوان وابتزاز وإفساد وفتك وتدمير .

فالأنظمة المستخدمة ليس فيها ، على نهاية ما صُمِّمتْ به من تقنية عالية كما يقولون ، قدرة على تنفيذ جداول الفهارس بما تقتضيه من تنسيق عربي قويم . إنها توزع الهمزات مثلًا بين الحركات المختلفة فتفصل بعضها عن بعض في التنسيق ، ليكون اضطراب يخل بالشكل العلمي المعروف ، كما أنها لا تستطيع تمييز ما تغفله الفهرسة في الأسماء ، من ((أل)) التعريف و ((ذو)) و ((ذات)) و((أبو)) و((ابن)) و ((أم)) ، إذ لا تفرّق هي بين ما هذا أصل في بنيته وبين ما هو مزيد في أوله .

وكذلك شأن الأصل اللغوي للمفردات ، وتنسيق المسائل اللغوية ، والمعلومات الحضارية . ويبرز ذلك بشكل أوضح في تناول القوافي ، إذ تعجز الأنظمة المذكورة عن إغفال أحرف الإطلاق ، وعن التمييز بين ما يصلح رويًّا من حروف المد والهاءات وبين ما هو روي في الأبيات . وأعسر من هذا وذاك عليها سرد فهرس الآيات ، أيًّا كان منهجه أو مساره.

٢ ـ فهارس الشواهد :

تتضمن الشواهد في مصنفات التراث ما يورد للاستدلال والتوضيح والبيان ، من القرآن الكريم والحديث النبوي والمقولات النثرية . فالآيات الكريمة يحسن أن توزع على السور القرآنية ، بحسب ترتيبها في المصاحف ، ثم تنسق آيات كل سورة تبعًا لأرقامها ضمن السورة ، فيذكر رقم الآية من السورة في حقل ، وقبالته في حقل آخر أرقام الصفحات التي وردت فيها .[(١)] وقد يكون التنسيق بحسب الترتيب الألفبائي ، كما ذكرنا قبل ، أو بحسب موطن الاستشهاد فيها ضمن ذلك الترتيب ، وإن كان ما قدمناه هنا هو المفضل لاختصاره ويسر الاستفادة منه .

---

(١) النموذج ٦٥ .

١

فهرس الآيات

ثم يكون نسق الأحاديث المشرَّفة،[١] والمأثورات والأمثال والشواهد النثرية[٢] تبعًا للترتيب الألفبائي . وهذه الزمر الأخيرة تسجل أسماء أصحابها فيما يقابلها من الحقل الخاص بذلك، إضافة إلى حقل أرقام الصفحات . وليس من المستحسن أن تفصل هذه المواد بعناوين من الحروف التي تمثل أوائلها، كما يفعل بعض الزملاء . فإقحام هذه العناوين الحرفية يقطع السرد، ولا يقدم فائدة حين الرجوع إلى الفهرس بالبحث والاستقراء .

أما قوافي الشعر فيُتّخد حرف الروي منها أساسًا للتوزيع، فيقسم فِهرسها تبعًا لحروف الألفباء : الهمزة فالباء فالتاء فالثاء فالجيم . . . فالهاء فالواو فالألف فالياء، وتحت كل قسم توزع القوافي بترتيب موحَّد : الساكنة فالمفتوحة فالمضمومة فالمكسورة مثلاً، مع إدراج ما ختم بالهاء ساكنة فمضمومة فمفتوحة فمكسورة في القافية المناسبة لها . ولا بد من تمييز ما كان الحرف الأخير في قافيته رويًّا له عما هو فيه ملحق للوصل .

فحروف المد والهمزة والهاء والنون لها تفصيلات مشهورة في ذلك، إذ لا تكون رويًّا ألف الإطلاق والمبدلةُ من التنوين أو من الهمزة أو من ضمير الاثنين . وكذلك ياء الإطلاق والمخاطبة، و واو الإطلاق وواو الجماعة المضمومُ ما قبلها، والهمزة المبدلة من ألف التأنيث في الوقف، وهاء السكت والمبدلةُ من تاء التأنيث، وضميرا الغائب والغائبة إذا كان قبلهما حرف ساكن . هذه كلها حروف وصل لا يُعتَدُّ بها في القوافي، لأن حرف الروي هو الذي يرد قبلها في اللفظ.[٣] وما أعجز أجهزة العالم وبرامجه عن ذلك، إلا الخَلق الرباني المكرم !

ثم إذا كان عدد الشواهد الشعرية كثيرًا جدًّا فإنه يستحسن توزيعها ضمن تلك الحركات المنسوقة، تبعًا للبحور : الطويل فالمديد فالبسيط فالوافر فالكامل فالهزج فالرمل

---

(١) النموذج ٦٦ .

(٢) النموذج ٦٧ .

(٣) انظر الوافي في العروض والقوافي ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤ .

٢

فهرس الأحاديث والأثر

٣

فهرس الأمثال

فالسريع فالمنسرح فالخفيف فالمضارع فالمقتضب فالمتقارب فالمجتث فالمتدارك فالمستطيل فالممتد فالدوبيت فالرجز . و ما كان من المجزوء والمشطور والمنهوك يلحق بأصله التامّ أيضًا في التنسيق . ويجب أن تفصل هذه القوافي ، تيسيرًا للبحث والمراجعة ، بعناوين تمثل حروف الرويّ : أ ب ت ث . . . و ا ي .[١]

وبعض المحققين يفصلون الرجز أيضًا مع ما يلحق به من مشطور المنسرح ، ويجعلون له فهرسًا خاصًّا ،[٢] أو يعيدون الفهرسة أيضًا للجميع بحسب أوائل الأبيات . وفي هذا وذاك ازدواجية يتطلبها جهل المستشرقين والمستغربين ، ولا تناسب العمل الفني المفيد . ومما لا يناسب هذا العمل أيضًا أن تورد الأبيات كلها بدلًا من قوافيها ، لتضخيم الذيول والمتممات .

ويضاف إلى ما ذكرنا هنا أن ما كان من أنصاف الأبيات أو أجزائها ، مما لا تُعرف قوافيه ، يجمع وحده في ذيل هذا الفهرس منسوقًا بحسب ألفاظ أطرافه ، تبعًا للترتيب الألفبائي أيضًا . وكل ذلك يكون مقابلَه اسم صاحب الشاهد في الحقل الخاص ، إن عُلِم ، بالإضافة إلى حقل أرقام الصفحات .

٣ ـ الأعلام واللغة والحضارة :

وأما فِهرس الأعلام فيحسن أن يشمل الأفراد شعراء وعلماء ورواة وغيرهم ، والقبائل والجماعات والحيوانات والأمكنة والسلاح . . . خلافًا لما يفعله بعض الزملاء ، إذ يجعلون لكل من هذه الأصناف فهرسًا مخصوصًا ، بتفريعات شخصية مصطنعة . وتنسيق هذه المواد يكون بحسب لفظ الأطراف أيضًا ، مع عدم الاعتبار لـ((أل)) التعريف و ((أبو)) و ((ابن)) و ((أم)) و ((ذو)) و ((ذات)) ، إذ يسرد ما يرافق أحد هذه الكلمات باعتبار الحرف الأول منه في النسق المعهود .

---

(١) النموذج ٦٨ .

(٢) تحقيق النصوص ونشرها ص ٩١ ـ ٩٢ .

فهرس القوافي

النموذج ٦٨ من ديوان سلامة بن جندل

ثم يجب أن يذكر أصحاب هذه المفردات كاملة ، عدا ما كان لمصاحب ((أل)) التعريف ، في مواقعها الألفبائي مقرونة بها يقابلها من الأسماء المعتمدة في الفَهرسة ، للرجوع إليها هناك. ولا حاجة إلى عناوين حرفية هنا أيضًا ، خلافًا لما كنا نفعله نحن على غير هدى.[١]

ولابد من إيراد الألقاب والكنى مع أعلام الرجال والنساء ، تذكر هذه في مواطنها اللازمة مقرونة بأسماء أصحابها ، للرجوع إليها هناك أيضًا . وإنك لترى أساطين المستشرقين يتحرجون من اعتماد الكنى في الفهرسة ، ويفضلون الانصراف إلى الأسماء .[٢] فهم يحتكمون في تحقيق النصوص العربية إلى جهلهم وضعف قدرتهم وتقاليدهم ، إذ ليس عندهم ما لدينا من غلبة الكنى على الأسماء في كثير من الأحيان . والعجيب أن يسقطوا مظاهر حيواتهم على حضارة الآخرين في كل مجال ، ويحملوهم أوزار غيرهم مما لا ناقة لهم فيه ولا جمل .

وفِهرس المواد اللغوية يكون فيه جمع وتنسيق للمفردات والتراكيب من المتن فقط . وإذا اقتصر على المفردات كان توزيعه بحسب أصل المواد ، في نسق المعجمية المعاصرة ، أي : نسق المجرّد من الألفاظ : أبب ، أبت ، أبث . . . يوم ، يين .[٣] ثم قد يكون مع كل من هذه الأصول أرقام الصفحات التي وردت فيها مفرداته .[٤] وقد تُعرض المفردات في كل مادة بنسق آخر : المصدر فالأفعال فالمشتقات فأسماء الذوات مثلاً ، وضمن كل من هذه الفروع فرعيات أُخرى تراعى في التنسيق أيضًا ، مع رقم الصفحة التي هو فيها . ويجوز أن تعرض المفردات وفقًا لهذا التفريع الأخير ، بألفاظها كلاً منها على حدة مع أرقام الصفحات .

وإذا كان الفهرس يضم التراكيب مع المفردات فإنه تسرد فيه المفهرَسات بحسب

(١) النموذج ٦٩ .

(٢) أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١٦ .

(٣) النموذج ٧٠ .

(٤) النموذج ٧١ .

١

فهرس الأعلام

الأفراد والقبائل والأمكنة

١

فهرس اللغة

أ

النموذج ٧٠ من تهذيب إصلاح المنطق

١

فهرس اللغة

النموذج الا من شرح شعر زهير بن أبي سلمى

أطرافها ، تبعًا للتنسيق المعجمي المعاصر أيضًا ، دون النظر إلى المجرد والمزيد . أعني أن صيغ المواد هي المتحكمة في التنسيق ، تعتبر وحدة متميزة ، وتأخذ مكانها في إطار ذلك السرد المعتبر . وعلى هذا فقد تجتمع مواد مختلفة في الأسطر المتوالية . ويستحسن أن يكون في المصنفات اللغوية مع هذا الفهرس آخر كالذي قبله ، لتتم الفائدة في المراجعة والبحث .

وعلى هذا المنوال من التنسيق يوزع فهرس تفسير المفردات من المتن ، فتسرد في صور المعجمية المعاصرة ، مع المحافظة على لفظ الصيغ المفسرة ، وترتيبها بحسب التقسيمات المذكورة في المواد اللغوية . ثم يكون قبالة كل منها رقم صفحاته التي حصل فيها من متن الكتاب .[1] وقد يضاف إلى ذلك ما تحصل في الهوامش من المفردات ، إذا كان فيه شيء غريب بين الناس ، أو تفردٌ للمحقق في اجتهاد أو توجيه .

وأما الإشارات الحضارية فتوزع في فهرسها وفق الترتيب الألفبائي ، باعتبار أطراف ألفاظها . وتسرد أمام كل مدخل منها المعلومات المختلفة ، في الصناعة والزراعة والتجارة ، والأخلاق والمعاملات الفردية والجماعية ، والصفات الإنسانية والحيوانية والنباتية ، والعلاقات السياسية والأسرية والتربية والتعليم ، والمهن والأعمال الفنية والأدبية ، والزواج والنكاح والطلاق والولادة ... وقد يكون سردها بحسب تسلسل حصولها في متن الكتاب ، وبجانب كل معلومة رقم صفحتها أيضًا .[2]

وكذلك يكون وضع مسائل العربية ، إذ تجمع فيها أمور اللغة من : المعجم والصوت والإعراب والصرف والعروض والقافية والبلاغة والأدب والنقد، وتوزع بحسب أطراف ألفاظها .[3] وقريب من ذلك ما يحصل في فهرسة المصطلحات ، إذ تنتظم تبعًا للصيغ

(١) النموذج ٧٢ .

(٢) النموذج ٧٣ .

(٣) النموذج ٧٤ .

٨ – فهرس المفردات والتراكيب

النموذج ٧٢ من كتاب الألفاظ

٦

فهرس الإشارات الحضارية

٨

فهرس مسائل العربية

الكاملة ، مع إغفال ((أل)) التعريف أيضًا .[١]

٤ ـ المصادر والمراجع والمحتوى :

أما فِهرس أسماء الكتب فيُقتصر فيه على ما ورد في متن النص ، أي : ما ذكره المؤلف في موضوعه ، للاقتباس منه أو للإشارة إلى محتواه وما يشبه ذلك . وتنسق هذه الأسماء بحسب لفظها في النص نفسه ، وإن خالفت ما هو مشهور فيها أو معروف . ثم ترتب في الفَهرسة وفق السياق الألفبائي ، مع ملاحظة أطرافها وإغفال ((أل)) التعريف أيضًا ، وسرد أرقام الصفحات المتضمنة لتلك الأسماء .[٢] ومثل ذلك تكون فهرسة الرموز ، أي : قاصرة على ما ورد في المتن ، بلفظها المعيّن والصفحات المتضمنة لها .[٣]

وأما المصادر والمراجع فتفهرس في نسق واحد ، ولا حاجة أن تجعل في قسمين أو أقسام متعددة ، كما يفعل بعض المعاصرين المعقَّدين المعقِّدين .[٤] وكذلك حال ما كان مطبوعًا من النوعين أو مخطوطًا وما هو من المجلات أو الصحف . . . يجمع كله في فهرس موحد متواصل . ويعرض هذا المجموع في حقول ثلاثة : أولها لعنوان الكتاب مفصلاً ، والثاني لمؤلفه باختيار ما هو كاف منه في الدلالة من اللقب و الكنية و الاسم ، والثالث لتعيين مكان الطباعة وزمانها ، أو رقم المخوط واسمَيِ المكتبة الخطية ومكانها .[٥]

أما أنصار الاستشراق فيفرضون تقسيمات عشرة ، كما يلي : الكتب ، والمقالات : في

---

(١) النموذج ٧٥ .

(٢) النموذج ٧٦ .

(٣) النموذج ٧٧ .

(٤) انظر المساعد على بحث التخرج ص ١٦٨ ـ ١٧٠ وكيف تكتب بحثًا ص ٥٠ ـ ٥٦ . وبعض الناشرين يتخذون الترتيب التاريخي للمصادر ، أو يقسمونها بحسب موضوعاتها والعلوم التي تتوزعها ، ويضيفون إليها أقواسًا متنوعة معقدة . وكل هذا تفنن غير مناسب .

(٥) النموذج ٧٨ .

٤

فهرس المصطلحات

أ

فهرس الكتب
في المبرز وحاشية العمراني

٩

فهرس الرموز

الواردة في متن الكتاب

النموذج ٧٧ من تهذيب إصلاح المنطق

٣

فهرس المصادر

أسرار البلاغة	الجرجاني	مطبعة المنار بالقاهرة
الأشباه والنظائر	الخالديان	القاهرة ١٩٥٨ م
الأصمعيات	الأصمعي	دار المعارف ١٩٥٥ م
إعجاز القرآن	الباقلاني	دار المعارف بالقاهرة
الأغاني	أبو الفرج	مطبعة التقدم بالقاهرة
الإقناع	الصاحب بن عباد	بغداد
الأمالي	ابن الشجري	حيدر آباد ١٣٤٩ هـ
الأمالي	القالي	القاهرة ١٩٥٣ م
الأمالي	المرتضى	القاهرة ١٩٠٧ م
الأنساب	البلاذري نسخة مصورة بدار الكتب المصرية	
أوضح المسالك	ابن هشام	القاهرة ١٩٥٦ م
البارع في العروض	ابن القطاع	نسخة مخطوطة
البداية والنهاية	ابن كثير	القاهرة ١٩٣٢ م
تاج العروس	الزبيدي	
تاريخ الإسلام	الذهبي	القاهرة ١٣٦٧ هـ
تاريخ الطبري	الطبري	القاهرة
تزيين الأسواق	الأنطاكي	المطبعة الميمنية
تهذيب ابن عساكر	عبد القادر بدران	دمشق ١٣٢٩ هـ
تهذيب اللغة	الأزهري	القاهرة ١٩٦٤ م
جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشي	القاهرة ١٣٠٨ هـ
حاشية الأمير على المغني	الأمير	القاهرة ١٣٧٢ هـ
حماسة ابن الشجري	ابن الشجري	حيدر آباد ١٣٤٥ هـ

المجلات وفي الجرائد، والرسائل والأطاريح الجامعية، والمخطوطات ، والأحاديث الإذاعية، والمحاضرات ، والمراسلات ، والوثائق الحكومية . ثم يتفننون في التوزيع والتعبير والاستطراد ، بما يضع القارئ في متاهات من التنطع والاعتساف .

ونحن لسنا في حاجة هنا أيضًا إلى الأساليب الملتوية والمطولة ، التي يستخدمها هؤلاء وصنائعم . فهم يعكسون السبيل ، ويقحمون في تضاعيفها معرقلات ومتاريس بمفاهيم مستعجمة وألفاظ وأحرف متقطعة وأرقام أعجمية ، تقيد السير وترهب الكاتب والباحث والدارس. ثم إنهم يذكرون في هذا الفهرس ما أوجبوا تثبيته في هوامش الصفحات الماضية .

أعني اسم عائلة المؤلف ، ثم اسمه واسم أبيه وتاريخ وفاته بين قوسين برموز أسطورية سحرية ، قبل اسم الكتاب مثلاً . ثم يضيفون إلى الكتاب عدد أجزائه وأسماء المحققين والمراجعين والمطبعة والسلسلة ، ورقم الطبعة وعدد الصفحات ومكان وجود الكتاب ، واسم الجامعة واسم الكلية ورقم المجلد أو الجزء ورقم العدد ، واسم المؤسسة ورقم الدورة . . . وفي تضاعيف ذلك كثير من المعلومات المستطردة والغثة المبتذلة .[(١)]

ثم يضعون طلاسم من الحروف والأرقام والأقواس والخطوط تحت بعض المفردات ، والفواصل والنقاط التي تقطع التفكير والتعبير في ١٥ موضعًا من سطرين ، ويطيلون في التعقيد والتعمية ، بما يناسب الثقافة الأوربية الملتوية. ونحن في غنى عن هذا كله، وإن كان المسؤلون عن العلم والتربية في بلادنا يفرضون ذلك ، بما يحملون من العولمة القاهرة والبرمجة والدبلجة من دون تدبر . ولقد طالما ناشدناهم العدول عن ذلك ، فلم يسمعوا ولم يكن منهم شيء من قبول.

وأما محتوى الكتاب فيكون فِهرسه الأخير بين أقرانه ، لتعرض فيه العناوين الرئيسية والجانبية والفرعية بألفاظها كاملة ، كما وردت في تفصيلات المقدمة والنص نفسه والفهارس

---

(١) انظر تحقيق التراث ص ٢١٩ وكيف تكتب بحثًا ص ٨٤ ـ ٩١ .

الفنية ، قبالة أرقام الصفحات التي هي فيها . ويجب أن تكون حروف العناوين مناسبة لموقع العنوان ومنزلته : [(١)] فالحرف الكبير مثلاً للباب أو العامّ ، والصغير للفصل أو الخاصّ الذي يتفرع عنه ، والأصغر للعناوين الجانبية فيه . . . إن كان لها حضور . وهكذا حتى يتميز كل بحسب مرتبته في التقسيم الموضوعي .

وينتظم ذلك كله في تنسيق تراجعي بين هذه المراتب ، بحيث يتأخر مكان ورود الفصل في السطر عن مكان الباب ، وكذلك يكون تأخر العناوين الجانبية والفرعية والمتفرعة ، ليستطيع القارئ بلمحة واحدة أن يتبين هيكلية الكتاب ، وتوزع مكوّناته الكبرى والكبيرة والصغيرة والصغرى .

وقد يحتاج النص الموسوعي الضخم إلى تفصيلات في فهرس المحتوى ، لما يكون عليه من غنى في المعلومات وسعة في آفاق المعالجة والتناول للمعارف العامة والخاصة . مثال ذلك ما تراه في كتاب ((الحيوان)) للجاحظ ، إذ اقتضى المحتوى تخصيصًا للعناصر العلمية المتفاوتة ، في عدة فهارس . وكذلك كتاب ((البيان والتبيين)) للجاحظ . وقد تنطع بعض المعاصرين في ابتكار أنواع مختلفة من هذه الأشكال الفنية ، على توهم أن كلًّا منها يناسب طبيعة النص المحقق . حتى لقد بلغ عددها في أحد الكتب ٢٠ . [(٢)]

ويجب أن يرد فهرس المحتوى ، أيًا كان نوعه ، في آخر الكتاب ، ليساعد على معرفة المضامين بالتفصيل ، وييسر الاستفادة منه في تعرف محتويات النص وتحقيقه ومتمماته . ولكن الانسياق النائم لبعض المستغربين في التحقيق أو النشر جعلهم يضعون ذلك في أول الكتاب ، أو بعد المقدمة ، فيختل في ذهن القارئ تسلسل الفهارس ، وما يمكن أن يأخذ بيده في عمله العلمي المنتظم .

---

(١) النموذج ٧٩ .

(٢) نهج البلاغة مطبوعة بيروت لعام ١٣٨٧ . وانظر تحقيق النصوص ونشرها ص ٨٦ ـ ٨٨ وقواعد نشر المخطوطات ص ٢٧ وتحقيق التراث ص ٢٠٢ ـ ٢١٠ .

٦
فهرس المحتوى

٥ ـ الاستدراك والترجمة :

قد يقتضي الأمر اختتام النص وفهارسه باستدراكات ، تبين بعض المعلومات التي أُغفلت في مواقعها المناسبة ، وتصحح ما سبق به القلم من سهو أو نقص أو وهم ، أو سنح به الخاطر عن عجلة في الحكم والتفسير والنقد والتخريج ، أو وقع من التطبيعات والأوهام في المقدمة والتحقيق والتصحيح والتنقيح والتعليق والفهرسة . وفي ذلك كله تسديد للعمل وإعطاؤه الصورة العلمية الموثقة .

وإذا كان تحقيق النص رسالة جامعية ، أو جزءًا من الرسالة ، لنيل شهادة التخصص (الدبلوم) أو درجة الباحث (الماجستير) أو درجة العالِم (الدكتوراة) ،[1] فإن الأنظمة المرعيّة في التعليم العالي من الجامعات العربية والإسلامية توجب على المحقق أن يلحق بذيل النص ترجمة مختصرة للعمل كله ، بإحدى اللغات الأعجمية الاستعمارية . وهذا من أعجب عجائب التحرر السياسي والفكري والعلمي ومستوردات العولمة ، أن يفرض على كل بحث جامعي مرافقته ترجمة مما ذكرت ، بدعوى تبادل العلوم والمعارف بين الأمم .

فالمعهود في التبادل أن يكون نشاط العرض والطلب من الجانبين المشاركين ، وما رأينا بحثًا أو عملاً جامعيًّا في تلك الدول مرافقًا ترجمة عربية أو ما يشبهها من لغات العالم الإسلامي ، تقدم لأجيالنا ما يتبادلون والآخرين الأعمال . فكيف يكون التبادل بين اثنين من طرف واحد ؟ وهلاّ أسموا ذلك تبديلاً بجهودنا فراغًا وذلة وصغارًا ، ولولا جُعِلَ تصنيفه

---

(١) يفاخر أبناؤنا وزملاؤنا بهذا اللقب الكهنوتي اليهودي الشائع ، ويزعجهم أن تذكر أسماؤهم بدونه في المحافل والأسواق والمنازل ، وهم لايعلمون ما يحمله من وصمة عار أبدية . ألا فليعلموا أن لفظ الدكتوراة ـ وهي أعلى شهادة جامعية في ديارنا ـ أطلقه اليهود على الحاخام : العالم بالتوراة ، فأصبح صفة لمن يفسر كتابهم المقدس ، ثم نقلته جامعة بولونية الإيطالية في القرن الثاني عشر لقبًا علميًّا عاليًا ، وتابعتها جامعة باريس بعد ذلك فالجامعات الأوربية . وأخيرًا تلبسناه نحن بكل جهل وخنوع ، مع مسوح الأحبار ، وقبعاتهم ذوات الرفارف المقواة والذيول النوّاسة بالخنوع والمسحة اليهودية القاتمة . انظر منهج البحث الأدبي ص ٣٩ .

ضمن الإتاوات العلمية التي ختمت بها جباهنا ، منذ أنشئت جامعاتنا بهيمنة الاستعمار ورجالاته المستشرقين .

نحن نخدم رعايا تلك الأمم المستعلية ، بجهود كثيرة ضائعة ، لنقدم لهم خلاصة تجاربنا مجّانًا راجين تقبلها ، وهم يديرون لنا الظهور، ويوجبون علينا إتقان لغاتهم ، لنتسقط فتات موائدهم ، دون أن ييسروا لنا مِن ذلك شيئًا . إنه الحب من طرف واحد ، أنكره الله بين الأمم[1] لأنه يكون فيه الذلة والمهانة . وما أشقى وأتعس من يقع في مثل هذا الشَّرَك !

التبادل العلمي المحترم يقتضي أن يقدموا لنا خلاصة أعمالهم أيضًا بلغاتنا القومية ، أو أن يترك الأمر للجميع حرًّا ، ليتقن الآخرون لغتنا ويطّلعوا على أعمالنا ، إذا كانوا يريدون الاستفادة . وإلّا كان الأمر بين سيد وعبد ، مالك ومملوك ، يُسخِّر الأول الثانيَ في خدمته ، ويفرض عليه إتاوات التسلط والاستعلاء ، ويستنزف قدراته وعصارة تجاربه وخبراته ، بلا جهد يبذل ولا أجر يدفع ولا شكر يقال . تلك هي عقلية المسؤولين عن التعليم العالي في بلادنا المنكوبة بأبنائها ، أفهام مبرمجة مدبلجة ، لاتعرف غير ما زرع فيها من أصباغ العبودية والاستسلام ، في أسواق التبعية والنِّخاسة .

ومن هذه الأصباغ الصارخة أيضًا ما تتلبسه مناهج الدراسات العليا ، من فرض للُّغات الأجنبية في مراحلها الثلاث : مقررات كاملة في مرحلة التخصص ، وملازمة دورة في أشهر لإتقانها قبل البحث ، وامتحان عسير لاختبار القدرات والكفايات قبل العالِمية . والقليلون جدًّا من طلابنا المنكوبين هم المستفيدون من هذه العراقيل والمتاريس ، لتخصصهم في موضوعات لها صلة بالعلوم والفنون المعاصرة .

أما الباقون منهم ـ وهم الأكثرون ـ فليس لهم منها إلاّ بذل الجهود المضنية ، وإضاعة الأشهر والسنوات دون أن يكون لهم علاقة بشيء من اللغات المفروضة عليهم . وقد أمضى

(١) انظر الآيات ١١٨-١٢٠ من سورة آل عمران .

بعضهم عدة سنوات ، وهو يعيد الدورات والامتحانات ، ليتسنى له البحث العلمي ، فمنهم من نجا بأعجوبة ، ومنهم من هرب بجلده وبلا خفي حنين لايلوي على شيء . ولقد سألت عددًا وافرًا من هؤلاء المكلفين بعد تخصصه عن حاجته إلى تلك اللغات والفائدة منها في أعماله ، فكان جوابه بالنفي المطلق مع الأسف الشديد والحسرات على ما كان .

ولطالما رجونا المسؤولين عن مسيرة البحث العلمي أن يرفعوا عن كواهل طلابنا هذا العبء المضني وما قبله ، ويجعلوا ذلك اختياريًّا للجميع وإلزاميًّا لمن يريد التخصص فيما يقتضي إتقان لغة أجنبية . ولكن أصواتنا كانت وما تزال تقابل بالامتعاض وسوء الظن ، ثم تذهب سدى ، وكأننا نتكلم فيما لا صلة لنا به ، وليس من حقنا حشر أنوفنا فيه ، لتبقى تلك السياط الأجنبية تلسع أجيال أمتنا ، تذكرنا بتسلط أيدي الغزاة وتكرس هيمنة العولمة ، وتزلزل البيئة التربوية التي أساسها عزة العروبة والإسلام ، ونزع ربقة الاستعمار في جميع أشكاله . هذا مع أن كل مسؤول يدعي أنه جندي لذلك التحرر، وأبيٌّ أبيّ أبيّ :

فكُلٌّ يَدَّعِي وَصلًا ، لِـلَيلَى ولَيلَى لا تُقِرُّ لَهُ بِذاكا

إنّ الأصول المنهجية للبحث العلمي تعني أن توكل ، إلى المشرفين عليه في الجامعات والمعاهد ، مُهِمّة تكليف من يحتاج إلى إتقان اللغة الأجنبية اللازمة . فكل مشرف على طالب، في هذه الميادين ، يعرف ما يحتاجه ذاك من اللغات للقيام بواجبات الاختصاص الذي ينوى التوجه إليه ، وهو يكلفه إتقانه قبل الشروع في بحثه .

وذلك بالخضوع لدورات معينة أو اختبارات للكفاية ، شأن ما يكلفه إياه من العلوم والمعارف والخبرات ذوات الصلة ببحثه أو اختصاصه . وبهذا يصبح إتقان اللغة الأجنبية واجبًا على من فُرضت عليه ، ولا يكلف أحد ما هو من النوافل أو القيود الاستعمارية القاهرة ، وغير محتاج إليه .

فعسى أن يستجيب المسؤولون عن تشجيع البحث العلمي ، فينزعوا عن علماء

المستقبل ما يشغلهم عن واجباتهم في البحث والإنتاج لما ينقذ الأمة من التبعية وضرائب الذلة والصَّغار ، ويجدّوا في ترجمة ما يصدر عن العلوم المختلفة ، وما ينتشر بين ظهرانينا من مصادر ومصطلحات ورموز وأساليب ومفاهيم أجنبية ، تعرقل الفكر القومي والإسلامي ، وتحجب عنا التطلع إلى المستقبل المتألق بقومية اللسان والدين الحنيف .

ولنا أسوة حسنة في الأمم والدول الناهضة ، توطّن العلوم والبحث فيها ، وتترجم كل الأصول والأساليب والمصطلحات والمفاهيم والرموز ، وتقدم لأبنائها وسائل الدرس والتأليف والتجربة والاختبار والتقويم والإنجاز باللغة القومية ، خالصة من شوائب الغزو الثقافي والتسلط السياسي العسكري ، ليكون للتفكير والعمل والإنتاج العلمي الحضاري وجه وطني مشرق ، يبشر بالنماء والعطاء والاستقلال ، ويزود الأمة بحاجات التحرر والسيادة والاستعداد لكل طارئ أو عدو غاشم .

وهذا ما نهضت عليه الأمة العربية المسلمة ـ ونحن نفاخر بها ـ حين شبت عن الطوق منذ الخلافة الراشدة التي أسست دولة لها السيادة والانطلاق ، فشرعت في إنشاء دواوين النظام الحضاري عربيًّا خالصًا ، ثم عرّبت ماجدّ في دواوين الأقطار المستعربة في عهد المروانيين ، وفرضت الفصاحة الأصيلة فيما يتصل بالعلوم والمعارف والبحث والتأليف والعمل والإنتاج الحيوي الكريم ، حتى أصبح من يتكلمون في ميادين العلم والبحث والتوجيه ، بغير اللغة العربية الفصحى ، مهزأة بين الناس وسخرية عند الخاصة والعمة ، لأنهم شعوبيون يحاربون العروبة والإسلام ، وهم يظنون أو لا يظنون أنهم يحسنون صنعًا.(١)

مقدمة التحقيق :

بعد هذا كله ، من إجراءات التحقيق وإلحاق متمماته المذكورة ، يأتي عملنا لصياغة المقدمة وإثباتها ، تمهيدًا للسبيل أمام القارئ ، بحيث يأخذ أضواء كاشفة ، توضح له معالم

---

(١) انظر المفصل للزمخشري ص ٣ .

النص وقيمته العلمية ، ومضامينه وأبعادها المعرفية والفنية والتاريخية ، ومراحل تحقيقه وإخراجه ، وكيفية الاستفادة منه .

والمقدّمة اسم فاعل أم مفعول مؤنث مشتق من مصدر : قـدّمَ ، للدلالة على ما يكون في أول الشيء . وقد عـبُـرَ به عن اسم الذات للمبالغة في ذلك . وهو يُضبط بكسر الدال على أنه الجزء المتقدم بنفسه ، وبفتحها على أنه ما قدَّمه المؤلف أو الكاتب أو الباحث أو المحقـق . وكان علماؤنا الأجلاّء يستخدمون أحيانًا لفظ ((الخـُطبة)) ، في أمثال هذه المقامات .

والجدير بالذكر أن المفهوم الاصطلاحي لـ ((المقدمة)) يخالف الدلالة اللغوية الوضعية ، بل يعاكسه تمام المعاكسة . وذلك لأن ما تتضمنه هذه المرحلة من النشاط والكتابة هو آخر ما يكون في أصول التحقيق ، أو البحث والتأليف ، إذ يجمع المرء ما تحصل لديه من إنجازات تلك المراحل النظرية والعملية والمتممة ، ويضيف إليه ملاحظاته الخاصة المستجدة والمعلومات المستنبطة من المطالعات والقراءات ، ليصوغ مقدمة تمهيدية توضح سبل الاستفادة الكاملة من النص المحقـَّق .

وهنا في هذا الحيز من مستهل الكتاب ، يبسط المحقِّـق دوافع اختيار الموضوع ونصه ، وأهميته العلمية والحضارية ، وما كان للقدماء والمعاصرين من جهود في ميدانه ، والخِـدمات الجديدة التي بذلت فيه لإخراجه بثوب علمي محقق ، مع وصف لمحتويات النص ، وعرض موجز لحياة مؤلفه وشخصيته العلمية ، و لتاريخ العلم الذي هو فيه ، وما كان لـه من امتداد وتوسع وتفريعات حتى عصر المؤلف .

وإنك لترى عند بعض المحققين ، من العرب والمسلمين ، نماذج من الخطب التي هي بمثابة مقدمات للعمل الذي يقومون به . خذ لذلك مثلًا ما كان من أبي زكرياء الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) ، في بعض ما هذّبه من الكتب المشهورة . فهو في أول ((تهذيب إصلاح المنطق))[١] يذكر كتاب ((إصلاح المنطق)) لابن السكيت تعريفًا به ، ويوضح أهميته عند

(١) ص ١ .

أكثر الناس وميلهم إليه ، لصغر حجمه وكثرة الانتفاع به ، ولتضمنه اللغة المستعملة . ثم يبين ما في الكتاب من تكرار للعبارات ، وخلل في بعض الشواهد ، وغموض وغرابة في الدلالات والمعاني ، وما كان العلماء الذين قرأه عليهم يشتكون فيه ، من حاجة إلى التقويم والتوثيق والتحقيق .

ومن ثَمّ يبسط منهجه فيما سيكون من عمل للتهذيب ، فيريد في ذلك إعادة نَسخ الكتاب من جديد ، مع حذف المكرر ، وشرح ما يشكل من العبارات ، وإثبات ما يُحتاج إليه في شرح الشواهد الشعرية ، بالاعتماد على ما ألفه أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافي ، ليسهل على القارئ حفظه، ويغنيه عن الرجوع إلى المصنفات الأُخرى بغية الفهم والاستفادة. ويختم هذا كله برواية الكتاب في إسناد يتصل بالمؤلف نفسه .

وهذا عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣) ، يضع في مستهل مصنفه الضخم ((خزانة الأدب)) [(١)] تعريفًا بالكتاب الذي يحقق شواهده فيه ، وهو ((شرح الكافية)) للرضي الأستَرباذي ، وما يحيط به من أحوال توجب تأليف ما صنعه هو في ((الخزانة)) .

وقد بدا ذلك فيما ذكر ، من عكوف النحارير عليه وتدقيق الفضلاء النظرَ فيه ، وامتداحِ كبار العلماء ما حواه من أبحاث ودقائق وتقريرات وأنظار جعلت كتب النحو كالشريعة المنسوخة، وتضمُّنِه زُهاء ألف بيت من الشواهد الشعرية المتداولة في البحث النحوي ، رويت بدون تفسير أو تعليل أو توجيه، مع ما فيها من إشكال وغموض وخفاء ، وما دخلها من التحريف والتصحيف. وبهذا حدد لنا موضوع الكتاب ، ودواعي تحقيق شواهده ، وما يتطلبه ذلك من عمل علمي مبارك.

وقد نص على أنه يضع في ذلك ((مقدمة)) ، تقتضي تحديد المنهج المتبع في التحقيق والتوثيق . وأول أصول منهجه أن تتبين معايير القبول للاحتجاج بتلك الشواهدخاصة ،

---

(١) في ١ : ٢ ـ ١٤ . وانظر منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية ص ١٣ ـ ٢٣ .

وبالنصوص عامة . ولبيان هذا يذكر وجوب اعتماد القرآن الكريم ، وشروط العلماء في اعتماد الشعر ، واختلافهم في ذلك وفي اعتماد الحديث الشريف ، لما زعمه بعض متأخري النحاة من رواية المعنى وكثرة الرواة الأعاجم . ويختم الموضوع بصحة الاستشهاد بالحديث ، وعدم قبول ما لا يُعرف قائله من شعر أو نثر .

وفي توضيح منهجه أيضًا ، يبين ما سيقوم به من إجراءات ، فإذا فيه : تخريج الشواهد ، وإتمام الناقص منها ، وتعيين قائل كل شاهد ما أمكن ذلك مع تعريف به ، وإيراد الأبيات التي يتوقف عليها معناه ، وشرح الغريب والمشكل من المعاني والإعراب ، والأسباب الداعية للنظم ، مع الضبط والتقييد . وألحق بذلك أيضًا عرض جهود القدماء في هذا الميدان ، ولاسيما في شواهد كتاب سيبويه وأمثاله .

ثم بسط المصادر التي اعتمد عليها في أعماله المذكورة ـ وهي أكثر من ٤٠٠٠ كتاب ـ[1] فكان منها ما يرجع إلى النحو والأدب ودواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، وكتب طبقات الشعراء وتراجمهم ، والمصنفات اللغوية ، وأغلاط اللغويين والعلماء ، وكتب الأمثال، وكتب الأماكن والبلدان . وقد سرد في كل من هذه الأنواع أسماءَ المؤلفات التي اعتمدها ، مع أسماء من صنفها أو جمعها بالتفصيل ، والنسخَ الموثقة التي رجع إليها في ذلك .

وأتبع تلك التفصيلات بترجمة لمؤلف ((شرح الكافية)) ، عرفنا فيها اسمه ولقبه ، وشخصيته العلمية في التفرد بالجمع والتحقيق وحسن التعليل ، والأبحاث الكثيرة والاختيارات الجمة والمذاهب المتميزة .

و بعد عرض مفصل لأقوال العلماء في ترجمته ، حرّر البغدادي ما كان من الخلاف بينهم في تاريخ وفاته ، وتاريخ تصنيف الكتاب ومكان إملائه فيه ، باعتماد نسخة خطية منه قديمة . وجعل هذه النسخة ختام خطبته ، ليذكر ما فيها من إجازة توثق القيمة العلمية ،

(١) خزانة الأدب ١ : ٢٠ من مطبوعة دار الكتاب العربي .

وتقدم ما هو مصحح محرر من الخلل والاضطراب ، وتعيّن الشيخ ومن قرأها عنه ، وتحدّد تاريخ نسخها أيضًا .

١ ـ تعريف بالنص وصاحبه :

يكون في المقدمة كما ذكرنا تعريف للمؤلف ، ببيان اسمه وكنيته ولقبه ونسبه وتاريخ مولده ، والمواطن التي عاش فيها ، والعلوم والمهن التي مارسها ، والشيوخ الذين أخذ عنهم ثقافته وعلومه ومعارفه ، والتلاميذ الذين نهلوا عنه أيضًا ، والمصنفات التي ألفها مع بيان ما هو مطبوع وما هو مخطوط ، ثم تعيين مكان وفاته وتاريخها .

ومن خلال هذا يكون نفوذ إلى تحليل شخصية المؤلف ، من أقوال العلماء فيه ومما يظهره النص وأخواته ، لبسط ما يتميز به في التفكير والأخلاق والسلوك والنشاطين العام والخاص ، وما قدمه للتاريخ والحضارة الإنسانية ، من معلومات وتجارب وخبرات ، وما كان له من خصائص في التعبير والأداء ، وسمات ظاهرة في البحث وتوظيف المعارف الإنسانية ، ومذاهب ينطلق منها في ميادين العلوم والفنون ، ومناهج ومذاهب علمية أو فنية تغلب على توجهه في التفكير ، وأساليب يستخدمها في البحث والتأليف والاحتجاج والاستدلال ، ومنزلة علمية في اختصاصاته وثقافته . ويكون لمنهجه وأساليبه في النص المحقق دراسة خاصة ، تبين ذلك بالتفصيل ، مع الأدلة والشواهد المناسبة ، وتعيّن ما قدمه للعلم والمعارف في عصره وفي تاريخ الحضارة .

يلي ذلك تعريف للكتاب ، بذكر تاريخ حياته ، وتنقله بين القرون والبلدان ، وتعداد النسخ الخطية التي تولدت منه ، والخِدمات التي ألحقت به ، من خلال مطالعة العلماء والدارسين له ، وتعليقاتهم عليه بالتفسير والشرح والاختصار والنقد والتوجيه ، والإغناء مادة وأسلوبًا وتكوينًا .

فقد يكون عليه شروح متعددة متفاوتة في التفصيل ، وحواش متكاثرة للتعديل

والتفسير والتنمية ، وتقريرات على الحواشي تزيد الموضوع غنى وسعة واستيفاء للمعارف ، واختصارات تكشف المعلومات والأساليب ، وتضيف إليها إضاءات مناسبة ، ونشرات طباعية تحسن إليه أو تسيء . كل هذا يكون تفصيله وبيانه بدقة وشمول ووفاء .

ثم يكون البحث في النص نفسه . وهذا يحصل فيه شِبه ما عرفناه في قراءة التحقيق ، بالإضافة إلى ما جاء في مستوى التقويم . فالقراءات تكون متوالية متأنية متعمقة مدققة متحسسة ، بهدف اكتشاف مادة ما يزمع القيام به ، في الميادين المتعددة ، من ذاتية وفنية واجتماعية وتاريخية ودينية وسياسية وفكرية واقتصادية ولغوية . . .

ولما كان مقتضى البحث اكتشافَ إجابة علمية عن سؤال أساسي ، مع إجابات فرعية للأسئلة المتفرعة عن الأساسي نفسه ، فإن الباحث المحقق يكون همه تتبع المواد والاقتباسات والشواهد والعبارات والأدلة التي تساعد على تلك الإجابات ، وتعززها بالبيان والترجيح ، أو الاستئناس والتزكية ، أو التحقيق والتوكيد ، وتغنيها بما يوصل إلى معلومات أو حقائق ذات صلاحية للاختبار والاعتماد .

وفي أثناء ذلك يرصد الباحث أدلة التقليد والتوليد والابتكار والتجديد ، من زوايا الأسلوب والمضمون والتفكير والخيال والانفعال ، والمصادر التي أمدت المؤلف بالمعلومات والأدلة والنتائج وأساليب الاحتجاج والبيان ، والمنهج العامّ الذي اتبعه في عرض معلوماته والوصول إلى النتائج العلمية أو الفنية المقررة .

ولابد هنا من الرجوع إلى الروايات المختلفة للنص في التعليقات الهامشية ، إذ قد يكون في بعضها إشارات أو لمحات ذات قيمة فعالة ، في تطور أساليب البحث والتفكير والتعبير والتصوير . ومن مجموع ذلك يستطيع المحقق أن يسجل حصائل ما جمعه واقتبسه ، ليبين لناالقيمة التاريخية للنص في عصره ، وفي العصور المتوالية والحضارة الحالية .[١]

(١) انظر قراءة موجهة لنصوص التراث ص ١٤٥ ـ ١٦٩ حيث تجد دراسة لما هو في ٥ صفحات تراثية .

٢ ـ وصف المخطوطات :

يقف المحقق هنا إزاء ما اجتمع لديه من صور خطية للنص ، ليصف ما فيها من واقع تاريخي وخصائص ومميزات .[١] فيتناول كلاً منها على حدة ، بحسب تسلسلها في المراتب المحددة لها من قبل . وعلى هذا يكون البدء بالنسخة الأصل أو الأم ، فيذكر ما فيها من عنوان وملحقات به ، كالتملكات والقراءات والسماعات والمعارضات والتعليقات المختلفة . ثم يورد مطلع النص وصورة توزيعه في جميع صفحاته ، وما كان في شدّ الكتاب بخاتمته ، وملحقاتها أيضًا من تملكات وقراءات وسماعات وإجازات ومعارضات وتعليقات علمية أو فنية ، وتاريخ للنَّسخ واسم للناسخ .

ثم يذكر عدد الأوراق وما لها من أرقام ، ومقياسها واتصالها أو اضطرابه ، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة والكلمات في السطر الواحد إن أمكن ، ونوع الخطوط وألوان الحبر المستخدم ، والرموز الفنية للتصويب والإلحاق والحذف والنقص والزيادة والتخفيف والتشديد والمد والقصر ، والتقديم والتأخير وتحقيق الهمزات وضبط الحركات والسكونات والإعجام ، وعلامات القراءة والعِراض .

ويصف أيضًا ما كان في الصفحات من واقع المعارضة والتصويب والإلحاق والتعقيبات والتصفيحات ، وما تخلل النسخة من خروم أو نقص أو اضطراب في الورق والكتابة ، وأعراض الطمس والبلل والأرضة والتلاشي أو الاضمحلال .

وكذلك يستعرض بإيجاز ما على أطراف الصفحات ، حواشيَ وطررًا وتعليقات ، بما فيها من أنواع خطوط وتصويب وتفسير وشرح وتوجيه وإغناء ونقد وتقويم . ويبسط الرموز المستخدمة في ذلك ، مع بيان ما أمكن من دلالاتها ، وأسماء أصحابها . وفي هذا ما يفيد تأريخ التعليقات والقيمة العلمية لها ، إذ أن شخصية المعلق لها كبير أهمية في تحديد

---

(١) النموذج ٨٠ .

النسخ المخطوطة :

على الرغم من اهتمامي بهذا الكتاب ، وتتبُّعي آثارهُ المخطوطة منذ عشرين سنـة ، لم أقف منه إلاّ على نسخ ثلاث . وهي :

١ ـ نسخة آياصوفيا (الأصل) :

تحتفظ بهذه النسخة مكتبة آيا صوفيا بإستـانبول ، ضمن مجموعـة[1] من الكتـب ، في مجلد واحـد تحت الرقم ٤٤٥٦ ، وعـدد أوراقـه ١٤١ من القطـع المتـوسـط ، مسطرتهـا ١٥ × ٢٤ . وتقع النسخة في ٧٨ ورقة . وقد أصابها خرمـان ، سقـط بها الورقتـان ١٣ و ١٦ . ولذلك أصبحت تشغل من المجموعة المـذكورة ٧٦ ورقـة ، من ٦أ إلى ٨١أ . وفي الصفحة الواحدة منها ١٧ سطراً .

عنوان هذه النسخة أحيط بخاتمة الكتاب الذي قبله . وهو كما يلي : « كتـاب الجمل في النحـو . تصنيف الإمـام الحبر العـالم القـاضـل الخليـل بن أحمـد ، رحمـه الله وشكر سعيه » . وختامها في آخر ورقة منها : « مضى تفسير جمل الوجوه ، فيما أتينا على ذكره من النحو . تمّ الكتاب ، بحمد الله ومنّـه وحسن توفيقـه . وصلّى الله على سيّـدنـا محمّـد النبيّ ، وآلـه الطـاهرين ، وسلّمَ كثيراً . ولَـذكرُ الله أكبر » . ويلي ذلـك : « وجـدتُ مكتوباً ، فكتبته لَمّا استحسنته » ، ثم أبيات أربعـة من الشعر ، مختومـة بهـذه الجملـة : تمّت الأبيات الحسنة .

---

(١) في هذه المجموعة خمسة كتب ، هي :
متن في علم الكلام ، يشغل الأوراق ١ ـ ٦أ .
الجمل في النحو ، يشغل الأوراق ٦أ ـ ٨١أ .
الفوائد المجموعة الملحقة بالجمل ، تشغل الأوراق ٨١أ ـ ١٠٦أ .
المحاجاة بالمسائل النحوية ، تشغل الأوراق ١٠٧أ ـ ١٣٩أ .
أحاديث شريفة عن البطيخ ، تشغل الأوراق ١٣٩ب ـ ١٤١ب .
والكتب الأربعة الأخيرة كلها بقلم ناسخ واحد .

غناها وخدمتها للنص .

وعلى هذا المنوال ، توصف النسخ الأُخرى ، في تسلسل منازلها المقررة ، فيكون لكل منها استعراض دقيق لواقع النص وحواشيه فيها ، مع بسط علاقات بعضها ببعض من ناحية، وبالنسخة الأم من ناحية ثانية ، و تحديد الرموز التي خصت بها . ولابد أن يكون بيان خاص مفصل لما تمتاز به كل منها ، في المضمون والتعبير والصفات الخطية والعلمية والفنية ، والحواشي والتعليقات والتصويبات . . . لتحديد ما تقدمه للنص من خدمة ، في التوثيق والتحقيق والتعليق والتصويب والبيان ، الأمر الذي يهيئها للمنزلة التي هي فيها .

٣ ـ منهج التحقيق :

ومن ثَم يتسنى لنا أن نبسط المنهج المتبع في تحقيق النص .[(١)] فقد استعرضنا المؤلف والكتاب والنسخ المعتمدة ، فأصبح لدينا حصيلة وافرة تسعفنا في هذا السبيل . وهنا نبدأ بذكر ما اتخذناه من أصل للنص المثبت ، ومنه اقتبسنا أرقام أوراقه فقط متسلسلة في حاشية ما أثبتناه ، وترتيب النسخ في الاستفادة والتعليقات الهامشية ، وخدمة كل منها في هذه الإجراءات المتممة للتحقيق .

ثم نستعرض ما قدمناه في توزيع النص على التقسيمات الموضوعية ، وما أقحمناه من عناوين أساسية أو فرعية ، وأرقام للفقر أو المعلومات أو القصائد أو النصوص المتوالية ، وما زودنا به الكتابة من ضبط وإعجام ، وما ألحقناه بالصفحات كلها من علامات للترقيم ، وتمييز للمتن والشرح والشواهد القرآنية والنبوية والنثرية والشعرية . . .

ونضيف بسط صنيعنا في التعليقات ، إذ كانت رموز النسخ المعتمدة ، وتعاوُن مجموعها أو اختلافه في التوجيه والتصويب والإغناء ، وطريقة الاستعانة بها وتفضيل بعضها على بعض . ثم ما كان لنا من مصادر ومراجع ، أمدتنا بالمعلومات والتوجيهات والتفسيرات

(١) النموذج ٨١ .

منهج التحقيق

اعتمدتُ نسخة «فيض الله» من المُمتِع، فرمزت إليها بحرف «ف» وجعلتها أصلًا للنصّ. ثمّ عارضت النصّ بنسخة «مراد ملّا» التي رمزت إليها بحرف «م»، مُستَعينًا بنسخة أبي حيّان من «المُبدِع»، في تصويب بعض العبارات وإتمامها. وقد ذيّلتُ النصّ بما يلي:

١- إثبات الخلاف بين النُّسَخ.

٢- تفسير المُفرَدات الغريبة.

٣- التعريف ببعض الأعلام.

٤- ذكر أسماء المَصادِر التي استقى منها المؤلّف في كلّ قسم أو باب أو مسألة.

٥- إثبات أسماء المَصادِر التي عرضت لما بسطه ابن عصفور.

٦- تخريج الشواهد القرآنيّة، والشعريّة، والنثريّة من حديث أو أثر، مع إتمام البيت الشعريّ بزيادة بين معقوفين.

٧- إثبات ما لم يُختَرَم من حواشي نسخة «فيض الله» التي علّقها أبو حيّان النحويّ أو غيره.

حلب ١٥/٨/١٩٦٨م

٢١/٥/١٣٨٨هـ

الدكتور فخر الدين قباوة

والنقد والتقويم ، لمضمون النص وأساليبه ، مع تحديد الرموز المخصصة لتلك المصادر والمراجع ، أو الأسماء المختصرة منها .

وكذلك تكون الإشارات إلى ما قدمناه من تقويم وتسديد ، وما علقنا به من تفسير للمفردات الغريبة والمصطلحات والمفاهيم ، وشرح للمشكلات في المضمون والتعبير ، وتوثيق للمعلومات والمعارف والتجارب ، وتخريج للمقتبسات القرآنية والنبوية والآثار القديمة من شعر ونثر وحكم وأمثال ، وتعريف بالأعلام من الأفراد والجماعات والحيوان والبلدان والأحداث التاريخية والحضارية . كل هذا مع بيان أهم المصادر المُعينة عليه ، وأبرز المشكلات التي اعترضت سبيل العمل ، وما نقترحه من توجيه في مثل هذه الأعمال .

ويختم بسط المنهج بنماذج مصورة من بعض أوراق النسخ لبيان حقيقة واقعها ، ثم بصفحة متميزة تعرض فيها الرموز المخصصة للنسخ ، والمختصرات أو الرموز والألفاظ المقتبسة من المصادر والمراجع الكثيرة الورود في التعليقات ، ومقابل كل منها الاسم الحقيقي المدلول بالرمز أو اللفظ عليه .[(١)] وفي هذا وضع مفاتيح البحث والفهم والاستفادة من النص ، لكل قارئ أو باحث أو دارس ، وتيسير لمن يريد الرجوع إلى النص ، بمعرفة أو دراسة أو مطالعة أو اقتباس .

---

(١) النموذج ٨٢ .

الرموز المستخدمة في التحقيق

الأصل: نسخة المكتبة التيمورية

التلخيص: تلخيص التبصرة والتذكرة للكواشي

ث: نسخة الثانوية الشرعية

خ: نسخة المكتبة الظاهرية

الصاوي: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

ط: مطبوعة البابي الحلبي

ع: النسخة الحلبية

الفتوحات: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين

المنحة: منحة المتجلي في خدمة «تفسير الجلالين» السيوطي والمحلي

الميسر: تفسير الجلالين الميسر، مطبوعة مكتبة لبنان لعام ١٤٢٤

النسخ: ث وخ وع

النسختان: ث وخ

الواحدي: أسباب نزول القرآن للواحدي

الوجيز: الوجيز في تفسير القرآن العزيز للواحدي

ثَبتٌ بالنماذج المصوَّرة

فهرس مصادر ومراجع

علم التحقيق

الكتاب	المؤلف	مكان وسنة النشر
الآداب الشرعية والمنح المرعية	لابن مفلح إبراهيم بن محمد	بيروت ١٩٧٩
إجازات السماع في المخطوطات القديمة	للدكتور صلاح الدين المنجد	القاهرة ١٩٥٥
أسس تحقيق التراث العربي	للجنة مختصة ببغداد	بغداد ١٩٨٠
أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه	لمعهد المخطوطات العربية	الكويت ١٤٠٥
أصول تحقيق المخطوطات العربية	لجورج ميخائيل كرباج	
أصول نقد النصوص ونشر الكتب	لبرجستراسر	القاهرة ١٩٣٣
الاقتراح في بيان الاصطلاح	ابن دقيق العيد	بغداد ١٩٨٢
الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع	للقاضي عياض	القاهرة ١٩٧٠
أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع	لعابد سليمان المشوخي	الرياض ١٤١٤
إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون	لإسماعيل باشا البغدادي	طهران ١٣٧٨
البحث الأدبي	للدكتور شوقي ضيف	القاهرة ١٩٧٢
تاريخ الأدب العربي	للدكتور عمر فروخ	بيروت
تاريخ الأدب العربي	كارل بروكلمان	القاهرة ١٩٩٢
تاريخ الاستشهاد النحوي بالحديث الشريف	للدكتور فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٥
تاريخ التراث العربي	للدكتور فؤاد سزكين	الرياض ١٩٨٣
تاريخ العلوم عند العرب	للدكتور عمر فروخ	بيروت ١٩٨٤
تحقيق التراث	للدكتور عبد الوهاب الفضيلي	جدة ١٤٠٢

تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره	عبد المجيد دياب	القاهرة ١٩٨٣
تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل	لعبد الله عسيلان	الرياض ١٤١٥
تحقيق النصوص ونشرها	لعبد السلام هارون	القاهرة ١٤١٠
تحليل النص النحوي	للدكتور فخر الدين قباوة	دمشق ١٩٩٧
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي	للسيوطي	القاهرة ١٣٠٧
تذكرة السامع والمتكلم في آداب المعلم والمتعلم	لبدر الدين بن جماعة	حيدر آباد ١٣٥٣
التراث العلمي العربي	للدكتور فيصل الحفيان	القاهرة
التراث العلمي العربي في العلوم الأساسية	الهيئة القومية للبحث العلمي	بيروت ١٩٩١
التراث المجهول إطلالة على عالم المخطوطات	للدكتور يوسف زيدان	القاهرة ١٤١٨
الترقيم وعلاماته في اللغة العربية	لأحمد زكي باشا	القاهرة ١٣٣٠
التطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق التراث	لرشيد عبد الرحمن العبيدي	الدار البيضاء
تقييد العلم	للخطيب البغدادي	دمشق ١٩٤٩
توجيه النظر إلى أصول الأثر	لطاهر الجزائري	القاهرة ١٣٢٠
توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار	لمحمد بن إسماعيل الصنعاني	
الجامع الصحيح	للإمام البخاري	بيروت ١٤٢٢
جامع بيان العلم وفضله	لابن عبد البر	القاهرة
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع	للخطيب البغدادي	الكويت ١٤٠١
حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين ١٨ و ١٩	للدكتور جميل أحمد	دمشق ١٩٧٧
خزانة الأدب	لعبد القادر البغدادي	القاهرة ١٩٧٦
خصوصية تحقيق التراث العلمي	للدكتور مصطفى موالدي	القاهرة

دراسة جديدة عن إجازات الإقراء والسماع المثبتة في

المخطوطات العربية بدار الكتب بباريس	لفايدا	
دراسات وتحقيقات	للدكتور مصطفى جواد	بغداد ١٩٧٤
الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد	لبدر الدين الغزي	
دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث	للدكتور امتياز أحمد	القاهرة ١٤١٠
الرسالة	للإمام الشافعي	دار الفكر
شوامخ المحققين		القاهرة ٢٠٠٤
شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام	لابن وحشية النبطي	لندن ١٨٠٦
صناعة المخطوطات العربية الإسلامية من		
الترميم إلى التجليد	للدورة التدريبية الدولية الأولى	دبي ١٤١٧
ضبط النص والتعليق عليه	للدكتور بشار عواد معروف	
طريقة جديدة في تأصيل النسخ الخطية	للدكتور مصطفى موالدي	القاهرة ١٩٩٢
العلامات والرموز عند المؤلفين العرب	لحسين علي محفوظ	
علوم الحديث	لابن الصلاح الشَّهرَزُوري	القاهرة ١٣٨٦
فن فهرسة المخطوطات ـ مدخل وقضايا	للدكتور فيصل الحفيان	
فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم		
والمشيخات والمسلسلات	لعبد الحي الكتاني	بيروت ١٤٠٢
الفهرست	لابن النديم	طهران ١٣٩١
فهرسة مارواه عن شيوخه	لمحمد بن خير الإشبيلي	بغداد ١٣٨٢
فهرسة المخطوط العربي	لميري عبودي فتوحي	بغداد ١٩٨٠
الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي	لمحمد سليمان الأشقر	بيروت ١٩٧٢
في المخطوطات العربية ـ قراءات تطبيقية	لإسماعيل إسماعيل مروة	دمشق ١٤١٨
في منهج تحقيق المخطوطات	لمطاع طرابيشي ١٩٨٣	دمشق ١٤٠٣

قراءة موجهة لنصوص التراث في رحاب المكتبة العربية ـ مناهج ونماذج	للدكتور فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤
قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث	لجمال الدين القاسمي	بيروت ١٣٩٩
قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها	لبلاشير وسوفاجيه	بيروت ١٩٥٣
قواعد فهرسة المخطوطات العربية	للدكتور صلاح الدين المنجد	بيروت ١٣٩٦
قواعد في علوم الحديث	لظفر أحمد التهانوي	بيروت ١٣٩٢
القواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية	للدكتور حكمت بشير ياسين	السعودية ١٤١٢
كتاب السبعة في القراءات	لابن مجاهد	القاهرة ١٩٧٢
الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات	لفؤاد السيد	القاهرة ١٩٩٧
كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم	لمحمد على التهانوي	بيروت ١٩٩٦
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	للحاجّ خليفة	طهران ١٣٨٧
الكفاية في علم الرواية	للخطيب البغدادي	القاهرة ١٩٧٢
مجلس السماع في المخطوطات العربية وقيمته العلمية ودلالته الحضارية	لمأمون الصاغرجي	
محاضرات في تحقيق النصوص	للدكتور أحمد خراط	جدة ١٤٠٩
محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران		دمشق ٢٠٠٢
المحدث الفاصل بين الراوي والواعي	للرامَهـرمُـزي	دمشق ١٣٩١
المحكم في نقط المصاحف	لعثمان بن سعيد الداني	دمشق ١٤٠٧
المخطوط العربي	للدكتور عبد الستار الحلوجي	جدة ١٤٠٩
المصاحف	لسليمان بن الأشعث السجستاني	القاهرة ١٩٣٦
المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية	لنصر الهوريني	القاهرة ١٢٧٥

معجم السماعات الدمشقية والسماع في المخطوطات العربية	لمأمون الصاغرجي	
المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع	للدكتور محمد عيسى صالحية	القاهرة ١٩٩٣
معجم المطبوعات العربية والمعربة	ليوسف اليان سركيس	القاهرة ١٣٤٦
معرفة علوم الحديث	للحاكم النَّيسابوري	المدينة المنورة
المعيد في أدب المفيد والمستفيد	لعبد الباسط العَـلْـمَوي	
مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث	للدكتور السيد رزق الطويل	القاهرة
المقنع في معرفة مرسوم المصاحف	لعثمان بن سعيد الداني	دمشق ١٤٠٣
منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية	للدكتور أحمد الخراط	دمشق ١٤٠٨
مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين	للدكتور رمضان عبد التواب	القاهرة ١٩٨٦
المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات	للدكتور محمد التونجي	دمشق ١٩٨٦
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي	لفرنتز روزنتال	بيروت ١٩٨٠
منهج البحث الأدبي	للدكتور علي جواد الطاهر	بغداد ١٩٧٦
منهج البحث وتحقيق النصوص	للدكتور يحيى الجبوري	بيروت ١٩٩٣
منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات	للدكتور فخر الدين قباوة	دمشق ١٤١٨
منهج تحقيق المخطوطات	لإياد خالد الطباع	دمشق ١٤٢٣
منهج تحقيق النصوص ونشرها	لنوري القيسي وسامي العاني	بغداد ١٩٧٥
منهج النقد التاريخي عند المسلمين	لعثمان وافي	
منية المريد في آداب المفيد والمستفيد	لزين الدين بن علي العاملي	
نحو منهج في تحقيق قراءة الشعر القديم	للدكتور نهاد الموسى	مجلة دراسات للجامعة الأردنية
النشر في القراءات العشر	لابن الجزري	القاهرة ١٩٤٠

نقد النصوص	للفرنسي كولـمب	باريس ١٩٣١
نوادر الإجازات والسماعات	لابن طولون الدمشقي وغيره	دمشق ١٤١٩
ولا يزالون يقاتلونكم : في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان	للدكتور فخر الدين قباوة	حلب ١٤٢٤

المحتوى

تعريف بالمؤلف :

الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة :

وُلِدَ في حلب سنة ١٩٣٣ ، ونال فيها الشَّهادة الثانوية ، وأهليّة التّعليم الابتدائي ، مع مُزاولته للمهن الحرّة. ومن جامعة دمشق حاز الإجازة في علوم العربية ، وأهليّة التّعليم الثانوي ، والدبلوم الخاصّة في الإدارة والتّفتيش التّربوي ، بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٠ . وفيها أعدَّ رسالة للماجستير في التفتيش التربوي . ومنحته جامعة القاهرة درجة الماجستير فالدكتوراه في الأدب القديم ، سنة ١٩٦٦ .

درَّس الأدب القديم والنحو العربي ومنهج البحث ، في جامعات حلب واللاذقية وبكّين وفاس والعين والقصيم ، وأشرف على رسائل لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب والنحو ، وشارك في لجان التحكيم لهما ، وفي لجان علمية وثقافية، وندوات ومؤتمرات عربية وإسلامية ، وتقويم إنتاج بعض الزملاء وبحوث علمية للمجلات المحكِّمة ، وانتُخب عضواً في بعض المجامع العلمية .

أصدر عشرات من الكتب ، في الأدب والإعراب والصرف والعروض ، وعشرات من المقالات العلمية في الدوريات العربية والإسلامية . وهو أستاذ الأدب القديم والنحو في جامعة حلب .

۞ ۞ ۞

من إصداراتنا :

- ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان . — د. فخر الدين قباوة
- قراءة موجهة لمصادر التراث في رحاب المكتبة العربية (مناهج ونماذج) — د. فخر الدين قباوة
- إشكاليات في البحث والنقد النحويين . — د. فخر الدين قباوة
- تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف ((بحث وثائقي للتأصيل)) . — د. فخر الدين قباوة
- آفاق بلا حدود ، بحث في الهندسة النفسية . — د. محمد التكريتي
- حبّات المعرفة . — د. محمد التكريتي
- القوة الخفية . — د. محمد التكريتي
- المنهجية المنطقية الأصولية عند الإمام الغزالي . — د. شامل الشاهين
- كيف تقرأ ؟ — د. عبود العسكري
- التاريخ الخفي للصهيونية ، تأليف : رالف شوينمان . — ترجمة سيد الحديدي
- الحالقة : البغضاء حالقة الدين . — أ. محمد عبود مكحلة
- فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ — أ. محمد عبود مكحلة
- العينة المعاصرة بيع أم ربا . — د. عبد العظيم أبو زيد

سيصدر قريباً :

- شرح الملوكي في التصريف . — د. فخر الدين قباوة
- مبرز القواعد الإعرابية . — د. فخر الدين قباوة
- الـجَنَى الدَّاني في حروف المعاني تأليف: الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل.



